دكتور محمد مؤنس عوض

صلاح الدين الأيوبى

بين التاريخ والأسطورة

صلاح الدين الأيوبى

بين التاريخ والأسطورة

إعداد

د. محمد مؤنس عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب- جامعة عين شمس

كلية الآداب والعلوم- جامعة الشارقة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م

عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المستشارون

د . أحمد إبراهيم الهوارى

د . شوقى عبد القوى حبيب

د . قاسم عبده قاسم

المشرف العام :

د. قاسم عبده قاسم

المدير التنفيذي :

شريف قاسم

مدير الانتاج :

جمال عابد

تصميم الغلاف: د. منى العيسوى

بطاقة فهرسة

عوض ، محمد مؤنس .

صلاح الدين الأيوبى بين التاريخ والأسطورة / إعداد محمد مؤنس عوض .

- ط١ . الجيزة : عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، ٢٠٠٨ .

٤٢٨ ص ؛ ٢٤سم .

تدمك × ٢٢٥ ٣٢٢ ٩٧٧

١- صلاح الدين الأيوبى، يوسف بن أيوب بنى شاذى ، ١١٣٧-١١٩٣ .

٢- الملوك والحكام .

أ- العنوان .

الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

Publisher : EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

web site: WWW.Dar -Ein.com / E-mail : dar_Ein@hotmail.com

الإهـــداء

إلى د. محمود كامل جمال الدين (أستاذ التاريخ الحديث المساعد بكلية الآداب- جامعة أسيوط)، بطل قوات الصاعقة المصرية الذى قام بـ (٢٦) عملية فدائية خلف خطوط العدو الإسرائيلى فى سيناء الحبيبة خلال حرب الاستنزاف المجيدة (٦٨-١٩٧٣م) تقديراً لأحد فرسان مصر وعشاقها .

وإلى روح / عبير الجنابى فى أكرم جوار .

تقديـــم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأجمعين .

إنها لسعادة بالغة أن أقدم لهذا السفر العلمى الجاد الذى تتناوله الأيدى وتتصفحه الأعين، وتتفهمه العقول ، وترجع سعادتى إلى سببين ، الأول يتعلق بالمؤلف الأستاذ الدكتور محمد مؤنس محمد عوض أستاذ التاريخ الوسيط بكلية الآداب جامعة عين شمس، هذا الأستاذ الذى عمت شهرته الآفاق ، وأثبت بأعماله العلمية العديدة أنه عالم متفحص ، وباحث متمكن ، سبر أغوار التراث الإسلامي والغربى، فأثرى المكتبة العربية بمؤلفات سدت ثغرات كبيرة، وعالجت موضوعات مهمة ، وقدم للقارئ العربى بحوثا ومؤلفات عالجت قضايا تاريخية شملت جميع فروع التاريخ السياسى والاقتصادى والاجتماعى والحضارى، ومن هذه المؤلفات ما عالجت قضايا ربما يمر عليها الباحثون مروراً فلا تلفت أنظارهم ففقدها إلى المكتبة العربية بأسلوب جزل سهل بعيد عن الإختصار المخل أو السرد الممل ، مما جعل قراءتها سهلة ميسرة ففتحت المجال أمام كثير من الباحثين كى يضعوا أيديهم على نقاط يتخذوها قضايا لبحوثهم الجامعية العليا .

كما أن هذا الأستاذ الكبير يتمتع بتواضع العالم فوجدته يحمل بين جنباته قلبًا مملوءاً بالتقوى والايمان وحسبنا وأملنا فى الله أن يكثر من أمثاله ليكونوا مثلا أعلى وقدوة لغيرهم من الذين يخوضون مجال العلم، ويبعدون عن الله، فلايمكن لعالم أن يكتمل علمه إلا إذا مزج بين عقيدة صحيحة وعلم نافع .

ولايفوتنى وأنا أقدم لهذا العالم أن أسجل أيضًا ما يتمتع به من خلق رفيع وعلاقة طيبة تربط بينه وبين أساتذته أولا أبنائه من الطلاب ثانيًا ، ويشهد على ذلك أنه .

يسعى دائما إلى الوقوف بجانب أساتذته فى كل ظروف الحياة، كما أثبت وفاءه لهم بما قدمه من دراسة عميقة جمع فيها رواد التاريخ الإسلامي والوسيط ليس فى جامعته التى تخرج فيها ، وإنما فى جميع الجامعات المصرية ، والتى وضح من خلالها ما بذله من جهد فى سبيل جمع سيرهم الذاتية ومؤلفاتهم واسهاماتهم العلمية ، حيث قدم للجيل الجديد قدوة يتبعوها فى المستقبل مع أساتذتهم ، وعرفهم على هؤلاء الأساتذة الأجلاء ، الذين تتلمذ على أيديهم جميع أبناء مصر والوطن العربى بأكمله من المهتمين بالدراسات التاريخية. وبذلك حفظ لهؤلاء تاريخهم وجهدهم الذى تناسته الأجيال .

أما بالنسبة لتلاميذه فقد رأيت بعينى العلاقة الحميمة والودية التى ربطت بينه وبينهم، وكيف أنه سخر وقته وجهده لخدمتهم، فحملوا له جميعا فى قلوبهم الحب والعرفات والثناء الدائم رغم بعده المكانى عنهم .

كما لمست هذه السيرة العطرة ليس بين تلاميذه فى مصر. وإنما ممن تتلمذوا عليه من أبناء المملكة العربية السعودية ، حيث التقيت بهم هناك وسمعت منهم الكثير.

أما السبب الثانى، فهو لموضوع الكتاب الذى يقدم لبطل من أبطال التاريخ الإسلامى ، اخترقت سمعته وشهرته الآفاق ، فضرب للإنسانية مثلا رائعا فى التفانى من سبيل نصرة الحق والدفاع عن الإسلام وبلاده واستعادة الأرض السليبة ، وعلم الغرب الأوربى دروسا أثبتت لهم أن أبناء الاسلام ليسوا غثاء سيل، وإنما هم خير جنود الأرض وخير أمة أخرجت للناس، وأن كان الخور والهوان قد لحق بهم حينا، فما هو إلا كبوة فارس، ما يلبث أن يفيق .

لذلك فإننى أقدم لفارسين فارس قلم وفارس سيف ، وقد اختار القلم لكتابه عنوان«صلاح الدين الأيوبى. بين التاريخ والأسطورة ،، وذلك لأن شخصية صلاح الدين أصبحت محوراً لكثير من الدراسات التى تنوعت ما بين التاريخ والأدب ، وأنقسمت الآراء حوله ما بين فريق تغالى فى المدح والثناء ، وألبس صلاح الدين ثوب الملائكة وأسند إليه خوارق الأعمال ، وآخر إنهال عليه طعنا وقدحًا وحاول سلبه كل مكرمه ، وكل دور لعبه فى مواجهة الصليبيين ، وهذا ما أكده المؤلف فى مقدمته .

لذلك فبين أيدينا هذه الدراسة الجادة التى عملت على الإلتزام بالحيدة والموضوعية ، حيث استخدم المؤلف فيها ثبتا ضخما من المؤلفات المخطوطة والمطبوعة العربية والفارسة إلى جانب المؤلفات الأجنبية باللغات المختلفة أضف إليها الدوريات العلميه المتخصصة ، والمواقع الالكترونية المتميزة ، كل ذلك يوضح للقارئ المنصف مدى الجهد الذى بذله فى جميع مادته العلمية والحصول على المعلومات من مظانها بهدف الوصول إلى الغاية الكبرى فى تحقيق تاريخ هذه الشخصية وإثبات الحقيقة وتحليل جميع النصوص التاريخية ونقدها نقدا علميا . وتقديم مادة تاريخية للقارئ مهذبة ومنقحة ، مع التعامل مع صلاح الدين كإنسان يصيب ويخطئ.

ولعلَّ ما يلفت النظر فى هذه الدراسة أنها تبنت نظرية البعد عن الدائرة الفردية الضيقة والتوهم بأن التاريخ يحركه القائد البطل فقط، حتى أن صلاح الدين نفسه أكد بطلانها ، وأحاط نفسه بكوكبة من العلماء والأدباء والفقهاء وغيرهم.

أوضح المؤلف أيضا أن صلاح الدين كان يمتلك شخصية كارزميه أثرت فى معصريه من المسلمين والصليبيين على السواء، حتى أصبح محورا للدراسة والبحث قديما وحديثا .

وقسم المؤلف كتابه إلى مقدمة ومدخل يشمل تعريفا عاما بالمصادر التاريخية، ومشكلات الدراسة، يتبعه سبعة فصول وخاتمة ، ومجموعة من الملاحق والخرائط المهمة.

شمل الكتاب دراسة متميزة فى الفصل السادس رصد فيها المؤلف مجموعة كبيرة من معاصره صلاح الدين من جميع الفئات ، استطاع من خلالهم رسم صورة كاملة لهذا العصر من جميع النواحي، وأكد أثرهم على قراراته ، وعلى مجابهة الأزمات التى تعرض لها.

أما الفصل السابع، فقدم لنا الأسطورة التى أحاطت بشخص صلاح الدين بعد وفاته سنة ١١٩٣ م، حيث نسج الصليبيون حوله أساطير انتشرت بصورة كبيرة وأثرت تأثيرا كبير على العقلية الأوربية وامتزجت فى آدابهم شعرا ونثرا ، وعلى حد قول المؤلف (فقد غزاهم صلاح الدين بعد وفاته فى عقر دارهم) .

وعليه فإننا نهنئ الأستاذ الدكتور محمد مؤنس على هذا العمل الجاد ، ونشكره على ما بذله من جهد، ونبارك للمكتبة العربية هذه الإضافة الثرية ، ونتمنى له كل توفيق وسداد فى كل أعماله المستقبلية وأن ينفع الله به وبعلمه ويجزيه خير الجزاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ ﴾

صدق الله العظيم

أ.د / عفاف سيد صبره

أستاذ التاريخ الوسيط

كلية الدراسات الانسانية- جامعة الأزهر

١٤٢٨-٢٠٠٧م

المحتويات

المقدمة

« رجل ذو روح متقدة شجاع فى الحرب وكريم إلى درجة السخاء ».

المؤرخ الصليبى وليم الصورى

"Saladin ! Nous Voila revenus"

أى «صلاح الدين ها نحن قد عدنا»

الجنرال الفرنسى جورو عندما دخل دمشق عقب معركة ميسلون فى ٢٤ يوليو ١٩٢٠م وزار ضريح البطل المسلم الكبير .

يتناول هذا الكتاب بالدراسة ؛ تاريخ صلاح الدين الأيوبى باعتباره فارسًا من عصر الحروب الصليبية، ويلاحظ أن المؤلف لايسعى فيه إلى اللهث وراء الأحداث بل تقديم ملامح عامة من أجل الاقتراب - قدر المستطاع - من عصر ذلك الفارس المسلم البارز.

وقد دفعنى لتأليف دراسة عنه مالاحظته خلال الأعوام الأخيرة من ظهور دراسات تميل إلى عدم الموضوعية فى عرض تاريخ الرجل، بل وصدرت من جانب بعض الباحثين من غير المتخصصين فى تاريخ عصر الحروب الصليبية، وهى دراسات تتراوح بين الإعجاب المفرط والهجوم العنيف وبالتالى تأرجحت الموضوعية التاريخية الواجبة والملزمة بين الفريقين.

من جهة أخرى؛ إستغرقت أعوامًا طويلة فى التفكير للإعداد لهذا الكتاب من خلال الأفكار التى تناقشت فيها مع تلاميذى وتلميذاتى فى مصر والمملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة، سواءٌ من مرحلة ما قبل التخرج أو من مرحلة الدراسات العليا، بالإضافة إلى النقاش مع عدد من الزملاء والباحثين على نحو أفادنى إفادة واضحة.

وقد تم تقسيم الكتاب إلى مدخل تعرضت فيه للمصادر التاريخية التى تناولت موضوع الدراسة، وكذلك المشكلات المنهجية التى تواجه الباحثين عند كتابة تاريخ صلاح الدين الأيوبى، وجاء الفصل الأول ليتناول الحروب الصليبية وتطورها التاريخى منذ أن قامت من فرنسا فى أخريات القرن ١١م . وتطور تاريخ الصليبيين حتى منتصف القرن ١٢م ومن بعد

ذلك تصدى الفصل الثانى لتناول المرحلة المصرية وهى مرحلة على جانب كبير من الأهمية فى تاريخ الرجل والنتائج التى نتجت عنها ، على حين إهتم الفصل الثالث بدراسة دور صلاح الدين الأيوبى فى توحيد مصر وبلاد الشام وشمالى العراق لمواجهة الغزاة الصليبيين ، وكذلك حرب الاستنزاف الأيوبية التى قادها من أجل التحضير لحرب التحرير ، كذلك تصدى الفصل الرابع لتناول معركة حطين الحاسمة عام ١١٨٧م، والآثار المتعددة التى نتجت عنها باعتبارها الزلزال الذى هز المملكة الصليبية ونتج عنها فتح مدن الساحل الشامى وإسقاط القلاع الصليبية وفتح بيت المقدس وبالتالى لم يبق فى أيدى الصليبيين إلا بقاعًا قليلة ، كما تعرض الفصل الخامس إلى الحملة الصليبية الثالثة من خلال دوافعها وأحداثها ونتائجها المتعددة ، على حين تصدى الفصل السادس للبحث فى أمر معاصرى صلاح الدين من المسلمين رجالاً ونساءً من خلال أسلوب النماذج المختارة، وجاء الفصل الأخير ليتناول أمر صلاح الدين الأسطورة خاصة لدى الغرب الأوربى ومن بعد ذلك إحتوى الكتاب على خاتمة بأهم النتائج التى تم التوصل إليها ثم قائمة ببليوغرافية بالمصادر والمراجع .

وأود فى هذه المقدمة الاقرار بزاوية على جانب كبير من الأهمية ، فليس الهدف من إعداد مثل هذا الكتاب الوقوع فى دائرة الفردية الضيقة وتوهم أن التاريخ يحركه الفرد القائد فقط[1] ، وبالتالى ؛ نقع فى منزلق القولبة ، والأحكام الجاهزة والمسبقة ونغفل دور الجموع أو الجماهير التى تصنع أصلاً القائد باعتباره إفرازاً لها ، ثم هو نفسه يؤثر فيها، أى أن القضية تأثير متبادل ، وبالتالى فإن هذه الدراسة تحرص على أن تؤكد على دور الجماهير التى إلتفت حول صلاح الدين الأيوبى وصنعت معه انتصاراتها ، ولا أقول إنتصاراته ، والأمر المؤكد - من وجهة نظرى- أنه بدون إيمان الجماهير المسلمة فى بلاد الشام، ومصر ، والعراق وغيرها من البقاع بذلك القائد التاريخى ما تحقق شئ نكتب عنه الآن الصفحات التالية.

من ناحية أخرى ، اتجهت إلى إتباع المنهج السردى الوصفى أحيانًا ، وحرصت قدر المستطاع على التعامل مع الأحداث من خلال المنهج التحليلى ، كما استفدت من التفسير

١- ممن تبنى ذلك التوجه توماس كارليل Thomas Carlyle (١٧٩٥-١٨٨١م) الذى عرف واشتهر بكتابه حول الأبطال : عبادة البطل والعمل البطولى فى التاريخ ويشمل المحاضرة التى ألقاها فى ٨ مارس ١٨٤٠م، وتمت ترجمتها من جانب الأديب على أدهم عن ذلك أنظر:

محمد البشير مغلى، مناهج البحث فى الاسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط. الرياض ٢٠٠٢م، ص٧٣، حاشية (٣) .

النفسى لسياسات بعض القيادات التى تناولها الكتاب، وهو أمر قد يوافق عليه البعض، ويعارضه البعض الآخر، مع تقديرى المسبق لكل من الفريقين، مع عدم إغفال أن ذلك لايتم إيراده بدون التعرض لكافة الظروف والملابسات السياسية والحربية والاجتماعية المصاحبة للحدث التاريخى ذاته.

وسيلاحظ القارئ أن إهداء الكتاب جاء لأحد أبناء دفعة ١٩٧٨م بقسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة عين شمس، وهى دفعة فارقة فى تاريخ ذلك القسم - فى صورة د. محمود كامل جمال الدين الأستاذ المساعد بقسم التاريخ كلية الآداب- جامعة أسيوط نظراً لدوره البطولى خلال حرب الاستنزاف المجيدة ، وهى المقدمة الحقيقية لانتصار أكتوبر الخالد عام ١٩٧٣م .

كما لا أغفل أن أقدم زهور الشكر وباقات التقدير لعدد من الزملاء والأساتذة منهم من هو تحت الثرى ومنهم من لايزال على قيد الحياة - أطال الله تعالى فى عمره المديد- ومن الفريق الأول أتذكر العلامة الراحل أ.د. حسن حبشى أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية التربية - جامعة عين شمس الذى كان دائم التشجيع لكاتب هذه السطور ، والزميل د. أحمد فؤاد سيد - رحمه الله تعالى- خبير العصر الأيوبى الذى لم يكن يشق له غبار، وقد توفيا عام ٢٠٠٥م، ومن الفريق الثانى أشيد بأستاذى أ.د. إسحق عبيد أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب - جامعة عين شمس الذى كثيراً ما أشاد ببطل الإسلام صلاح الدين الأيوبى؛ مما عكس مدى تحضره وتسامحه ، كما أتوجه بالشكر للأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب- جامعة الزقازيق الذى أفدت من مناقشاتى معه. كما لايفوتنى توجيه الشكر والثناء العاطر للأستاذة الدكتورة عفاف صبره أستاذة تاريخ العصور الوسطى بجامعة الأزهر وهى خبيرة عصر الحروب الصليبية والعصر الأيوبى التى شرفت الكتاب بكتابة مقدمة له كما أشكر الباحثة هنادى السيد محمود على مراجعة بروفات الكتاب.

بصفة عامة ، استغرق إعداد هذا الكتاب عدة أعوام وقد طالعت خلالها مؤلفات باللغة اللاتينية ، والعربية ، والإنجليزية ، والفرنسية، والألمانية، والفارسية، والتركية، وإننى على يقين من أن القارى المنصف الموضوعى سيدرك أهمية الجهد العلمى المبذول فيه، ودائمًا وأبداً أردد قول الحق تبارك وتعالى : «وفوق كل ذى علم عليم» صدق الله العظيم.

أ.د. محمد مؤنس عوض

الشارقة ٢٠٠٧م

المدخــل

تعريف عام بالمصادر التاريخية ومشكلات الدراسة

نتناول فى هذا المدخل تعريفًا عامًا بالمصادر التاريخية الخاصة بعهد السلطان صلاح الدين الأيوبى، وبداية من المقرر أن الهدف ليس تقديم حصر ببليوغرافى شامل عن كافة تلك المصادر، بل تقديم نماذج مختارة دالة عليها ، وفى هذا النطاق نلاحظ تعددها بين الوثائق ، والآثار ، والنقوش، والنقود ، والكتابات القلمية سواء كتابات المؤرخين أو الرحالة مع ملاحظة أن من تلك الكتابات القلمية ما ألفه مؤرخون مسلمون ، ومنها ما ألفه مؤرخون صليبيون ، وبصفة عامة، فإن مصادر كل فريق تعين على إكتمال صورة العصر التاريخى ذاته .

أما الوثائق ؛ وهى المادة الخام لكتابة التاريخ فهى متنوعة عن عصر صلاح الدين الأيوبى، إذ نجد العديد منها فى نصوص المصادر الأصلية وهكذا، نجد نماذج منها لدى ابن شداد (ت ١٢٣٤م) فى كتابه النوادر السلطانية ، والعماد الكاتب الأصفهانى (ت ١٢٠١م) فى الفتح القسى ، والبرق الشامى ، وإن حرص القلقشندى (ت ١٤١٨م) فى كتابه صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء على تقديم عدد كبير منها، وهى رسائل صادرة وواردة خاصة بديوان الإنشاء الأيوبى الذى يوازى حاليًا وزارة الخارجية [١]؛ حيث دخلت الدولة الأيوبية فى علاقات مع قوى دولية متعددة .

من ناحية أخرى، من الأهمية بمكان الإشارة والإشادة بجهد فردى قام به ماهر حماده [٢]، حيث حرص على تجميع عدد كبير من الوثائق الخاصة بالعصر الأيوبى إعتماداً على ما ورد فى المصادر التاريخية العربية.

أما الآثار، وهى شاهد مادى لايتطرق إليه ارتياب ، فهى تقدم مادة تاريخية لها شأنها عن عصر صلاح الدين الأيوبى ، خاصة إنه خلال عهده أقام عدداً من المنشآت منها ما لا يزال

١- من المهم الرجوع إلى هذه الدراسة : عفاف صبرة ، ديوان الإنشاء وتطوره فى عصر الأيوبيين والمماليك، مع تحقيق مخطوط البرد الموشى فى صناعة الانشا للموصلى، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.

٢- الوثائق السياسية والادارية فى العهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية ، ط. بيروت ١٩٨٤م.

باقيًا إلى يومنا هذا ، وإن راح البعض الآخر ضحيـة للزلازل التى وقعت فى بلاد الشام فى مرحلة متأخرة؛ ومن أمثلة الآثار التى خلفها ذلك السلطان فى بيت المقدس- على سبيل المثال- نذكر الخانقاه الصلاحية ، والمدرسة الصلاحية، دار الكتّاب ، والزاوية الختنية، وغيرها.

أما فى القاهرة ؛ فهناك قلعة الجبل التى أقامها فوق جبل المقطم ، وقد درسها على نحو مفصل كل من المستشرقين كريزويل Creswell-(١) عمدة الآثار الإسلامية- وكازانوفا(٢) Casanova وعدد من الباحثين الآخرين.

وهكذا ، فإن دراسة الآثار التى تعود إلى عصره تمثل أهمية واضحة خاصة أنها تلقى الضوء على الأوضاع الحضارية المتعددة حينذاك.

أما النقوش ، فلها أهميتها هي الأخرى ، خاصة أنها تحدد تاريخ الأثر الذى عليه النقش خاصة إذا كان ذلك متصلاً بما عرف بالنص التأسيسى ، وفى هذا المجال يمكن الاستفادة من جهد كل من كومب، وويت، وسوفاجيه فى كتابهم عن الجامع للنقوش العربية :

Compe, Wiet , Sauvaget , Repertoire Chronologic d'pigraphie Arabes.

وفيما يتصل بالنقود ، نجد أنها تقدم إشارات حضارية على جانب كبير من الأهمية خاصة أنها تمثل الآثار والنقوش مجتمعة ، ويلاحظ أن العصر الأيوبى شهد عدة مدن تم سك العملة فيها ، كذلك حدث صراع عنيف بين الأيوبيين وأعدائهم الصليبيين امتدت ساحته فى مجال تزييف العملة حيث زيف الصليبيون العملة الأيوبية إضعافًا لها ونشير هنا إلى جهد د. رأفت النبراوى(٣) .

أما المصادر القلمية فهناك كوكبة من المؤرخين المعاصرين لصلاح الدين الأيوبى ، وتركوا لنا مؤلفاتهم التى تلقى الأضواء الكاشفة عن تاريخه .

ومن أمثلتها ما ألفه القاضى بهاء الدين بن شداد(٤) (ت ١٢٣٤م) مؤلف كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية . ويمثل أفضل سيرة ألفت خلال عصر الحروب الصليبية، حيث

١- وصف قلعة الجبل، ت. جمال محرز ، ط. القاهرة ١٩٧٤م.

٢- تاريخ ووصف قلعة الجبل، ت. أحمد دراج، ط. القاهرة ١٩٧١م.

٣- النقود الصليبية فى الشام ومصر، ط. القاهرة ١٩٩٦م.

٤- عنه أنظر الفصل السادس.

إهتم المؤرخ بإيراد كافة الزوايا المتصلة بصلاح الدين ويمتاز بغزارة التفاصيل خاصة ما اتصل بأحداث الحملة الصليبية الثالثة، ومما يذكر هنا ، أن المؤرخ المذكور يهتم بأبعاد نفسية على جانب كبير من الأهمية من أجل الاقتراب من العصر التاريخي ذاته، ونظراً لاتصاله الوثيق بالسلطان الأيوبي ؛ يقدم إشارات نادرة عن ظروفه النفسية منتصراً، ومهزوماً على نحو لانجده يمثل تلك الصورة لدى المصادر التاريخية العربية الأخرى التي تعنى بالأحداث الحربية والسياسية الطابع.

ومع ذلك، من الملاحظ أن ابن شداد منحاز للسلطان الأيوبي ، وهو أمر يتضح تماماً حتى من عنوان كتابه « المحاسن اليوسفية » وبالتالي لابد عند التعامل مع ذلك المصدر القيم الحذر والتعامل مع المصادر التاريخية الأخرى وعدم الوقوع في أسر المصدر التاريخي الواحد.

وهناك أيضاً عز الدين بن الأثير[1] (ت ١٢٣٢م) مؤلف التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، والكامل في التاريخ ، وعلى الرغم من أنه من الموصل بشمالي العراق ، وهو بالتالي يتطابق مع ابن شداد في مسقط الرأس ، إلا أنه اختلف معه في الميول وقد قدم مادة تاريخية غزيرة عن صلاح الدين الأيوبي مع ملاحظة أن ميوله الزنكية أثرت على كتابته التاريخية ونجده يترصد له الأخطاء ويعمل على إبرازها وساعده على ذلك ؛ ما تمتع به من خبرة وبراعة في عرض أفكاره كمؤرخ معاصر محترف.

ومع ذلك ، فإن القيمة البارزة لابن الأثير تتمثل في أنه كان من معارضي صلاح الدين الأيوبي- وهم قلة- في مقابل كثرة واضحة وقفت مؤيدة بل ومنبهرة به أحياناً .

تجدر الإشارة ، إلى أن ذلك التوجه لايقلل البتة من قيمة ذلك المؤرخ العراقي البارز الذي أثرى المكتبة العربية بعدد من المؤلفات الأخرى .

ويضاف إلى ذلك ، نذكر العماد الكاتب الأصفهاني[2] (ت١٢٠١م) مؤلف الفتح القسي في الفتح القدسي، والبرق الشامي، وغيرها من المؤلفات، ويلاحظ أنه عمل رئيساً لديوان الإنشاء الأيوبي ، ويقدم تفصيلات ضافية عن عصر صلاح الدين الأيوبي. وهو منحاز تماماً لذلك السلطان وسياساته ولكن يؤخذ على العماد أن حرص على السجع والمحسنات البديعية

١- عنه أنظر الفصل السادس.

٢- عنه أنظر الفصل السادس .

وقد قلل هذا من قدرة الباحثين على الإفادة من مؤلفاته وهناك صعوبة واضحة فى التعامل مع نصوص مصادره دون الاستعانة بالمعاجم اللغوية العربية مثل ابن منظور المصرى وكتابه لسان العرب المحيط، وغيره من المؤلفات.

كذلك تذكر ما ألفه أبوشامة المقدسى [1](ت ١٢٦٧م) مؤلف كتاب الروضتين فى تاريخ الدولتين النورية والصلاحية ، ويعد من أهم المصادر التاريخية عن عصر صلاح الدين الأيوبى، وقد اعتمد على مصادر تاريخية معاصرة ، وأضاف إليها ، وكل ذلك بغزارة فى التفصيلات على نحو لايتوافر لغيره من المؤرخين ومؤلفاتهم إلا ما ندر . ويلاحظ أن من المصادر التى اعتمد عليها ما قد فقد مثل ما ألفه المؤرخ الحلبى ابن أبى طئ ؛ وهو مؤرخ شيعى فقدت مؤلفاته إلا ما ورد منها لدى مؤرخين تاليين وهم قلة .

١- أبوشامة المقدسى هو شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان بن أبى بكر محمد المقدسى الشافعى . ولد عام ١٢٠٣م بمدينة دمشق ، ويلاحظ أن جده انتقل إلى هذه المدينة من بيت المقدس فى عام ١٠٩٩م وهو عام الغزو الصليبى للمدينة المقدسة ، وقد تنقل بين عدد من الأقطار طلبًا للعلم وعمل بالتدريس فى المدرسة الركنية بدمشق ، وفى عام ١٢٦٤م تولى مشيخة دار الحديث الأشرفية ، وقد توفى عام ١٢٦٧م، عنه أنظر:

ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٢٥٠ ، السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج٥ ، ص٦١ ، النعيمى المدارس فى تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسينى، ط. دمشق ١٩٤٨م، ص٢١ ، الصقاعى، تالى كتاب وفيات الأعيان ، تحقيق جاكلين سويله ، ط. دمشق ١٩٧٤م، ص٩٩ ، ابن طولون ، قرة العيون فى أخبار باب جيرون ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط دمشق ١٩٦٤م، ص١٤ وما بعدها ، حسين عاصى، المؤرخ أبوشامة وكتابه الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ط. بيروت ١٩٩١م، ص١١- ص٤٤ ، كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى، ت. السيد يعقوب بكر ، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ج٦ ، ص١٤ ، أحمد أحمد بدوى، الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، ط. القاهرة ب-ت ، ص٢٧٥- ص٢٧٧، صلاح الدين المنجد ، معجم المؤرخين الدمشقيين، ط. بيروت ١٩٧٨م، ص١٥ ، «المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة»، مجلة معهد المخطوطات العربية ، م (٢) ، ج (١) مايو ١٩٥٦م ، ص٩٣- ص٩٤ ، عمر السارس، نصوص من أدب عصر الحروب الصليبية، ط. جدة ١٩٨٥م، ص١٥٥ .

Gabrieli, Arab Historians of the Crusades, Trans. by Costello, Lonton 1969 , pp. XXX-XXXI, Cahen , la Syrie du nord a l'epoque des croisades, paris 1940, p. 66 .

ثم نضيف إلى ذلك ، ما ألفه المؤرخ ابن واصل[١] (ت ١٢٩١م) مؤلف كتاب مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، وهو أشمل تاريخ عن الدولة الأيوبية منذ قيامها حتى النهاية أى على مدى ما اقترب من ثمانين عامًا ، وقد اعتمد على عدد من المصادر المعاصرة وأضاف إليها .

ويلاحظ أن من عناصر أهمية ذلك الكتاب أن ابن واصل ضمنه عددًا من الوثائق الرسمية وهى فى أغلبها كتبها القاضى الفاضل وكذلك العماد الأصفهانى [٢].

كما نذكر ما ألفه ابن العديم الحلبى[٣] (ت ١٢٦١م) مؤلف كتاب بغية الطلب فى تاريخ حلب ، وكتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ويقدم معلومات وافية عن حلب فى العصر الأيوبى واتجاه صلاح الدين إلى إخضاعها .

١- ابن واصل ؛ هو محمد بن سالم بن نصر الله ، ولد عام ١٢٠٧م فى مدينة حماة، وفيها تعلم، وفيما بعد صار مدرسًا فى نفس المدينة ، وقد قدم إلى القاهرة فى صحبة الصالح نجم الدين أيوب، وأرسله الظاهر بيبرس فى سفارة إلى صقلية من أجل مقابلة ملكها الملك منفرد Manfred ، ويلاحظ أن ابن واصل ألف مؤلفات فى عدة مجالات هى التاريخ ، والمنطق ، والأدوية ، ومن مؤلفاته ، التاريخ الصالحى وهو تاريخ عام، ثم مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، وكتاب شرح الموجز ، وهداية الألباب ، ومختصر الأدوية لابن البيطار . ولانغفل أنه عمّر طويلاً ؛ إذ توفى عام ١٢٩٨م عن عمر بلغ نحو واحد وتسعين عامًا وهو يتشابه فى ذلك مع كل من أسامه بن منقذ وبهاء الدين بن شداد عنه أنظر : يسرى عبد الغنى، معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثانى عشر الهجرى، ط. بيروت ١٩٩١م، ص١٨٥-١٨٦ ، أحمد أحمد بدوى، الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، ص٢٨٠، عبد العزيز عبد الدايم، بيت المقدس فى العصر الأيوبى، ط. القاهرة ١٩٨٩م، ص١٧٨-١٧٩ ، إبراهيم فرغلى، الحركة التاريخية فى مصر وسوريا خلال القرن السابع الهجرى، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص١٢٩-١٣٠ ؛ على إبراهيم حسن، استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ الإسلامى ، ط. القاهرة ، ص١١١، ص١١٢ .

٢- شلبى إبراهيم الجعيدى، طبقة العامة فى مصر فى العصر الأيوبى ٥٦٧-٦٤٨هـ / ١١٧١-١٢٥٠م، ط . القاهرة ٢٠٠٣م، ص١١ ، محسن محمد حسين ، الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين. ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٣٦ .

٣- ابن العديم ، هو كمال الدين بن العديم الذى انتمى إلى أسرة صليبية عريقه ، وقد درس العلوم الدينية منذ حداثة عمره ، وبرع فى التاريخ على نحو خاص ، وقد انتقل إلى مصر بعد غزو المغول بلاد الشام، كذلك قام بعدد من السفارات الدبلوماسية ، وقد توفى عام ١٢٦١م. عنه أنظر:

وهناك أيضًا ما ألفه أبو الفداء[1] (ت ١٣٣٢م) مؤلف كتاب المختصر فى أخبار البشر، وفيه يقدم مادة مهمة عن العصر الأيوبى وإن كان على نحو مختصر نظراً لطبيعة الكتاب، والمؤرخ المذكور من أمراء البيت الأيوبى مما أعطى لكتابه أهمية خاصة.

ولاتغفل أيضًا ما ألفه ابن قاضى شهبة[2] (ت ١٤٤٨م) تحت عنوان الكواكب الدرية فى السيرة النورية. وقد أفاد فيه من المؤرخين المعاصرين مثل ابن القلانسى وغيره ، وأضاف بعض الإضافات .

= ياقوت ، معجم البلدان ، ج٦ ، ص٨، ابن العديم، الدرارى فى ذكر الذرارى، تحقيق علاء عبد الوهاب محمد، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ص٥- ص١١ ، أبو الفداء ، المختصر فى أخبار البشر ، ط. استانبول ١٢٨٦هـ، ج٤ ، ص٦٣٤ ، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ، ج٧ ، ص٢٠٨ ، اليافعى، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط. حيدر اباد الدكن ١٣٤٨هـ، ج٤، ص١٥٨ ، اليونينى البعلبكى، ذيل مرآة الزمان، ط. حيدر أباد الدكن ١٩٥٤م، ص٥١٠ ، ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات ، تحقيق إحسان عباس ، ط. بيروت ١٩٧٣م، ج٣، ص١٢٦-١٢٩ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ط. القاهرة ١٣٥١هـ ، ج٥ ، ص٣٠٣ ، كرد على، «تأليف ابن العديم»، مجلة المجتمع العلمى العربى، عدد عام ١٩٤١م، سامى الدهان، «بغية الطلب» ، الحوليات الأثرية السورية م، (١) ، ج١ عام ١٩٥١م ، عباس عزاوى التعريف بالمؤرخين ، ط. بغداد ١٩٨٧م، ص٧٧- ص٧٨ ، شاكر مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون ، ط. بيروت ١٩٧٩م، ج٢، ص٢٦٣ .

١- أبو الفداء مؤرخ وجغرافى من الأسرة الأيوبية ألف المختصر فى أخبار البشر وتقويم البلدان، توفى ١٢٦١م ، عنه انظر: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩ ، ص٢٩٢-٢٩٣ ؛ الزبيدى، ترويح القلوب فى ذكر الملوك بنى أيوب ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط. بيروت ١٩٨٣م، ص٤٧ ، نفيس أحمد ، الفكر الجغرافى فى التراث الإسلامى، ت . فتحى عثمان، ط. الكويت، ١٩٧٨م، ص١١١- ص١١٢ ، حسين أحمد أمين، الحروب الصليبية فى كتابات المؤرخين المعاصرين لها، ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص٢٠-ص٢١ ، أحمد قدرى الكيلانى، الملك العالم أبو الفداء والملوك الأيوبيين فى مملكة حماه، ط. حماه ٢٠٠٠م.

٢- ابن قاضى شهبة . هو محمد أبوبكر بن أحمد بن محمد تقى الدين الأسدى بن قاضى شهبة، وهناك مؤرخ آخر يحمل نفس الكنية هو محمد أبى بكر أحمد بدر الدين ت ١٤٧٠م عن مؤرخنا انظر: صلاح الدين المنجد، المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة، ص١٢٤- ص١٢٩ ، معجم المؤرخين الدمشقيين، ص٢٥٢-ص٢٥٣ ، يوسف درويش غوانمه ، التاريخ السياسى لشرق الأدنى فى العصر المملوكى، المماليك البحرية ، ط. عمان ١٩٨٢م، ص١٧٠ .

وإلى جانب المؤلفات التاريخية العربية هناك عدد من المؤلفات التاريخية الصليبية ، ومن أمثلتها ما ألفه المؤرخ الصليبي وليم الصوري [١] William of Tyre ، صاحب كتاب تاريخ

١- وليم الصوري ، هو المؤرخ الرسمي لمملكة بيت المقدس الصليبية في القسم الأكبر من القرن ١٢ م. ولد في بيت المقدس حوالي عام ١١٢٧م. من أبوين فرنسيين، وينبغي التفرقة بين اثنين من الأشخاص حملا اسم وليم الصوري ، أولهما وليم الصوري، وهو إنجليزي شغل منصب حارس القبر المقدس ، والثاني المؤرخ الصليبي البارز وقد كان مؤرخنا على معرفة بسميه الانجليزي ، وقد تلقى وليم الصوري المؤرخ تعليمه الأولى في إحدى المدارس التابعة للأديرة ، وفيما بعد سافر إلى الغرب الأوربي خاصة فرنسا وبولونيا حيث تتلمذ هناك على مراكز العلم خلال نهضة القرن ١٢م لمدة عشرين عامًا فيما بين عامي ١١٤٦، ١١٦٥ م وعندما عاد أدراجه إلى بيت المقدس خلال عهد الملك عموري الأول ١١٦٣-١١٧٤م جعله مؤدبًا لابنه بلدوين الرابع، وطلب منه كتابة تاريخ للمملكة الصليبية، وبالفعل ألف تاريخ الأعمال وتاريخ الأمراء الشرقيين والأخير مفقود وقد مات وليم الصوري مسمومًا على الأرجح في ٢٩ سبتمبر عام ١١٨٦م، كما قرر البعض عنه أنظر:

Edbury and Rowe, " William of Tyre Historian of the latin East . Cambridge 1988 , pp. 13-173 , Krey , " William of Tyre The making of an Historian in the Middle Ages", S., vol XVI, 1941 , pp. 149-166 , Davis , " William of Tyre ", in Barker (ed.,) Relations between East and west in the Middle Ages, Edinburgh 1973, pp. 64-75 . Vissey , " Wiilliam of Tyre and The art of Historigraphy ", M.S., vol . XXXV , 1973 , pp. 433-455 , Edbury , " William of Tyre Ahistorian of the Crusades and The Kingdom of Jerusalem ", B.F.A.A.U., 1988, pp. 43-52 , Hammad , Latin and Muslim Historiography of the Crusades, Acomparative Study of William of Tyre and Izz Addin ibn Alathir , ph. D.. Pennsylvania 1987 .

جمال الزنكي، «المؤرخ وليم الصوري في ميزان النقد التاريخي »، المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد (٨٥) ، شتاء ٢٠٠٤م، ص٤١- ص٤٧ ، السنة (٢٢) . سمايلي ، المؤرخون في العصور الوسطى، ت. قاسم عبده قاسم، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص١٨٦-١٨٧ ، عمر كمال توفيق، «المؤرخ وليم الصوري» ، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية، م (٢١) ، عام ١٩٦٧م تقديم حسن حبشي الوافي للترجمة العربية لتاريخ وليم الصوري، ج١، ص١٠- ص٤٠ ، محمد مؤنس عوض، وليم الصوري مؤرخًا للقلاع الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية في المرحلة من ١١٣٧-١١٥٠م/ ٥٣٢-٥٤٥هـ ، سلسلة دراسات شرق أوسطية مركز بحوث الشرق الأوسط - جامعة عين شمس ، ط. القاهرة ١٩٩٥م، الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية ، ط. عمان ١٩٩٩م، ص٦٣- ص١٠٤ ، محمود الرويضي ؛ إمارة الرها الصليبية ، ط. عمان٢٠٠٢م ، ص٣٩-٤٢ ، محمد عبد الشافي المغربي، العصور الوسطى الأوربية رؤية في المصادر والنصوص التاريخية وعمليات التعليق والترجمة ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٣٢- ص٣٣ .

الأعمال التى جرت فيما وراء البحر[١] ؛ وهو عمدة مؤرخى الحروب الصليبية فى القرن ١٢م[٢]، وقد قدم معلومات ضافية عن صلاح الدين الأيوبى منذ المرحلة المصرية مروراً بتدخله فى بلاد الشام عقب وفاة نور الدين محمود عام ١١٧٤م وصولاً إلى حوالى عام ١١٨٦م ويلاحظ أن صلاح الدين «أربك» ذلك المؤرخ الصليبى البارز ؛ فهو أحياناً يمتدحه بعبارات نادرة فى عصر الحروب الصليبية[٣]، وأحياناً أخرى يكيل له إتهامات لاتصمد أمام المنطق التاريخى وهو أمر متوقع ، ولانغفل أن رالف Ralf - وهو شقيق وليم الصورى - قتل فى إحدى المعارك ضد المسلمين ومن المفترض أن ذلك ترك شيئاً فى نفسه وانعكس على ما كتبه عن ذلك العصر .

ويلاحظ أن وليم الصورى أدرك خطورة صلاح الدين الأيوبى وتوقع سقوط مملكة الصليبيين من قبل حدوث ذلك .

يضاف إليه عدد من المؤرخين مثل المؤرخ المجهول لرحلة ريتشارد وكذلك ما ألفه جودفرى

١- النص اللاتينى Historia rerum inpartibus Transmarinis gestarum يوجد فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية ، المجلد الأول، المؤرخون الغربيون R.H. C., Hist. occ., T.I وهناك الترجمة الانجليزية التى قام بها بابكوك وكراى، أنظر:

William of Tyre , A History of deeds done beyond the Sea , Trans. by E.A. Babcock and B. krey, 2 vols , New York 1943 .

وهناك ترجمتان عربيتان من جانب كل من :

سهيل زكار ، ط. دمشق ١٩٩٠م ، وحسن حبشى ، ج١، ط. القاهرة ١٩٩١م، ج٢، ط. القاهرة ١٩٩٢م ، ج٣، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ج٤، ط. القاهرة ١٩٩٤م. ويلاحظ أن المترجم الأخير زود ترجمته بتعليقات ثرية وقيمة أثرت النص الأصلى.

٢- بلغ إعجاب أحد الباحثين بذلك المؤرخ الصليبى حداً جعله يقول ما نصه : «إذا كان قد أطلق على هيرودت أب التاريخ فإن وليم الصورى يعتبر أب التاريخ فى عصره»...!! .

أنظر : محمد عبد الشافى المغربى، العصور الوسطى الأوروبية رؤية فى المصادر والنصوص التاريخية وعمليات التعليق والترجمة ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٣٣ وهو رأى يعكس الإعجاب الزائد بذلك المؤرخ.

٣- عن ذلك انظر هذا البحث القيم:

سرور عبد المنعم ، «رؤية المؤرخ الصليبى وليم الصورى لصلاح الدين الأيوبى خلال المرحلة ١١٧١-١١٨٤م / ٥٦٧-٥٨٠هـ» ، مجلة بحوث الأوسط ، عدد (١٦) ، عام ٢٠٠٥م ، ص٢٦٤-٢٩١ .

أوف فينزوف[١] Geoffvey of Vinsauf، وما ألفه امبرواز[٢] Ambroise عن صليبية ريتشارد قلب الأسد، كما لانغفل تكملة تاريخ وليم الصورى Continuation of William of Tyre.

وإلى جانب المصادر التاريخية السابقة هناك مصادر جغرافية سواءً المعاجم أو الرحلات ومن النوع الأول نذكر ما ألفه ياقوت الحموى[٣] (ت ١٢٢٨م) فى صورة معجم البلدان وتحتل المواد الخاصة بالمدن والمواقع الشامية أهمية خاصة ، كذلك نذكر كتابه المشترك وضعًا والمفترق صقعًا .

أما مؤلفات الرحلة فلها أهمية خاصة أن الرحلة هي عين الجغرافية المبصرة، ومن أمثلتها ما ألفه الرحالة الأندلسى ابن جبير[٤] (ت حوالى ١٢١٧م) وقد عاصر صلاح الدين الأيوبى وزار بلاد الشام فى عهده وأشار إلى عدد من المؤسسات التى أقيمت حينذاك كذلك تناول عدداً من المظاهر الاجتماعية والاقتصادية وعندما زار مصر وخاصة الاسكندرية أشار إلى التشهير بالصليبيين الذين شاركوا فى حملة أرناط الفاشلة على الحجاز .

١- جودفرى أوف فينزوف ، لانعرف إلا القليل عنه . وربما كان مسئولاً عن حراسة أمر النبيذ فى أحد الأديرة والإشراف على بستان للكروم، وهو إنجليزى الأصل انتمى إلى أسرة نورمانية ، عنه أنظر:

زينب عبد القوى، الإنجليز والحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص١٧ .

٢- أمبرواز شاعر غنائى ، هو فى الأصل من النورمان عن مقاطعة ايفركس Evreux فى نورمنديا ولايوصف بأنه فارس أو رجل دين، وقد التحق بجيش ريتشارد قلب الأسد (١١٨٩-١١٩٩م) على أنه أحد الحجاج الذين ساروا مع قائدهم إلى فلسطين . ويلاحظ أن العلامة أ.د. حسن حبشى قام بترجمة منظومته الشعرية إلى العربية وهى فى طريقها للصدور عنه أنظر :

Pernoud, The Crusades world's debate, Trans. by Mclead, London 1962, p. 287 .

زينب عبد القوى، المرجع السابق، ص١٥ .

إرنست باركر ، الحروب الصليبية ، ت. السيد الباز العرينى، ط. بيروت ١٩٦٧م ص١٥١ ، أحمد رمضان ، المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص٨ .

٣- عنه أنظر الفصل السادس .

٤- عنه أنظر الفصل السادس .

كذلك هناك ما ألفه الرحالة المراكشي المجهول[١] (ق ٦هـ / ١٢) مؤلف الاستبصار في عجائب الأمصار وتعرض لسفارة الأيوبيين للموحدين طلبًا للمساعدة البحرية منهم .

كذلك هناك السائح الهروى[٢] (ت ١٢١٥م) مؤلف كتاب الاشارات إلى أماكن الزيارات وقد قدم مادة علمية مهمة عن عدد من المواقع الجغرافية خاصة في فلسطين وهي التي دار بشأنها الصراع بين صلاح الدين والصليبيين خاصة خلال المرحلة الواقعة من معركة حطين ١١٨٧م إلى نهاية الحملة الثالثة عام ١١٩٢م.

أما في الجانب الصليبي؛ فنذكر عدداً من الرحالة ومنهم الرحالة اليهودى بنيامين التطيلى (ت ق ١٢) Benjamin of Tudela [٣] الذى زار بلاد الشام فى سبعينيات القرن ١٢ م وألقت رحلت أضواء مهمة على بعض الأوضاع الحضارية هناك.

كذلك هناك الرحالة اليهودى الألمانى بتاحيا الراتسبونى[٤] Petachia of Ratisbon حيث قدم إشارات مهمة عن اليهود وعددهم فى ظل الوجود الصليبى لبيت المقدس .

١- عنه أنظر الفصل السادس .

٢- عنه أنظر الفصل السادس .

٣- بنيامين التطيلى، هو الربى بنيامين ، ووالده يدعى يونا Jonah ، وقد إرتحل إلى الشرق من مدينة تطيله Tudela وهى ليست طليطلة ، وقام بالتجوال فى مناطق فرنسا ، وإيطاليا ، واليونان، ومصر ، وبلاد الشام وقد أنفق ١٥ عامًا فى رحلة كبيرة متصلة وعاد أدراجه من بعد ذلك إلى أسبانيا ، وتلقى رحلته أضواءً مهمة على أوضاع الشرق الإسلامى، ومنا طق الصليبيين فى القرن ١٢م . عنه وعن رحلته أنظر:

Ency . Judeca, " Benjamin of Tudela", vol . IV , Jeruslem 1973 , pp. 535-538 . Wright, Early Travels in Palestine, London 1848, p. 63 .

Roth, A short History of Jewish People, London 1953, p. 16.

Tobler, Bibliographia Geographica Palestinae, Leipzeg, 1867, p. 17 .

Ruchricht, Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Helilgen Lands Bezuglichen Literatur von 333 Bis 1878, pp. 37-38 .

Mayer , Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzuge, Hannorer 1960, p. 65 .

محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس١٠٩٩-١١٨٧م ، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص١٥٩- ص١٧٨، الزلازل فى بلاد الشام، ص٥١ ، الرحالة الأوربيون فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص٣٩-٤٤ .

٤- بتاحيا الراتسبونى ، هو ابن الرابى يعقوب Jacob وأخ الربى اسحاق هالفان Issac Halvan ، والربى ناكمان الراتسبونى Nachman of Ratisbon، وقد ولد فى راتسبون Ratisbon بألمانيا فى النصف الأول من القرن ١٢ م وقام برحلة شملت عديداً من البلدان الصليبية ١٠٩٩-١١٨٧ ميلادية، عنه أنظر:

وإلى جانب ذلك، هناك دواوين الشعراء حيث كان الشعر المرآة الصادقة للعصر الأيوبى وخاصة عصر صلاح الدين ، ويلاحظ أننا نعلم أمر ٥٠ شاعراً امتدحوا ذلك السلطان المجاهد، ومن أبرزهم العماد الكاتب الأصفهانى[١] (ت ١٢٠١م) ثم ابن سناء الملك [٢](ت ١٢١٢م) ، أما ابن عنين[٣] (ت ١٢٣١م) فقد اشتهر بهجائه له.

ويلاحظ أن لدينا ما عرف «بالحطينيات» وهى تلك القصائد التى نظمها الشعراء فى مناسبة الانتصار التاريخى فى حطين فى ٤ يوليو ١١٨٧م، و«القدسيات» وهى التى نظمها الشعراء فى مناسبة فتح بيت المقدس فى ٢ أكتوبر ١١٨٧م بعد عقود طويلة من وقوعها فى الأسر الصليبى، وهكذا ، تدرك أن أبرز أحداث عصر ذلك السلطان «أرخ» لها الشعراء شعراً مما عكس أهمية ذلك المصدر التاريخى.

أما مشكلات دراسة تاريخ صلاح الدين الأيوبى فهى متعددة، وقد يتصور البعض أن الكتابة التاريخية عنه أمر مُيَسَّر ، والدليل على ذلك- من وجهة نظر أصحاب ذلك الفريق- وجود مئات الدراسات والمقالات بالعديد من لغات العالم خاصة العربية، والإنجليزية ، والفرنسية ؛ أى لغات الشعوب التى تصارعت فى العصور الوسطى من خلال مشروع الحروب الصليبية [٤]، التى تناولته بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

والواقع أن تلك المشكلات يمكن إجمالها على النحو الآتى:

أولاً : مشكلة تأثير الشخصية الكارزمية .

Wright, The geographical lore of the time of the Crusades, Astudy in the History of medieval Science and Tradition in western Europe, New York 1965, p. 266, note (2).
Adler, Jewish Travellers in the Middle Ages, London 1930 ,p. 64 .

محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس، ص٢٠٢- ص٢١٢ .

١- عنه أنظر : الفصل السادس .

٢- عنه أنظر : الفصل السادس .

٣- عنه أنظر : الفصل السادس.

٤-من خلال تجربة شخصية ، من الصعب للغاية إعداد دراسة ببليوغرافية شاملة عن صلاح الدين الأيوبى نظراً لوفرة الدراسات عنه بصورة غير مسبوقة ، وبصفة عامة هناك مؤلفات ببليوغرافية مفيدة عن عصر الحروب الصليبية بصفة عامة عنها أنظر:

A Tiya, The Crusade Historiography and Bibliography , London 1962, Mayer, Bibliograph ie Zur Geschichte der Kreuzzuge, Hannover 1960 .

محمد مؤنس عوض ، فصول ببليوغرافيا فى تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م. وهى تلقى الأضواء على المؤلفات الخاصة به .

ثانيًا : مشكلة الطابع الرسمى والدعائى للمصادر وعدم وجود رؤية شعبية عربية.

ثالثًا : تباين الرؤية تجاه صلاح الدين الأيوبى فيما يتصل بدوافع توسعاته .

وسيتم تناول تلك المشكلات فى الصفحات التالية مع تقديم أمثلة تبرز طبيعتها وكيفية التعامل معها .

أما مشكلة تأثير الشخصية الكاريزمية ، فهى أمر يدركه الباحث المتأمل فى تاريخ تلك الشخصية القيادية ويلاحظ أن الكاريزما Charisma تعد إحدى الخواص التى تتصف بها القيادة، وتعنى القدرة على بث، واستلهام الإيمان لدى الآخرين والتأثير فيهم إلى درجة كبيرة ، وهناك من يرى أن الكاريزمية قوة خلاقة مؤثرة فى التاريخ وأن من الضرورى دراستها من خلال البيئة الاجتماعية، والسياسية ، والاقتصادية ، والثقافية التى تحيط الزعيم صاحب مثل تلك الشخصية [١].

والأمر المؤكد، أن السلطان الأيوبى تمتع بتلك الناحية، ولذلك تأثر به معاصروه إلى حد كبير، وهكذا وجدنا أن أغلب المصادر التاريخية التى وصلت إلينا من العصر الأيوبى وألفها مؤرخون معاصرون اقتربوا منه تأثروا به، ولذلك تناولوا الأحداث التاريخية - غالبًا- من خلال التأثر به وبشخصيته، ويلاحظ أن ذلك لايتصل فقط بالمؤرخين المسلمين ، بل إن هناك من المؤرخين الصليبيين من نلمح فى سطور كتاباته تأثرًا بذلك العدو المسلم الذى تمكن من أن ينتزع بعض العبارات التى عكست الإعجاب المبطن به .

ولانغفل هنا الإشارة إلى أن المؤرخ المعاصر والمتأثر بالشخصية الكاريزمية بالضرورة لن يذكر فى مؤلفه التاريخى إلا ما صادف تأثره بتلك الزاوية ، وهو أمر يتطلب من المؤرخ الذى يعالج تاريخ صلاح الدين الأيوبى المزيد من الحذر لأن ترديد الروايات التاريخية المعاصرة دون

١- عن مصطلح الكاريزما أنظر: ممدوحة محمد سلامة، «الكارزمية- القدرة على التأثير على الآخرين»، مجلة علم النفس، العدد (١٤) أبريل - مايو ، يونيو ١٩٩٠م، ص١٥٨- ص١٦٤ ، أحمد الخشاب ، التفكير الاجتماعى، ط. بيروت ١٩٨١م، ص٥٦٩ ، عبد الله محمد عبد الرحمن، علم إجتماع التنظيم ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م، ص٢٠٧ ، جاسم يونس الحريرى ، دور القيادة الكارزمية ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط. أبوظبى ٢٠٠٣م، ص١٠ ، محمد مؤنس عوض، أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية فى القرنين ١٢ ، ١٣م/ ٦، ٧ هـ ، «ضمن حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، م(٣)، عام ٢٠٠٣م، ص٢٦٧ ، «من مشكلات دراسة تاريخ الحروب الصليبية»، ضمن كتاب الحروب الصليبية السياسة- المياه- العقيدة ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٩- ص٢٤ ، ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ت. عادل مختار الهوارى ، وسعيد عبد العزيز مصلوح ، ط. الكويت ١٩٩٤م، ص١٠٢ .

Jary and Jary , Collins dictionary of Sociology , Glasgow 1995, p. 68 .

إمعان وتفحص لايفيدنا بل يكرر ما هو معروف سلفًا من قبل ومن المفترض أن تساعدنا المصادر المتعددة المعاصرة وكذلك المتأخرة على الاقتراب بصورة أوضح من أحداث ذلك العصر.

من جهة أخرى، لانغفل أن التأثر بذلك الجانب لايزال ممتداً إلى الآن، فهناك من المؤرخين المحدثين من ألف دراسات عن ذلك القائد ، ووقع فى أسر دائرة الإعجاب الزائد به، ولذلك نسب إليه كل فضيلة ، وأبعد عنه كل نقيضه، وبالتالى جاءت كتابات ذلك الفريق أيضًا تبتعد عن الموضوعية التاريخية الملزمة كنتاج منطقى للوقوع فى كاريزما البطل التاريخى.

واقع الأمر ، فإن الإعجاب الزائد به ، والتحامل البالغ عليه لايقدم حلاً لذلك الأمر، وأتصور أن الالتزام بالموضوعية السالفة الذكر - قدر المستطاع- من الممكن أن تواجه تلك المشكلة .

أما المشكلة الثانية، وهى الخاصة بالطابع الرسمى للمصادر التاريخية وكذلك ما صاحبها من طابع دعائى وعدم وجود رؤية شعبيه ، فهى أمر يدركه من تصدى بالكتابة التاريخية عن السلطان الأيوبى ، إذ إننا نجد أن قسمًا من المؤرخين - خاصة المعاصرين - عمل لدى تلك القيادة المسلمة البارزة، ونجد ذلك واضحًا فى صورة بهاء الدين بن شداد ، والعماد الكاتب الأصفهانى وغيرهما، ومن المنطقى تصور أن من تلك الكتابات ما عبر عن وجهة النظر الرسمية، خاصة أن ذلك السلطان أدرك أهمية سلاح الكلمة فى أمر الصراع الإسلامى- الصليبى، وهكذا ، فإن مثل أولئك المؤرخين يعبرون عن وجهة النظر الأيوبية الرسمية ، وبالتالى ؛ فعلينا ألا نأخذ كل ما ورد فى مؤلفات ذلك الفريق مأخذ التصديق الكامل على الرغم من أهمية كتاباتهم.

وقد يرد البعض بأن وجهة النظر المعارضة لم تقدم فى ذلك العصر غير أن الدليل على عكس ذلك أن لدينا ما كتبه ابن الأثير نثراً، وابن عنين شعراً ، غير أن ذلك بالمقياس الكمى قليل مقارنة بما ورد لدى المصادر التاريخية الأخرى.

واستكمالاً لتلك الناحية ، وعلى نحو دعم البعد المصدرى الرسمى ، نجد أننا لانملك رؤية تاريخية شعبية عن صلاح الدين الأيوبى، وذلك على عكس الوضع بالنسبة للظاهر بيبرس مؤسس دولة سلاطين المماليك فى مصر ، إذ أن سيرته الشعبية تعين الدارسين فى الكتابة التاريخية عنه[١]، وبالتالى لايتم الاكتفاء بالسيرة الرسمية التى ألفها المؤرخ المعاصر ابن عبد

١- من قبل تصور المستشرق الفرنسى البارز كلود كاهن أن تلك السيرة ترجع إلى مرحلة الصراع المملوكى العثمانى وأنها ألفت من أجل أن تدعم الجانب المملوكى ، غير أن هذا القول جانبه الصواب لأن فى السيرة المذكورة نجد انعكاسًا لعصر الحروب الصليبية عن ذلك انظر:

الظاهر (ت ١٢٩٣م) تحت عنوان الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر، والواقع أننا ينبغى أن ندرك أن السبب من وراء ذلك ، يتمثل فى أن السلطان الأيوبى لم يمكث طويلاً فى مصر منذ أن غادرها لتوحيد بلاد الشام معها وعندما عاد إليها مكث عامًا واحدًا شغل فيه ببناء قلعة الجبل وعدد من الأعمال الدفاعية الأخرى .

وقد أدى الوضع السابق إلى أننا صرنا كذلك نملك تاريخًا لرجل ، ولكن لانملك تاريخًا لعناصر العامة حيث أن المؤرخين المعاصرين اهتموا بعلية القوم، وعلى رأسهم السلطان نفسه، على حين نظروا لعناصر العامة نظرة ازدراء واحتقار فلم تنل من اهتمامهم إلا إشارات نادرة جاءت على نحو عرضى .

أما المشكلة الثالثة ، وهى الاختلاف بين المؤرخين حول تقويم توسعات صلاح الدين الأيوبى خاصة ما اتصل بدوافعها، إذ أن هناك تصورين مغايرين تمامًا، ففريق يرى أن الدافع الرئيسى هو الجهاد ومواجهة الصليبيين على نحو بلغ الذروة فى صورة معركة حطين التى جرت وقائعها فى ٤ يوليو ١١٨٧م ، ودخوله بيت المقدس فاتحًا فى ٢ أكتوبر ١١٨٧م بينما رأى فريق آخر أن توسعاته حركتها مطامعه الشخصية ، وفى سبيل ذلك أظهر «ميكيافيلية» واضحة فتنكر لأستاذه نور الدين محمود وورث أملاكه، وتزوج بأرملته ، وأن المكاسب السياسية ، والاقتصادية هى المحركة الأصلية لتوسعاته العسكرية سواءً ضد القوى السياسية الإسلامية أو القوى الصليبية على حد سواء، ويلاحظ أن التفسير الأول نجده بوفرة لدى كتابات المؤرخين العرب والمسلمين المحدثين الذين نظروا إليه على أنه قائد بارز لقضية الجهاد الإسلامى فى عصر الصليبيات ، أما الرأى الثانى؛ فقد توافر لدى كتابات فريق من المستشرقين وعدد محدود من الباحثين العرب الذين على الرغم من إعجابهم بأخلاقيات ذلك السلطان عندما دخل بيت المقدس فاتحًا دون أن يريق فيها قطرة دماء صليبية واحدة؛ إلا أنهم تحفظوا فى إدراك أن توسعاته العسكرية جميعها كانت بهدف الجهاد وبالتالى أبرزوا الأمر على أنه مطامع شخصية حركت ذلك السلطان، وتعليل ذلك الموقف يسير وهو أن ذلك القطاع لم يعترف أصلاً بالجهاد الإسلامى بل نظروا للقضية على أنها مجرد صراعات حربية وسياسية متبادلة بين المسلمين والصليبيين دون أية خلفية عقائدية أيديولوجية لدى المسلمين.

= كلود كاهن ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ت. أحمد الشيخ ، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص٢٧٣- حاشية (١٣) .

وهكذا يتضح لنا أن المعالجة التاريخية عن صلاح الدين الأيوبى شبه حائرة بين التأبيد الكامل والتحامل الكامل أيضًا، دون إمكانية أن يتنازل كل طرف عن توجهاته لحساب الطرف الآخر، وفى تقديرى أن الحل يكمن فى إدراك تصورات متوازنة ومراعاة ظروف العصر التاريخى ذاته، وكذلك - وهذا هو المهم - إدراك أن الحدث التاريخى تحركه عدة دوافع متعددة، وأنه لاتعارض بين الطموح الشخصى وقضية الجهاد الإسلامى طالما أن الأول سوف يفجر فى خدمة الجهاد أو ما اصطلح عليه بأنه ذروة سنام الإسلام.

ولانغفل كذلك زاوية لها شأنها، إذ أن الباحثين العرب أحيانًا تناولوا تاريخ صلاح الدين من خلال البعد القومى، وذلك أمر نجده بجلاء خلال مرحلة المد القومى فى الستينيات - خاصة أثناء تجربة الوحدة القصيرة بين مصر وسوريا فيما بين ١٩٥٨-١٩٦٠م وعندئذ ظهرت كتابات تظهر ذلك السلطان على أنه عربى التوجه وأنه بطل القومية العربية فى عالم العصور الوسطى، ونجد كتبًا وأفلامًا تاريخية تدعم ذلك التوجه [١].

والواقع أن صلاح الدين الأيوبى بطل مسلم التوجه وانتسب إلى اللغة العربية، وهكذا يتضح لنا أن صلاح الدين تم توظيفه سياسيًا من أجل خدمة أهداف سياسية خلال تلك المرحلة.

أما فيما يتصل بالدراسات العربية الحديثة، فيلاحظ أنه فى عام ١٩٢٠م. وفى العام التالى مباشرة لأحداث ثورة مصر الرائدة ١٩١٩م ضد الاحتلال البريطانى الغاشم، أصدر أحمد بيلى كتابه حياة صلاح الدين الأيوبى، وهو فى الأصل أطروحة دكتوراه نوقشت فى الجامعة المصرية (جامعة القاهرة) فى ٢٩ أبريل ١٩٢٠م، وصاحبها عمل أمينًا لمكتبة مدرسة الهندسة الملكية، وعندما نشرت بالقاهرة فى العام المذكور كتب عميد الأدب العربى طه حسين مقدمة لها امتدحها وأشاد بها.

والواقع أن الكتاب المذكور - مع تقديرى للجهد المبذول فيه خلال تلك المرحلة المبكرة- من الممكن أن يوجه له النقد الشديد لعدة اعتبارات أوردها بإيجاز كالآتى:

١- لا أدل على ذلك من إصدار خلف محمد الحسينى كتابًا بعنوان: لقاء بطلين صلاح الدين الأيوبى وجمال عبد الناصر، ط. أسيوط ١٩٥٨م وهو كتاب صغير الحجم يغلب عليه الطابع الدعائى ولايوصف بالأكاديمية بأى حال من الأحوال.

أما الأفلام الروائية فنذكر فيلم صلاح الدين الأيوبى إخراج يوسف شاهين عنه أنظر: محمود قاسم، موسوعة الأفلام الروائية فى مصر والعالم العربى، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ج٢، ص٩٣- ص٩٤.

أولاً : إعتمد صاحبه على (١٨) مصدر ومرجع عربي، و(١٤) مرجع اجنبي إنجليزي ، وفرنسي فقط .

ثانيًا : الدراسة المذكورة بلا أي توثيق مصدري أو مرجعي وغلب عليها السرد والوصف.

وقد يرد البعض بأن هذه هي إمكانات العقد الثاني من القرن الماضي، غير أن ذلك ليس مبرراً علميًا، خاصة أن ستانلي لين بول كان قد أصدر دراسة عن صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس صدرت قبل الأطروحة المذكورة بنحو ٢٣ عامًا وتحديداً عام ١٨٩٨م وتتفوق مرات ومرات على كتاب أحمد بيلي.

هكذا ؛ يمكن القول أن أول كتاب عن صلاح الدين الأيوبي بالمفهوم الحديث لكتابة التاريخ لايمكن وصفه «بالدراسة الأكاديمية» ، بل كتابَ يغلب عليه الطابع الثقافي حيث افتقد التوثيق، أما المقدمة التي كتبها عميد الأدب العربي طه حسين ، فأتصور أن فيها من المجاملة ما يفوق التقويم العلمي الدقيق[1].

ومن بعد ذلك بسبع سنوات صدرت دراسة مهمة وتتفوق على الدراسة السابقة بصورة ملفتة للنظر على الرغم من أن صاحبها لم يحصل من خلالها على درجة علمية وتمثل ذلك في محمد فريد أبوحديد، وكتابه صلاح الدين الأيوبي وعصره ط. القاهرة ١٩٢٧م .

والأمر المؤكد ، تميز جهد محمد فريد أبوحديد علي الرغم من أنه أديب ولايوصف بأنه مؤرخ أكاديمي محترف .

ومن بعد ذلك قام على أحمد بيومي بإعداد أطروحته للماجستير بعنوان : قيام الدولة الأيوبية ، وقد نوقشت في كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٤٦م، وطبعت عام ١٩٥٢م، وهي بالفعل أطروحة علمية جادة بامكانات أوائل خمسينيات القرن الماضي بطبيعة الحال . ويظهر منها الفارق الشاسع بينها وبين جهد أحمد بيلي السالف الذكر مع تقديري لجهده الشخصي.

ويلاحظ أنه على الرغم من أن عنوان أطروحة علي أحمد بيومي لايشتمل على ذكر صلاح الدين الأيوبي إلا أن دراسته انصبت عليه بالضرورة. . .

١- في ذلك يقول ما نصه : «وقد أرى صديقي يتمنى أن يكون قد وفق في بحثه إلى شئ من النفع ولو قليل ، ولعلى استطيع أن أهنئه بأنه قد وفق إلى شئ من النفع كثير وكثير جداً » . انظر مقدمة الكتاب.

وفى أوائل النصف الثانى من القرن الماضى وبعد عودته من بعثته إلى فرنسا ، قام د. سعد زغلول عبد الحميد[1] من جامعة الاسكندرية ، والمتخصص فى الأصل فى دراسة تاريخ المغرب الإسلامى فى العصور الوسطى بإعداد دراسة رائدة عن العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف يعقوب المنصور يوسف بن عبد المؤمن الموحدى حيث نشرت ضمن إصدارات كلية الآداب بالجامعة المذكورة فى العام الجامعى ١٩٥٢-١٩٥٣م، وتعد أول دراسة علمية أكاديمية تتناول جزئية معينة عن علاقات صلاح الدين الأيوبى الخارجية خاصة تجاه الموحدين فى بلاد المغرب خلال صراعه مع الصليبيين أثناء ما عرف بالصليبية الثالثة.

وكان على العالم العربى الإنتظار عدة أعوام إلى أن ظهرت دراسة رائدة وجادة لنظير حسان سعداوى[2] الذى أشرف على أطروحته للدكتوراه المؤرخ الرائد أ.د. محمد مصطفى زيادة[3]، وقد أصدر كتابه التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ويمكن أن يوصف بالفعل بأنه دراسة أكاديمية موثقة من خلال المصادر والمراجع العربية والأجنبية وتتفوق على كافة الكتب السابقة من خلال المقاييس الأكاديمية الصرفة.

ويلاحظ أنه فى نفس العام المذكور، أصدر جمال الدين الرمادى ، كتابًا ثقافيًا عن السلطان الأيوبى دون أن نغفل أهميته .

على أية حال ، قام الباحث فوزى نجيب حسن بإعداد أطروحته للماجستير بعنوان صلاح الدين وتوحيد الجبهة الإسلامية زمن الصليبيين ، ونوقشت فى كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٥٩م، غير أنها لم تنشر .

من بعد ذلك واصل نظير حسان سعداوي إسهاماته عن العصر الأيوبى ومن الواضح تمامًا أنه عشق عصر صلاح الدين الأيوبى على نحو خاص وصار خبيرًا فيه وقد أصدر كتابًا صغير الحجم كبيرًا فى قيمته بعنوان : جيش مصر فى أيام صلاح الدين ، ط. القاهرة ١٩٦٢م، ثم أصدر كتابًا صغيرًا أيضًا هو: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، ط. القاهرة ١٩٦٢م وصدور كتابين متميزين لذلك المؤرخ الرائد فى عام واحد يؤكد ما سبق أن ذكرته من عشقه لعصر ذلك السلطان على نحو خاص ويلاحظ أن بعد ما زاد على الأربعين عامًا من تأليف تلك المؤلفات القيمة لانزال نحتاج إليها ولاتزال تحتفظ بأهميتها العلمية المستمرة .

١- عنه أنظر: محمد مؤنس عوض، رواد تاريخ العصور الوسطى فى مصر، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص٢٠٤- ص٢١٢ .

٢- نفسه ، ص٣٤١- ص٣٤٦ .

٣- نفسه، ص١٤٣- ص١٥٢ .

وإذا كان هذا هو شأن مصر ، فإن العاصمة اللبنانية بيروت صدر فيها عام ١٩٦١م كتاب من تأليف عبد العزيز سيد الأهل بعنوان أيام صلاح الدين ويمثل إسهامًا علميًا طيبًا ، وإن كان لايرقى - فى تصورى- لجهد نظير حسان سعداوى من الزاوية الأكاديمية.

كذلك أصدر د. عبد المنعم ماجد[1] كتابه الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبى، ط. بيروت ١٩٦٢م، وامتاز بالمادة العلمية الغزيرة خاصة من المصادر التاريخية العربية وإن قلت فيه المصادر الأوربية وكذلك المراجع الأجنبية الحديثة.

وقد أصدر أستاذ أساتذة العصور الوسطى د. سعيد عاشور[2] كتابه الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بالقاهرة عام ١٩٦٥م، ويعد من أفضل الدراسات التاريخية وقد إعتمد فيه على المصادر العربية والأوربية ببراعة مشهودة من جانب مؤلف الدراسة الرائدة : الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى[3].

كما لانغفل أن د. إبراهيم طرخان أصدر كتابه الناصر صلاح الدين وتحرير القدس بالقاهرة عام ١٩٦٨م فى العام التالى مباشرة لسقوطها فى أيدى الصهاينة فى ٥ يونيو ١٩٦٧م وهو كتاب صغير الحجم وصدر فى سلسلة الكتب الثقافية وهو على جانب من الأهمية[4].

وفى عام ١٩٧٢م، ناقش باحث مصرى مبتعث إلى فرنسا وتحديداً جامعة ليل LILLE هو صلاح الدين بحيرى أطروحته للدكتوراه عن نظم مصر فى العصر الأيوبى بإشراف المؤرخ الفرنسى الشهير كلود كاهن Claude Cahen [5].

١- عنه أنظر: محمد مؤنس عوض ، رواد تاريخ العصور الوسطى فى مصر، ص٢٩٤- ص٣٠٩ .

٢- نفسه، ص٨٨- ص١١٠ .

٣- عنه أنظر: محمد مؤنس عوض ، المرجع السابق، ص١٧- ص٢٢ .

٤- نفسه، ص٢٦٥- ص٢٧٧ .

٥- مؤرخ فرنسى بارز ولد عام ١٩٠٩م وقد اهتم بتحقيق المخطوطات العربية خاصة المتصلة بالعصرين الأيوبى والمملوكى ، وألف عدة مؤلفات منها الشرق والغرب عصر الحروب الصليبية ، وسوريا الشمالية فى عصر الحروب الصليبية ، وتاريخ العرب والشعوب الإسلامية وأشرف على العديد من الطلاب العرب المبعوثون إلى فرنسا وقد فقد بصره من كثرة مطالعة المخطوطات العربية وتوفى فى عام ١٩٩٢م عنه أنظر :

نجيب العقيقى ، المستشرقون ، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ج١، ص٣٤٢- ص٣٤٦ .

وعنوانها هو:

Elbcheiry, Les Institutions de l'Egypte au Temps des Ayyubides, Université de Lille 1972.

وهى لاتزال باللغة الفرنسية ولم يعمل صاحبها على ترجمتها إلى لغة الضاد على الرغم من أهميتها فى موضوعها ، من بعد ذلك وفى العام التالى أى عام ١٩٧٣م- عام انتصار مصر وسوريا على إسرائيل فى حرب أكتوبر الخالدة- صدر فى بيروت الترجمة العربية لكتاب هاملتون جب عن صلاح الدين الأيوبى من جانب يوسف أيبش وهو أول كتاب مترجم إلى العربية عن السلطان المذكور وامتازت الترجمة بالسلاسة دون أن توجد فيها تعليقات إضافية من جانب المترجم تثرى بالنص .

ثم قام محمود رزق محمود بإعداد أطروحته للماجستير بعنوان : العلاقة بين ارناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبى حتى موقعة حطين ٥٨٣هـ / ١١٨٧م وذلك عام ١٩٧٧م وأشرف عليها المؤرخ والمترجم والمحقق البارز أ.د. حسن حبشى [١]، وموضوع الأطروحة فى جانب محدد من علاقات ذلك السلطان مع ذلك الفارس الصليبى الأرعن، وقد إعتمد صاحبها على المصادر والمراجع الأوربية الحديثة الصادرة حتى سبعينيات القرن الماضى.

وفى العام التالى أى عام ١٩٧٨م أصدر صلاح البحيرى بحثًا عن ديوان الجيش فى العصر الأيوبى ضمن نشاط الجمعية التاريخية المصرية. كما أصدر بسام العسلى كتابًا ثقافيًا بعنوان صلاح الدين الأيوبى وصدر فى بيروت .

كما تشير إلى أن الكاتب والأديب قدرى قلعجى - الذى قدم للمكتبة العربية العديد من المؤلفات- أصدر كتابه عن صلاح الدين الأيوبى قصة الصراع بين الشرق والغرب فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر، ط. بيروت ١٩٧٩م ؛ وهو كتاب كبير الحجم واصل فيه المؤلف عرضه لأحداث عصر الحروب الصليبية حتى أخريات القرن ١٣م.

وعلى الرغم من أن مؤلفه اعتمد على عدد من المصادر والمراجع العربية والأجنبية ؛ إلا أن كتابه لايوصف بالدراسة الأكاديمية على الرغم من المجهود الكبير المبذول فى أضخم كتاب بالعربية عن السلطان الأيوبى .

١- عنه أنظر: محمد مؤنس عوض، رواد تاريخ العصور الوسطى، ص٢٦٥- ص٢٧٧ .

كما قام المؤرخ العراقى محسن محمد حسين بإصدار دراسة عن الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين فى بيروت عام ١٩٨٦م ، وقد بذل فيها جهداً وافراً وهى تمثل إسهاماً علمياً قيماً مع عدم إغفال ريادة نظير حسان سعداوى فى هذا المجال.

وفى عام ١٩٨٨م، صدرت الترجمة العربية لدراسة مهمة أعدها ملكوم ليونز وجاكسون بعنوان صلاح الدين، ت. على ماضى مراجعة نقولا زيادة ، وهى دراسة أكاديمية لها شأنها اعتمدت على أوثق المصادر العربية خاصة العماد الأصفهانى فى البرق الشامى وكذلك الأوربية والمراجع الأجنبية ، مع ملاحظة أنها من اصدار اثنين من المستشرقين الانجليز على أية حال.

وفى التسعينيات ؛ صدرت مؤلفات مترجمة إلى لغة الضاد وأخرى مثيرة للجدل، من ذلك أن عام ١٩٩٢م شهد صدور الترجمة العربية لكتاب المؤلفة الفرنسية المبدعة جنڤياف شوفيل صلاح الدين بطل الإسلام من جانب جورج أبى صالح وفيه قدمت الكاتبة الفرنسية عملاً يمزج بين التاريخ والأدب ببراعة وبسلاسة عرض مع ملاحظة أنها تقمصت شخصية ذلك الفارس ولامراء فى أن مؤلفته عاشقة لتاريخ السلطان الأيوبى، غير أن كتابها لايوصف بالطابع الأكاديمى الصرف على الرغم من تفرده من حيث طريقة التناول ذاتها .

وفى عام ١٩٩٥م، صدرت بالقاهرة الترجمة العربية للكتاب ستانلى لين بول بعنوان: صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس من جانب فاروق سعد أبوجابر وقد تأخر صدورها إلى ١٠٣ عاماً من تاريخ اصدار الطبعة الإنجليزية عام ١٨٩٨م دون تعليقات أو إضافات جديدة على نص المؤلف الذى أصدره منذ قرن من الزمان تقريباً.

ويلاحظ أن تلك الترجمة كان من المفترض أن تحتوى على تعليقات وشروح تفيد فى إثراء النص الأصلى كذلك تتابع الإصدارات التى تمت على مدى ما زاد على قرن كامل من عمر الزمان، حتى يكون هناك تواصل حقيقى بين «زمن» التأليف وزمن الترجمة ، لكن ذلك لم يحدث ، على الرغم من الجهد الكبير المبذول فى نقل النص من الإنجليزية إلى العربية.

وفى العام ذاته ، أى ١٩٩٥م، فوجئ المؤرخون العرب بدراسة أعدها المؤرخ اللبنانى حسن الأمين بعنوان «صلاح الدين الأيوبى بين العباسيين والفاطميين والصليبيين» ، كما نشر مقالة فى مجلة العربى الكويتية واسعة الإنتشار عدد عام (٤٤٢) بعنوان : «صلاح الدين الأيوبى نظرة مختلفة».

وفى الكتاب وكذلك المقالة نجد مؤرخًا يهاجم السلطان صلاح الدين الأيوبى على نحو لم يحدث منذ ما زاد على ثمانية قرون ! ولامراء فى أن الهجوم كان هجومًا مندفعًا لايتسم بالموضوعية لم نجده لدى أى مؤرخ عربى، بل وأوربى، حيث اتهمه بالخيانة وذكر أنه ما قام به يستوجب القتل !!! والدراسة المذكورة أكاديمية الظاهر غير موضوعية فى الباطن ، وتحقق أهدافًا لاتخفى على أحد، وفيها اعتساف الأحكام ، والفكرة المسبقة المفروضة فرضًا على الآخرين وكأن صاحبها له مع صلاح الدين الأيوبى ثأر شخصى بلا مبرر منطقى !!! ، وقد افتقد الكتاب القدرة على إقناع القارئ المتخصص الخبير خاصة أن المؤلف غير متخصص فى عصر الحروب الصليبية .

ومن الطريف أن أكبر مؤرخ صليبى وهو وليم الصورى William of Tyre امتدح أحيانًا صلاح الدين الأيوبى وكذلك كافة كُتّاب مادة صلاح الدين فى جميع دوائر المعارف فى العالم أجمع بلا استثناء وهم من المسيحيين ، واليهود، ونجد مؤرخًا مسلمًا عربيًا يتخذ ذلك الموقف. الذى سيحسب على العرب والمسلمين بطبيعة الحال.

ومع ذلك ، فإن فائدة الكتاب المذكور أنه أيقظ الباحثين لإعادة الاهتمام بالسلطان الأيوبى المجاهد البارز فظهرت مؤلفات لتحقق هذا الهدف .

ولم يتأخر الرد طويلاً على حسن الأمين ؛ إذ أصدر المؤرخ السورى الراحل الكبير فى بيروت عام ١٩٩٧م، أى بعد عامين فقط ، دراسة بعنوان : صلاح الدين الفارس المجاهد ، والملك الزاهد المفترى عليه، وقد أهداه إلى كل من وصمهم المفترى على صلاح الدين:

- إلى أبى شامة، الذى وصفه بـ (البذىء) !!
- إلى ابن كثير الذى وصفه بـ «السفيه» !!
- إلى محمد كرد على الذى وصفه بـ «صاحب الأباطيل» !!
- وإلى مجموعة المؤرخين الزملاء الذين رماهم بالجهل المطبق والسفاهة ، والتحامل ، والاجترار ، والعمى، والكذب على الحق ، وتزييف التاريخ، ويكعوب الأحذية !!
- وأخيراً إلى صلاح الدين نفسه، الذى وصفه بالخداع والاستسلام للصليبيين والتآمر معهم،وبأنه يستحق القتل !![1] .

١- حرصت على إيراد مثل تلك السطور فى المتن حتى يتضح للقارئ طبيعة العبارات التى استعملت من جانب مؤلف صلاح الدين بين العباسيين والفاطميين والصليبيين !!!

والكتاب رد مفحم على المؤلف سالف الذكر وتمكن مؤلفه من هدم أساس فكرة د. حسن الأمين باقتدار مؤرخ خبير.

ومع ذلك فإن المأخذ الذى يؤخذ على الكتاب الأخير عدم إعتماد مؤلفه على مصادر صليبية أو مراجع أجنبية ولايقلل هذا من الجهد المبذول فى الكتاب الذى تمكن من خلاله مؤلفه من تحقيق هدفه باقتدار أستاذ خبير.

أما المؤلفات الأجنبية فنذكر أمثلة منها وهناك عمل ستانلى لين بول عن صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس، ط. لندن ١٨٩٨م.

Lane - Poole (S.), Saladin and the fall of the kingdom of Jerusalem, London 1898.

وتعد بمثابة أول دراسة أكاديمية حديثة بالإنجليزية والآن بعد قرن وعقد من الزمان على صدورها لايمكن الاستغناء عنها وهو ما يعكس أن الزمن هو خير برهان على جودة العمل العلمى مع عدم إنكار أن مؤلفه ألفه بإمكانات أواخر القرن التاسع عشر بطبيعة الحال.

كما نشير إلى المستشرق البريطانى الأصل السكندرى المولد هاملتون جب[1] Hamilton Gibb؛ الذى يعد من أهم من كتب عن الأيوبيين وصلاح الدين خاصة باقتدار ملفت للنظر فى التعامل مع المصادر العربية المخطوطة، والمطبوعة، وقد أعد بحثًا بعنوان: المصادر العربية لحياة صلاح الدين.

Gibb (H.), "The Arabic Sources for the life of Saladin", S. vol XXV, 1950, pp. 58-72.

كما أعد بحثًا عن إنجازات صلاح الدين:

Gibb, " The achievements of Saladin, B.J.R.L., XXXV, 1952.

١- هاملتون جب ١٨٩٥-١٩٧١م، مستشرق بريطانى، اهتم بالأدب العربى، والتاريخ الإسلامى وقد تتلمذ على يدى كنيدى، وخلف مارجليوث فى جامعة أكسفورد، عنه أنظر:

Said, Orientalism, London 1980, pp. 274-276.

نجيب العقيقى، المستشرقون، ط. القاهرة ١٩٨١م، ج١، ص١٢٩-ص١٣١، على إبراهيم النملة، التنصير فى الأدبيات العربية، ط. الرياض ١٩٩٤م، ص٣٢، حاشية (٣٥)، نصار عبد الرزاق الملا جاسم، المستشرق هاملتون جب، دراسة نقدية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة الموصل عام ١٩٩٨م؛ وهى أطروحة ممتازة.

ميشيل جحا، الدراسات العربية والإسلامية فى أوروبا، ط. بيروت ١٩٨٢م، ص٥١-٥٢.

كذلك أعد بحثًا عن الأيوبيين ضمن كتاب سيتون وبلدوين الحروب الصليبية، ط. بنسلفانيا ١٩٥٥م.

Gibb (H.), " The Ayyubids", in Setton, A History of the Crusades, vol. II , pennsylvania 1958 .

كما لانغفل إصداره لكتابه حياة صلاح الدين ط. اكسفورد ١٩٧٣م[1].

Gibb (H.) , The life of Saladin, Oxford 1973 .

كذلك لانغفل أصداره أن برنارد لويس[2] أصدر عام ١٩٥٣م، بحثًا عن صلاح الدين والحشاشين:

Lewis (B.) , "Saladin and the Assassins ", B.S.O.A.S., vol . XV, 1953 .

كما قام اهرنكوتيز بإعداد بحث عن مكانة صلاح الدين فى التاريخ الحربى للبحر المتوسط فى العصور الوسطى- Ehrenkreutz (A.S.) "The Place of Saladin in the Naval History of the Mediterranean Sea in the Middle Ages, " J.A.O.S., vol . LXXV , 1955, pp. 100-106 .

كما أصدر بحثًا عن أزمات الدينار فى مصر فى عصر صلاح الدين [3]:

١- عن إصدارات جب أنظر:

جان سوفاجيه وكلود كاهن، مصادر دراسة التاريخ الإسلامى ، ت. عبد الستار حلوجى، وعبد الوهاب علوب، المشروع القومى للترجمة، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص٢٦٦ .

Makdisi (ed.) , Arabic and Islamic Studies in Honor of Hamilton A.R. Gibb, Cambridge 1965, pp. 1-20 .

٢- برنارد لويس مؤرخ بريطانى يهودى، له عدة مؤلفات منها العرب فى التاريخ ، والحشاشون طائفة راديكالية فى الاسلام وغيرها ، عنه أنظر:

مازن بن صلاح مطبقانى، الاستشراق والاتجاهات الفكرية فى التاريخ الإسلامى دراسة تطبيقية على كتابات لبرنارد لويس، ط. الرياض ١٩٩٥م، وهى أفضل دراسة باللغة العربية فى موضوعها وبذل صاحبها جهدًا علميًا كبيرًا يستوجب التقدير .

٣- أفضل عرض لتلك المؤلفات انظر:

جزيل عن الجبار الجومرد وناصر عبد الرزاق الملا جاسم ، «سيرة صلاح الدين فى الدراسات الاستشراق الناطقة بالإنجليزية»، مؤته للبحوث والدراسات ، م (١٣) ، العدد (٧) ، عام ١٩٩٨م، ص١١- ص٣٥ ؛ ومقالة ممتازة فى موضوعها .

Ehrenkreutz (A.S.), The Crisis of the Dinar in the Egypt of Saladin, J.A.O.S., vol. LXXVI, 1956, pp. 100-106.

ثم هناك دراسة شامبدور عن صلاح الدين البطل الأنقى فى الاسلام.

Champdor (A.), Saladin Le plus pur héros de l'Islam, Paris 1956.

وقد ترجم إلى اللغة العربية.

من جهة أخرى، عاد هرنكويتز [١] للاهتمام بعصر صلاح الدين فأصدر كتابًا عنه فى نيويورك عام ١٩٧٢م. Ehrenkreutz (A.S.), Saladin, New York 1972.

وهو كتاب فيه العديد من صور التحامل على ذلك القائد المسلم البارز وسيتم الرد على ادعاءته [٢].

كما نشير إلى كتاب مالكوم ليونز وجاكسون عن صلاح الدين Lyons (M.C.) and Jackson (D.E.), Saladin : The Politics of The Holy war, Cambridge 1982.

وهو كتاب كبير، بذل فيه المؤلفان جهدًا واضحًا وأعتمدا فيه على مصادر عربية متعددة خاصة العماد الأصفهانى فى البرق الشامى واختصاره فى صورة سنا البرق الشامى للفتح البندارى، وقد تمت ترجمته إلى اللغة العربية، ويعد من أفضل ما ألف عن صلاح الدين الأيوبى.

ذلك عرض تعريفى للمصادر التاريخية وكذلك أهم الدراسات الحديثة، أما الصفحات التالية فإنها تتناول التطور التاريخى للحروب الصليبية حتى منتصف القرن ١٢م على نحو موجز.

= وأنظر أيضًا: ناصر عبد الرازق الملاجاسم، «تحرير صلاح الدين الأيوبى للقدس الشريف فى دراسات المستشرقين الناطقين بالإنجليزية»، مؤتمر بلاد الشام، فى فترة الصراع الإسلامى الفرنجى، ج١، ط. اربد ٢٠٠٠م، ص٥٤٧- ص٥٨٣، وأشيد بجهد هذا الباحث العراقى المتميز ابن جامعة الموصل.

١- هواندرو ستيفان، إهرنكويتز، مستشرق بولندى هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ويلاحظ صدور كتاب تذكارى له أعدته هاديه دجانى شكيل بالتعاون مع أ. ميسير وصدر عام ١٩٩١م، عن ذلك أنظر:

H. Dajani. Shakeel and R.A. Messier (eds.), The Jihud and its Time, dedicated to Andrew Stefan Ehrenkreutz, Ann Arbor 1991.

٢- عن ذلك أنظر الفصل الخامس.

الفصل الأول

ملامح تاريخ الحروب الصليبية
حتى منتصف القرن ١٢م

نتناول فى هذا الفصل التعريف بالحروب الصليبية ودوافعها المتعددة وتطورها التاريخى منذ إندلاعها فى أخريات القرن ١١م حتى منتصف القرن ١٢م .

والواقع أن المؤرخين تباينت تصوراتهم حيال تعريف تلك الحروب ، فهناك من رأى أنها تعد جزءاً من العلاقات بين الشرق والغرب فى مرحلة القرون الوسطى، كذلك تصور البعض الآخر أنها جزء مما عرف بالمسألة الشرقية question d'Orient [١] ، على حين وصفها المؤرخ البريطانى الشهير السير ستيفن رنسيمان Sir Steven Runciman بأنها آخر الغزوات المتبربرة [٢]بينما رأى فيها المؤرخ الاسرائيلى يوشع براور J. Prawer أنها حركة الاستعمار الأوربى فى العصور الوسطى [٣].

كذلك وجد من المؤرخين من تصور أن تلك الحروب ما هى إلا السياسة الخارجية للبابوية The Foreign Policy of the Papacy نظراً للدور البارز الذى قامت به البابوية فى التخطيط والتنفيذ لتلك الحركة التاريخية البارزة فى العصور الوسطى، ولانغفل أن تلك الحروب توصف بالفعل بأنها فعلة كنسية Action d'Eglise [٤]وبصفة عامة ، فإن كافة التعريفات السابقة

١- Mariott, The Eastern question, Oxford 1958 p. 1 .

٢- A History of the Crusades, vol . I, The First Crusade and The Foundation of the kingdom of Jerusalem, London 1978 , p. XI .

٣- أنظر دراسته: The Latin kingdom of Jerusalem European colonialism in the Middle Ages, London 1979 .

٤- Barker, The Crusades, London 1949, p. 3 .

تحاول الإقتراب من توصيف تلك الحركة التى يمكن أن توصف بأنها حملات عسكرية أوربية وجهتها البابوية وفى ظاهرها كان الطابع الدينى الخاص بالحج إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين فى فلسطين ، وفى حقيقتها حركتها عدة دوافع مركبة ومجتمعه فى آن واحد.

تجدر الإشارة، تحركت تلك الحركة التاريخية من خلال دوافع متعددة فى صورة الدافع الدينى، والسياسى، والاقتصادى، والاجتماعى، وفى هذا المجال تم رفع شعار تحرير الأماكن المقدسة المسيحية من أيدى المسلمين الذين روجت البابوية إساءة معاملتهم للحجاج المسيحيين وتوهمت أن السلاجقة إضطهدوا المسيحيين الشرقيين وحولت كنائسهم إلى اسطبلات للخيول، وهو أمر لايجد سنداً يدعمه من الواقع التاريخى، ومع ذلك ، فمن الموضوعية الإقرار بأن حركة الحج المسيحى التى إمتدت من القرن الرابع م حتى أواخر القرن الحادى عشر م[١] تأثرت من خلال الصدام الذى وقع بين الأتراك السلاجقة السُنة ، والفاطميين الشيعة فى بلاد الشام فلم يعد الحج بنفس إنسيابه السابق ومع ذلك لم يحدث أى اضطهاد بعناصر المسيحيين الشرقيين أو بالحجاج القادمين من الغرب الأوربى .

كذلك لانغفل هنا الإشارة إلى أن البابوية أرادت توحيد الكنائس الشرقية خاصة كنيسة القسطنطينية لسيادة كنيسة روما ؛ سيدة الكنائس نظراً لكون القديس بطرس St. Peter [٢] رأس الحواريين هو الذى أسسها .

١- عن ذلك أنظر : محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩١-١١٨٧ ميلادية، ط. القاهرة ١٩٩٢م ص١٦-٣٩ .

٢- القديس بطرس ؛ رأس الحواريين كان فى الأصل صياداً للسمك فى بحيرة طبرية أو بحر الجليل ، ويعد أخاً للقديس اندرو St. Andrew ، وفى الأصل دعى سمعان بن يونا ولكن السيد المسيح أطلق عليه اللقب الأرامى Kapha والذى يعنى الصخرة ويعطى العهد الجديد مكانه بارزة للقديس بطرس حيث نجد إشارة تفيد قول السيد المسيح له أنا أقول لك أيضاً انت بطرس، وعلى هذه الصخرة ابنى كنيسى ، ويقرر شارل جانيير أن ذلك الحديث استغل إلى أبعد الحدود من أجل تعميق مكانة كنيسة روما باعتبارها سيدة الكنائس ، عن ذلك أنظر: متى ، الاصحاح (١٦) ، من ١٨-٢٠ .

إسحق عبيد، الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص١٧٢- ص١٧٣ ، شارل جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها ، ت. عبد الحليم محمود، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص١٦٧ ، محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص١٣٩- ص١٤٠ .

وفى إطار نفس الدافع المذكور ، نورد أمر التنصير إذ رغبت البابوية فى تصدير المسيحية إلى مناطق أخرى خارج نطاق القارة الأوربية وتعتبر ذات إرتباط تقليدى بالإسلام منذ القرن السابع م. وبالفعل وجدت هناك خطط جاهزة لنشر المسيحية فى بلاد الشام ومصر وغيرها من الأقطار على حساب ذلك الدين (١)، وقد علقت البابوية الآمال الكبار على ذلك الجانب ، مع ملاحظة أن مسعاها فى هذا الشأن باء بالفشل المبين حيث لم يرتد المسلمون عن دينهم الحنيف وندرت مثل تلك الحالات ، بل إن الغزاه منهم من اعتنق الإسلام فى صور جماعية وفردية على نحو أقرت به حتى المصادر الصليبية ذاتها (٢).

أما الدافع السياسى ، فيلاحظ أن الحروب الصليبية عدت مجالاً للتنافس الدولى الأوربى شرقى البحر المتوسط Levant ، وأرادت فرنسا ، وإنجلترا ، وألمانيا توسيع نفوذها السياسى خارج حدودها التقليدية بالاتجاه نحو تلك المنطقة التى اعتبرت حينذاك منطقة جذب جغرافى

١- عن الجانب التنصيرى فى عصر الحروب الصليبية أنظر:

Oliver of Paderborn , The Capture of Damieta , Trans. by John Cavigan, Philadelphia 1948 , p. 38 .

أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى، ط. بيروت ١٩٨١م، ص١٦٨ ، ابن جبير ، الرحلة، ط. بيروت ١٩٨٤م، ص٢٨١ .

Kedar, Crusade and Mission , European Approaches to the Muslims, Princeton 1988 .

وتعد أهم دراسة بالإنجليزية فى موضوعها .

Baldwin , " Mission to The East in The Thirteenth and Fourteenth Centuries", in Setton, A History of the Crusades , vol. V, .Philadelphia 1985, pp. 452-518 .

حسن عبد الوهاب ، المحاولات التبشيرية فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية »، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية، م (٣٨) ، عام ١٩٩٠م، على ابراهيم النملة ، التنصير فى المراجع العربية دراسة ورصد وراقى للمطبوع ، ط. الرياض ١٩٩٤م، ص٣٨- ص٣٩ .

ويقوم حاليًا الطالب اليمنى الواعد السيد / محمد المقدم بإعداد أطروحته للدكتوراه عن التنصير عصر الحروب الصليبية فى كلية الآداب - جامعة المنصورة ، وأتوقع أن تكون على مستوى علمى متميز .

٢- Odo of Deul, De Profectione Ludovici VII in Orientem , Trans. by V.G. Berry , Colombia MCMXLVIII, p. 141 .

توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام، ت. حسن إبراهيم، وعابدين، ط. القاهرة ١٩٧٠م،ص١٠٨-١٠٩ .

للعديد من القوى السياسية الأوربية فى عصر شهد التوسع الأوربى صوب تلك المنطقة على نحو خاص، وهكذا؛ نجد أن تاريخ مثل تلك الكيانات الأوربية خلال القرنين ١٢ ، ١٣م يقع قسم مهم منه خارج حدودها بل وتوزع بين قارات أوربا ، وآسيا ، وأفريقيا فى بعض الأحيان بصور متفاوتة بطبيعة الحال، مما عكس الطابع العالمى للحروب الصليبية.

وفيما يتعلق بالدافع الاقتصادى (١)؛ نجد أن المدن التجارية الإيطالية مثل البندقية، وجنوة، وبيزا ، وخاصة الأولى، اتجهت إلى السيطرة على تجارة شرقى البحر المتوسط البالغة الثراء وحاولت أن تنهى دور المسلمين كوسطاء تجاريين بين الشرق والغرب وهو الدور الذى مارسوه بكفاءة وإقتدار على مدى خمسة قرون كاملة من قبل مقدم الصليبيين إلى المنطقة، ويلاحظ أن البنادقة - على سبيل المثال . كانوا يرددون مقولة شهيرة وهى أنهم تجار أولاً ثم مسيحيين من بعد ذلك.

واقع الأمر ، يعد ذلك الدافع على نحو خاص - دون إغفال تفاعله مع الدوافع التاريخية الأخرى- على جانب كبير من الأهمية، حتى أن حملة صليبية وهى التى أطلق عليها مسمى

١- عنه أنظر:

سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ج١ ، ص٣٤-ص٣٧ ، عطيه القوصى ، «مصر الفاطمية وعالم حوض البحر المتوسط»، ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد رءوف عباس ، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص١٦٣ .

صلاح مدنى ، تاريخ العصور الوسطى فى أورربه الفترة الأولى بين نهاية القرن الرابع والقرن الحادى عشر الميلاديين، ط. دمشق ١٩٧٢-١٩٧٣م، ص٥٥٥- ص٥٥٨ .

وعن دور المدن التجارية الايطالية فى الحروب الصليبية أنظر:

Byrne, " Commercial Contacts of The Genoese in the Syrian Trade of the Twelfth century ", J. E. H., vol XXXI, 1916 , pp. 138-170 , Genoese Trade with Syria in Twelfth century", A.H.R., vol . XXV, 1919- 1920, pp. 191-219 .

مصطفى الكنانى ، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى ١١٧١- ١٢٩١م / ٥٦٧-٦٩٠هـ ، ط. الاسكندرية ١٩٨١م، عفاف صبره ، العلاقات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام فى الفترة ١١٠٠ إلى ١٤٠٠م، ط. القاهرة ١٩٨٣م، أحمد عبدالله، التجارة فى الساحل الشامى فى القرنين ١٢ ، ١٣م، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م. دراسة متميزة لباحث واعد.

الحملة الصليبية الرابعة ، حدث فيها سقوط العاصمة البيزنطية القسطنطينية عام ١٢٠٤م[١] لأول مرة فى تارخها كنتاج للتنافس البندقى- البيزنطى على المستوى التجارى مع عدم إغفال التنافس والتصارع التقليدى بين الشرق البيزنطى والغرب الأوروبى سياسيًا وكنسيًا وأثر ذلك جميعه فى مصير العاصمة البيزنطية العريقة حينذاك.

وإذا إتجهنا صوب الناحية الاجتماعية ، نجد أن ذلك الدافع كان له شأن وأى شأن [٢] فالنظام الإقطاعى The Feudal System[٣] فى أوروبا العصور الوسطى إنقسم تقليديًا إلى الذين يحاربون وهم الفرسان ، والذين يتعبدون وهم رجال الكنيسة ، والذين يزرعون وهم الأقنان Slaves ولم تكن لهم أية حقوق فعلية وعانوا من تردى أوضاعهم المعيشية بصفة عامة، وهؤلاء وجدوا فى المشروع الصليبى الفرصة السانحة من أجل التخلص من تلك الظروف السيئة ولذلك شاركوا فيه بأعداد غفيرة ليس تدينًا بل تخلصًا من واقعهم المرير وكان الأمل يحدوهم فى البحث عما هو أفضل فيما وراء البحر المتوسط وفى شرقيه على نحو خاص.

١- عن ذلك انظر:

Robert Clari, The Conquest of Constantinople, Trans. by E.H. McNeel, New York 1936 , Villeharduin , The Conquest of Constantinople , in Joinville and Villeharduin , Chroncles of the Crusades, Trans by M.R.B. Shaw, London 1963 .

محمد مجدى حسن عبد الفتاح، الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية ١٢٠٤م / ٦٠٠هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة المنيا ١٩٨٨م.

٢- عن الباعث الاجتماعى للحروب الصليبية أنظر:

قاسم عبده قاسم، «الدوافع الاجتماعية فى الحركة الصليبية » ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٢) ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص١٨٩-ص٢٣٣ .

٣- عن النظام الإقطاعى فى الغرب الأوروبى، انظر : كوبلاند فينوجرادوف ، الاقطاع فى العصور الوسطى بغرب أوروبا، ت. محمد مصطفى زيادة، ط. القاهرة ١٩٤٥م، إسحق عبيد، الفرسان والأقنان فى مجتمع الإقطاع، ط. بنى غازى ١٩٧٥م.

Strayer, " Feudalism in Western Europe, in Coulbon (ed.) , Feudalism in History, Princeton 1956, pp. 15-25 .

ولانغفل أيضًا ما أتصل بدافع الفروسية ، والرغبة فى إطلاق تلك القوة العسكرية الكامنة والتى نشجت عن النظام الإقطاعى ، بالإضافة إلى سحر الشرق الذى كان يداعب مخيلة الأوربيين فى العصور الوسطى وقد تفاعلت كافة تلك الدوافع معًا وبصورة متزامنة لكى تنتج لنا تلك الحركة التاريخية الكبرى، وهى الحروب الصليبية Croisades, Crusades Kreuzzuge.

بصفة عامة، إذا نظرنا صوب الشرق؛ نجد أن الدولة السلجوقية الفتية حققت إنتصاراتها البارزة ومنها معركة مانزكرت عام ١٠٧١م[1]؛ التى هزمت فيها بيزنطة فى عهد الامبراطور رومانوس الرابع ديوجنيس Romanus IV Diogenes (١٠٦٧-١٠٧١م) وذلك على أيدى الجيش السلجوقى بقيادة السلطان ألب أرسلان ، غير أنه توفى فى العام التالى عام ١٠٧٢م

١- عن معركة مانزكرت أنظر: ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أمبدروز . ط. بيروت ١٩٠٨م، ص٤٠-ص ٤٤ ، اليزدى، العراضة فى الحكاية السلجوقية، ت. عبد المنعم محمود، ط. بغداد ١٩٧٩م، ص٤٧.

Psellus, Chronographia, in Ashour and Rabie, Fifty documents in Medieval History, Cairo 1971, pp. 58-60,

Cahen, " la Campagne de Mantzikert d'apres des sources musulmans ", B. vol. IX, pp. 613-642, " The Turkish Invasion ", in Setton A History of the Crusades, vol. I, pp. 148-149. Friendly, The dreadful day: The Battle of Manzikert 1071, London 1981,

France, Victory in the East, Amilitary History of the First Crusade, Cambridge 1996, pp. 152-153.

فايز نجيب اسكندر ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة ملازجرد (١٠٧١-٤٦٣هـ) فى مصنف تقفور بريتيوس دراسة مقارنة للمصادر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م، ص٧-ص١٠ ، أسمت غنيم، «معركة مانزكرت فى ضوء وثائق بسللوس» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عدد عام ١٩٨١م، أرشيد يوسف، سلاجقة الشام والجزيرة فى الفترة ما بين ٤٣٥- ٥٧٠هـ، ط. الرياض ١٩٨٨م، ص٥١-٥٤ ، سهيل زكار، المدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، ط. دمشق ١٩٨١م، ص١٤٥- ص١٥١ ؛ سعيد عاشور، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص٤٤ ؛ روبرتس ، موجز تاريخ العالم، ت. فارس قطان، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص٣٤٥ وتصور خطأ حدوث المعركة عام ١٠٧٢م، سليمان الخرابشه، «فلسطين فى العصر السلجوقى»، دراسات، م (٢٤) ، ملحق كانون الأول ١٩٩٧م، ص٦٥٨ ، محمد عبد العظيم أبو النصر ، السلاجقة تاريخهم السياسى والحضارى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٨٥-٩٠ .

ومن بعده تولى السلطان ملكشاه ١٠٧٢-١٠٩٢م، ويعد آخر السلاطين السلاجقة الكبار وظهر دور بارز خلال حكمه للوزير الشهير نظام الملك ، ومن بعد السلطان الأخير، تفككت الدولة السلجوقية ، وظهر إلى الوجود نظام الأتابكيات التى على رأسها الأتابك[١] وهــو الوالد المربى الذى تولى رعاية أحد أبناء الأسرة السلجوقية ، كذلك تأثرت مناطق المسلمين فى بلاد الشام بالصراع السنى- الشيعى، والتنافس بين الخلافة العباسية فى بغداد ، والفاطمية فى القاهرة وظهر إلى الوجود خطر عناصر الإسماعيلية النزارية أو الحشاشين الذين فتكوا بالوزير السالف الذكر عام ١٠٩٢م[٢]، ووعدد وافر ممن عارضهم من القيادات السنية.

وهكذا ، يتأكد لنا أن التشرذم السياسى والتصارع المذهبى كان يفتك بالمسلمين فيما بين مصر والعراق مروراً ببلاد الشام، وعانت الأخيرة من الفراغ السياسى نظراً لاعتبارها منطقة وسطى بين العراق السنى ومصر الشيعية.

١- يلاحظ أنه وفقًا للنظرية السياسية السلجوقية كان لكل إقليم من يحكمه من أعضاء البيت الحاكم، ثم تم إلحاق قائد تركى واحد من أولئك الأمراء حمل لقب أتابك وقد تحمل مسئولية تربيتهم عسكريًا وكذلك حكم أقاليمهم وقد تمتع بسلطة سياسية فاقت سلطة القادة العاديين وعمد إلى أن يتزوج من أم عهدته وتزويجه من إحدى بناته عن ذلك أنظر:

ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٤٨م، ج٢، ص١٢١ ، حسن الباشا، الألقاب الاسلامية، ط. القاهرة ١٩٧٥م ، ص١٢٥-١٢٩، نافع العبود ، الدولة الخوارزمية ، ط. بغداد ١٩٧١م ، ص٦ ، حاشية (١) ، سليمان صائغ، تاريخ الموصل ، ط. القاهرة ١٩٢٣م، ص١٦٥ ، سعيد الديوجى، الموصل فى المعهد الاتابكى ، ط. بغداد ١٩٥٨، ص٢٠ حاشية (٥) .

٢- صدر الدين أبو الفوارس ، أخبار الدولة السلجوقية تصحيح إقبال ، ط. لاهور ١٩٣٢م ص٦٦ ، ميرخوند، تاريخ روضة الصفا ، جلد دوم، ط. تهران ١٣٣٣هـ . ص٥٠٠ ، برنارد لويس ، الدعوة الاسماعيلية الجديدة والحشيشية، ت . سهيل زكار ، ط. بيروت ١٩٧١م، ص٦٢، سعد زغلول عبد الحميد ، «سياسة نامة لنظام الملك»، تراث الانسانية، م (٩) . ج٢ عام ١٩٧١م، ص١٩٤ ، محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ط. القاهرة ١٩٩٩-٢٠٠٠م، ص٤٣ .

Houtsma, " The Death of Nizam al. mulk and its consequences", J.I.H., vol . III, 1974 , pp. 147-160 .

Steingass, Persian- English Dictionary, lahore 1977, p. 12 .

El- Azhari , The Saljuqs of Syria during The Crusades 463-549 A.H., 1070-1154 A.D., Berlin 1997, pp. 282-283 .

من جهة أخرى؛ من المرجح أن البابوية فى الغرب الأوربى كانت ترصد ما يحدث فى الشرق من خلال التجار، والحجاج، والجواسيس (١)، وأدركت أن الوقت ملائم تمامًا لتنفيذ مشروعها فى شن الحرب الصليبية ، خاصة أن الإمبراطورية البيزنطية فى أعقاب معركة مانزكرت ١٠٧١م بدأت تستغيث بالغرب الأوربى لمعاونتها على مواجهة الضغط السلجوقى، ويلاحظ أن البابا الكسندر الثانى Alexander II (١٠٦١-١٠٧٣م) عمل على مباركة الإتجاه إلى محاربة المسلمين فى شبه الجزيرة الايبيرية(٢). ودفع المتطوعين نحو عبور جبال البرانس الفاصلة بين أسبانيا وفرنسا للقيام بذلك الدور، أما البابا جريجورى السابع Gregory VII (١٠٧٣-١٠٨٥م) فكانت لديه ميول نحو الحرب الصليبية ، إلا أن إنهماكه فى الصراع مع الامبراطور الألمانى هنرى الرابع Henry IV (١٠٥٦-١١٠٥م) أعاقه عن التفرغ لذلك الأمر.

١- قدم المؤرخ الجنوى كفارو الكاسيكفلونى إشارات تفيد أن جودفرى دى بويون ومعه روبرت الفلاندرزى - وسيغدو الأول أول حاكم للوجود الصليبى فى بيت المقدس- قدما إلى مصر والشام على ظهر السفينة بوميلا Pomella خلال المرحلة بين عامى ١٠٨٣- ١٠٨٥م ، فى إطار رحلة حج إلى فلسطين عن ذلك أنظر:

مصطفى الكنانى ، «المؤرخ الجنوى كفارو الكاسيكفلونى سيرته وأعماله وقيمتها التاريخية »، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، م (٣) ، عام ١٩٨٥م ، ص٣٥٩ .

وبالتالى تكون المنطقة تمت معاينتها قبل عقد واحد من الدعوة للحروب الصليبية من جانب أشخاص شاركوا من بعد ذلك فى أحداثها الفعلية.

٢- عن دوره فى هذا المجال أنظر:

محمد محمود النشار ، «البابوية وفرنسا على مسرح الحروب الصليبية فى الأندلس (القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر للميلاد» ، ندوة الاطار التاريخى للحركة الصليبية - إتحاد المؤرخين العرب، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص١٣٠- ص١٤٩ ، جوزيف نسيم يوسف، فى تاريخ الحركة الصليبية ، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م، ص٤٧ .

٣- عن ذلك أنظر:

La due , The Chair of Saint Peter, A History of the Papacy , New York 1999, pp. 100-101 .

سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى، ص٣٥٢-٣٥٣، نعيم فرح ، تاريخ أوربا السياسى فى العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٩٥م، ص٢٠١ ، هارتمان وباراكلاف ، الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى ، ت. جوزيف نسيم يوسف ، ط. الاسكندرية ، ١٩٨٤م، ص٥٠ .

بصفة عامة ، إتخذ الأمر شكلاً جاداً مع تولى البابا أوربان الثانى[١] Urbanus II (١٠٨٨-١٠٩٩م) المنصب البابوى ، ويعد تلميذاً للبابا جريجورى السابع الذى آمن بفكرة سيادة البابوية على الإمبراطورية، وتشهد الأوامر البابوية Dictatus Papae المنسوبة إليه تشهد على ذلك على نحو جلى.

وقد عقد البابا مجمعًا كنسيًا فى بياكنزا[٢] Piacenza بإيطاليا فى مارس ١٠٩٥م، إلا أنه أخفق فى إنجاز هدفه ، ثم عاود الأمر حيث عقد مجمعًا آخر فى كليرمونت فران Clermont Ferrant بفرنسا ، وألقى خطابًا فيه فى اليوم العاشر من عقد ذلك المجمع وتحديداً فى يوم ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م، ولدينا أربعة نصوص لأربعة من المؤرخين المعاصرين هم فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres، وروبرت الراهب Robert The Monk ، وجيبرت النوجنتى Guilbert of Nogent، وبودريك الدولى Baldric of Dol ، وفى الخطاب المذكور قام البابا بالدعوة إلى الحرب الصليبية وقدم إغراءات عديدة للمشاركين فى مشروعه المرتقب[٣].

١- اسمه أودو Odu أو Eades ، وقد ولد عام ١٠٣٥م فى شاتيون سير مارن Chatillon -sur- Marnt وقد درس على يدى القديس برنو St. Bruno الذى أسس نظام الكارسوسيين Carthusians (١٠٣٢-١١٠١م) وفى عام ١٠٦٨م صار راهبًا فى دير كلونى Cluny بالقرب من ماكون Macon ، وقد إلتحق بخدمة البابا جريجورى السابع Gregory VII ، وقد تولى المنصب البابوى خلال الأعوام من ١٠٨٨ إلى ١٠٩٩ م، عنه أنظر:

Kelly , Oxford dictionary of Popes, Oxford 1996, p. 158 .

Kazhdan, Oxford dictionary of Byzantium , vol . III , Oxford 1991, pp. 2143-2144 .

Becher , Papst Urban II (1088-1099), 2 vols. Stuttgart 1964- 1988, Cowdry, " Pope Urban II and The Idea of Crusade", S.M., 36, 1995, pp. 721-742 .

محمد مؤنس عوض، الامبراطورية البيزنطية دراسة فى الأسر الحاكمة ٣٣٠-١٤٥٣م، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص٣١٦ .

٢- عن ذلك المجمع أنظر:

Munro, " Did The Emperor Alexius I ask for aid at the Council of Piacenza? ", A . H. R., vol. XXVII, 1922, pp. 731-733 .

٣- عن خطاب البابا أوربان الثانى انظر:

Fulcher of Chartres , A History of the expedition to Jerusalem, Trans. by Rita Rian, Tennesse 1976 , pp. 62-65 .

وقد لقى إستجابه فورية عقب إلقائه لخطابه الذى افتتح به الحرب العالمية فى العصور الوسطى، ومن المرجح أن ما حدث فى مجمع كليرمونت يعد «مسرحية» أعدها البابا ببراعة بالإتفاق مع الحاضرين بدليل تلك الاستجابة الجماعية الفورية وصيحة «الرب يريد ذلك» "Deus Vult" التى قيلت ؛ والتى من المستبعد تمامًا أن تلقى دون إعداد متفق عليه من قبل ذلك، خاصة أن إخفاق مجمع بياكنزا Piacenza دفعه - على الأرجح- نحو الحيطة والإعداد المسبق لضمان نجاح المجمع الأخير وعدم تكرار الإخفاق .

مهما يكن من أمر، تمثلت الاستجابة لدعوة البابا أوربان الثانى فى صورة الحملة الشعبية التى شارك فيها الأفنان الذين لم تكن لهم أية خبرة عسكرية، وقد تم استغلال سيكولوجية جماهيرية متعصبية ضد المسلمين[1]، ولذلك كان الفشل حليفًا للحملة الشعبية على عكس حملة الأمراء التى شارك فيها عدد من القادة الصليبيين مثل جودفرى دى بويون[2]

Robert the Monk , in Peters, The Crusade, The Chronicle of Fulcher of Chartres and = other Source materials , Philadelphia 1971, pp. 1-4 ,

Guilbert of Nogent, in Peters , pp. 10-13 , Baldric of Dol, in Peters, pp. 6-10 ,

Munro , " The Speech of Pope Urban II at Clermont , A. H. R., vol . II, 1905 , pp. 231- 242.

اسحق عبيد ، روما وبيزنطة ، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص٨٣-٨٦ .

جوزيف نسيم يوسف ، «الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية »، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية، م (٢٦) ، عام ١٩٦٣م، ص١٩٨ - ص٢٠٥ ، دراسة رائدة فريدة أجهز صاحبها على موضوعها منذ وقت مبكر ، حسن عبد الوهاب ، « دراسة تحليلية لخطاب البابا أوربان الثانى فى كلير مونت » ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية، العدد (٥١)، عام ٢٠٠١ / ٢٠٠٢م ، ص١٢١- ص١٤٨ .

١- جوستاف لوبون ، سيكلوجية الجماهير، ت. هاشم صالح، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص٥٣- ص١١٥ .

٢- عنه أنظر : Fulcher of Chartres, p. 72, p. 80 .

William of Tyre, vol . II, p. 43 , p. 57 ,

Parisse, "Godfrey de Bouillon , le Croisade exampliere " H., T.XLVII, Année 1982, pp. 18-25 ,

Hagenmeyer, " Etudes sur la chronique de Zimmern rensergnements qu'elle Fournit sur la Premiere Croisade", A.O.L., T. II, pp. 21-32 ,

Oldenberg, les Croisades, Paris 1975, p. 64, p. 69 .

سرور عبد المنعم ، «جودفرى دى بويون حاكمًا للكيان الصليبى فى الشام ١٠٩٩-١١٠٠م»، مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط ، عدد (١٤) ، مارس ٢٠٠٤م ، ص٢٢٩-٢٧٩ ، على أحمد السيد، الخليل والحرم

Godfrey de Bouillon وشقيقه بلدوين Baldwin ، وتانكرد[١] Tancred ، وبوهيمند[٢] Bohemond ، وريموند التولوزي[٣] Raymond of Toulouse وغيرهم، وقد استطاعت تلك الحملة تكوين أملاك لأوربا في الشرق في صورة إمارة الرها Edessa [٤]، وإمارة أنطاكية Antioch[٥] ، ومملكة بيت المقدس الصليبية[٦] -The Latin kingdom of Jerusa lem ، وإمارة طرابلس[٧] Tripolis، وذلك بعد أحداث متعددة من الصدام الحربي بين الغزاة

= الابراهيمي عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩-١١٨٧م / ٤٩٢-٥٨٣هـ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص١٠٦ - ص١١٠ ، مفيد الزيدي ، موسوعة الحروب الصليبية ، الأسباب الحملات - الآثار، ط. عمان ٢٠٠٤م، ص٦٥-٦٦ .

١- Nicholson , Tancred : Astudy of his Career and work in Their relation to the First crusade and the establishment of the Latin States in Syria and Palestine , Chicago 1940, pp. 20-102 .

٢- Yewdale, Bohemond I Prince of Antioch , Amsterdam 1970, pp. 9-51 .

٣- Hill, Raymond IV Count of Toulouse, Syracuse, 1962 .

٤- عنها أنظر: عليه الجنزوري ، إمارة الرها الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٧٤م، محمود الرويضي ، إمارة الرها الصليبية ، والدراسة الأولى أكثر تفوقًا وتميزاً ولصاحبتها الريادة ، سيغال، الرها المدينة الفاضلة ، ت. يوسف إبراهيم جبر ، ط. حلب ١٩٨٨م.

٥- عنها أنظر :

Cahen , La Syrie du nord a'L'epoque des Croisades, Paris 1940 .

حسين عطية، إمارة أنطاكية الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٨١م إمارة أنطاكية والمسلمين، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م، كمال أمين محمد حسب الله، إمارة أنطاكية الصليبية ١٠٩٨-١٢٦٨م، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٩٠م.

٦- عنها أنظر : عمر كمال توفيق، مملكة بيت المقدس الصليبية، ط. الاسكندرية ١٩٥٨م .

Prawer, The latin kingdom of Jerusalem European Colonialism in the Middle Ages, London 1972 .

٧- عنها أنظر: عبد العزيز عبد الدايم ، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثاني عشر م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة ، عام ١٩٧١م، نهى الجوهري ، إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٧ ، دراسة علمية متميزة تحت إشراف أ.د. اسحق عبيد وأ.د. محمد مؤنس عوض .

الصليبيين والمسلمين، ولاريب أن الأخيرين بتصارعهم وضعفهم مكنوا الغزاة من تحقيق أهدافهم بالإضافة إلى كفاءة الصليبيين العسكرية، وهو أمر أقرت به فيما بعد المصادر التاريخية العربية ذاتها فيما بعد . وبالتالي فالحروب الصليبية لاتعد فقط مؤامرة أوربية على الشرق بل أن المسلمين بتصارعهم - دون أن يدروا- تآمروا على أنفسهم هم أيضًا.

تجدر الإشارة إلى أن الصليبيين صنعوا كافة تلك الانتصارات من خلال سفك الدماء، حيث إقترفوا المذابح العديدة على مدى الطريق الممتد من أنطاكية شمالاً إلى بيت المقدس جنوبًا ، وفى المدينة الأخيرة حدثت مذبحة مروعة[1] خلال المرحلة الممتدة من يوم الجمعة الموافق ١٥ يوليو إلى يوم الاثنين الموافق ٢٥ يوليو ١٠٩٩م والتى راح ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين، وقد أقرت المصادر التاريخية الصليبية بحدوثها مثل مؤرخ الجستا Gesta المجهول ، وفوشيه الشارترى[2] Fulcher of Chartres وغيرهما .

١- Anonymous , The deeds of the Franks and other Pilgrims to Jerusalem Trans. by R. Hill, London 1962 , p. 51 Hagenmeyer, "Chronologie de la Premiere Croisade", R.O.L., T.VII, Année 1899, p. 477-479 .

ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ، ط. بيروت ١٩٠٨م ص١٣٧ ، ابن كثير ، الاجتهاد فى طلب الجهاد ، ط. القاهرة ١٣٤٧هـ ، ص١٩، السيوطى، تاريخ الخلفاء، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص٤٢٧ ، اليافعى ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج٣ حيدر أباد الدكن ١٣٠٩هـ ، ص١٥٤، ابن الجوزى ، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ج٩، ط. حيدر أباد الدكن، ١٣٥٩هـ ، ص١٠٨ ، ستيفن رنسيمان ، المسيحيون العرب فى فلسطين ، ط. اسكس ١٩٦٨م، ص١٤ ، ميخائيل اسكندر ، القدس عبر التاريخ ، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص٥٧- ص٥٨ سعيد عاشور ، أضواء جديدة على الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ص١٠ ، حاتم الطحاوى، «الصليبيون يدخلون القدس» ، العربى (٤٩٥)، فبراير ٢٠٠٠م، ص٦٣- ص٦٥ ، عليه الجنزورى، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص٢٥٩، مصطفى الحيارى ، القدس زمن الفاطميين والفرنجة ، ط. عمان ١٩٩٤م، ص٤٤ ، شوقى شعث ، القدس العربية الإسلامية الماضى- الحاضر- المستقبل، ط. الشارقة ٢٠٠١م، ص٣٩- ص٤٠، محمد مؤنس عوض، الإمبراطورية البيزنطية ، دراسة فى تاريخ الأسر الحاكمة، ص٣٢٢ ، شفيق جاسر ، تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها حتى الحروب الصليبية ، ط. عمان ١٩٨٩م، ص٢٨٤ .

Goitein , " Contemporary Letters on The Capture of Jerusalem by the Crusades", J.J.S., vol . X, 1952 , pp. 162-177 .

٢- Fulcher of Chartres , p. 122 .

والأمر المؤكد ، أن مثل تلك المذبحة كشفت مبكراً عن الوجه المتعصب المقيت للحركة الصليبية التي عجزت عن التحاور مع الأديان الأخرى ، فكانت الحرب وتوابعها من المذابح ، والدمار ولاريب في أن الدماء، التي سالت في مفتتح تاريخ الصليبيين في المنطقة حفزت المسلمين على الثأر والإنتقام ، ويقرر مؤرخ أوربي بارز أنه كلما لاحت في الأفق- فيما بعد- بوادر للسلام بين المسلمين والصليبيين ؛ كانت ذكرى المذبحة المذكورة تقضي على إمكانية السلام بين الجانبين [١]، وقرر آخر أنها تعد وصمة في تاريخ الحروب الصليبية [٢].

على أية حال ؛ توالى حكام مملكة بيت المقدس الصليبية ، فمن بعد جودفري دي بويون - الذي كان أول حاكم للكيان الصليبي على مدى عام واحد فارق في تاريخ الصليبيين ١٠٩٩-١١٠٠م - تولى الحكم الملك بلدوين الأول[٣] Baldwin I (١١٠٠-١١١٨م) الذي يعد - وبحق- المؤسس الفعلي لتلك المملكة[٤]، وقد تمكن من ضم أغلب مدن الساحل الشامي باستثناء صور Tyre، وعسقلان Ascalon مستفيداً في ذلك من دعم المدن التجارية الإيطالية مثل جنوة ، وبيزا ، والبندقية ، وكذلك الدعم القادم له من أقصى شمال غربي أوربا وتحديداً من النرويج حيث قدم إليه ملكها سيجورد Sigurd بأسطول كبير أعانه على إخضاع مدينة صيدا[٥] Sidon للسيطرة الصليبية عام ١١١٠م[٦].

١- رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ت. السيد الباز العريني، ط. بيروت ج١، ص٤٢٧ .

٢- Grousset, Histoire des Croisades, Paris 1934 , T.I , p. 165 .

٣- عنه أنظر : Fulcher of Chartres , pp. 137-223.
William of Tyre, vol , pp.415-416 .

هنادي السيد محمود ، مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد بلدوين الأول ٤٩٤- ٥١٢هـ / ١١٠٠-١١١٨م ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م.

٤- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ط. القاهرة ١٩٨٢م، ج١، ص٣٤٤ .

٥- عنه أنظر : The Saga of Sigurd, The Crusader (1107-1110), in Wright,t Early Travels in Palestine , London 1848, pp. 50-57 .

محمد مؤنس عوض ، الحملة الصليبية النرويجية الملك سيجورد ودوره في دعم الحركة الصليبية في المرحلة من ١١٠٧-١١١٠م / ٥٠١-٥٠٤ هـ، سلسلة دراسات شرق أوسطية ، مركز بحوث الشرق الأوسط - جامعة عين شمس عام ١٩٩٥م.

Fink, " The Foundation of the Latin States (1099-1118) , in Setton A History of the Crusades, Madison 1969 , vol . I , p. 386 .

٦- عن سقوط صيدا في قبضة الصليبيين أنظر: العظيمي ، تاريخه ، تحقيق علي سويم، الجمعية التاريخية التركية، ط. أنقرة ١٩٨٨م، ص٣٠ .

كذلك شيد عدة قلاع حصينة مثل قلعة الشويك[1] وقلعة جزيرة فرعون[2]، وقلعة

= ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص١٧١ ، أبو الفداء ، المختصر فى أخبار البشر ، ط. بيروت ١٩٦٠م، ص٢٢٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ط. بيروت ب-ت ، ج١٢ ، ص١٧٢ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى، ط. الاسكندرية ١٩٨٦م، ص٩٩ - ص١٠٣ ، أسامة زكى زيد، صيدا ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى، ط. الاسكندرية ١٩٨١م، ص٩١ - ص٩٨ ، أحمد عارف الزين، تاريخ صيدا ، ط. صيدا ١٣٣١هـ ، ص٥٧ ، عمر عبد السلام تدمرى، لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٣٥٨- ٥١٨هـ / ٩٦٩-١١٢٤م، ط. طرابلس ١٩٩٤م، ص٢٧٩- ص٢٨٠ .

وقد ذكر يوسف غوانمه تعليقًا على التوسعات الصليبية فى الساحل الشامى فى عهد بلدوين الأول ما نصه « ... أما صور فقد صمدت طويلاً واستبسلت فى محاربة الفرنج إلا أنها استسلمت أخيراً فى جمادى الآخرة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م وبذلك أصبح الساحل الشامى كله تحت السيطرة الصليبية ».

عن ذلك انظر: يوسف غوانمه ، القدس الشريف ، ط. عمان ٢٠٠٢م ، ص٢٥ والواقع أن إخضاع صور لم يجعل الساحل الشامى خاضعًا «كله» للسيادة الصليبية لأن عسقلان كانت لاتزال غير خاضعة للصليبيين وهو أمر سيتم عام ١١٥٣م.

١- قلعة الشويك Crac Montreal ، وتقع ما بين الكرك والبتراء، وبعدت ١٢٠ك.م عن مدينة الكرك، و٣٥ ك.م عن البتراء، وبعدت عن عمّان ٢٣٠ ك.م وارتفعت عن سطح البحر بمسافة ١٣٣٠م وأحاطت بها أودية هى وادى الحماط من الشرق والشمال، ووادى الرغاية من الجنوب، ووادى مدقات الزبيب من الغرب، وأحاطتها عيون المياه، وقد عرفت بالحصانة ، عنها أنظر: ياقوت ، معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٩٠م، ج٣، ص٤٢٠ ، يوسف غوانمه ، إمارة الكرك فى العصر الأيوبى، ط. عمان ١٩٨٤م، ص٦٤ ، حاشية (٢) ، مولر، القلاع أيام الحروب الصليبية ، ت. محمد وليد الجلاد، ط. دمشق ١٩٨٤م، ص ١٤٠ ، سعد محمد المومنى ، القلاع الإسلامية فى الأردن الفترة الأيوبية والمملوكية، ط. عمان ١٩٨٨م، ص٢٤٣- ص٢٥٣، دراسة متميزة وجادة ، لويس مخلوف، الأردن تاريخ وحضارة وآثار ، ط. عمان ١٩٨٣م، ص٣٥، حاشية (١)، محمد مؤنس عوض ، تاريخ القلاع الصليبية فى بلاد الشام ، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص٦٦ - ص٦٧ . فردريك بيك، تاريخ شرق الأردن وقبائلها ، ت. بهاء الدين طوقان ، ط. عمان ، ١٩٩٨م، ص١٢٠ .

٢- قلعة جزيرة فرعون Ile de Graye .

وقعت فى الجنوب الغربى من ايلة على بعد ١٢ كيلو متر من خليج العقبة إلى الجنوب من طابا الواقعة على بعد ٨ كيلو منها وعلى بعد ٢٥٠م من ساحل شبه جزيرة سيناء وتكونت من الصخور الجرانيتية الصلبة.

عنها أنظر: رياض شاهين ، «قلعة جزيرة فرعون ساحة للصدام الصليبى الإسلامى» ، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، م (٣١)، عدد (٣) عام ٢٠٠٤م ، ص٥٥٠-٥٦٦ ، أحمد رمضان، شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص٦٥- ص٦٦ .

إسكندرونة [١]؛ حتى يتمكن من تعويض نقص العنصر البشري؛ وهو أمر كان يهدد الكيان الصليبي طوال مدة وجوده في بلاد الشام على مدى القرنين ١٢-١٣م.

من ناحية أخرى، قام بدعوة عناصر من المسيحيين الشرقيين فيما وراء نهر الأردن خاصة في وادي موسى وكذلك العناصر الموجودة في عمان، والصلت، والبلقاء[٢] وتم تقديم الإغراءات المتعددة على نحو شجعهم على القدوم والاستقرار بها؛ وبالتالي دعم الوجود السكاني الصليبي فيها.

بصفة عامة، نلاحظ أن ذلك الملك الصليبي المؤسس؛ إتجه ببصره صوب مصر الفاطمية وقام بحملة استكشافية تجاهها عام ١١١٨م قبيل وفاته، ولاريب في أنه أدرك تلك الرابطة الجغرافية، وكذلك التاريخية بين الاقليمين المتجاورين؛ وقد أدرك الغزاة أن جارهم الفاطمي على جانب كبير من الضعف، ومن الممكن القول بأن حملة عام ١١١٨م[٣]، كانت المقدمة

١- قلعة اسكندرونة Scandalium هي قلعة حصينة وقعت جنوبي صوري موقع سمي Alexandrium على اسم الاسكندر الأكبر Alexander The Great أو المقدوني Alexander The Macedonian، وصار الاسم يطلق على نحو شائع على أنه Scandalium عنها أنظر: Fulcher of Chartres, p. 220

William of Tyre, vol. I, p. 514,

Burchard of Montsion, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., vol. VII, London 1896, p. 10, note (1),

Marino Santo, Secrets for true Crusaders to help Them to recover The Holy land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., vol VII, London 1896, p. 8,

Ludolph von Suchem, Description of the Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., vol. XII, London 1895, pp. 61-62.

٢- يوسف غوانمة، دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي، ط.عمان ١٩٨٣م، ص١٤٦.

٣- عن حملة بلدوين الأول على مصر أنظر:

Fulcher of Chartres, p. 221,

William of Tyre, vol. I, p. 515,

Runciman, A History of the Crusades, vol. II, London 1978, p. 99.

مصطفى الكناني، حملة بلدوين الأول عام ١١١٨م، أول حملة صليبية على مصر. ط. القاهرة ب-ت. محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٠٦، صلاح الدين نوار، العدوان الصليبي على العالم الإسلامي ٤٩٠- ٥١٥هـ / ١٠٩٧- ١١٢١م، ط. الاسكندرية ١٩٩٣م، ص٣٣٥- ص٣٥٤.

الحقيقية لمرحلة تالية تتمثل فى الغزو الفعلى كما حدث خلال عهد الملك الصليبى عمورى الأول Amaury I (١١٦٣-١١٧٤م) .

من بعد ذلك ، توالى على حكم المملكة الصليبية عدد من الملوك ومن أهمهم بلدوين الثانى Baldwin II[1] (١١١٨-١١٣١م)، وفولك الأنجوى[2] Fulk of Anjou (١١٣١-١١٤٣م)، وبلدوين الثالث[3] Baldwin III (١١٤٤-١١٦٢م) والذى فى عهده أمكن للغزاة إكمال إخضاع كافة مدن الساحل الشامى لسيطرتهم بعد أن سيطروا على عسقلان وهى بوابة مصر وبالتالى صارت القوى السياسية الإسلامية فى بلاد الشام قوى برية حبيسة ليس لها منفذ بحرى على البحر المتوسط ، وتمكن الصليبيون بالتالى من إيجاد حد بحرى غربى يمتد من السويدية (سان سيمون) St. Simeon ميناء أنطاكية فى الشمال حتى غزة جنوبًا ، وبالتالى إحتاج المسلمون الصليبيين من أجل تصريف فائض الإنتاج الاقتصادى المتعدد الأشكال وهكذا؛ امتلك الغزاة ميزة استراتيجية كبرى خاصة مع اتصالهم مع أوربا ؛ وهى المنبع الأول لدعم الكيان الصليبى بشريًا، وماليًا، وبصفة عامة مثل الساحل الشامى[4] الرئة التى تنفس من خلالها ذلك الوجود الغازى الدخيل .

١- عنه أنظر : William of Tyre, vol . I, p. 95, p. 116, p. 127 .

صفاء عثمان، مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد الملك بلدوين الثانى ١١١٨-١١٣١م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٥م.

٢- عنه أنظر : William of Tyre , vol . II, pp. 47-91 .

سرور عبد المنعم، السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك فولك الأنجوى، ١١٣١-١١٤٣ م/ ٥٢٦-٥٣٨هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م.

٣- عنه أنظر:

William of Tyre, vol . II, pp. 136-294 .

عبد اللطيف عبد الهادى السيد، السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد الملك بلدوين الثالث (١١٤٤-١١٦٣) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة عين شمس عام ١٩٩٠م.

٤- عن الساحل الشامى أنظر هذه الدراسة القيمة : أسامة سيد على، الساحل الشامى فى القرن الثانى عشر الميلادى / السادس الهجرى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس عام ١٩٩٢م.

تجدر الإشارة ، أنه على الرغم من تلك النجاحات التى حققها الغزاة إلا أنهم عجزوا عن مواجهة عدد من المشكلات الكبرى التى تفاعلت معًا وأدت إلى أن عصفت بكيانهم فى نهاية المطاف، وتأتى فى المقدمة مشكلة مشروعية الوجود ، إذ ظل الوجود الصليبى على مدى تاريخه فى بلاد الشام وجودًا غازيًا دخيلاً لم يكتسب أية شرعية ، ولذلك قاومه المسلمون بكل ما أوتوا من قوة ممكنة، ويلاحظ أن تلك المشكلة كانت هى الأصعب فى تاريخ الصليبيين وعكست مدى عدم قدرتهم على تقديم أنفسهم كمتعاونين، ومشاركين المسلمين الحياة على أرض واحدة مشتركة بل أنهم بدأوا عهدهم فى المنطقة بالدماء كما أسلفت الإشارة من قبل.

كذلك نذكر مشكلة الأمن، وهى مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمشكلة الأولى، حيث واجه الغزاه مقاومة إسلامية من جانب القوى السياسية فى دمشق، وحلب بدعم من أتابكية الموصل كذلك كان هناك دور فاعل من جانب الفاطميين ، وإن إنهارت مقاومتهم بعد إسقاط عسقلان عام ١١٥٣م[١] كما توافرت مقاومة إسلامية شعبية فى المناطق التى أخضعها الصليبيون ، ومن أمثلتها ، ما حدث فى الطريق الواقع بين يافا وبيت المقدس [٢]. وهو طريق له أهمية خاصة

١- مدينة على الساحل الفلسطينى على بعد حوالى ١٣ ك.م إلى الشمال من غزة . عنها أنظر: إسحق بن الحسين ، آكام المرجان فى ذكر المدائن المشهورة فى كل مكان ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص٦١ ، وعن سقوط عسقلان فى قبضة الصليبيين أنظر:

William of Tyre, vol. II, p. 184-234, Anonymous Syriac Chronicle, The First and Second Crusade, Trans. by A.S. Tritton and H. Gibb, J.R.A.S., vol. 92, 1933, p. 301.

ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق، ص٣٠٨ ، ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٧٧ ، التاريخ الباهر فى دولة الأتابكة بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ص١٠٦ ، مصطفى عبد العزيز العسقلانى ، عسقلان ودورها فى الصراع الإسلامى- الصليبى، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٢م، ص١١٦- ص١٢٠ ،حسن المسحال، عسقلان فى فترة الحروب الصليبية ٤٩٢- ٦٩٠هـ / ١٠٩٩-١٢٩١م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية - جامعة عين شمس عام ١٩٩٩م.

٢- وقع الطريق المذكور فى منطقة جبلية ويبلغ إمتداده ٦٧ ك.م ويبدأ من غرب بيت المقدس من الباب الغربى لها المسمى باب يافا واستمر فى الامتداد على هضبة القدس نفسها ثم مر بدير ياسين وأبوغوش ثم الرملة ويطلق على الامتداد الواقع من جهة الرملة إلى السهل الساحلى، اسم باب الوادى، عن الطريق المذكور انظر:

حيث سار فيه الحجاج الأوربيون القادمون لزيارة الأماكن المقدسة فى فلسطين ، وقد إعترفت مؤلفات عدد من الرحالة الأوربيين بتلك المقاومة(١) التى كانت أحيانًا تتزامن مع الضغط العسكرى الإسلامى من الخارج مما عكس خطورتها. وإن كنا نعانى عمومًا من صمت أغلب المصادر العربية عنها .

= سيد فرج، «القدس عربية إسلامية»، الدارة، العدد (٣) ، السنة (٨) ، يناير ١٩٨٤م، ص١٢ ، عبد الرحمن زكى، «القلاع فى الحروب الصليبية»، المجلة التاريخية المصرية ، م (١٥) ، عام ١٩٦٩م، ص٦٢ ، فتحى عبد العزيز عبدالله ، دور الكنيسة فى مملكة بيت المقدس اللاتينية حتى عام ١١٨٧م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الزقازيق عام ١٩٨٨م، ص١٢٢، محمود الحويرى ، الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر للميلاد ، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص١٨٦ ، على السيد على ، القدس فى العصر المملوكى، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص٢١٣، محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص٩٦؛ الحملة الصليبية النرويجية الملك سيجورد ودوره فى دعم الحركة الصليبية فى المرحلة (١١٠٧- ١١١٠م / ٥٠٣-٥٠٤هـ) دراسات شرق اوسطية مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس عام ١٩٩٥م، ص١٩ .

-١ Daniel, pilgrimage of the Abbot Daniel in the Holy Land, Trans. by Wilson , P.P.T.S., vol VI, London 1895, p.9 ,

Saewulf , Pilgrimage of Saewulf, Trans , by Bishop of Clifton P.P.T.S., vol . IV, London 1896 , p. 8-9 .

إبراهيم الجندى، «فلسطين فى عيون الرحالة الأوربيون» المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية ، م (١)، العدد (٣) ، كانون الثانى ٢٠٠٣م، ص١٤٥ .

سعيد البيشاوى،« المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة الصليبيين ٤٩٢- ٥٨٣هـ / ١٠٩٩-١١٨٧م» ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث ، م (٥) ، يونيو ٢٠٠١م، ص٣٧٠- ص٣٧١ .

ويلاحظ أن الزميل عبد الحافظ البنا فى ترجمته لكتاب براور عن الاستيطان الصليبى وصف ذلك الطريق بأنه انتشر فيه قطاع الطرق واللصوص ، وهو وصف غير واقعى تاريخيًا بل إنهم مقاومون مسلمون ضد الغزاة الصليبيين خاصة أن المصادر الأوربية أشارت إلى أنهم يفتكون بالاغنياء والفقراء على حد سواء، أنظر رأيه : يوشع براور، الاستيطان الصليبى فلسطين ، مملكة بيت المقدس ، ت. عبد الحافظ البنا، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٣١ ، الحاشية.

ولانغفل كذلك ؛ أن الصليبيين واجهوا مشكلة نقص العنصر البشرى- السالفة الذكر - حيث لم تتوافر لديهم أعداد كبيرة من السكان مقارنة بالمسلمين ؛ إذ أن سهول الوديان الفيضية فى الفرات والعاصى- والنيل فيما بعد- قدمت كثافة سكانية إسلامية كان من الممكن أن تشكل عمقًا دفاعيًا استراتيجيًا على الأرض، بينما كان العمق الدفاعى الاستراتيجي الصليبى يوجد خارج المنطقة وتحديداً بعيداً فى الغرب الأوربى وأحتاج إلى شهور طويلة إلى أن يصل ليشارك بفعالية فى أحداث الصراع على أرض بلاد الشام.

وقد عمل الغزاه على مواجهة تلك المشكلة من خلال تشييد عشرات القلاع والحصون المنيعة على مدى طول وعرض المملكة الصليبية وبكثافة عددية غير مسبوقة منذ العصر الرومانى على نحو يجعلنا نصفها بأنها - وبحق- مملكة القلاع ، وقد قامت بأهداف متعددة وفى وقت متزامن منها ؛ المشاركة الحربية فى عمليات الدفاع والهجوم وكذلك فرض السيادة السياسية الصليبية على الأرض، وإيجاد مراكز من خلالها يحقق الصليبيون ما يعرف «بالأمن المائى» ، حيث أرادوا السيطرة - قدر الإمكان- على منابع ومسارات ومصبات الأنهار فى بلاد الشام وهو أمر تمكنوا بالفعل من تحقيقه فى أنهار فلسطين ، ولبنان، ومن أمثلتها أنهار الأردن، والعاصى، والليطانى ، والزبدانى، والحاصبانى، وبيروت، والكلب، وإبراهيم ، وأسطوان، والأولى، والبارد[١]، وغيرها وما أشبه اليوم بالبارحة حيث ظهرت الأطماع الإسرائيلية سافره فى المياه العربية[٢]. ويتم تنفيذها على نحو دقيق.

١- عن تلك الأنهار أنظر :

Daniel , Pilgrimage of The Russian Abbot Daniel in The Holy Land , p. 46 .

Fetellus, Description of the Holy Land , Trans. by J.R. Macpherson, P.P.T.S., vol . V, London 1897 , p. 24 . Cahen , La syrie du nord, p. 128 .

السيد أحمد أبو العينين ، دراسات فى جغرافية لبنان، ط. بيروت ١٩٦٨م، ص٢٢٢، يوسف الشدياق ، أخبار الأعيان فى جبل لبنان، ط. بيروت ١٩٥٤م، ص١٧، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية السياسية- المياه - العقيدة ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٧١- ص٧٢ ، سامر مخيمر وخالد حجازي، أزمة المياه فى المنطقة العربية، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٦م، ص٣٦- ص٣٧ . من أفضل الدراسات فى موضوعها .

٢- عن ذلك انظر: عبدالله الدروبى، «المياه فى الاستراتيجية الإسرائيلية وآليات ووسائل تحقيقها »، مستقبل العالم الإسلامى، مركز دراسات العالم الاسلامى فى مالطه، عدد (١٥) عام ١٩٩٥م ، ص٤١ - ص٤٣ .

وهكذا ، جاءت القلاع كى تحكم السيطرة الصليبية على الأرض والمياه، وهما الهدفان الحقيقيان من وراء الغزو الصليبى لبلاد الشام فى أخريات القرن ١١م.

على أية حال، ولدت وترعرت حُركة الجهاد الإسلامى نظراً لوجود فكرة الجهاد ذاتها فى الإسلام ، ومن أولئك المجاهدين خلال تلك المرحلة المبكرة نذكر كربوغا[1] (١٠٩٥-١١٠٠م) وشمس الدين جكرمش[2] (١١٠٠-١١٠٦م) ويذكر للأخير إنتصاره على الصليبيين فى معركة حران أو البليخ عام ١١٠٤م وحقق فيها المسلمون مكسبًا كبيراً ذلك أنهم قتلوا وأصابوا الكثيرين من الأعداء وأسروا عدداً من القيادات الصليبية مثل بلدوين البورجى وجوسلين وإن تمكن بوهيمند من الفرار ، ومن بعد ذلك ظهر دور محدود لجاولى سقاوة[3] (١١٠٦-١١٠٨م) ، أما الدور البارز فقد تمثل فى أتابك الموصل شرف الدين مودود

= طارق المجذوب ، «المياه العربية فى استراتيجية إسرائيل الشرق أوسطية»، المجلة السابقة ، ص٨٣-ص١١٠ ، سمير صالحية ، مياه اسرائيل فى العلاقات المائية العربية التركية ، المجلة السابقة، ص١١١-ص١٤٦ ، غسان دمشقيه، أزمة المياه والصراع فى المنطقة العربية، ط. دمشق ١٩٩٤م، ص١٠٤ ، ص١١٧؛ كامل زهيرى، النيل فى خطر، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص١٢- ص٢٢٦ .

أيمن نور الدين عمر، الأطماع الإسرائيلية المعاصرة فى المياه العربية ١٩١٨-٢٠٠٠م ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الامام الأوزاعى ، بيروت ٢٠٠٤م، وأشيد بالجهد المبذول فيها .

١- عنه أنظر : Fulcher of Chartres, p. 101, William of Tyre , vol . I, pp. 262-294, Krey, : The First Crusade, Princeton 1958, p. 163 .

إبراهيم خليل، «كربوغا صاحب الموصل ودوره فى مقاومة الصليبيين »، المؤرخ العربى، العدد (٥) عام ١٩٧٩م، ص٩٥-١١١، محمد محمد مرسى الشيخ ، الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ١٠٩٧- ١١٤٤م، ط. الاسكندرية ١٩٧٢م، ص١٠٧- ص١٥٠ .

٢- عنه أنظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص١٤٨ ، عصام الدين عبد الرءوف، بلاد الجزيرة فى أواخر العصر العباسى، ط. القاهرة ب-ت ، ص١٣٨- ص١٣٩ .

Stevenson, The Crusaders in the east , Beirut 1968, p. 77 .

٣- عن دوره انظر: ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص١٥٧-١٥٨ ، ابن الأثير ، الباهر ، ص١٦، ص١٧ ، ص٣٢ ، عماد الدين خليل، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبى فى الموصل ٤٨٩-٥٢١هـ / ١٠٩٥-١١٢٧م، ط. الرياض ١٩٨١م، ص٤٤- ص٤٧ .

(١١٠٨-١١١٣)[١]، الذى اشترك مع أتابك دمشق ظهير الدين طغتكين فى محاربة الملك بلدوين الأول. وتمكنا من هزيمته فى معركة الأقحوانة عام ١١١٣م ومع ذلك فإن ذلك الانتصار لم يتم استثماره وتم إغتيال مودود فى المسجد الأموى بدمشق على أيدى عناصر الحشاشين فى أعقاب تلك المعركة [٢]، ومن المرجح أن طغتكين تآمر على رفيق الجهاد ، خوفًا من تزايد نفوذه بعد ذلك الانتصار الاسلامى المبكر على نحو يخل بتوازن القوى فى بلاد الشام ويؤثر على نفوذه فى دمشق .

مهما يكن من أمر ، أثبتت حركة شرف الدين مودود الجهادية أن هناك من الحكام المسلمين من أراد الحفاظ على مصالحه السياسية الشخصية الضيقة ، وأن البيت المسلم احتاج إلى من يرتبه من الداخل قبل المواجهة مع الغزاة وهو ما كان فى مقدور مودود القيام به منفرداً .

ومن المؤسف حقًا أن مؤرخة بريطانية هى كارول هيلنبراند Carol Hillenbrand فى دراستها

١- عنه أنظر : ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٧ .

Fink, " Maudud of Mosul Precursor of Saladin", M.W., vol . XT. III, 1953, pp. 18-37 .

عفاف صبرة ، «الأمير مودود بن التونتكين»، الدارة، العدد (٢) ، السنة (١٢) ، عام ١٩٨٦م، ص١٠٩-ص١٢٢ . عبد الغنى رمضان، «شرف الدين مودود» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الرياض، م (٤)، السنة (٤) عام ١٩٧٦- ١٩٧٧م، ص١٢٩- ص١٥٠ ، رشيد الجميلى ، الأمير مودود والحروب الصليبية ٥٠٢- ٥٠٧هـ ، مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد ، عدد (١٤) ، عام ١٩٧١م ، ص٤٦١- ص٤٧٠ ، عماد الدين خليل المقاومة الإسلامية للغزو الصليبى عصر ولاة السلاجقة فى الموصل ٤٨٩-٥٢١هـ / ١٠٩٥-١١٢٧م ، ط. الرياض ١٩٨١م، ص٩٦- ص١٠٨ .

٢- عن اغتياله انظر: ابن القلانسى ، المصدر السابق، ص١٨٧ ، ابن عساكر ، «ولاة دمشق فى العصر السلجوقى»، نشر صلاح الدين المنجد، مجلة المجمع العلمى بدمشق، م (٢٤) ، ج٤ عام ١٩٤٩م، ص٥٥١، سبط بن الجوزى، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، حيدر أباد الدكن ١٩٥٥م، ج٨ / ق١، ص٥٠- ص٥١ ، شاكر مصطفى ، «طغتكين رأس الأسرة البورية» مجلة كلية الآداب- جامعة الكويت، العدد (١) يونيو ١٩٧٢م ، ص٦١، عثمان عشرى، الاسماعيلية فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ١٣ م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م، ص٤٦٣- ص٤١٤ ، محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٥٥ .رشيد الجميلى ، المرجع السابق، ص٤٧٤-٤٧٥ .

عن الحروب الصليبية من منظور إسلامى لاتعترف بأن مودود كان من القادة المجاهدين[١] وأخذت الأمر على أنه صراع سياسى مفرغ من الجهاد، ومن الواضح أنها متأثرة برؤية المؤرخ الأمريكى جون لامونت John LaMonte الذى أنكر وجود جهاد إسلامى أصلاً فى عصر الحروب الصليبية ، وأتصور أنه على الرغم من الجهد الكبير المبذول فى كتابها (٦٤٨) صفحة، إلا أنها غير مهيأة لدراسة ذلك الموضوع الذى يتفهمه أكثر مؤرخ عربى مسلم يدرك ألف باء ذلك العصر ويقدم ذلك «المنظور» الذى حاولت تلك المؤرخة تقديمه ومن الملفت للإنتباه أن يتردد ذلك القول من مؤرخه أصدرت كتابها عام ١٩٩٩م، على الرغم من أن المؤرخ الرائد فنك Fink[٢] تناول ذلك الدور الجهادى منذ عام ١٩٥٣م وأقر به ورأى فى مودود أنه سابق لصلاح الدين الأيوبى نفسه .

على أية حال توالت رحلة حركة الجهاد الإسلامى إلى أن وصلت إلى مرحلة بارزة على يدى الأتابك عماد الدين زنكى[٣] الذى تمكن معه المسلمون من توحيد الموصل- حاضرة شمالى العراق- مع حلب - حاضرة شمالى بلاد الشام . وأستطاع استغلال الفرصة السانحة وقاد جيشه نحو حصار إمارة الرها الصليبية وتمكن من إسقاطها عام ١١٤٤م[٤]، وبالتالى كانت

١- وفى ذلك قالت ما نصه :

"It is not appropriate to give The Title Jihad to the Series of Campaigns (as, for example, Those of Mawdud of Mosul during The Years) 503-7 / 1110-13) Launched from The Seljuq east under Turkish commanders into Syria in The First Two decades of the Twelfth century , nor were these pan - Islamic activities . They were ill- assorted , heterogeneous, ephemeral illiances of rival Princelings and military barons - not True Coalition Forces - as such destined , on the whole to fail and dispere , Freeing Jerusalem had no Significance to Such rulers in this period ",

Hillenbrand , The Crusades, Islamic Prospectives , London 1999, p. 108 .

٢- أنظر مقالته السالفة الذكر.

٣- عنه أنظر : Alpetiken, The Reign of Zangi (521-541/ 1124-1146), Ataturk University , Erzurum 1978 .

وأفضل دراسة أكاديمية بالعربية عنه هى: عماد الدين خليل ، عماد الدين زنكى، ط. بيروت ١٩٧١م.

٤- عن فتح عماد الدين زنكى للرها أنظر:

أولى الإمارات الصليبية التى أقامها الغزاة هى أول إمارة تم إسقاطها ، والأمر المؤكد ؛ أن سقوط الرها كان من الداخل قبل الخارج [١]؛ إذ أن حاكمها جوسلين الثانى كان من الضعف على نحو لم تكن له نفس صفات والده جوسلين الأول، وقد غرق فى حياة اللهو والعبث على نحو مهد السبيل لضياع إمارته منه، وجاءت العوامل الخارجية وعلى رأسها الصراع بين امارتى الرها وأنطاكية ثم بسالة الجيش الذى قاده الأتابك المجاهد عماد الدين زنكى على نحو جعل من عام ١١٤٤م عامًا فارقًا فى تاريخ الصراع الإسلامى- الصليبى خلال القرن الأول من تاريخ الوجود الصليبى فى المنطقة[٢].

= ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٧٩ ، ابن الأثير ، الباهر ، ص٦٨ ، ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص٢٧٨- ص٢٧٩ ، بغية الطلب فى تاريخ حلب - القسم الخاص بتراجم السلاجقة ، تحقيق على سويم، الجمعية التاريخية التركية، ط. أنقرة ١٩٧٦م، ص٢٧٢، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج١ ، ص٢٤١ ، ابن القلانسى، ط. القاهرة ١٩٣٥م، ج١٢ ، ص١٩ ، اليافعى ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٣، ص١٧٥ ، محمد محمد عبد الحميد فرحات ، «الخلافات بين الصليبيين وأثرها على الوجود الصليبى فى بلاد الشام فيما بين الحملتين الأولى والثانية »، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية (٥١) ، ٢٠٠١ / ٢٠٠٢م، ص١٨٣ ؛ عليه الجنزورى ، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص٢٩٥ - ص٣١٢ ، جون لامونت، «الحروب الصليبية والجهاد » ، ضمن كتاب دراسات إسلامية ت. نقولا زيادة ، ط. ببروت ١٩٦٨م، ص٢٦٩- ص٢٧٢ ، محمد مؤنس عوض ، «فكرة الجهاد الإسلامى فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية »، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٢٦٩-٢٧٢ ، العروسي المطوى، الحروب الصليبية فى الشرق والغرب ، ط. تونس ١٩٥٤م، ص٤٥ .

Gibb, "Zengi and The Fall of Edessa", in setton , A History of the Crusades, vol . I, p. 461 .

Cahen , La Syrie du nord, pp. 366-371 .

Heard, The Dominance of the east, London 1968 , p. 86 .

١- أفضل تحليل للعوامل الداخلية والخارجية نجده لدى : عليه الجنزورى، إمارة الرها الصليبية ، ص٢٩٥- ص٣١٢ .

٢- على الرغم من ذلك رأى أ.د. شاكر مصطفى رأيًا لا أشاركه فيه ونصه «يبدو من استعراض تاريخ زنكى وماضيه أنه كان أميراً مغامراً أكثر من صاحب مبدأ . ونهازاً للفرص أكثر من رجل عقيدة ، ولم يكن ذلك بسبب استخدامه الغدر ونكث العهود ، ولابسبب المظالم التى أوقعها فى الناس - وهى كثيرة- ولكن لأنه أيضًا كان يتطلع فى الأناة بحثًا عن فرصة تزيد فى سيطرته »، أنظر : شاكر مصطفى ، صلاح الدين

جدير بالذكر ، أن حركة الجهاد الإسلامى بذلك تكون قد تطورت منذ البدايات الأولى التى عجزت عن تحقيق تغير حقيقى على توزيعات القوى السياسية لصالح المسلمين إلى أن وصلت إلى مرحلة إسقاط إمارة صليبية فى صورة الرها ، ويلاحظ أن المسلمين منذ ذلك الحين، أدركوا أن القضاء على ذلك الكيان الدخيل من الممكن أن يتحقق وأنه لايوجد هناك أمر مستحيل فى صراعهم مع أعدائهم.

لقد نتج عن إسقاط الرها فى قبضة المسلمين أن انتهى دور تلك الإمارة الحاجزة بين كل من سلاجقة آسيا الصغرى وسلاجقة العراق وكذلك فارس [1]، وبعبارة أخرى ؛ توقف دور محطة الانذار المبكر الصليبية ، وزاد الضغط بالتالى على الكيانات الأخرى المرتبطة بالساحل الشامى وكذلك السهل الساحلى خاصة مع تنامى حركة الجهاد وارتباطها بقضية توحيد جهود المسلمين لمواجهة العدوان الصليبى. وبعبارة أخرى تم إسقاط رأس البلطة الصليبية ولم يبق سوى ذراعها فى صورة بلاد الشام سواء فى مناطق الساحل أو الظهير .

من بعد ذلك لم يكن من الممكن للغرب الأوروبى الذى منه نبعت الحركة الصليبية أن يقف مكتوف الأيدى فى مواجهة الأحداث العاصفة التى حدثت فى أعالى الفرات وأثرت بالضرورة على الكيان الصليبى عمومًا فيما أطلق عليه الشرق اللاتينى Latin Orient ولذلك قامت

= الفارس المجاهد والملك الزاهد المفترى عليه ، ط. دمشق ٢٠٠٣م، ص٢٢ على الرغم من أنه عاد فى ص٢٧ ، ليقول : «لم يكن نور الدين يشبه أباه فى شئ إلا فى الشجاعة والاندفاع للجهاد» ، مما جعله يقع فى تناقض واضح.

١- سوسن محمد نصر ، «منطقة الجزيرة الفراتية ، والوحدة فى القرن السادس الهجرى» مجلة الشرق الأوسط، جامعة عين شمس العدد ، (٧) ، عام ١٩٩٠م، ص٩٨ .

ويلاحظ أن المستشرق الأمريكى جون لامونت John La Monte حرص على القول بأن عماد الدين زنكى لم يكن من قادة الجهاد الإسلامى وأن استيلاء على الرها كان من خلال دوافع سياسية ، وقد أمكن الرد عليه مفصلاً ، انظر رأيه : جون لامونت ، «الحرب الصليبية والجهاد» ، ضمن كتاب دراسات إسلامية ، ت. نقولا زيادة ، ط. بيروت ١٩٦٨م، ص١١٢ .

والرد عليه تجده فى : محمد مؤنس عوض، «فكرة الجهاد الاسلامى فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية» ، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، ص٢٦٩- ص٢٧٢ .

الحملة الصليبية الثانية[1] (١١٤٧-١١٤٩م) التى دعا إليها القديس برنارد دى كليرفوه Bernard de Clairvaux [2]، وشارك فيها كل من الامبراطور الألمانى كونراد الثالث Conrad III (١١٣٨-١١٥٢م) والملك الفرنسى لويس السابع Louis VII (١١٣٧-١١٨٠م) وعلى الرغم من الآمال العريضة التى علقت عليها إلا أنها بدلاً من أن تأتى لإسترداد الرها ؛ إذا بها تحاصر دمشق ! التى كانت متحالفة أصلاً مع مملكة بيت المقدس الصليبية ودلّ هذا على قصر نظر الصليبيين ، وعدم إحترامهم العهود والمواثيق التى كانوا يقطعونها على أنفسهم مع جيرانهم المسلمين ، وقد قاومت دمشق - العاصمة الجغرافية والتاريخية لبلاد الشام- الغزاة مقاومة بطولية حفظها لها التاريخ فى مرحلة مؤثرة تعد من أصعب المراحل التى مرت بها خلال تاريخها خاصة خلال حقبة العصور الوسطى .

١- عن الحملة الصليبية الثانية انظر:

Bernard of Clairvaux , The Letters of St. Bernard of Clairvaux , Trans. by Bruno Scott James, Institute of Cistercian Studies , Western Michegan University 1998, p. 274, p. 288 .
William of Tyre, vol . II, pp. 163-194 ,
Anonymous , The First and second Crusades , pp. 298-299 ,
Odo of Deul, De Profectione Ludovici VII in Orientem , ed. V. Giuyerick Berry , New York 1948 , pp. 7-143 .

ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٩٨- ص٣٠٠ .

Berry , " The Second Crusade ", in Setton, A History of the Crusades " vol. I , pp. 463-512 ,
Philips and Hoch (eds.), The Second Crusade, Scope and Consequences , Manchester 2001.

قتيبة الشهابى ، صمود دمشق أمام الحملات الصليبية ، ط. دمشق ١٩٩٨م ، عبد السلام زيدان، الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧-١١٤٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة جنوب الوادى ، عام ٢٠٠٠م، وهى أطروحة ممتازة ، نعيمه محمد ابراهيم ، آسيا الصغرى والحروب الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ٢٠٠١م، ص١٧٤- ص٢٠٦ ، جيرار ديجورج ، دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية ، ت. محمد رفعت عواد، ط. القاهرة ٢٠٠٦م ص١٥٠ ، مكسيموس مونروند، تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق المدعوة بحرب الصليب ، ت . كيريوكيديو ، ط. اورشليم ١٨٦٥م، ص٤٣ .

٢- عنه أنظر :

وهكذا ، فشلت الحملة الصليبية الثانية على الرغم من الإمكانات المادية والبشرية الكبيرة التى أنفقت من أجل الإعداد لها ، وكذلك كم الدعاية الصليبية التى صاحبتها ليدخل الصليبيون من بعدها فى مرحلة جديدة من خلال النتائج المتعددة التى نجمت عن إخفاق تلك الحملة.

فمن الملاحظ أن النقد الذاتى الصليبى بدأ على نحو واضح من بعد أحداث الصليبية الثانية، واتجه قطاع من الصليبيين للتساؤل عن أسباب إخفاق تلك الحملة التى شارك فيها كبار أباطرة وملوك أوربا، ووصل الأمر بالبعض إلى حد التساؤل عن مدى جدوى المشروع الصليبى ذاته ، ويلاحظ هنا أنه مع كل إخفاق حل بالغزاة ؛ زاد لديهم التساؤل عن جدوى ذلك المشروع الأوروبى فى العصور الوسطى بطبيعته العسكرية الواضحة والذى كلف أوربا نفسها كمًا كبيراً من القتلى والجرحى والأرامل، والأيتام [١]. على مدى قرنين كاملين من عمر الزمان.

من جهة أخرى؛ تأكد للباحثين أن الحملة الأولى هى التى صاحبها النجاح نظراً للظروف والملابسات السالفة الذكر ، وها هى الحركة الصليبية بعد نصف قرن من ميلادها تعجز عن تحقيق أى نجاح أبعد مما حققته الحملة الأولى على الرغم من أن من اشترك فيها مجموعة من الأمراء، وليس الملوك والأباطرة والتعليل الرئيسى لذلك يتمثل فى أن هناك تغيرات حدثت

Bernard of Clairvaux, The Letters of St. Bernard of Clairvaux, Trans . by Bruno Scot- = James, Institute of Cistercian Studies, Western Michegan University 1988 ,
Vacandard, Vie de Saint Bernard abbé de Clairvaux , Paris 1895 , pp. 227-249 ,
Evans, The Mind of Bernard of Clairvaux , London 1983 ,
De Brower , Saint Bernard homme d'Eglise , Paris 1953 , pp. 47-57 .

١- عن ذلك أنظر:

William Rutebeuf , in Masson , Medieval France From The reign of Hugues Capet to the Beginning of the Sixteenth century , London 1888, pp. 96-97 .

وعن الرأى العام المضاد للصليبيات أنظر:

Throop, Criticism of the Crusade: A Study of Public Opinion and Crusade Propaganda, Amesterdam 1940 .

وتعد أهم دراسة فى موضوعها على الرغم من مرور ٦٧ عامًا على تأليفها .

على أرض الواقع من خلال عدم ترتيب الصليبيين لأولوياتهم فى صدامهم مع المسلمين كذلك فإن أطماعهم التى لم تكن تحد جنت عليهم خلال تلك المرحلة من تاريخهم ، لقد توهموا أن القضاء على دمشق من الممكن أن يحقق لهم مكاسب كبرى إقتصادية تجارية وأخرى وسياسية وبالتالى أرادوا الاستفادة من الدعم الأوربى القادم من وراء البحر المتوسط من أجل إختصار الطريق للإنتصار النهائى بإخضاع عروس الشام، ومن هنا يمكننا القول بأن صمود دمشق فى مواجهة تلك الحملة ؛ أدى إلى تغيير تاريخ المنطقة لنحو قرن ونصف من عمر الزمان دونما أية مبالغة ، مع عدم إغفال التطورات السياسية المتعددة وكذلك القوى الأخرى الداخلة فى حلبة الصراع الإسلامى- الصليبى، وغنى عن البيان أن عجز الغزاة عن إخضاع دمشق وكذلك القاهرة فيما بعد كان نقطة فاصلة فى تاريخهم، وهكذا، قامت المدينتان الشقيقتان التاريخيتان دمشق والقاهرة بدور الدرع والمصد فى وجه الحركة الصليبية.

لقد نتج عن الحملة الصليبية الثانية ، أن ظل الوجود الصليبى فى نطاقه الجغرافى المعتاد بعد إسقاط الرها وعجز الصليبيون عن توسيع حدود كيانهم نحو الشرق وبالتحديد فيما وراء مرتفعات الجولان[1] الاستراتيجية ، ويلاحظ أن الحدود الجغرافية للصليبيين على مدى المرحلة الواقعة من إخفاق الصليبية الثانية إلى نهاية تاريخهم فى المنطقة لن يتطور وتمتد سواءً فى بلاد الشام أو فى الشقيقة الجغرافية والتاريخية مصر جنوبًا بل إنها ستتعرض للإنكماش

١- الجولان إسم يطلق على الأراضى المرتفعة الممتدة من حوران والمجرى الأعلى للأردن وهى من العربية جال والمقصود بها منطقة التجول والتنقل وقيل أن الرياح كانت تجول فيها ، وأحتل ذلك الموقع أهمية استراتيجية من خلال أنه يطل على دمشق ثم أنه منه تنبع الأنهار المتجهة إلى فلسطين.

عن التحديد الجغرافى لها انظر:

عبدالله الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية فى الأسماء الجغرافية السورية استناداً للجغرافيين العرب ، ط. بيروت ١٩٩٩م، ص٢٠٣ ، أحمد محمود الحسن، الجولان تاريخ وجذور دراسة جغرافية - سياسية - ثقافية، ط. دمشق ٢٠٠٦م، ص٢٣- ص٢٨ ، تيسير خلف، الجولان فى مصادر التاريخ العربى حوليات وتراجم ، ط. دمشق ٢٠٠٥م، أديب سليمان ، الجولان دراسة فى الجغرافية الإقليمية ، ط. دمشق ١٩٨٣م.

وأود أن اغتنم هذه الفرصة للتأكيد على أن تلك البقعة العزيزة من الوطن السورى والوطن العربى عمومًا هى سورية الميلاد حتى آخر عمر الزمان وأى وجود غير سورى على ترابها سراب ولن يستمر وحتما ستعود الجولان إلى الوطن الأم سوريا العزيزة.

والتقلص كما ستخبرنا الصفحات التالية، وكل ذلك يؤكد بلا جدال فكرة على جانب محورى من الأهمية وهى أن عصر التوسع الصليبى امتد فقط على مدى أعوام قليلة للغاية ، وتحديداً من ١٠٩٧-١١١١م وذلك إذا ما لاحظنا أن التحديد المذكور يضع فى اعتباره تاريخ ميلاد الحركة الصليبية من فرنسا والامتداد إلى بلاد الشام ، وسيندهش القارئ عندما يلاحظ أن ١٤ سنة فقط هى التى حددت المعالم الجغرافية للكيان الصليبى وباقى القرنين ١٢ ، ١٣ م يمكن وصفهما بأنهما محاولات مستميتة لتوسيع رقعة الأملاك الصليبية دون جدوى ! وهو أمر يؤكد أن الانتصار الوحيد الذى أمكنهم تحقيقه فى الشرق ارتبط بالحملة الصليبية الأولى والتى لم يكن من الممكن استثمارها - من وجهة النظر الصليبية- نظراً لتنامى حركة الجهاد الاسلامى بصور متعددة وبالتالى اوقفت التوسع الصليبى عند الشرنقة الساحلية والسهل الساحلى فى بلاد الشام.

ولانغفل حقيقة مهمة، وهى أن من نتائج الحملة الصليبية الثانية ما كان له إنعكاسه الإيجابى على الجبهة الإسلامية ذاتها ؛ إذ أن نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكى الذى أخضع حلب من بعد اغتيال والده عام ١١٤٦م[١]، أدرك خطورة أن تكون دمشق تحت السيادة الصليبية ولذلك تطلع إلى ضمها لسيطرته منهياً بذلك حكم الأسرة ألبورية [٢] التى أسسها ظهير الدين طغتكين ، وبالتالى ؛ تمكن عام ١١٥٤م من توحيد حلب ، ودمشق لسيطرة سيد واحد سيتمكن من قيادة حركة الجهاد الإسلامى باقتدار خلال مرحلة من أخطر مراحلها فيما عرف بمرحلة توازن القوى Balance of Powers لكى يكون الإنتصار من بعد ذلك لصالح المسلمين وهو ما سيتم التعرض له تفصيلياً فيما بعد .

١- عن اغتيال عماد الدين زنكى أنظر:

ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٨٤-٢٨٥ ، ابن الأثير ، الباهر ، ص٧٤ ، ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص٢٨٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب، ج١، ص٩٨ ، عليه الجنزورى ، إمارة الرها الصليبية ، ص٣١٢- ص٣١٤ .

٢- عن الأسرة البورية أنظر:

ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص٢٧١ ، الذهبى ، العبر فى خبر من غبر ، ج٤ ، ص١٣٦ ، سمر زاهد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الدولة البورية (٤٩٨- ٥٤٩هـ / ١١٠٣-١١٥٤م) ،

أما صلاح الدين الأيوبى - موضوع هذا الكتاب- فنعرف أنه فى الأصل من عناصر الأكراد الذين ارتبطوا بمنطقة كردستان وولد عام ١١٣٧م ، ونعرف أنه ارتبط ببلدة دوين[١] وهى من نواحى ارّان فى آخر حدود أذربيجان بالقرب من تفليس ، وقرر ياقوت أن منها ملوك الشام بنو أيوب ، ويلاحظ أن كافة أهل تلك البلدة من عناصر الأكراد الروادية الذين وصفوا بأنهم من بطون الهذبانية، وهم من أشرف الأكراد[٢] ويقرر المقريزى أنه لم يجر على أحد منهم إسترقاق [٣].

= رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة دمشق عام ١٩٩٠م، وفاء محمد على ، الدولة البورية ودورها فى عصر الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٨٤م، شاكر مصطفى، طغتكين رأس الأسرة البورية »، مجلة كلية الآداب- جامعة الكويت، العدد (١) ، عام ١٩٧٤م، السيد الباز العرينى، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ج١، ص٥٩٥ ، ستانلى لين بول ، تاريخ الدول الإسلامية، ت. أحمد السعيد سليمان، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص.٥٤٠، زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى، ت. زكى حسن وحسن محمود وآخرون، ط. القاهرة ١٩٥١م، ج١، ص٤٦ .

Al. Zanki, The Emirate of Damascus in the Early Crusading Period (488-549 / 1095-1154), Ph . D. Thesis St. Andrew University 1989 ,

Alptekin , Dimask A Tabegligi (tog- Teginliler), Istanbul 1985,

Oman , A History of the Art of war in the Middle Ages, vol .I, London 1924 , p. 256- note (1) ,

Alptekin, Dimask A Tabegligi (tog- Teginliler), Istanbul, 1985 .

١- وقعت دوين فى الطرف الجنوبى الغربى من بلاد أذربيجان عنها أنظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ط. بيروت ١٩٩٧م، ج٢، ص٣٢٨- شاكر مصطفى، صلاح الدين، ص٣٨ .

أنظر أيضًا : سعيد عاشور، «المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية »، ضمن كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ الإسلام وحضارته، ط. القاهرة ١٩٨٧م، ص٤١١ .

٢- ابن الأثير ، الكامل، ج١١، ص٣٤١ .

Minoresky , " Pre- History of Saladin" , in Studies in Caucasian History , London 1953 , p. 130 .

شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص٣٧ ، سيار الجميل، النسر الأحمر صلاح الدين الأيوبى التجربة والتكوين ، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص٩٨ .

٣- السلوك، ج١ / ق١ ، ص١٤٨ .

ومع ذلك ، وجد إتجاه لدى بعض الأيوبيين حاول أن يربط نسبهم بالدم العربى خاصة بنى أمية، ونجد ذلك لدى المعزّ بن سيف الإسلام أبا الفدا إسماعيل بن طغتكين بن أيوب ملك اليمن (١١٩٧-١٢٠٢م) إلا أن صلاح الدين الأيوبى نفسه أنكر ذلك الأمر [١]، وفى هذا الدليل الوضّاح على عدم صحة ذلك .

ومن بين قبائل الأكراد ظهر زعيم فى صورة شادى والد كل من نجم الدين أيوب ، وأسد الدين شيركوه ، ويلاحظ أن والد صلاح الدين وهو نجم الدين أيوب هاجر مع الأسرة إلى تكريت وتم تعيينه مستحفظًا بها من جانب بهروز متولى شحنة بغداد أما عمه أسد الدين شيركوه فقد أظهر كفاءة حربية حيث تألق نجمه فى جيش عماد الدين زنكى [٢].

وهناك من يقرر أن الأخوين فرا إلى الموصل حاضرة شمالى العراق، وذلك مبعثه إما مروءة نجم الدين وأخيه الأصغر أسد الدين فى تلقى عماد الدين زنكى الذى فر بعد أن هزم من جانب جيش الخليفة العباسى حينذاك وقد سهلا له عبور نهر دجلة وتم تقديم مساعدات له إلى أن وصل إلى الموصل [٣]، أو أن يكون سبب ذلك أن أسد الدين فتك بأحد مماليك بهروز صاحب شحنة بغداد وقد خشيا من العواقب ، فأتجها إلى الموصل حيث يقيم عماد الدين زنكى، وقد اكرمهما الأخير إعترافًا بجميلهما عام ١١٣٧م[٤].

ومن المفارقات ، ما روى من أن يوسف صلاح الدين الأيوبى قد ولد فى نفس الليلة التى غادر فيها أهله تكريت [٥]، ولذلك تشاءم البعض من ذلك المولود الذى قدم فى تلك الظروف العابسة ، دون أن يدرى أحد ما سوف يرتبط به من أحداث جسام !!!.

١- ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج٧ ، ص١٤١ .

أيضًا : محمد سهيل طقوش، ط. بيروت ١٩٩٩م، تاريخ الأيوبيين فى مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة ، ص١٦ .

٢- شاكر مصطفى ، صلاح الدين ، ص٣٨ .

٣- ابن الأثير ، الباهر، ص٤٥- ص٤٦، ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص١٥٥، شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص٣٨ .

محمد مؤنس عوض ، فى الصراع الإسلامى – الصليبى – السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص٥٧ .

٤- شاكر مصطفى، المرجع السابق، ص٣٨ .

زاهيه الدجانى، الناصر صلاح الدين الأيوبى قاهر الصليبيين فى حطين، ط. بيروت ٢٠٠٣م، ص٣٥ .

٥- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٦ ، محمد رجب البيومى ، صلاح الدين الأيوبى، ص٤٤ .

ويمكن القول، أن ذلك القائد منذ طفولته وصباه ولد فى قلب الأحداث السياسية والحربية الصاخبة بين المسلمين والصليبيين ولذلك فهو ابن عصر الحروب الصليبية بكافة أحداثه وتداعياته، ولاتغفل أن الأصل الكردى- حيث عرف عن الأكراد قوة الشكيمة ، والشجاعة والقدرة على مواجهة التحديات[١]- وكان لذلك أثره فى تكوين شخصيته ولاتغفل أن عناصر الأكراد إندفعت للاستقرار فى بلاد الشام[٢] وسيكون لهم شأن بارز فى الأحداث التى شهدتها المنطقة[٣].

ويلاحظ أن هناك حادثة محورية أثرت فى نفسيته منذ حداثة عمره ، إذ أن شقيقه الأكبر شاه شاه قتل خلال أحداث الحملة الصليبية الثانية، وأثناء حصار دمشق عام ١١٤٩م[٤]، ولاريب فى أن تلك الحادثة كان لها دورها فى تكوين شخصيته خاصة أن أحداث مرحلة الطفولة والصبا لاتمحى من الذاكرة وتؤثر فى سلوك الأفراد سواءً من القادة أو من العامة.

وفيما بعد ، اتصل وهو شاب بنور الدين محمود ابن عماد الدين زنكى وعمل لديه فى

١- عن الأكراد وأصولهم وأخلاقهم أنظر: ارشاك بولاديان ، الأكراد من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادى وفق المصادر العربية، ط. دمشق ٢٠٠٤م، مسألة أصل الأكراد فى المصادر العربية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط. أبوظبى ٢٠٠٤م، حامد محمود عيسى، المشكلة الكردية فى الشرق الأوسط ، ط. القاهرة ١٩٩٢م، توماس بوا، تاريخ الأكراد ، ت. محمد تيسير ميرخان، ط. دمشق ٢٠٠١م، محمد فتحى الشاعر ، الأكراد فى عهد عماد الدين زنكى ٥٢١- ٥٤١ هـ / ١١٢٧-١١٤٦م ، ط. القاهرة ١٩٩١م، ص٥- ص٢٨ ، بسام العسلى، صلاح الدين ، ط. بيروت ١٩٧٨م، ص١٦ .

٢- الحريرى، الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام، ص٢٨ ، محمد محمد مرسى الشيخ ، الإمارات العربية فى بلاد الشام فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر، ط. الاسكندرية ١٩٨٠م، ص٤٥٢ ، محمد مؤنس عوض ، فى الصراع الإسلامى الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية، ص٢٥١ .

٣- ابن قاضى شهبة ، الكواكب الدرية، ص١٤٧ ، محمد مؤنس عوض، المرجع السابق، ص٢٥٩ .

٤- جمال الدين الشيال ، «شاعر من البيت الأيوبى يموت فى سن الشباب» ، ضمن كتاب دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ط. بيروت ١٩٦٤م، ص٥٨ .

رئاسة شرطة دمشق[١] (الشحنكية) وبالتالى نائبا لواليها[٢] وقد أكسبه ذلك خبرة عريضة ، ودعم لديه حسه الأمنى وهو أمر سيعينه عند التعامل مع كم كبير من المؤامرات من جانب أعدائه- وما أكثرهم، فى مصر وبلاد الشام وشمالى العراق وهو ما ستوضحه الصفحات التالية.

ذلك عرض عن تطور الحركة الصليبية حتى منتصف القرن ١٢م، وكذلك ميلاد ونشأة صلاح الدين الأيوبى ، أما دوره خلال المرحلة المصرية فهو أمر سيوضحه الفصل التالى .

١- ابن قاضى شهبة، الكواكب الدرية ، ص١٤٧ ، محمد مؤنس عوض ، فى الصراع الإسلامى- الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية، ص٢٥٩ .

ويلاحظ أن الشاعر عرقلة الكلبى (ت ١١٧١م) قال فى امتداح صلاح الدين خلال تلك المرحلة أبياتًا أوردها العماد الأصفهانى هى:

رويدكـم يا لصـوص الشـام	فـإنى لكم ناصح فى مـقـال
وإياكم عن سـمـى النبـى	يوسف رب الحجى والجمـال
فـذاك مـقطع أيدى النسـاء	وهذا مـقطع أيـدى الرجـال

عن ذلك انظر:

سبط بن الجوزى، مرآة الزمان، ق١ / ج١ ، ص٤١٣، ابن قاضى شهبة ، المصدر السابق ، ص١٤٧ .

٢- شاكر مصطفى، صلاح الدين، ص٦٧ .

الفصل الثانى

المرحلة المصرية وآثارها

يتناول هذا الفصل بالدراسة ؛ المرحلة المصرية فى تاريخ صلاح الدين الأيوبى، وأهم النتائج التى نتجت عنها على نحو عكس أهميتها الخاصة .

وتجدر الإشارة إلى أن تلك المرحلة تعد فارقة وحاسمة فى تكوين ذلك القائد وتهيئته على مسرح الأحداث وكان لها دورها البارز فى صياغة رؤيته السياسية والعسكرية فى قضايا الصراع بين المسلمين والصليبيين.

والواقع أن الفاطميين كانوا قد أعلنوا خلافتهم فى بلاد المغرب وذلك فى عهد المهدى ٩١٠-٩٣٤م ، وتوالى من بعده القائم ٩٣٤-٩٤٦م ثم المنصور ٩٤٦-٩٥٣م ، وفى عهد المعز لدين الله ٩٥٣-٩٧٥م، اتجهوا شرقًا من أجل ضم مصر[1]؛ نظرًا لموقعها الاستراتيجى وامكاناتها الاقتصادية ، وحتى يتمكنوا من توسيع نطاق المذهب الشيعى الإسماعيلى وأيضًا من أجل الإنطلاق من مصر نحو مواجهة العدو التقليدى لهم فى صورة الخلافة العباسية فى بغداد ، وبالفعل تمكن الفواطم من دخول مصر وتم تشييد عاصمة جديدة فى صورة القاهرة التى صارت منافسة لبغداد ، وتوالى حكم الخلفاء الفاطميين مع ملاحظة أن هناك العصر الفاطمى الأول ؛ وهو عصر القوة السياسية للخلفاء، وكان الوزراء مجرد وزراء تنفيذ لأوامر الخليفة ،

١- من المهم هنا الإقرار بأن الفاطميين كانت هناك خصومات بينهم وبين العباسيين، كما كانت أيضًا خصومات بينهم وبين الأمويين فى الأندلس وعند المقارنة بين الأمرين يتضح أن الصراع مع العباسيين اعتبر أشد وأنكى ولذا كان الاتجاه نحو الشرق ولاريب فى أن الاستيلاء على بغداد وإسقاط خلافتهم كان بمثابة الهدف الأكبر للشيعة عن ذلك انظر:

حسن محمود ومنى حسن محمود، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة ، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص١٦٦ .

ومن بعد ذلك كان العصر الفاطمى الثانى الذى تغيرت فيه الأوضاع تماماً ، وقد أدت الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى حلت بمصر فى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله -والتى امتدت من ١٠٦٥- ١٠٧١م[١] إلى إحداث تغيرات مهمة لم تشهدها الدولة الفاطمية من قبل وأثرت على مستقبل أيامها فيما بعد.

فيلاحظ أن الخليفة المذكور طلب العون من بدر الجمالى حاكم عكا[٢] الذى قدم إلى مصر واتخذ بالفعل إجراءات ناجحة ، ومع نجاحه تزايد نفوذه بعد أن فوض له الخليفة أمر القيادة فصار صاحب السلطة الفعلية فى البلاد [٣]، وكان ذلك بمثابة إفتتاح العصر الفاطمى الثانى، حيث ظهر دور بارز للوزراء العظام، وتزايد خلال ذلك أمر الصراع على السلطة ومعه الإضمحلال، وسفك الدماء على الرغم من تنامى التحديات الخارجية .

وهكذا ، ففى عام ١١٤٩م توفى الخليفة الحافظ فخلفه إبنه الظافر ، واستبد فى عهده بالسلطة الوزير العادل ابن السلار [٤]، وقد قتل الظافر (١١٤٩-١١٥٤م)

١- عن الشدة المستنصرية انظر: المقريزى ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق-محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ص٢٤- ص٢٧ ، محمد حسين محاسنة ، «الشدة العظمى وأثرها فى مصر فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى»، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، م (١٢) ، العدد (١) ، تشرين الأول ١٩٩٧م، ص٢٣٥- ص٢٥٩ ، عبد المنعم ماجد، الامام المستنصر بالله الفاطمى ، ط. القاهرة ١٩٦١م ، ص١٥٦- ص١٥٧ ، أحمد عبد الرازق ، «عقد مراجعة من العصر الفاطمى» ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، م (٢)، لعام ١٩٨٣م، ص٢٨- ٣١ ، أحمد سويلم ، «مصرية تقود ثورة النساء والرجال من أجل الخبز»، من كتاب عظماء أضفلهم التاريخ ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٨٢-٨٧ .

٢- عنه انظر المقريزى ، إتعاظ الحنفا ، ج٢ ، تحقيق محمد حلمى محمد، ط. القاهرة ١٩٧١م، ص٢٦٨- ص٢٧٠، ص٢٧٢ ، يوسف غوانمة ، «الأفضل بن بدر الجمالى وموقفه من الحملة الصليبية الأولى» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الملك سعود ، م (١٠) ، لعام ١٩٨٣م، ص٧٢- ص٧٣ ، عصام عبد الرؤف ، معالم التاريخ الإسلامى، ط. القاهرة ب-ت ، ص٢٤٦ .

٣- السجلات المستنصرية ، تحقيق عبد المنعم ماجد، ط. القاهرة ١٩٥٤م، ص١١١ .

٤- سعيد عاشور ، الناصر صلاح الدين الأيوبى، ط. القاهرة ١٩٦٥م، ص٦١ ، «شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية»، المجلة التاريخية المصرية، م(١٦) ، عام ١٩٦٩م ، ص٤٤ .

عــام ١١٥٤م[١]، سراً وهو لايزال شابًا يافعًا فتولى من بعده الفائز (١١٥٤-١١٦٠م) ، وقتل الأخير عـام ١١٦٠م[٢]، وقد سيطر على دولته الوزير الصالح بن رزيك الذى وصف بأنه كـان «صاحب مصر»[٣]، ومن بعده تولى العاضد (١١٦٠-١١٧١م) الذى صار مجرد واجهة بينما السلطة الفعلية فى يد الوزير الصالح الذى زوج العاضد ابنته ، ليدعم نفوذه السياسى غير أن الخليفة تمكن من قتل وزيره[٤]، وهكذا ، نافست الخلافة الفاطمية فى عصر الوزراء العظام الإمبراطورية البيزنطية فى الصراع الدموى على السلطة السياسية على مدى تاريخها الذى تجاوز خمسة أضعاف تاريخ الفاطميين ، فإذا أضفنا إلى ذلك كله ؛ التناحر بين فئات الجيش الفاطمى المختلفة؛ أدركنا ما آلت إليه تلك الخلافة من وهن بالغ فى وقت كان العدو الصليبى يتربص بها على حدودها الشرقية فى بلاد الشام وهى لاتستطيع له دفعًا .

وقد لاحظنا من قبل كيف أن الغزاة تمكنوا عـام ١١٥٣م من السيطرة على عسقلان

١- أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى، ط. بيروت ١٩٨١م، ص٢٠ ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء، ط. القاهرة ب-ت ، ص١٧٦، الذهبى ، دول الإسلام ، ج٢ ، تحقيق شلتوت ومصطفى إبراهيم، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ص٦٥ .

وعن الاغتيالات بصفة عامة فى العصر الفاطمى انظر: محمد محمود الناخلى، الاغتيالات السياسية فى مصر فى عصر الدولة الفاطمية ٣٥٨- ٥٦٧هـ / ٩٦٩- ١١٧١م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ٢٠٠١م.

٢- ابن الجوزى ، المنتظم فى تاريخ الأمم، ط. حيدر أباد الدكن ١٣٨٩هـ ، ج١٠، ص١٩٦ ، الذهبى، المصدر السابق، ج٢، ص٧١ .

Lane- Poole, Hist . of Egypt in The Middle Ages, London 1901, p. 175-176 .

٣- أبوشامة ، الروضتين ، ج١ / ق٢، ص٣٦٦، المقريزى إتعاظ الحنفا ، ج٣، ص٢٢٤ .

٤- ابن ظافر الأزدى، أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق أندريه فرييه، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص١١٢ .

Ascalon[١]، وبالتالي افتقد الفواطم آخر قواعد لهم في بلاد الشام، وجاءت نهاية لنصف قرن من الزمان تهاوت فيها المعاقل الفاطمية الواحدة تلو الأخرى.

مهما يكن من أمر ، تولى عرش مملكة بيت المقدس الصليبية الملك عموري الأول[٢] (١١٦٣-١١٧٤م) الذي وصفه ابن الأثير بأنه لم يكن للصليبيين «منذ خرجوا إلى بلاد الشام مثله شجاعة ومكراً ودهاءً»[٣] وأثرت مقوماته الشخصية على مجريات الأحداث[٤]؛ إذ كان شاباً طامعاً في أملاك المسلمين ولم يكن ليرضى عن أوضاع الإمارات الصليبية في بلاد الشام

١- وقعت عسقلان على بعد ١٢ ك.م إلى الشمال من غزة على الساحل الفلسطيني ، عنها أنظر: اليعقوبي ، كتاب البلدان، تحقيق دي جريه، ط. ليدن ١٩٦٧م، ص١٢٩ ، ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان تحقيق دي جريه، ط. ليدن ١٨٨٢م، ص١٠٣ ، الهروي ، مقتطفات من رحلته ، نشر تشارلز شيفر Charles Schefer A.O.L., T.I, Année 1881, 608. ، الادريسي، نزهة المشتاق، ج٤ ، ص٣٣٧ ، ياقوت معجم البلدان، تحقيق وستنفيلد ، ط. ليبسك ١٨٨٩م ، ج٣، ص٦٧٢- ص٦٧٣ .

Theoderich, Description of The Holy Land, Trans. by Huart, P.PT.S., vol . V , p. 55 .

وعن سقوطها في قبضة الصليبيين أنظر: ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٠٨ ، ابن الأثير، الكامل ، ج١١، ص٧٧ ، الباهر ، ص١٠٦ ، العماد الأصفهاني ، تاريخ دول آل سلجوق، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص٢٢٥ ، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق سامي الدهان، ط. دمشق ١٩٦٢م، ج٢، ص١٥٨- ص٢٦٠، سالم والعبادي، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، ط. بيروت ١٩٧٢م، ص١٠٨ ، إرنست باركر ، الحروب الصليبية ، ت. السيد الباز العريني، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص٩٨ .

Mayer, The Crusades, p. 115

Pernoud, The Crusades, London 1962 pp. 137-144 .

٢- يسميه المقريزي «مري» أنظر:

المقريزي المقفى، مخطوط بدار الكتب المصرية ج(١) ورقة (٢٩١) .

٣- الباهر ، ص١٣٧ .

٤- عن شخصيته أنظر: William of Tyre , vol . II, pp. 296-298 .

وسعى نحو تدعيم ملكه، وتحقيق أحلام التوسع الإقليمى على حساب مناطق المسلمين، وعلق الآمال الكبار على الدعم العسكرى الأوربى والبيزنطى لمشاريعه المرتقبة صوب مصر [١]، ومما ساعده على إدراك أهميتها وتوجيه نشاطه صوبها أنه عمل كونتا على يافا، وعسقلان[٢]، ومن ثم أدرك عن كثب أهمية تأمين الحدود الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية.

ويلاحظ أن الأطماع الصليبية صوب مصر فى عهد الملك عمورى؛ مثلث مرحلة جديدة من مراحل الأطماع الصليبية حيالها[٣]، فمن قبل هاجم الصليبيون - كما أشرنا - الأملاك الفاطمية فى بلاد الشام، أما الآن؛ فهم يتوغلون فى مصر حتى أن القاهرة نفسها لم تسلم من تهديداتهم على نحو لم تكن له سابقة من قبل، والأمر المؤكد أن الضعف والهوان الفاطمى هو الذى أوصل حكام الصليبيين إلى المزيد من الأطماع المتنامية حيالها .

وبصفة عامة، فمن قبل إحتدام الصراع الوزارى فى مصر الفاطمية، أظهرت مملكة بيت المقدس الصليبية أطماعها سافرة، وهدد الملك بلدوين الثالث Baldwin III (١١٤٤-١١٦٢م) فى عام ١١٦٠م بغزوها منتهزاً اضطراب أوضاعها ووفاة الخليفة الفائز، ولكنه عاد عن ذلك بعد وعد الوزير طلائع بن رزيك نيابة عن العاضد . تقديم إتاوة سنوية قدرها مائة وستون ألف دينار[٤]، ولكن يبدو أن تلك الاتاوة لم تدفعها الخزانة الفاطمية؛ إذ أن المؤرخ الصليبى وليم الصورى William of Tyre يؤكد أنها لم تدفع

١- Stevenson, The Crusaders in The east, Beirut 1962, p. 185 .

٢- William of Tyre vol. II, p. 279 Elisseff , Nur Ad - Din, un grand Prince Musulman au Temps des Croisades, T . II, Damas 1967 , p. 569-570 .

٣- عن مطامع الصليبيين تجاه أرض الكنانة أنظر: ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٣، ص٢٥٨ ، محمد مصطفى زيادة، مصر والحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٤٢م، ص٧-٨ ، سعيد عاشور ، أضواء جديدة على الحروب الصليبية ص٦٨ ، أحمد مختار العبادى، قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص١٠١ ، حامد زيان، العلاقات بين صقلية ومصر والشام إبان الحروب الصليبية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٣م، ص١٠٦ ، محمود الحويرى ، العادل الأيوبى صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية ، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص٩٠- ص٩١ .

٤- محمود سعيد عمران ، الحملة الصليبية الخامسة، ط. الاسكندرية ١٩٧٨م، ص٤٩ .

أبداً[١] ، واتخذ عمورى من ذلك ذريعة لمهاجمة مصر عام ١١٦٣م، فأتجه الوزير ضرغام إلى إستخدام سلاح المياه بأن قام بفتح قنوات النيل على الجيش الصليبى ، فأغرق قسماً من الدلتا واضطر الصليبيون إلى الإنسحاب دون تحقيق مكاسب عسكرية أو سياسية حقيقية[٢].

ومن الجلى البين، أن الانقسام الداخلى والصراع الوزارى ساعد نور الدين محمود فى دمشق على التدخل العسكرى فى شئون مصر الفاطمية- على نحو سيؤدى إلى بروز دور صلاح الدين الأيوبى- فقد تولى الوزارة شاور بن مجير السعدى[٣]، وساءت أوضاع البلاد فى ظل وزارته، فخرج عليه ضرغام بن عامر بن سوار ؛ وهو أحد القادة العسكريين وطرده من السلطة[٤].

١- William of Tyre, vol . II, P. 302 .

٢- William of Tyre , vol . II, P. 302 .

٣- هو أبوشجاع شاور بن يحيى بن نزار بن عشائر وقد عين من قبل الصالح طلائع بن رزيك واليًا على قوص وعندما عزله ابنه زحف على القاهرة واستولى على السلطة عام ١١٦٣م، عنه أنظر: جارسان، إزدهار وانهيار حاضرة مصرية قوص، ت . بشير السباعى، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص٧٦، نعمان جمعه، «جوانب من صورة الأخر (الغرب) فى التاريخ الإسلامى»، دراسات إسلامية، العددان (٤٩) ، (٥٠) مايو- يونيو ١٩٩٤م، ص٦٠ ، حاشية (٥٧) . عبدالله بن سعيد الغامدى، مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١٤هـ ، ص٤٩ ، حاشية (٢) .

٤- اشترك ضرغام من قبل فى معارك مظفرة ضد الصليبيين ، وصار رئيسًا للجند البرقية في الجيش الفاطمي وتمكن من السيطرة على السلطة.

عن الصراع بين شاور وضرغام أنظر: عمارة اليمنى، النكت العصرية في الوزارة المصرية ، ط. باريس ١٨٩٧م، ص٦٧ ، ص٧٨ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، تحقيق الشيال ، ص٣٦ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص١٤٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٢٤٧، المقريزى ، إتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٦١، جمال الدين سرور ، مصر فى عصر الدولة الفاطمية ، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص١٠٤ ، أحمد بيلى، حياة صلاح الدين الأيوبى، ط. القاهرة ١٩٤٦م، ص٨٢ ، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية وحضارتها ، ط. الاسكندرية ١٩٦١م، ص١٩٦ .

Oldenberg, Les Croisades, Paris 1975 , p. 379 .

وإزاء الوضع السابق، بحث شاور عن حليف قوى فلم يجد سوى نور الدين محمود فى بلاد الشام المجاورة فقدم إليه فى دمشق عام ١١٦٣م[١]، مرغبًا إياه بأن قدم له عرضًا سخيًا إحتوى على تعهده بتكاليف الحملة النورية وأن يقدم لنور الدين ثلث دخل مصر فى صورة إتاوة سنوية وأن يحكم نيابه عنه ، ووفق مشيئته وأن يجعل بمصر حامية عسكرية من جيش نور الدين[٢] وكان ذلك يعنى أن تصير مصر ولاية تابعة للدولة النورية.

ويذكر ابن الأثير رواية مفادها تردد نور الدين محمود فى قبول طلب شاور بالتدخل نظراً لوجود الصليبيين فى الطريق الذى تمر منه القوات النورية فى حالة تدخلها [٣]، واتجه جمع من المؤرخين القدامى والمحدثين إلى تأييد ذلك ، غير أن الأقرب إلى المنطق أن طلب شاور لم يلق أدنى تردد من جانب سيد حلب ودمشق ؛ إذ جاء بالمبرر السياسى للتدخل فى المسألة المصرية، وهو الذى أدرك ثراءها ، وضعفها السياسى ، والغالب أن ابن الأثير- ربيب البيت الزنكى - حرص أشد الحرص على إظهاره بمظهر الزاهد فى ضم مناطق إسلامية أخرى، والواقع أن الحملات الثلاث التى أرسلها نور الدين محمود من بعد ذلك صوب مصر والنفقات الكبيرة التى أنفقها فى تجهيزها دلت على نحو لايقبل الشك على مدى تطلعاته صوبها .

وفى نفس الحين ، وجد عامل محورى لاينكر دعم الخيار العسكرى للدولة النورية فى صورة قيادة عسكرية بالجيش النورى، ذات طموح واسع فى صورة أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الأيوبى الذى أراد السيطرة على مصر وأن يجعلها - على الأرجح- أساسًا لملك له ولآل بيته من بعده، ولامراء فى أنه عمل على تحريض سيده على الإقدام على غزوها [٤]، وقد فطن

١- ناقشت من قبل تاريخ قدوم شاور إلى نور الدين محمود طالبًا التدخل فى الشئون المصرية، فى كتابه: فى الصراع الاسلامى الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص٨٧- ص٨٨ .

٢- ابن الأثير ، الباهر، ص١٢٠، الحريرى، الأخبار السنية، ص١١٧ ، وقرر دوجان أنه عرض عليه السيطرة على بعض القلاع والحصون . Duggan, The Story of the Crusades, London 1960, p. 130

غير أن ذلك لايجد دعمًا من المصادر العربية.

٣- الباهر، ص١٢٠ .

٤- ابن الأثير ، الكامل، ج١١، ص١٢١، على بيلى ، حياة صلاح الدين الأيوبى، ص٨٤ ، حسن إبراهيم، الفاطميون فى مصر ، ط. القاهرة ١٩٣٢م، ص٣٠٣ .

المؤرخ سيتفنسون Stevenson إلى ذلك عندما قرر أنه كان بمثابة الروح المحركة فى كل مرحلة من مراحل الهجوم على مصر[١].

تقدم الجيش النورى وعلى رأسه أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبى وكان ذلك أول ظهور بارز له على مسرح الأحداث العسكرية والسياسية فى المنطقة. وينبغى ألا نقبل ما ذهب إليه أحد المؤرخين فى قوله أن صلاح الدين الأيوبى قدم إلى مصر وهو كاره [٢]، إذ أن ذلك لايستقيم البته مع طموحاته التى أسفرت عنها الأحداث بجلاء ، ولاريب فى أنه أدرك أن فى مقدمه إليها فرصته السانحة من أجل تحقيق طموحاته العريضة.

إتجه جيش نور الدين محمود صوب مصر عن طريق شرق الشوبك ثم إلى أيله (العقبة)[٣]، كذلك إتجه نور الدين لتأمين مرور قواته بمهاجمة الأعمال الصليبية فى بلاد الشام ليشغل أعداءه عن مهاجمتها[٤]، وعندما بلغ شيركوه وجنده مدينة بلبيس إصطدم مع ناصر الدين الذى كان أخًا لضرغام ومعه الجنود المصريون وألحق به الهزيمة فعاد أدراجه نحو القاهرة[٥]. وفيها إصطدم الجيش النورى وعلى رأسه شيركوه وصلاح الدين الأيوبى مع

١- The Crusaders in The east, p. 187.

٢- أبوشامة ، الروضتين ، ج١ / ق٢ ، ص٢٩٣ .

ويقرر عبد القادر أبوصينى أن صلاح الدين حينذاك لم يكن له طموح لأنه كان قائداً من الدرجة الثانية ومن الواضح أن ذلك القول لايحوى منطقًا قويًا يدعمه ، أنظر رأيه ، عبد القادر أبوصينى ، نور الدين موحد الأمة ضد الصليبيين ، ط. عمان ٢٠٠٠م، ص٢١١ .

٣- ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١، ص١٣٨، المقريزى، إتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٦٦ .

٤- ابن الأثير ، الباهر ، ص١٢١ ، الكامل، ج١١، ص١٢١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب، ج٢، ص٣١٦ ، ابن واصل ، المصدر السابق، ج١ ، ص١٣٨ ، ابن قاضى شهبة ، الكواكب الدرية ، ص١٦٤ ، المقريزى، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٢٦٦ .

Baldwin, " The Latin States under Baldwin III and Amalric I", in Setton, A History of the Crusades, vol. I, Pennsylvania 1958, p. 550.

٥- ابن الأثير ، الكامل، ج١١، ص١٢١ ، ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، ص٣٦٨ ، ابن العديم، المصدر السابق، ج٢، ص٣١٦ ، المقريزى ، المصدر السابق، ج٣ ، ص٢٦٧ .

ضرغام وقواته ، وتم إلحاق الهزيمة بهم[1] أيضًا ، وقتل ضرغام عام ١١٦٤م[2] وتولى من بعده شاور الوزارة للعاضد الفاطمى ، وتلقب بالملك المنصور[3].

مهما يكن من أمر، قلب شاور ظهر المجن لشيركوه، وسيده نور الدين، إذ رفض تنفيذ ما قطعه على نفسه أمام الأخير، وطلب من شيركوه الإنسحاب من مصر والعودة إلى بلاد الشام[4]، ولما كان شيركوه قد كلف بمهمة محددة فإنه رفض العودة، ولم يقبل أن يكون مقدمه إلى البلاد ومشقة الطريق والنفقات التى أنفقت على إعداد القوات النورية مجرد أداة تغيير سياسى فقط دون توطيد عسكرى لأقدام الدولة النورية فى مصر ، وحينئذ اتجه شيركوه إلى احتلال المنافذ الشرقية للبلاد لتكون تحت سيطرة قواته فأرسل صلاح الدين الأيوبى إلى بلبيس واستولى عليها[5] وجبى خراجها ، ولاغرو فى أن الجيش النورى لم يكن بإمكانه أن يغادرها دون تحقيق مكاسب إقتصادية فعّالة ، كما أنه رغب من وراء الاستيلاء على بلبيس على نحو خاص أن تكون بمثابة ورقة رابحة للمساومة السياسية بها ، ففى حالة تراجع شاور عن تعنته

١- William of Tyre , vol . II, p. 305 .

ابن قاضى شهبة، الكواكب الدرية، ص١٦٤، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص٣٤٧ .

٢- ابن الأثير ، الكامل، ج١١ ، ص١٢١ ، ابن العديم ، زبدة الحلب، ج٢، ص٣١٧ ، ابن واصل ، مفرج الكروب، ج١، ص١٣٩ ، ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١٢، ص٢٤٨، ابن تغرى بردى ، المصدر السابق، ص١٦٤ .

٣- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٣٦ .

٤- ابن الأثير ، الكامل، ج١١ ، ص١٢١ ، الباهر، ص١٥١ ، ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول، ص٣٦٨ ، الفتح البندارى، سنا البرق الشامى، تحقيق فتحيه النبراوى ، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص١٣٩ ، الذهبى، دول الإسلام، ج٢، ص٧٣ .

Stevenson , The Crusaders , p. 188 , Baldwin , The Latin States, p. 550 , Elisseff, Nur Ad- Din , un grand prince musulman au Temps des Croisades, T. II , Damas 1967, p. 585 .

٥- ابن الأثير ، الباهر ، ص١٢١ ، ابن العديم، زبدة الحلب ، ج١ ، ص٣١٧ ، أبوشامة ، الروضتين ، ج/١ ، ق١ ، ص٢٣٥، أنتونى بردج، الحروب الصليبية ، ت. محمد غسان سبانو ، ط. دمشق ١٩٨٥م، ص١٧١ .

يتم الانسحاب منها لتحقيق خطوة أكبر فى طريق السيطرة على مصر ولانغفل أهمية الدوافع الاستراتيجية بطبيعة الحال إذ أنها مثلت المدخل الشرقى لعاصمة الخلافة الفاطمية.

والأمر المؤكد ، أنه خلال كافة تلك الأحداث المتصارعة تفتحت قدرات صلاح الدين الأيوبى السياسية، والعسكرية ، ولانغفل أن مثل تلك البيئة المصرية الفاطمية العامرة بالصراع بين قوى متعددة لم تكن موجودة بنفس الدرجة فى بلاد الشام ، ولذلك فإنها كانت بمثابة مرحلة بالغة الأهمية فى تكوين منظوره السياسى والحربى حينذاك، لقد كان فى صراع محموم للبقاء وسط أعداء كثيرين وبالفعل تمكن فى ختام المطاف من البقاء والتفوق .

مهما يكن من أمر، بحث شاور عن قوة أخرى تخلصه من جيش نور الدين محمود واتجه إلى القضاء على تحالفه القديم معه بأن جعله تحالفًا مع الصليبيين أنفسهم؛ فاتصل بالملك الصليبى عمورى وطلب منه الوقوف ضد قوات نور الدين محمود [١]، وعلى رأسها أسد الدين شيركوه ، وصلاح الدين الأيوبى ، وذلك فى مقابل الالتزام بنفقات الحملة الصليبية المرتقبة ، فقدم له ألف دينار عن كل مرحلة من مراحل الطريق من بيت المقدس إلى النيل وعددها سبع وعشرون، وقام الجيش الصليبى وعاونه الجيش الفاطمى بقيادة شاور بمحاصرة بلبيس وبها قوات نور الدين لمدة ثلاثة أشهر على الأرجح [٢].

وفى خلال الحصار الصليبى- الفاطمى المشترك للمدينة أثرت الأحداث العسكرية فى الجبهة الشمالية على وقائع الجبهة الجنوبية ؛ فقد تمكن الجيش النورى فى بلاد الشام من تحقيق إنتصار كبير على الصليبيين فى معركة حارم عام ١١٦٤م[٣] وكذلك أيضًا فى

١- William of Tyre, vol . II , p. 305 .

ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص١٢١ ، ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول، ص٣٦٨ .

٢- الفتح البندارى، سنا البرق الشامى، ص١٩ ، الأزدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ص١١٥ ، المقريزى، إتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص٢٧٧ ، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ، ج٥، ص٣٤٧ .

٣- وقعت حارم ضمن حدود إمارة أنطاكية الصليبية على بعد ١٠ أميال من غربها وهى تابعة حاليًا لمحافظة أولبا فى شمالى سوريا وبعدت عنها بمسافة ٥٣ ك.م عنها انظر: محمود سعيد عمران ، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد مانويل كومنين، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م، ص٢٨٥ ، فتحى عثمان، الحدود الاسلامية البيزنطية ، ج١ ، ط. القاهرة ١٩٦٦م، ص٢٣١ .

بانياس(١) ويعلق أحد المؤرخين على الموقف قائلاً : إن المعركة الحقيقية لم تحدث فى مصر فى هذه السنة بل فى بلاد الشام (٢). وهو قول ينطبق على الواقع التاريخى تماماً .

= وعن المعركة انظر:

Anonymous Syriac Chronicle , p. 303 .
William of Tyre , vol . II, p. 306-308 .
Jacques de Vitry, p. 94 .

ابن الأثير ، الباهر ، ص١٢٤ ، العدوى، الزيارات ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط. دمشق ١٩٥٦م، ص٤٠ ، محمود سعيد عمران ، «معركة حارم ١١٦٤م، قصة التحالف البيزنطى الصليبى الأرمينى ضد نور الدين محمود» ، المؤرخ العربى، العدد (٨) ، لعام ١٩٧٧م، ص٩٠ - ص١١٢ ، محمد مؤنس عوض، فى الصراع الاسلامى - الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص١٧٥- ١٧٧ .

عليه ديب تبريزى ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود، ط. صيدا ٢٠٠٣م، ص١١٦-ص١١٧ ، معجم الأماكن السورية معجم جغرافى، ط. دمشق ١٩٩١م، ص٥٠ ، مهجة السيد عبد العال، حارم ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى فى بلاد الشام ٤٨٧- ٦٩٠هـ / ١٠٩٥- ١٢٩١م ، رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٥م.

١- وقعت بانياس على بعد ٢١ ميلاً من بحيرة طبرية ، بالقرب من شواطئ بحيرة الحولة ، وهى تختلف عن بانياس المدينة الساحلية على شاطئ البحر المتوسط ، عنها أنظر:

ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بول رافيس، ط. باريس ١٨٩٤م، ص٤٦ .
Ernoul. Ernoul's Account of Palestine , Trans. by Conder, P.P.T.S., vol . VI , London 1896, p. 51 .

عمر كمال توفيق ، مقدمات العدوان الصليبى، ط. الاسكندرية ١٩٦٦م، ص١٩٤- ص١٩٥ ، وعن بانياس فى عصر الحروب الصليبية أنظر:

آمال هاشم ، بانياس الداخلية فى الصراع الإسلامى الصليبى فى عصر الحروب الصليبية (١٠٩٥-١٢٩١م / ٤٨٧- ٦٩٠هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٧م.

وعن الهجوم على بانياس أنظر:

ابن الأثير ، الباهر ، ص١٢٢، ابن واصل ، مفرج الكروب، ج١ ، ص١٤٠ ، نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ص٨ .
Schlumberger, Les Campagnes de Roi Amaury Ien Egypte, Paris 1906, pp. 86-87 .

٢- Stevenson , The Crusaders in the east , p. 188 .

ولاريب فى أن ذلك كله قد شكّل فى ذهن صلاح الدين الأيوبى صورة ما فارقته خاصة بالإرتباط الوثيق بين بلاد الشام، ومصر، أو ما نطلق عليه «الشامصر»[١] أى الرابطة الجغرافية والتاريخية بين الإقليمين المتجاورين ، وكل ذلك خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخه، ولا أغفل هنا الإشارة إلى أن المدخل الطبيعى لفهم عقلية ذلك الفارس تتمثل فى فهم تلك الفكرة المحورية وهى فكرة مؤكدة فى التاريخ القديم والوسيط وحتى الحديث فيما بعد.

مهما يكن من أمر، حيث أن الأمر لم يحسم عسكريًا فى بلبيس ؛ فقد تم طرق بوابة الدبلوماسية ، وقد اختلف فيمن سعى إلى طلب الصلح أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبى ، أم الصليبيين ، فالمصادر العربية تؤكد أنه عقب إنتصارات حارم وبانياس سعى الصليبيون إلى مراسلة قادة القوات النورية[٢]، بينما ذكر وليم الصورى أن الإجهاد ونقص المؤن جعلا شيركوه يسلم المكان وسمح له بمغادرة بلبيس ومعه قواته [٣]، وعنه مقارنة الوضع العسكرى للجانبين ؛ نجد أن الصليبيين رغبوا فى العودة سريعًا لتدارك الموقف المتدهور على الجبهة الشمالية ، أما شيركوه فقد أنهكه الحصار الطويل ، ومن المرجح أن وضع نور الدين محمود العسكرى وقواته فى مصر وعلى رأسها أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبى لم يكن سيئًا على نحو يطلب فيه إستقدام باقى قواته من مصر لمواجهة أعدائه ، خاصة أنه حقق إنتصاراً كبيراً عليهم ، ومن المرجح أن الصليبيين أنفسهم سعوا إلى الصلح ، لأن وضعهم فى الشمال كان أكثر خطورة من وضع شيركوه وابن أخيه فى مصر خاصة أنهم واجهوا جبهتين معاديتين فى الشمال والجنوب.

مهما يكن من أمر ، تم الإتفاق على إنسحاب قوات أسد الدين شيركوه من مصر ، وكذلك القوات الصليبية وأن يتسلم ثلاثين ألف دينار[٤] على نحو عوض جزئيًا نفقات الجيش النورى

١- هذا المصطلح نحته المؤرخ الراحل أ.د. محمد عبد الهادى شعيرة عنه أنظر: محمد مؤنس عوض، رواد تاريخ العصور الوسطى فى مصر ، ص٣٣٢- ٣٤٠ .

٢- Stevenson , The Crusaders in The east, p. 188 .

٣- ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول، ص٣٦٨ - ص٣٦٩، المقريزى، إتعاظ الحنفا ، ج٣، ص٢٧٧ ، ابن قاضى شهبة ، الكواكب الدرية ، ص١٦٦ ، ابن خلدون ، العبر، ج٥ ، ص٢٤٧ .

٤- ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص٣٢١، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٥، ص٣٤٧، شاكر أبوبدر، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، ط. بيروت ب-ت ، ص٣١٧ .

فى حملته الأولى على مصر، مما أدى إلى إدراك ذلك الجيش أن شاور أراد إبعاد خطره بأى ثمن .

وعلى الرغم من إنسحاب الجيش النورى من الجبهة الجنوبية ، إلا أن مدة بقائه فى مصر أفادته فى استطلاع أوضاعها السياسية [١]، ودراسة المنطقة التى ستتكرر على أرضها أحداث الصراع العسكرى فى المراحل التالية.

وبصفة عامة، ففى عام ١١٦٧م قدم إلى مصر أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبى [٢] ويمكن اعتبار الحملة الثانية وكذلك الأولى بمثابة درسين عميقين لذلك الشاب الذى قدر له أن يقوم بدور بارز فى تاريخ المنطقة فيما بعد، وقد سار الجيش النورى حتى بلغ مصر وعبر النيل عند أطفيح [٣]، وسيطر على مناطق أخرى ، ونزل بالجيزة قبالة الفسطاط حيث أقام بها نيفًا وخمسين يومًا [٤].

وأمام تلك التطورات الخطيرة التى أوصلت قوات نور الدين محمود إلى الفسطاط نفسها على نحو لم يحدث من قبل، سارع شاور إلى طلب نجدة الصليبيين، ويقرر المؤرخون أن الأخيرين قدموا إليه على الصعب والذلول [٥]، وهكذا تكرر أمر تحالفه مع العدو المشترك للدولة النورية والفاطميين من أجل مصالحه السياسية الشخصية الضيقة ، ومن المتصور أن مسلك شاور عمق فى ذهن صلاح الدين الأيوبى خلال تلك المرحلة المبكرة خطورة أعوان الصليبيين ودورهم فى إنتكاسة المسلمين ، ولذلك لم تأخذه شفقته فى مستقبل أيامه بأمثال أولئك المتآمرين .

١- حسن ابراهيم ، الفاطميون فى مصر، ص٣٠٣ .

٢- ابن الأثير ، الباهر ، ص١٣٢، ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص١٣٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب، ج١، ص١٤٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢، ص٢٥٢ .

٣- قرية من قرى الجيزة تعد الآن تابعة لمركز الصف ، عنها أنظر: أبوشامة ، الروضتين ، ج١ / ق٢ ، ص٣٦١ ، حاشية (١) .

محمد مؤنس عوض ، فى الصراع الاسلامى الصليبى ، السياسة الخارجية للدولة النورية، ص٩٤، حاشية(١) .

٤- ابن العديم، المصدر السابق، ج٢، ص٣٢٢- ص٣٢٣ .

٥- ابن شداد ، النوادر السلطانية، ص٣٧، ابن واصل ، مفرج الكروب، ج١، ص١٤٩ .

على أية حال ، تقدم أسد الدين شيركوه إلى الصعيد فى عام ١١٦٧م[١]، وعند المنيا إلتقت قواته بالجيش الصليبى ، ووقعت معركة البابين[٢]، ولحقت الهزيمة بالصليبيين ، وفيها أبلى صلاح الدين الأيوبى بلاء حسنًا ، وكثر القتلى، والجرحى فى صفوف الأعداء، وهكذا فمن المتصور أن معركة البابين - على نحو خاص - كانت من أوائل المعارك التى تفتحت فيها مواهب ذلك الفارس على أرض مصر وقد تقدم شيركوه ومعه صلاح الدين الأيوبى صوب الفيوم ، ومنها إلى الاسكندرية للاستيلاء عليها بهدف السيطرة على أكبر مركز بحرى تجارى فاطمى على ساحل البحر المتوسط ؛ من أجل المساومة السياسية . وبالفعل أمكن إخضاعها وجعل شيركوه ابن أخيه صلاح الدين يقيم بها، واتجه صوب الصعيد من أجل جباية خراجه ، وقد اغتنم الصليبيون فرصة خروج معظم الجيش معه وتقدموا صوب الاسكندرية، وفرضوا عليها الحصار حتى قلت الأقوات[٣].

١- عن الاختلاف بين المؤرخين حول تحديد معركة البابين زمنيًا انظر: محمد مؤنس عوض، فى الصراع الاسلامى- الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية، ص٩٤، حاشية (٤) وامتدادها فى ص٩٥ .

٢- البابين قرية إلى الجنوب من المنيا بعشرة أميال، وهى عند أطلال هرموبوليس Hermopolis القديمة، وهى من أعمال منية بنى خصيب أنظر:

ابن ظافر الأزدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ص١١٥ ، ابن واصل، مفرج الكروب، ج١ ، ص١٥٠، حاشية (١) ، عبد الرحمن سيد الأهل ، أيام صلاح الدين، ط. بيروت ١٩٦١م، ص١٨١ ، وعن المعركة المذكورة انظر:

ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج٦ ، ص١٤ ، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥ ، ص٣٤٩ ، السيد الباز العرينى ، الشرق الأوسط ، ص١٨١ ، نظير حسان سعداوى، التاريخ الحربى المصرى، ص١٠ ، عصام الدين عبد الرءوف ، «الأيام الأخيرة فى حياة مصر الفاطمية»، الكتاب الذهبى للاحتفال الخمسينى كلية الآثار، جامعة القاهرة ، ١٩٧٨م، ج٢، ص١٨٢ ، محمد أحمد محمد، الأحداث السياسية فى مصر الاسلامية منذ الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية ٢٠ هـ / ٥٦٧هـ. ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص١٤٣ ، ص١٤٤ .

٣- عن الموقف بعد معركة البابين انظر:

William of Tyre , vol . II , pp. 334-335

وقد جرت الاتصالات الدبلوماسية من أجل التوصل إلى إتفاق ، وتقرر أن يحصل شيركوه على خمسين ألف دينار مقابل الإنسحاب من البلاد وخاصة الاسكندرية ونفس الأمر بالنسبة للصليبيين الذين تقرر إنسحابهم ولايسيطروا على أية منطقة فى مصر[١]، ومع ذلك فمن الجلى البين أن شاورا لم يحترم نصوص ذلك الاتفاق والدليل على ذلك أنه جعل للصليبيين وجوداً عسكرياً[٢] فى مصر بترك حامياتهم على أبواب القاهرة ، ولاريب فى أنه أراد الإحتماء بتلك القوات من نور الدين محمود وقواته .

أما أحداث الحملة النورية الثالثة، فنعلم خلالها أن الفرسان الصليبيين أرسلوا إلى الملك عمورى فى بيت المقدس يلحون عليه أن يتقدم إلى مصر من أجل الاستيلاء عليها [٣]، وبالفعل تقدم الجيش الصليبى وعلى رأسه عمورى عام ١١٦٨ م[٤]. وأستولى على بلبيس التى تمتعت بموقع استراتيجى مهم فى المدخل الشرقى صوب للقاهرة ، كما كان لها دورها التجارى الذى لاينكر فى حركة التجارة بين مصر وبلاد الشام[٥] وقد أحدث بها الغزاة مذبحة مروعة كشفت عن الوجه الدموى المتعصب للحركة الصليبية التى لايكتب تاريخها دون دماء

١- ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص٣٢٤ .

٢- مجموعة الوثائق الفاطمية، م (١)، نشر جمال الدين الشيال، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص١٦١ ، ابن واصل ، مفرج الكروب، ج١ ، ص١٥٦- ص١٥٧ .

٣- ابن الأثير ، الباهر ، ص١٣٧ ، الكامل، ج١١، ص١٣٥، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١، ص١٥٦- ص١٥٧ .

٤- William of Tyre, vol . II, p. 351 .

ابن قاضى شهبة، الكواكب الدرية ، ص١٧٥ ، السيوطى ، حسن المحاضرة، ج٢، ص٤ .

Stevenson, The Crusaders in the east, p. 193 .

Runciman , A History of the Crusades, vol. .II, p. 351 .

٥- عن أهميتها التجارية أنظر :

محمد فتحى الشاعر ، إقليم الشرقية فى عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م، ص٨٢ .

الضحايا ، وقد اعترف بالمذبحة المؤرخ وليم الصورى[١]، وقد أعادت إلى الأذهان ذكرى المذابح التى أحدثها الصليبيون الغزاة عندما حلوا ببلاد الشام فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى[٢]، وهكذا فإن سلوكهم الدموى إمتد من آسيا إلى أفريقيا !

وقد أدى سقوط بلبيس على هذا النحو إلى إسراع شاور نحو تحصين القاهرة، وعمل على إخلاء الفسطاط[٣] وإحراقها حتى لاتقع فى قبضة الصليبيين متبعًا فى ذلك سياسة الأرض المحروقة وهى سياسة قديمة فى التاريخ نجدها فى صراع هانيبال مع الرومان، وفى العصور الوسطى نجدها فى صراع الكاهنة الزناتية مع الفاتح العربى لبلاد المغرب حسان بن النعمان، ومن الجلى البين أنها مثلت مركزًا حضاريًا مهمًا بدليل ما ذكره ابن أبى طئ وردده أبوشامة من أنه استخدم فى إحراقها عشرة آلاف قارورة فقط، وفرق فيها عشرة آلاف مشعل نار، وظلت النيران مشتعلة فيها مدة أربعة وخمسين يومًا [٤]، مما عكس اتساع عمرانها ولاشك أن ذلك يعكس لنا جانبًا من المآسى التى ارتبطت بعصر الحروب الصليبية حيث صاحب ذلك العصر التدمير والخراب والتهجير القسرى للسكان كما حدث فى حالة أولى عواصم مصر الإسلامية .

١- William of Tyre , vol . II, p. 351 .

انظر أيضًا المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، تحقيق محمد حلمى محمد ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ج٣، ص٢٩٥ ، نجوى كيرة، حياة العامة فى مصر فى العصر الفاطمى ٣٥٨- ٥٦٧هـ / ٩٦٩-١١٧١م ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص١٠٨ .

٢- Anonymous , The deeds of The Franks and other Pilgrims, Trans . by R.Hill, New York 1962 , p. 74 , Fulcher of Chartres, p. 122, Albert d'Aix, in R.H.C. Hist. Occ, T. IV , p. 479, Hagenmeyer, Chronologie de la Premiere Croisade, pp. 477-478 .

٣- عن الفسطاط انظر: ناصر خسرو ، سفر نامه رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية فى القرن الخامس الهجرى ، ت. يحيى الخشاب ، عبد الرحمن زكى ، ط. بيروت ١٩٨٣م، ص.١٠٠- ص١٠٨ ، عبد الرحمن زكى، الفسطاط وضاحيتها العسكرية والقطائع ، ط. القاهرة ١٩٦٦م، خالد عزب ، الفسطاط ، النشأة الازدهار الانحسار ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، صالح أحمد العلى، أهل الفسطاط دراسة جبرائيل ، دراسة فى تركيبهم القبلى ومراكز إدارتهم، ط. بيروت ٢٠٠٠م، على بهجت وألبير جبرائيل حفريات الفسطاط ، ت. على بهجت ومحمود عكوش ، ط. القاهرة ١٩٢٨م، حسن الباشا ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، ط. القاهرة ، ب-ت ، ص٥٥- ص٦٥ .

٤- عن احراقها انظر : أبوشامة ، الروضتين ، ج/١ ق٢ . ص٤٣٢ ، نظير حسان سعداوى، التاريخ الحربى، ص١٤ ، السيد الباز العرينى، الشرق الأوسط، ص٦٩٧ ، محمد مؤنس عوض ، فى الصراع الإسلامى - الصليبى، السياسة الخارجية للدولة النورية، ص٩٨ .

وأمام تلك الأحداث المأساوية ؛ إستنجد العاضد الفاطمى بنور الدين محمود ، وذكر له إشارات مغرية هى عروض لإغرائه بالتدخل العسكرى ضد القوات الصليبية ، واستغاثة الخليفة مثّلت مقايضة واضحة؛ التدخل مقابل الثروة والسلطة ، إذ عرض ثلث بلاد مصر وأن يكون شيركوه مقيمًا عنده فى عسكر، وإقطاعهم عليه خارجًا عن الثلث الذى لنور الدين[1]، ويذكر البعض أن نور الدين إنزعج لما يحدث فى مصر ولإستغاثة الخليفة الفاطمى «وقام لذلك وقعد »[2]، مع عدم إغفال أهمية الجانب الاقتصادى فى إغرائه بالتدخل فى المسألة المصرية التى صارت معتادة لدى قواته .

أرسل نور الدين أسد الدين شيركوه عام ١١٦٩م[3] إلى مصر وصحبه صلاح الدين الأيوبى على رأس جيش قوامه نحو ثمانية آلاف فارس . والأمر المؤكد أن صلاح الدين الأيوبى قد اكتسب خبرة بطريق دمشق- القاهرة، وهو طريق محورى سيدخله التاريخ من خلال إرتباطه الوثيق بفكرة «الشامصر »[4] السالفة الذكر، وقد تأكد لديه على مدى أعوام عديدة إستحالة أن تتمكن بلاد الشام وحدها من مواجهة العدوان الصليبى دون مصر ونفس الأمر بالنسبة للأخيرة.

أما بالنسبة الصليبيين ، فنعلم أن الملك عمورى تقدم إلى القاهرة ، لإخضاعها ، لكن ذكرى مذبحة بلبيس المروعة جعلت الأهالى يشمرون عن ساعد الجد من أجل الدفاع عنها فى مواجهة الغزاة[5]، وأمام مقدم القوات النورية إلى مصر ، إتجه الصليبيون إلى التفاوض مع شاور للإنسحاب بعد أن أدركوا خطورة الموقف ، وقد تم الاتفاق على أن تقدم مصر للصليبيين

١- ابن الأثير ، الباهر ، ص١٣٨ ، الكامل، ج١١، ص١٣٦، ابن واصل ، مفرج الكروب، ج١، ص١٥٨، ابن قاضى شهبة ، الكواكب الدرية، ص١٧٦ .

٢- ابن الاثير ، الباهر، ص١٣٨ .

٣- نفسه ، ص١٣٩ ، ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص٣٢٦- ص٣٢٧ ، ابن واصل ، المصدر السابق، ج١، ص١٥٦ .

Runciman, vol . II, p. 382 .

٤- عن ذلك انظر محمد مؤنس عوض ، «الشام ومصر مدخل لدراسة الاستجابة الإسلامية للتحدى الصليبى»، ضمن كتاب الحروب الصليبية السياسة - المياه - العقيدة - ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٢٥- ص٣٩ .

٥- المقريزى، إتعاظ الحنفا ، ج٣، ص٢٩٦ .

ألف ألف دينار ويتم التعجيل بدفع مبلغ مائة ألف دينار والباقى فى صورة قطيعة سنوية بالإضافة إلى كميات كبيرة من الغلال [(١)].

بصفة عامة ، أدرك شيركوه - بعد الإنسحاب الصليبى- أن العقبة القائمة أمام دعم الوجود العسكرى النورى تمثلت فى شاور ، فعمل على التخلص منه وبالفعل قتله صلاح الدين الأيوبى عام ١١٦٩م[(٢)]، ومنطقى أن ذلك تم بموافقة نور الدين محمود ورضاه ، وبالتالى ؛ إختفت من مسرح الأحداث شخصية عملت لمصلحتها السياسية دون أى إعتبار للصالح الإسلامى العام، وكثيراً ما قدمت التنازلات للصليبيين وتحالفت معهم.

من بعد ذلك تولى أسد الدين شيركوه الوزارة للعاضد مدة شهرين غير أنه لم يلبث أن قضى نحبه فى ٢٣ مارس ١١٦٩م[(٣)]، والسبب فى ذلك يرجع إلى إفراطه فى الطعام- خاصة اللحوم الغليظة- ومن المستبعد تماماً أن يكون صلاح الدين الأيوبى له يد فى مقتل عمه، إذ أن الغدر لم يكن من شيمته ، ونعرف أنه خلال أحداث الصليبية الثالثة أرسل طبيبه الخاص - ويرجح أنه اليهودى موسى بن ميمون Maimonides [(٤)] كى يعالج عدوه اللدود الملك

١- ابن الأثير ، الباهر ، ص١٣٨ ، المقريزى ، إتعاظ الحنفا ، ج٣، ص٢٩٨ .

٢- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٤٠ ، ابن ظافر الأزدى ، أخبار الدول المنقطعة ، ص١١٦ ، ابن حماد ، أخبار ملوك بنى عبيد، ص٦٣ .

William of Tyre, vol . II, p. 357 .

فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان، وفلسطين، ت اليازجى ، ط. بيروت ١٩٥٩ م، ص٣٣٥ ، كازانوفا ، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ص٢٩ .

٣- ابن حماد ، المصدر السابق ، ص٦٣ ، أوردت المقابل الميلادى للتاريخ الهجرى وهو ٢٢ جمادى الآخر عام ٥٦٤هـ .

٤- عنه أنظر : الفصل السادس.

بصفة عامة تخلفت أساليب العلاج عند الصليبيين عن ذلك أنظر أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار، ص١٧١- ص١٧٦ ، سعيد عاشور، المدينة الإسلامية وأثرها فى النهضة الأوربية، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ص١٤٧، «ملامح المجتمع الصليبى فى بلاد الشام» ، المستقبل العربى ، العدد (٨) ، عام ١٩٨٧م، ص٣٤، حسين أحمد أمين، الحروب الصليبية فى كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها ، ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص١١٠ ، محمد مؤنس عوض، أضواء على الطب فى المناطق الصليبية فى المرحلة من ١٠٩٨-١١٧٤م / ٤٩١-٥٧٠هـ دراسات شرق أوسطية ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس عام ١٩٩٥م، ص٢٥

ريتشارد قلب الأسد Richard Lionhearted (١١٨٩-١١٩٩م) عندما مرض فى يافا ، فى لمحة إنسانية رائعة ندر أن تتكرر فى تاريخ العصور الوسطى قاطبة ، وهكذا ، فإن ما ردده عمدة مؤرخى الصليبيين وليم الصورى من مسئولية صلاح الدين الأيوبى فى قتل عمه أمر لايجد منطقًا يدعمه ومن تعامل بمثل ذلك التحضر مع أعدائه فى عصر اشتهر بسفك الدماء من المستبعد تمامًا أن يقدم على ذلك الأمر المشين الذى لايتفق مع طبيعته الأخلاقية .

من بعد رحيل أسد الدين شيركوه ؛ تألق نجم صلاح الدين الأيوبى الذى طلب منه العاضد أن يتولى وزارة التفويض دون أن يدرى أنه ذلك الفارس سيقوم بدور بارز فى إسقاط الدولة الفاطمية نفسها .

من زاوية أخرى ، من الملاحظ أن عام ١١٦٩م شهد إختبارًا قاسيًا لكفاءة صلاح الدين الأيوبى كوزير فاطمى جديد، فقد تحالف الصليبيون وعلى رأسهم الملك عمورى مع الإمبراطورية البيزنطية فى عهد الامبراطور مانويل كومنين[١] Manuel Comnenus (١١٤٣-١١٨٠م) من أجل مهاجمة مصر وخاصة فى دمياط وقد خرج الجيش الصليبى من عسقلان فى أكتوبر من العام المذكور ، وأتخذ طريقه صوب مصر ووصل إلى بحيرة تنيس

= محمد كامل حسين، «الطب والأقربازين» ، ضمن كتاب أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية ، ط. القاهرة ١٩٧٠م ، ص٢٨٥ ، إسماعيل سرور ، «الطب العربى فى نظر العلماء والمؤرخين» ، مجلة العرب والعالم ، السنة (٥) ، العددان (٥٩) ، (٦٠) ، أكتوبر ١٩٨٣م، ص٣٢ .

أنظر أيضًا :

John of Wurzburg, p. 44 .

Theoderich, p. 22 , Fetellus, p. 49 ,

Ann Woodings , " The Medical resources and Practice of the Crusader States in Syria and Palestine (1096-1193), M. H. vol XV, no . 3 , 1971, pp. 268-277 .

١- مانويل كومنين ، هو مانويل كومنينوس الذى عرف بالأول وتولى العرش البيزنطى خلال المرحلة الممتدة من ١١٤٣ إلى ١١٨٠ ويعد الابن الرابع ليوحنا كومنينوس الذى قام باختياره كولى للعهد عام ١١٤٣م وكانت أم هنغارية الأصل، وفى عهده زاد الاتجاه نحو الغرب من جانب بيزنطة وهناك من يرى مسئوليته عن تطور الأحداث مما بعد خاصة عام ١٢٠٤م عنه أنظر :

حيث كان الأسطول البيزنطى فى إنتظاره ، وبالفعل وصل الاثنان معًا إلى دمياط فى ٢٥ نوفمبر[١]، ويلاحظ أن اختيار الصليبيين لدمياط لم يكن من فراغ، إذ مثلت مركزاً تجارياً مهمًا على الساحل الشمالى لمصر[٢]، وحظيت بجانب من الإزدهار التجارى فى العصر الفاطمى بالإضافة إلى كونها أقرب الموانئ المصرية إلى الموانئ الصليبية ، وقد تصور الصليبيون أن فى مقدورهم تنشيطها لتساهم فى إحكام سيطرتهم على تجارة شرق البحر المتوسط، وهو الهدف الأصلى الفعلى من وراء المشروع الصليبى ذاته ، وذلك مع عدم إغفال الدوافع والأهداف الأخرى بطبيعة الحال. كذلك لاتغفل إشتهار دمياط بأنها من مراكز الصناعة

Nicol, Biographical dictionary of The Byzantine Empire, London 1991, pp. 78-79 , =
Magdalino, The Empire of Manuel I Comnenos 1143-1180, Cambridge 1997 ,
Vasiliev , History of the Byzantine Empire , Madison 1952, vol . II, p. 417-418 ,
Ostrogorsky , History of the Byzantine State , Trans. by J. Husey, Oxford 1956 , pp. 337-350 .

محمود سعيد عمران ، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية فى عهد مانويل كومنين، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م؛ محمد مؤنس عوض ، الامبراطورية البيزنطية دراسة فى الأسر الحاكمة، ص٣٢٥- ص٣٤٣ ، عبد القادر اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية، ط. بيروت ١٩٦٦م، ص١٤٨ ، عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م، ص١٣٤- ص١٣٥ ،
Witting, Monnaies Byzantine , Paris 1975, p. 181 .

١- محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين فى شمال افريقية ومصر وبلاد الشام، ط. بيروت ٢٠٠١م، ص٥١٤ .

٢- عن أهميتها التجارية أنظر : ابن حوقل ، صورة الأرض، تحقيق دى جويه، ط. ليدن ١٩٣٨م، ص١٠٢ ، ابن زولاق، فضائل مصر وأخبارها ، تحقيق على محمد عمر ، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص٥٧ ، أمينة الشوربجى ، رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى ٣٥٨- ٥٦٧ هـ / ٩٦٩- ١١٧١م، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص١٥٣ ، صفاء عبد الفتاح ، الموانئ والثغور المصرية حتى نهاية العصر الفاطمى، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص١٨٣- ص١٨٤ ، وعن تاريخها انظر : جمال الدين الشيال، مجمل تاريخ دمياط، ط. القاهرة ١٩٤٩م، نقولا يوسف، تاريخ دمياط من أقدم العصور، ط. القاهرة ١٩٥٩م .

المصرية خاصة صناعة الشباب [١]، ولاتغفل كذلك رغبة الغزاة في السيطرة على موضع قدم متقدم يمكن من خلال الوصول إلى القاهرة .

جدير بالذكر، تدارك صلاح الدين الأيوبي الموقف على نحو سريع مما عكس حسن تقديره للأمور حيث أرسل إلى دمياط الرجال والسلاح والمؤن بقيادة ابن أخيه تقى الدين عمر وخاله شهاب الدين الحارمي [٢] كما أرسل عدداً من السفن من أجل نجدة دمياط ، كذلك إستغاث بنور الدين محمود من أجل طلب الدعم العسكري خلال تلك الظروف العصيبة، وقد قام الأخير بتقديم الدعم السريع والفعال في صورة قوات عسكرية قدمت من بلاد الشام ، كذلك عمل على مهاجمة أملاك الصليبيين هناك [٣] للضغط عليهم ويجعلهم بين شقى الرحى وبالتالى يشتت جهودهم أثناء تلك المغامرة الصليبية المندفعة التى شهدت دمياط فصولها .

بصفة عامة ، أخفقت الحملة الصليبية- البيزنطية المشتركة ومن أسباب ذلك صمود أهل دمياط في مواجهة الغزاة ، وسرعة إمداد صلاح الدين الأيوبي بالمؤن والامدادات للمدينة والتعاون الحربي بين بلاد الشام ومصر، كما لانغفل أن الصليبيين وقعوا في أخطاء وكذلك البيزنطيين، فهناك من يقرر أن الملك الصليبي عموري تأخر في الهجوم على المدينة مدة ثلاثة أيام إنتظاراً لوصول الأسطول البيزنطي وبالتالى حصل أهلها على فرصة سانحة من أجل تحصينها ، وتدعيمها ، كما أن هناك خلافات ظهرت بين القوات الصليبية والبيزنطية، إذ أحجمت القوات الأولى عن مساعدة البيزنطيين عندما تعرضت للهجوم كذلك وجدت إشارات تفيد بأن قائد الأسطول البيزنطي المدعو كونتو ستيفا نوس لم يكن ذا خبرة بحرية كبيرة بل إن خبرته البرية فاقت خبرته البحرية [٤].

١- ابن حوقل، صورة الأرض ، ص١٠٢ ، ياقوت ، معجم البلدان، ج٥، ص٥٤٦ .

Lombard, The Golden Age of Islam , Trans. by Jean Spencer, Holland 1975, p. 165 .

٢- محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين، ص٥١٤ .

٣- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، تحقيق جمال الدين الشيال، ص٤٢- ص٤٣ ، الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٧٨ ، ابن قاضي شهبه، الكواكب الدرية ، ص١٨٦ .

٤- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق ، ص٥١٧ .

وهكذا ، وجدت عدة عوامل أدت إلى إجهاض ذلك المشروع الصليبى- البيزنطى الذى كان إختباراً مبكراً قاسيًا لكفاءة صلاح الدين الأيوبى السياسية ، والحربية ، والإدارية ، وبالفعل تمكن من أن يتجاوز تلك المحنة المبكرة بذكاء ، وحسن تخطيط ، وسرعة تنفيذ .

بصفة عامة، حدثت عدة نتائج نتجت عن فشل تلك الحملة، وهى على جانب كبير من الأهمية وأثرت على مستقبل الأحداث فى المنطقة، وهناك من يقرر أنه فى حالة نجاح تلك الحملة؛ لكان من الممكن منع إتحاد بلاد الشام ومصر الذى سيشكل خطراً مباشراً وداهمًا على الكيان الصليبى فى بلاد الشام [1]، كذلك لانغفل ، أن صلاح الدين الأيوبى استطاع أن يبدو أمام معاصريه بمظهر القائد المحنك - على الرغم من حداثة عهده بالمنصب الوزارى - الذى يعتمد عليه فى مواجهة الخطر الخارجى، وهكذا، جاء ذلك الفشل ليوطد أقدام الفارس الأيوبى لكى يشرع فى تنفيذ خطة محكمة من أجل القضاء على الدولة الفاطمية.

والواقع أن إسقاط الدولة الفاطمية يعد أمراً بالغ الأهمية عند دراسته نظراً للنتائج المتعددة التى نتجت عنه، ويمثل عملية تاريخية مركبة كانت تحتاج إلى تخطيط، وتنظيم ، وإدارة ذكية إلى أن يتم الأمر على النحو الذى عرف فى التاريخ، وشهد بكفاءة غير مسبوقة من جانب الحلف العباسى- النورى وكذلك من قام بالتنفيذ باقتدار فى صورة صلاح الدين الأيوبى، ومن الممكن وصف الأمر على أنه ثورة حقيقية حدثت على أرض مصر .

ويلاحظ أن العباسيين ناصبوا الفاطميين العداء المستعر، ولم يعترفوا بهم، ورأوا أنهم ما انتسبوا إلى فاطمة الزهراء كأدعياء، وهكذا ، ظهر محضران للتشكيك فى نسب الفواطم فى عهد كل من الخليفة الحاكم بأمر الله[2] (٩٩٦- ١٠٢١م) والمستنصر لدين

= وهو فى ذلك يشبه مدينا سدينا Medena Sedena القائد الأسبانى لمعركة الأرمادا ١٥٨٨م، التى هزمت فيها أسبانيا من جانب انجلترا فى عهد الملكة اليزابيث ، ومن أسباب الهزيمة أن ذلك القائد كان قائداً بريًا ولم تكن له خبرة بفنون القتال البحرى، عن ذلك انظر : زينب راشد، تاريخ أوربا الحديث ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ج١، ص١٢٣ .

١- محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين فى مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة ، ص٣١ .

٢- عن الخليفة الحاكم بأمر الله انظر:

الله[1] (١٠٣٦-١٠٩٤م) على نحو شكك فى مشروعية الحكم الفاطمى فى عيون رعيته من المصريين .

كما أن الأمر لايخلو من جانب إقتصادى محورى ، إذ أن العباسيين أرادوا القضاء على نفوذ الفاطميين التجارى بسيطرتهم على تجارة التوابل Spices- وهى سلعة استراتيجية على جانب كبير من الأهمية فى عالم العصور الوسطى- التى كانت تمر عبر طريق البحر الأحمر الذى نافس طريق الخليج العربى وهكذا أراد العباسيون السيطرة على مصر من خلال قوة متحالفة معهم فى صورة الدولة النورية من أجل أن تصبح تجارة التوابل أو التجارة الكارمية[2] فى قبضة قوة سنية لاشيعية ، ولانغفل أن عيذاب[3] كان لها دورها البارز فى

= ابن الأثير ، الكامل، ج٧، ص٢٤٠ ، المقريزى إتعاظ الحنفا، ج٢، ص٩٤ ، عبد المنعم ماجد الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، ط. القاهرة ١٩٥٩م؛ عبدالله عنان ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط. القاهرة ١٩٣٢م .

١- عن الخليفة المستنصر لدين الله أنظر: عبد المنعم ماجد، الامام المستنصر بالله الفاطمى ، ط. القاهرة ١٩٦١م، عارف تامر، الخليفة الثامن المستنصر بالله، ط. بيروت ١٩٨٠ م، والدراسة الأولى أكثر أهمية وغزارة فى تفاصيلها مقارنة بالأخيرة الموجزة .

٢- عنها أنظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج٣، ص٥٢٤ ، صبحي لبيب ، التجارة الكارمية فى تجارة مصر فى العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، م (٤) ، العدد (٢) ، عام ١٩٥٤م، ص٥- ص٥٣ ، سياسة مصر التجارية فى عهدى الأيوبيين والمماليك، المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٨) ، (٢٩) ، عام ١٩٨١- ١٩٨٢م ، ص١٣٥- ص١٣٩ ، عطيه القوصى ، «أضواء جديدة على تجارة الكارمية» ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٥) ، عام ١٩٧٥م، ص١٧- ص٣٣ ، الشاطر بصيلى ، «الكارمية» ، المجلة التاريخية المصرية، م (١٣) ، عام ١٩٧٥م ، حسنين ربيع «البحر الأحمر فى العصر الأيوبى» ، الندوة الدولية عن البحر الأحمر، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص١١٥- ص١١٧ ، محمد عبد الغنى الأشقر ، تجارة الكارم، والكارمية فى مصر زمن سلاطين المماليك ٦٤٨- ٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م ، رسالة دكتوراه - كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩٧م.

٣- وقعت على ساحل البحر الأحمر شمال قرية حلايب بنحو ١٨ كم وحدد موقعها بخط عرض ٤٧ ١٦ ٢٢ شمالاً وخط طول ٣٢ ٦ ٣٦ شرقًا ، عن موقعها ودورها التجاري انظر: أحمد دراج ، «عيذاب»، مجلة نهضة أفريقيا ، العدد (٩) يوليو ١٩٥٥م، ص٥٧-٥٨ راشد البراوى، حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ط. القاهرة ١٩٤٨م، ص٢٤٢ ، أنور عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ط. الكويت، ١٩٧٩م، ص٨٠ ، وقد جانب وليم الصورى الصواب عندما حدد موقعها بأنه بالقرب من السويس انظر: William of Tyre , vol . II, p. 336 .

تلك التجارة باعتبارها الميناء المصرى على البحر الأحمر خاصة أن سيراف - الميناء التجارى الكبير على الخليج العربى- دمره هزات زلزالية عام ٩٧٧م[١].

على أية حال، حدث حلف عباسى- نورى من أجل إسقاط دولة الفواطم وكان المنفذ لذلك الأمر هو صلاح الدين الأيوبى. الذى قام بدور فعّال للقضاء على مظاهر النفوذ الشيعى فى الدولة الفاطمية ، وقد عمل على إنشاء المدارس السنية التى حرصت على تدريس العلوم الدينيه حفاظًا على الهوية السنية فى مواجهة المد الشيعى الذى عجز عن أن يكتسب قطاعات شعبية تعتنقه من المصريين، كذلك عمل على أن يكتسب قلوب الأخيرين من خلال توزيع الأموال، والتأليف بين القلوب .

ويلاحظ أن المال كان ذا قيمة تافهة فى نظره طالما أنه يحقق له أهدافه العليا وقد ألح نور الدين محمود على نائبه فى مصر بأن يسرع فى إسقاط الدولة الفاطمية غير أنه كان يتأنى خشية حدوث رد فعل فاطمى مضاد نتيجة لذلك الأمر، كذلك كان يهدف إلى تثبيت أقدامه فى مصر فطموحه الشخصى أمر لايمكن إنكاره ولايعيبه ذلك البته- كما أسلفت- طالما أن الهدف النهائى تمثل فى الجهاد وطرد الغزاه .

وبعد إعداد وتخطيط محكم ، تم إعلان الخطبة للعباسيين والقضاء على الخلافة الفاطمية فى يوم ١٠ سبتمبر ١١٧١م[٢]، خلال خلافة الخليفة العباسى المستضئ، وقد كان العاضد

١- عادل الالوسى، تجارة العراق مع أندونيسيا ، ط. بغداد ١٩٨٤م، ص٧٦، إلياهو أشتور، التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ت. عبد الهادي أبوعبلة، ط. دمشق ١٩٨٥م، ص٢٤٥ .

وعن سيراف انظر: ياقوت ، معجم البلدان، ج٥، ص١٩٣ ، عطيه القوصى ، «سيراف وكيس (قيس) وعدن من القرن الثالث الهجرى حتى السادس »، المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٣) ، عام ١٩٧٦م، ص٧٨ .

ويذهب هايد للقول بأن سيراف تدهورت كمركز تجارى هام على الخليج العربى بداية القرن ١٣م ومن الواضح أن ذلك بعد متأخرًا للغاية انظر: هايد، تاريخ التجارة، ص١٧٧ .

٢- ابن الأثير ، الباهر، ص١٥٦ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج٧، ص١٥٧ ، الأزدى، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق عصام هزايمه ومحمد محافظة وعلى عبابنه، ط. أربد ١٩٩٩م، ج٢، ص٤٥٦ ، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ، ج٥، ص٣٥٥ - ص٣٥٦ ، ابن حماد ، أخبار ملوك بنى عبيد، تحقيق فندر هيدن،

مريضًا فوقع عليه الخبر كالصاعقة ومات فى ١٢ سبتمبر ١١٧١م [١]، وقام صلاح الدين الأيوبى بالفصل بين الذكور والاناث من أفراد البيت الفاطمى حتى لايتناسلوا .

والأمر المؤكد أن إسقاط الدولة الفاطمية يعد أمرًا على جانب كبير من الأهمية وأشبه بالثورة ، فلأول مرة منذ قرنين من الزمان، تعود مصر إلى شقيقاتها السنيات وترفض المد الشيعى. كذلك حدث تغير بارز فى موازين القوى السياسية فى المنطقة، فالعملاق المصرى الذى كان نائمًا فى العصر الفاطمى الآن يستيقظ ليشارك بلاد الشام- الشقيقة الجغرافية والتاريخية- من أجل مواجهة الصليبيين، ويقرر أحد كبار المؤرخين أن الصليبيين وقعوا بين شقى الرحى ، وأن القوات الإسلامية أحاطت مملكة بيت المقدس من الشمال الشرقى، والجنوب

= ط. الجزائر ١٩٢٧م، ص٦٣ ، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ، ج٥، ص٣٤١ ، السيوطى، تاريخ الخلفاء ، ص١٧٩ ، ابن الطقطقى، الفخرى فى الآداب السلطانية ، تحقيق، ديرنبرغ، ط. شالون ١٨٩٤م، ص٤٢٥ ، الذهبى، دول الإسلام، ج٢ ، ص٧٩- ص٨٠ ، خاشع المعاضيدى، الحياة السياسية فى بلاد الشام خلال العصر الفاطمى، ط. بغداد ١٩٧٦م، ص٢٠٥ . إبراهيم أيوب، التاريخ الفاطمى السياسى ، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص٥٦ ، مفلح على ، أبطال الوحدة السورية المصرية فى الحروب الصليبية ، ط. دمشق، ب-ت، ص١٠٣ .

O'leary. Short History of The Fatimid Khalifate , London 1923 , p. 243 .

Ehrenkreutz, Saladin , New York 1972, p. 89 .

١- مسفر الغامدى ، الجهاد ضد الصليبيين فى الشرق الإسلامى ، ط. جده ١٩٨٦م، ص٣١٧ .

أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية فى مصر تفسير جديد، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٣٠٧ .

وأرد الإشادة بالدراسة العميقة المذكورة التى جمعت بين الجانبين السياسى والحضارى باقتدار يثير الاعجاب والتقدير ، تيسير بن موسى ، نظرة عربية على غزوات الافرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين ، ط. ليبيا ب-ت ، ص١٧٣ .

ويلاحظ أن عماره اليمنى قام برثاء الفواطم بقصيدة مؤثرة عن ذلك انظر : أحمد فؤاد سيد، تاريخ مصر الاسلامية من سلاطين بنى أيوب ٥٦٧- ٦٤٨هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص٦١ .

وعن الخليفة العاضد أنظر: المقريزى، إتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣٢٧ .

ماهر أحمد مصطفى، عصر الخليفة الفاطمى العاضد لدين الله، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب سوهاج- جامعة أسيوط، عام ١٩٩٠م.

الغـــربى[1]. وجاء ذلك دعمًا لقضية الوحدة المذهبية والسياسية التى إفتقدتها بلاد الشام ومصر منذ زمن بعيد ، ولانغفل أن الغزاة نجحوا فى تثبيت أقدامهم من خلال إستغلالهم للصراع السنى- الشيعى أما الآن فإن ذلك الأمر ولّى إلى غير رجعة وبالتالى عادت للمسلمين وحدتهم السياسية والمذهبية ، ولانغفل أن العباسيين عمتهم الفرحة الغامرة بالقضاء على عدوهم التقليدى وانتشرت مظاهر الفرح فى بغداد بزوال دولة الفواطم فى القاهرة، وألف ابن الجوزى رسالة عنوانها «النصر على مصر»[2]. وجاء ذلك الانجاز بعد إنتظار طويل ، وقد قرر مؤرخ معاصر أنه خطب فى مصر للعباسيين «وذلك بعد اليأس »[3].

ومع ذلك ، ومع الإقرار بفعالية الحلف العباسى النورى ودور صلاح الدين الأيوبى فى تحقيق إنجاز عام ١١٧١م، إلا أن الحقيقة المؤكدة تتمثل فى أن الدولة الفاطمية سقطت من الداخل قبل الخارج وتفاعلت عدة عوامل من وراء ذلك؛ فهناك الكوارث الاقتصادية مثل الشدة المستنصرية السالفة الذكر وفعالياتها ، والصراع السنى- الشيعى بين العباسيين والفواطم ، والصراع الوزارى وتأثيراته ، كذلك ضعف خلفاء العصر الفاطمى الثانى على نحو خاص ، ولانغفل عنصر محورى، فى صورة الغزو الصليبى لبلاد الشام ونجاح الغزاة فى إسقاط الأملاك الفاطمية الواحدة وراء الأخرى وعجز الدولة الفاطمية عن مواجهة ذلك الخطر الداهم وبالتالى إفتقدت مبرر وجودها أصلاً[4] بالإضافة إلى عجز الفواطم عن نشر المذهب

١- سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج٢، ص.٧١٠ .

٢- عبد المنعم ماجد ، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر ، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص٣٩٨ .

٣- ابن عساكر ، ترجمة محمود بن زنكى ، تحقيق نيكيتا اليسيف ، مجلة الدراسات الشرقية ، م (٢٥)، عام ١٩٧٢م، ص١٣٩ .

B.E.O., T. XXV, Année 1972 .

٤- ذلك على الرغم من أن الفواطم قاموا بدورهم فى مواجهة الصليبيين بعد فوات الأوان وبعد أن ظهرت لهم صورة الغزاة على نحو واضح ، وقامت قاعدتهما البحرية فى صور وعسقلان بدورهما فى مهاجمة المراكز الصليبية على الساحل الشامى، ومن المفيد هنا الاتجاه إلى هذه الدراسة المفيدة:

فهمى توفيق مقبل ، الفاطميون والصليبيون، ط. بيروت ١٩٧٩م. وهى متعاطفة عمومًا مع الفواطم .

الاسماعيلى بكثافة بين المصريين وهم الذين ظلوا على الولاء للمذاهب السنية[(١)] .

والأمر المؤكد أن الدولة الفاطمية كانت تعيش فى سبات شتوى طويل الأجل ولاتدرك خطورة التغيرات الدولية المحدقة بها .

ويلاحظ أن هناك ثلاث شخصيات بارزة وقفت وراء ذلك الإنجاز التاريخى البارز فى صورة نور الدين محمود الذى يوصف بأنه مهندس حركة الجهاد الإسلامى فى النصف الثانى من القرن ١٢ م ، ثم لانغفل قائده العسكرى المحنك أسد الدين شيركوه وهو بطل حرب الصحراء الذى اشترك فى مواجهة الغزو الصليبى لمصر فى عهد الملك عمورى، ومن بعد ذلك نذكر دور صلاح الدين الأيوبى الذى إمتلك بإقتدار موهبة إدارة الصراع فى مصر الفاطمية وواجه الأخطار العديدة وتمكن فى النهاية من إسقاط تلك الدولة بسلاسة على نحو أشاد به مؤرخه وخصمه ابن الأثير الذى أشار إلى أن ذلك حدث دون أن تتناطح عنزان[(٢)].

ومع ذلك ، ففى غمرة الإقرار بذلك الانجاز لابد هنا من الإشارة إلى أن ذلك صاحبه ما يمكن وصفه «بكارثة ثقافية» فى صورة تبديد مكتبة القصر الفاطمى التى يقال أنها إحتوت على ١,٦٠٠,٠٠٠ كتاب منها مائة ألف مخطوط منسوبة[(٣)]؛ وهو رقم ضخم بكافة

١- عن مراحل القضاء على المذهب الاسماعيلى فى مصر انظر : العماد الأصفهانى، البستان الجامع، ص١٣٩ ، ابن قاضى شهبة ، الكواكب الدرية ، ص١٩٤- ص١٩٥ ، المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص٣١٧ ويقول المقريزى : «اختفى مذهب الشيعة الامامية والاسماعيلية وبطل من حينئذ مجلس الدعوة بالجامع الأزهر وغيره» ، المصدر السابق، ج٣، ص٣٢٠ ، سهام مصطفى أبوزيد ، الدعوة الاسماعيلية ومدى نجاحها فى مصر الإسلامية ، رسالة دكتوراه - كلية البنات- جامعة عين شمس عام ١٩٧٧م، ص٢٧٣- ص٢٧٧، حسن على حسن ، «العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين، مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود م (١٢) ، لعام ١٩٧٨م، ص٣٥١- ص٣٥٤ .

٢- الباهر، ص١٥٦ ، الكامل، ج١١ ، ص٣٦٩ .

٣- عنها أنظر: المقريزى: إتعاظ الحنفا، تحقيق محمد حلمى محمد، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ج٣،ص٣٣١ .

ابن الطوير ، نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين ، تحقيق أيمن فؤاد سيد، ط. بيروت ١٩٩٢م، ص١٢٦- ص١٢٧، زكى حسن، كنوز الفاطميين، ط. القاهرة ١٩٣٧م، ص٢٧- ص٣٤ أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية فى مصر ، تفسير جديد، ص٦٠٠ .

إبراهيم أيوب، التاريخ الفاطمى الاجتماعى، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص١٦٩- ص١٧٠ .

المقاييس فى عصر لم يعرف آلة الطباعة ولا الكتابة الالكترونية وقد تم القضاء عليها وبيعت على الأرصفة وخصص لذلك يومين كل أسبوع وبيعت بأرخص الأسعار ، وأشترى منها القاضى الفاضل - وزير صلاح الدين- بعض الكميات، وأتصور أن الكتب - للأسف الشديد- دفعت ثمن التصارع السياسى، والمذهبى ، وقد أعتقد صلاح الدين الأيوبى أن تلك هى أفضل وسيلة للتخلص من تراث أعدائه الفواطم بما فيه من فكر شيعى يخالفه المعتقد السنى غير أن مثل تلك المكتبة الضخمة كان من الممكن التعامل معها بصورة أفضل وأرقى، مثل حصر ما فيها وفصل الصالح من الطالح من الكتب لا أن تبدد على ذلك النحو خاصة أنها مثلت تراثًا إنسانيًا يصعب تقدير قيمته العلمية.

والأمر المؤكد أن القاهرة الفاطمية كانت قد نافست ذلك الفارس الأيوبى بغداد وقرطبة فى إقتناء الكتب خاصة النسخ الأصلية ، وها هى تلقى ذلك المصير التعس ، ويعد ذلك خطأً فادحًا ارتكبه السلطان الأيوبى يصعب تبريره .

من زاوية أخرى ، نعلم أن ذلك القائد قام بثلاثة أدوار مزدوجة فى وقت واحد ، وذلك فيما قبل عام ١١٧١م، فهو رجل العاضد، ورجل نور الدين محمود ، ورجل طموحاته الشخصية، وبإسقاط الدولة الفاطمية، إنتهى الدور الأول، وصار هناك دوران ، ويشير ابن الأثير - الذى أخذ عنه كافة المؤرخين فيما بعد وهذا فى حالة صحة ما أورده فى هذا الشأن - إلى الخلاف بين نور الدين وصلاح الدين ، ومن الجلى البين أن الأول نظر إلى الثانى على أنه مجرد تابع له، على الرغم من أن ذلك التابع كان له طموحه وقدراته ، وأغرته إمكانات مصر المادية لمحاولة إقامة دولة له ولأسرته بها، وربما نجد بوادر الخلاف بين الطرفين عندما أرسل صلاح الدين لسيده فى دمشق هدية من خزانة العاضد نظر إليها نور الدين على أنها أقل مما توقع من خيرات مصر العريضة، مع ملاحظة أن مماطلة صلاح الدين فى أمر التعاون المشترك لحصار حصن الكرك [1] الاستراتيجى القريب من الحدود الجنوبية لمملكة بيت المقدس الصليبية زاد من أمر الخلاف بين الرجلين، كذلك لانغفل أن الأقوياء لايحبون الأقوياء مثلهم.

١- حصن الكرك ؛ وقع إلى الجنوب من الأردن ، ويبعد عن عمّان مسافة ١٣٠ ك.م وقد شيد على جبل ارتفع ٩٦٠م عن سطح البحر وقد احاط به ٣ أودية وهى وادى الست فى الشرق، ووادى الافرنج فى الغرب ووادى الكرك فى الشمال، وقتع الحصن المذكور بحصانة كبيرة أشارت إليها المصادر والمراجع المتعددة،

من ناحية أخرى ، نلاحظ أن صلاح الدين الأيوبى كان يعيد النظر فقد إتجه إلى أن يأخذ حذره من تقلبات السياسة فى المستقبل القريب والبعيد على حد سواء ، وهكذا ، إتجه صوب إرسال حملة إلى اليمن[١] من أجل إخضاعها لسيادته السياسية ، وهناك من يتصور أن ذلك؛ جاء من خلال إلحاح الشاعر عمارة اليمنى [٢] ، من أجل أن يتم إرسال قسم مهم من قوات صلاح الدين خارج مصر كى يتمكن من بعد ذلك من تدبير إنقلاب ضده ، ومع ذلك فإن إرسال تلك القوات وعلى رأسها طغتكين شقيق صلاح الدين كان من خلال دواع إستراتيجية لها شأنها .

= ويلاحظ أن الملك الصليبى بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م) طلب من نديه باين لى بوتيليه Payen de Bouteillo بتشييد حصن على بقايا قلعة الكرك السابقة وقد استغرق تشييد الحصن ما بين ٦ ، ١٠ سنوات، وفيما بعد حوصر الحصن المذكور من جانب نور الدين محمود عام ١١٧٠م، وقد سيطر عليه الفارس الفرنسى رينودى شاتيون عام ١١٧٧م وجعله مركزاً للهجوم على القوافل التجارية بين دمشق والقاهرة ، عنه أنظر:

محمد مؤنس عوض ، تاريخ القلاع الصليبية فى بلاد الشام ، ط. القاهرة ٢٠٠٧م ، ص٦٣- ص٦٥ ، يوسف غوانمه ، التاريخ السياسى لشرقى الأردن فى العصر المملوكى- المماليك البحرية، ط. عمان ١٩٨٢م، ص٣١ ، حاشية (٢٩) .

١- عن ذلك بالتفصيل انظر:

بدر الدين بن محمد، السمط الغالى الثمن فى أخبار الغز باليمن، تحقيق ركس سميث ، ط. كمبردج ١٩٧٤م، وحقق قسمًا منه محمد عبد العال فى مجلة معهد المخطوطات العربية م (١٠) ، ج١ ، مايو ١٩٦٤م ، ص١٣٧- ص١٦٧ ، محمد عبد العال ، «الأيوبيين فى اليمن وتاريخهم السياسى»، آداب الرافدين ، العدد (١٢) ، عام ١٩٨٤م، ص١١٥- ص١٥٠ ، نصارى فهمى، الأهمية العسكرية لليمن فى العهد الأيوبى» ، ندوة التاريخ الإسلامى، م (٦) كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عام ١٩٨٧م ، ص٢٢٩- ص٢٦٨ ، نعمان جيران وروضة آل ثانى، تاريخ الجزيرة العربية فى العصور الإسلامى الوسطى، ط. اربد ١٩٩٩م، ص٢٢٠ ، محمد على عسيرى، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى اليمن فى العصر الأيوبى ٥٦٩- ٦٢٦هـ، ط. جدة ١٩٨٥م، ص٣٨- ص٨٧ .

٢- عنه أنظر الفصل السادس .

فقد أدرك ذلك القائد صاحب الحس الأمنى القوى منذ أن عمل فى ذلك المجال فى دمشق، أنه فى حالة مقدم نور الدين محمود من الممكن إتخاذ اليمن مركزاً له عند إرغامه على الخروج منها ، خاصة أن طبيعتها الجبلية الشاقة أغرته على ذلك الأمر.

كذلك ندرك رغبته القوية فى السيطرة على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر، الذى مثل طريقًا حيويًا دوليًا للتجارة وقد أدرك أن حصار مملكة بيت المقدس جنوبيًا؛ يبدأ من البحر الأحمر، ولانغفل أنه فى عام ١١٧٠م وهو تاريخ مبكر حتى من قبل إسقاط الدولة الفاطمية ذاتها- اتجه إلى إخضاع أيله [١](العقبة) وبالتالى استطاع أن يحاصر الكيان الصليبى من الجنوب، ولم يعد لتلك المملكة إلا الحدود الشمالية والشرقية فقط وهى تجاور الوجود الإسلامى الذى كان « ينتظر » الوحدة بفارغ الصبر. وعكس ذلك كم كان بعيد النظر ويخطط لمرحلة تالية يظهر فيها جهاده الصليبيين .

إن إخضاع أيلة عام ١١٧٠م، ثم المرحلة الواقعة من ١١٧٢، ١١٧٤م وحدث خلالها التوسع نحو اليمن يدل على أن ذلك الفارس كان بارعًا فى اختيار مواقع تحركاته وبالفعل يوصف بأنه صاحب رؤية استراتيجية مبكرة لم تكن تتوافر بمثل ذلك العمق للقادة المسلمين السابقين باستثناء نور الدين محمود بطبيعة الموقف التاريخى ذاته .

ويقرر ابن الأثير ؛ أن صلاح الدين كان يعتقد أن نور الدين متى زال الصليبيون عن طريقه أخذ البلاد منه فكان يحتمى بهم عليه ولايؤثر استئصالهم [٢] ومع إدراكنا الكامل لتحامل ابن الأثير - ربيب البيت الزنكى- على صلاح الدين الأيوبى، إلا أنه من الممكن تصور أن ذلك كان حقيقيًا فى تلك المرحلة المحدودة المؤقتة ؛ إذ أن رغبة صلاح الدين فى الإستقلال بمصر، جعلته يستفيد مؤقتًا ولو لوقت محدود من الوجود الصليبى القائم بينه وبين سيده الذى مثّل حاجزاً بينهما غير أنه بعد أن إنتهت منافسة نور الدين محمود بوفاته عام ١١٧٤م، قام بالجانب الأكبر من الجهاد ضدهم، وأبلى فى سبيل ذلك بلاءً بارزاً على نحو ضمن له مكانة سامية فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى وما بعدها بطبيعة الحال.

١- عن إخضاعه أيلة أنظر: على أحمد السيد، استرداد صلاح الدين ايله من الصليبيين عام ١١٧٠م / ٥٦٦هـ ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٩٤- ص٢٠٣ .

٢- الباهر، ص١٦١ .

على أية حال، شهد عام ١١٧٤م حدثان على جانب كبير من الأهمية فى صورة إكتشاف مؤامرة دولية كبرى ضد صلاح الدين الأيوبى من جانب أتباع الفواطم وعناصر الإسماعيلية النزارية فى بلاد الشام وعلى رأسهم مقدمهم راشد الدين سنان[١] (١١٦٣-١١٩٣م) الذى تمكن من فرض سيادته وسطوته على أتباعه وأعتبر من أقوى القيادات الإسماعيلية فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، كما شارك فيها الصليبيون أيضًا ، وقد قام الشاعر عماره اليمنى بدوره فى دعم المؤامرة ، وقد قام صلاح الدين الأيوبى بالفتك بالمتآمرين ، ومن المقرر أنه فى حالة نجاحهم لتمكن الأعداء من الفتك بمشروع ذلك الفارس فى الوحدة ومن بعد ذلك جهاد الغزاه [٢].

والأمر المؤكد أن وجود مؤامرة بمثل ذلك الحجم بعد ثلاث سنوات فقط من إسقاط الدولة الفاطمية عكس حجم الأخطار المحدقة بصلاح الدين الأيوبى، وفى تصورى أن من أكبر الأخطار التى تعرض لها خلال تلك المرحلة ما اتصل بالحملة الصليبية على دمياط عام ١١٦٩م، وتلك المؤامرة ، وقد نتج عن مواجهة الخطرين المذكورين أن أكمل الفارس الأيوبى طريقة نحو الهدف المبين .

من بعد ذلك شهد العام المذكور وفاة نور الدين محمود بمرض الذبحة الصدرية ، وبالتالى إختفى من الساحة السياسية فارس بارز عُد أستاذ صلاح الدين الأيوبى، والأمر المؤكد أن

١- عنه أنظر الفصل السادس .

٢- عن تلك المؤامرة أنظر: ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج١ ، ص٢٤٣ ، ابن أيبك الدوادارى ، الدر المطلوب فى أخبار ملوك بنى أيوب ، تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ص٥٥ ، المقريزى ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج/١ ق١ ، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط. القاهرة ، ص٥٣- ص٥٤ ، ابن قاضى شهبة ، الكواكب الدرية، ص٢٥٤ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٦، ص٧٠- ص٧١ ، ابراهيم طرخان، صلاح الدين وتحرير القدس ، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص٢٠- ص٢١، عبد المنعم ماجد، الناصر صلاح الدين يوسف، الأيوبى، ط. بيروت ١٩٦٢م، ص٩٣ - ص٩٥ ، مصطفى غالب ، أعلام الإسماعيلية ، ط. بيروت ١٩٦٩م، ص٤٢٠، ص٤٢٢ ، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية ، العلاقات بين الشرق والغرب، ص٢٠٧ ، سعيد عاشور ، مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك، ط. بيروت ، ب-ت ، ص٣٢-٣٥ .

إسهامه البارز فى حركة الجهاد الإسلامى أمر لاينكر، وعلى الرغم من براعته فى قيادته مرحلة توازن القوى Balance of Powers ، إلا أنه لم يحظ بالتقدير الجدير به من جانب المؤرخين ، بل هناك من تصور أنه عجز عن تحقيق نتائج حاسمة فى صراعه ضد الصليبيين[١]، ووجد من المستشرقين من تحامل عليه فهاجمه سمايل Smail واتهمه بانعدام نشاطه المضاد لهم[٢] وأرجع ذلك إلى جبنه ، وإنعدام روح المبادرة لديه وخوفه من التدخل البيزنطى لصالح الإمارات الصليبية [٣]، وقرر أن الغزوات فى عهده لم تكن تتسم بالطموح ، على الرغم من أن إستعراض مراحل صراعه مع المملكة الصليبية يعكس لنا صورة مغايرة لذلك ، فالإستيلاء على دمشق عام ١١٥٤م؛ حسم أمرها تماماً لصالح السيادة الإسلامية وبالتالى أمكن توحيد حلب ودمشق لأول مرة منذ أمد بعيد كما أن الاستيلاء على مصر من خلال جهد نائبه صلاح الدين الأيوبى عام ١١٧١م حسم الصراع حولها لصالح المسلمين ، وعد أبرز إنجاز قامت به السياسة الخارجية النورية حينذاك.

أما خوفه من بيزنطة ، فعكس حنكته السياسية؛ إذ أدرك أن تلك الامبراطورية لن تقبل أن يمد نفوذه الحربى والسياسى فى حوض نهر العاصى ومدينته المزدهرة أنطاكية، ولذلك تجنب إستثارتها حتى لاترمى بكل ثقلها فى ساحة الصراع لصالح الصليبيين.

ومن المقرر أن الباحثين الذين نظروا فيما بعد إلى حجم الإنجازات التاريخية البارزة التى حققها المسلمون فى عهد صلاح الدين الأيوبى، خاصة إسقاط مملكة بيت المقدس الصليبية عام ١١٨٧م، نظروا بالتالى إلى مجهودات نور الدين محمود بشئ من الإحتقار [٤]؛ نظراً لعجزه عن تحقيق إنجاز خاص بإسقاط إمارة صليبية كما فعل والده عماد الدين زنكى أو المملكة اللاتينية ذاتها كما فعل تلميذه ، وذلك دون إدراك طبيعة مرحلة توازن القوى متغافلين فى كل ذلك عن إدراك أن صراع نور الدين محمود مع الصليبيين [٥]، قد مهد السبيل لصلاح الدين لتحقيق ما أنجزه

١- عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. بيروت ١٩٦٦م، ص١٥٦ .

٢- الحروب الصليبية ، ت. سامى هاشم ، ط. بيروت ١٩٨٢م، ص٧٢ .

٣- نفسه، ص٧٢ .

٤- محمد مؤنس عوض، ، فى الصراع الإسلامى الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص١٦٠ .

٥- عن ذلك انظر هذه الدراسة. على سعود عطيه ، التنافس بين نور الدين محمود والصليبيين على مصر، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الامريكية ببيروت عام ١٩٧٠م.

مهما يكن من أمر، فالملاحظ أن وفاة نور الدين محمود عام ١١٧٤م أنهت الدورين السابقين اللذين عمل فيهما صلاح الدين الأيوبى فى صورة رجل العاضد وانتهى ذلك الدور - كما أسلفت من قبل - عام ١١٧١م ، ورجل نور الدين وقد إنتهى عام ١١٧٤م، والآن صار يقوم بدور واحد هو رجل طموحاته الشخصية التى تفجرت دفعة واحدة بعد أعوام من المداراة الذكية.

والأمر المؤكد- فى تصورى- أنه فى حالة كون صلاح الدين الأيوبى مجرد حاكم تقليدى يؤثر السلامة لأستمر فى البقاء بمصر ، وصار إمتداداً لحكم العاضد آخر الخلفاء الفاطميين، وهو أمر لم يحدث ؛ إذ انطلق ليتدخل فى قضايا بلاد الشام؛ توحيداً لها مع مصر من أجل الإعداد ليوم التحرير وهو ما سوف تكشف عنه أحداث التاريخ فيما بعد.

هكذا، كانت المرحلة المصرية فى تاريخ صلاح الدين الأيوبى مرحلة مؤثرة وفعالة ، وعامرة بقضايا الصراع والتآمر، واستطاع أن يتجاوزها بفضل حنكته وخبرته وحسه الأمنى القوى، وهكذا ، فعندما إتجه إلى التدخل فى قضايا بلاد الشام عام ١١٧٤م كانت لديه خبرة كبيرة تمكنه من التعامل مع قوى متعددة متصارعة هناك خاصة أنه عمل فى تلك المنطقة من قبل مقدمه إلى مصر.

والأمر المؤكد أن قرار التدخل فى أموربلاد الشام كان قراراً صائباً تماماً، ومن المرجح أن صاحبه إتخذه بعد دراسة متأنية ولم يندفع فى التوصل إليه، ولامراء فى أن نجاحه فى مصر ومواردها الاقتصادية شجعه على التدخل فى ذلك النطاق الجغرافى المجاور لمصر والذى يعد المجال الحيوى المتسع الوحيد الذى عليه أن يتطلع عليه خاصة مع عدم وجود مجالات جغرافية أخرى للتوسع جنوباً وغرباً وشمالاً، مع ملاحظة أن فكرة التوسع هنا لاتنفصل البتة عن فكرة جهاد الصليبيين ذاتها .

يبقى أن نشير إلى نتيجة اقتصادية لها إنعكاسها المباشر من خلال المرحلة المصرية ، فالملاحظ أن صلاح الدين الأيوبى بسيطرته على مصر تمكن من أن يخضع له ميناءً بارزاً على البحر الأحمر، وهو عيذاب وميناءً عالمياً ومحورياً على البحر المتوسط فى صورة الاسكندرية ولانغفل أنها كانت مع القسطنطينية وعكا بمثابة مثلث تجارى بارز فى القسم الشرقى من البحر المتوسط. وأن تفوق بطبيعة الحال على مثلث صقلية تونس مرسيليا الواقع فى القسم الغربى من ذلك البحر.

والأمر المؤكد أن السيطرة على قسم بارز من تجارة البحرين المذكورين جعلا أمام ذلك السلطان أموالاً سائله طائله مكنته من أن يواجه الكيان الصليبي وينفق منه على تكوين جيش اعتبر أكبر قوة ضاربة فى الشرق .

ونخلص إلى القول أن القضية ليست إخضاع القاهرة للسيادة السنية فقط بل وتوابعها فى صورة عيذاب والاسكندرية ، ولسنا في حاجة إلى التأكيد على أن السياسة الخارجية للسلطان الأيوبى سارت فيما قبل معركة حطين نحو إخضاع خطوط التجارة العالمية المارة بالمنطقة ؛ من أجل إيجاد قاعدة مالية للجهاد ، فليست القضية هنا جشع أو مطامع شخصية بل أن الهدف الأعلى قائم يدفع نحو التوسع صوب مناطق غنية اقتصادياً خاصة تجارياً ، وكذلك ثرية بقوتها البشرية ، وأتصور أن مصر قدمت له الكثير فى هذا المجال، خاصة مع شقيقتها الجغرافية والتاريخية بلاد الشام ، ويلاحظ أن المرحلة المصرية- دونما حماس عاطفى- ستترتب عليها مراحل تاريخية أخرى تالية محورية ستوضحها الصفحات التالية.

ذلك عرض عن المرحلة المصرية وآثارها، أما الفصل التالى فإنه يتناول حركة الوحدة وحرب الاستنزاف الأيوبية- الصليبية.

الفصل الثالث

حركة الوحدة وحرب الاستنزاف الأيوبية - الصليبية ١١٧٤-١١٨٦م

يتصدى هذا الفصل بالدراسة لحركة الوحدة التى قادها صلاح الدين الأيوبى على مدى الأعوام من ١١٧٤-١١٨٦م ثم حرب الاستنزاف التى شنها على الصليبيين إلى أن تم تحقيق الإنجاز التاريخى الكبير عام ١١٨٧م.

واقع الأمر، تواجه الباحث فى أمر تحركات ذلك القائد العسكرية خلال المرحلة المذكورة تواجهه بعض المشكلات إذ أن نصوص المصادر التاريخية على إختلاف تصورات أصحابها تقدمه لنا كرجل طموح يريد بالفعل أن يخضع منطقة واسعة من مصر إلى بلاد الشام ثم شمالى العراق، على الرغم من تعدد أعدائه السياسيين والمذهبيين وتوزعهم بين مسلمين وصليبيين مع ملاحظة أنه فيما بعد سيأتى دعم للأخيرين من الغرب الأوربى على نحو عكس مدى تكالب الأعداء فى مساحة شاسعة مروعة بين قارات آسيا ، وأفريقيا ، وأوربا .

ومن اليسير على المؤرخ خلال المرحلة المذكورة أن يفسر كافة تحركاته على أنها نابعة من الطموح الشخصى والرغبة فى تكوين دولة له ولأسرته خلفًا للأسرة الزنكية وبالتالى فهو- عند فريق من المؤرخين - بنى مجده على أطلال حكم الزنكيين، غير أن الرد على ذلك أن المرحلة من ١١٧٤-١١٨٦ لاتفهم بذاتها بل بالمرحلة التالية لها خاصة الأعوام من ١١٨٧ إلى ١١٩٢م.

وهكذا، فمن الخطأ البين التفسير الاعتسافى للتاريخ، والتعامل مع مرحلة زمنية معينة وإخراجها من سياقها التاريخى السابق عليها واللاحق لها.

واقع الأمر ، أن عام ١١٧٤م، جاء ليحدث تغيرًا سياسيًا واضحًا لدى المسلمين والصليبيين على حد سواء، فإذا كان قد شهد غياب نور الدين محمود ، لدى المسلمين ، فإنه شهد أيضًا رحيل الملك عمورى لدى الصليبيين مع ملاحظة أن الأخيرين دخلوا فى مرحلة إضطراب وضعف

سياسى متزايد، أما المسلمين فالأمر المؤكد تاريخيًا أن الفراغ السياسى الذى نجم عن رحيل نور الدين محمود أمكن إنهاؤه بفضل التحرك السريع من جانب مصر التى كانت بالأمس فاطمية، وصارت الآن بعد الأعوام القلقة من ١١٧١ إلى ١١٧٤م ، صارت أيوبية : أى بطابع سياسى جديد واعٍ تمامًا لمقتضيات المرحلة التالية.

وإذا كانت مصر فى العصر الفاطمى الثانى قد قبلت- بضعف وهوان ملفت للنظر- تساقط أملاكها فى بلاد الشام الواحدة تلو الأخرى فإنها الآن لن تقبل إلا بالتدخل هناك من خلال عدة دوافع سياسية واقتصادية لاتنكر ، فقد أدرك صلاح الدين الأيوبى من خلال خبرته المتراكمة عبر طريق دمشق- القاهرة أن المدينتين المذكورين فى حالة توأمة جغرافية وتاريخية وأن بقاء كل واحدة منهما منفصلة عن الأخرى سيمثل كارثة على الأخرى، والمؤكد أنه كقائد طموح لم يكن من الممكن أن يقبل بالبقاء فى مصر منعزلاً يشهد تطورات سياسية متلاحقة فى دمشق لاتتفق مع مصلحته السياسية العليا خاصة أن دمشق غدت المجال الحيوى المنطقى لتوسعاته التالية .

والواقع أنه فى أعقاب رحيل مهندس حركة الجهاد الإسلامى فى النصف الثانى من القرن ١٢م وأعنى به نور الدين محمود تولى من بعده ابنه الصالح اسماعيل وكان صبيًا صغيراً، وعادت دمشق إلى سيرتها القديمة فى التفكك والتصارع[١] وكأنها أرادت عودة نظام الأتابكيات التى نتج عن تفكك الدولة السلجوقية ، وفى ذلك الحين أرسل بعض أهل دمشق إلى صلاح الدين الأيوبى يطلبون منه التدخل إنقاذاً لبلدهم من عواقب الصراع السياسى [٢].

والأمر المؤكد أنه لم يكن أمامه إلا التدخل بقوة فى الشأن الدمشقى حماية لأمنه السياسى فى القاهرة ، وكذلك حماية لعاصمة بلاد الشام التاريخية من خطر الكيان الصليبى الذى كان يرصد من مرتفعات الجولان عبر قلعة الصبيبة [٣].(نمرود) كافة التطورات بجلاء تام، وقد

١- ابن شداد ، النوادر السلطانية، ص٥٠ .

٢- عبد القادر الريحاوى، دمشق تراثها ومعالما التاريخية ، ط. دمشق ١٩٩٦م، ص٣٣ .

٣- قلعة الصبيبة، وقعت بالقرب من بلدة بانياس فى الشعاب الجنوبية من جبال لبنان الشرقية والتى سميت قديمًا جبل هرمون Hermon أو جبل الشيخ حاليًا، أما اسمها فقد ورد على أنه الصبيبة أو بانياس أو نمرود وقد حدث صراع مرير بين المسلمين والصليبيين بشأنها نظراً لموقعها الاستراتيجى المذكور ، عنها أنظر:

كان من مصلحة الصليبيين أن يوجد كيان إسلامى ضعيف هناك حتى يسمح لهم بحرية الحركة العسكرية والسياسية، وبالتالى يتمكنوا من ملء الفراغ السياسى الناجم عن رحيل آخر ملوكهم الكبار وأعنى به عمورى الأول.

لقد تمكن الفارس الأيوبى بالفعل عام ١١٧٤م من فرض سيطرته السياسية على دمشق، وكان يحمل شعاراً سياسيًا براقًا وهو أنه ما قدم إلا دفاعًا عن ابن سيده الصالح إسماعيل ضد الطامعين فى ملكه ودلّ ذلك على قدرته على التعايش مع الواقع السياسى حينذاك ، ورغبته فى إظهار تدخله فى دمشق بمظهر التدخل الذى يملك المبرر الشرعى والمنطقى فى أذهان المعاصرين مع ملاحظة أن ذلك الشعار ما أتخذه إلا لدعم قوته خلال تلك المرحلة ، لكنه فيما بعد سيسقطه بعد أن يتمكن من تدعيم نفوذه على نحو أكبر.

وفى تصورى أن هناك عامين فارقين فى تاريخ دمشق ؛ الأول عام ١١٥٤م، عندما خضعت لنور الدين محمود وتوحدت لأول مرة مع شقيقتها الشمالية حلب والثانى عام ١١٧٤م عندما إتحدت دمشق مع القاهرة من خلال سيد واحد فى صورة صلاح الدين الأيوبى، ولانغفل أن حركة الجهاد الإسلامى التى إنطلقت من الموصل مروراً بحلب ثم دمشق والقاهرة ، الآن تسير فى إتجاهها المعاكس فتبدأ من القاهرة كى تصل إلى دمشق ثم حلب .

ومن المهم هنا الإقرار ؛ بأن صلاح الدين الأيوبى لم يكن مبتكراً فى أمر الوحدة، بل إنه مثّل جزءاً من تطورها التاريخى ، فالملاحظ أن عماد الدين زنكى بإخضاعه حلب للموصل[1] بدأ الطريق وواصله نور الدين والآن على الفارس الكردى إكماله . وفى حالة الإفتراض جدلاً بعدم إكماله لذلك الدور التاريخى الذى بدأ من عدة عقود ماضية ؛ لما احتل مكانة البارز فى التاريخ خلال مرحلة القرون الوسطى.

= مولر ، القلاع أيام الحروب الصليبية ، ت. محمد وليد الجلاد، ط. دمشق ١٩٨٤م، ص٥٢-٥٣ ، محمد مؤنس ، تاريخ القلاع الصليبية فى بلاد الشام، ص٦٢، ص٦٣ .

١- عن طريق الموصل- حلب أنظر : هذه الدراسة العلمية الجادة. كمال بن مارس ، العلاقة بين الموصل وحلب وأثرها على الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩١م، وقد نشرت تحت عنوان: العلاقات الاقليمية والحروب الصليبية من ٤٦٤- ٥٨٣هـ/ ١٠٧١- ١١٨٧م، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.

لقد نتج عن إخضاعه لدمشق عدة نتائج بعيدة المدى فقد عادت الوحدة السياسية بين عاصمة مصر، القاهرة وعاصمة بلاد الشام دمشق ، بعد قرنين من التصارع والتناحر المذهبي السني- الشيعي ، كما أن حركة التجارة المزدهرة عبر ذلك الطريق التاريخي الذي عرف بطريق حورس القديم بشمالي سيناء - أو ما عرف بالدرب السلطاني- صارت كافة أمواله الطائلة في قبضة الأيوبيين على نحو دعم قدراتهم على التحرك عسكريًا وسياسيًا ضد القوى الإسلامية المناوئة وكذلك الصليبيين.

من ناحية أخرى، لم يعد صلاح الدين الأيوبي يمكنه مواجهة المملكة الصليبية عبر إجتياز شبه جزيرة سيناء القاحلة بل إن المسافة ضاقت بينه وبينهم من خلال سيطرته على دمشق وهكذا ، فإن مناطق الجليل الأعلى، وبيروت وصور وصيدا صارت في الاهتمامات الأيوبية ولكن تنتظر الظرف التاريخي الملائم ، ولانغفل أن معركة حطين عام ١١٨٧- وهي التي ستخصص لها فصلاً مستقلاً إنطلقت القوات الإسلامية قبلها من مرتفعات الجولان ذاتها- وهكذا يتأكد لنا أن إخضاع دمشق أثر على قدرة السلطان الأيوبي على المناورة العسكرية والسياسية على نحو أكبر من وجوده في القاهرة فقط .

كذلك لانغفل أن السيطرة على تلك المدينة جعله وجهًا لوجه مع الزنكيين الذين لم يكن من الممكن أن يقبلوا الاستسلام في يسر وسهولة أمام الفارس الكردي المنطلق من القاهرة صوبهم.

غني عن القول، شنت حملة إعلامية ضده من خصومه المعاصرين له ، وكذلك بعض المؤرخين المحدثين الذين تأثروا برؤية ابن الأثير أو بعض المستشرقين ، وهكذا ظهر صلاح الدين لديهم على أنه التابع العاق لسيده الذي ورث أملاكه وتمرد عليه . وللرد على ذلك نلاحظ الآتي :

أولاً : ليست القضية قضية ولاء لأفراد بل هي الولاء لقضية الجهاد الإسلامي فالرجل أراد تكوين دولة جديدة على أنقاض دولة سابقة إنتهى دورها كي ينطلق إلى مجاهدة الغزاة الصليبيين ، ثم أن صلاح الدين كان وفيًا لنور الدين محمود وما أشيع في المصادر عن خصومه الطرفين على الأرجح غذاها المؤرخ العراقي ابن الأثير ورواياته التي أوردها تعطي حجمًا أكبر وغالبًا مفتعلاً للنزاع بين الرجلين ؛ وقد يكون هناك تنافس سياسي، لكن من يدرس تاريخ السلطان الأيوبي يدرك كيف أنه كان وفيًا لنور الدين محمود غير أن وفاءه الأكبر كان للجهاد الإسلامي وهذا هو ما يوصف بأنه بيت القصيد.

ثانيًا : التدخل في بلاد الشام أملته الظروف والملابسات التي نتجت عن رحيل نور الدين

محمود- كما أسلفت الذكر- ولم يكن صلاح الدين نسخة مكررة باهتة من العاضد الفاطمى الذى قنع بالبقاء فى الحدود المصرية مع وجود العدو الصليبى قائمًا فى بلاد الشام وانتهى به الأمر إلى الخروج من التاريخ !!.

ثالثًا : من الملاحظ أن العداء ضده تزايد مع زواجه عام ١١٧٦م[١] من عصمت خاتون أرملة نور الدين محمود ؛ وهى ابنه معين الدين انر أتابك دمشق خلال الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧-١١٤٩م وقد تزوجها ليس إذلالاً لها أو كرهًا لزوجها الراحل أو جحودًا كما توهم البعض ، بل حفاظًا عليها وإبقاء لها كسلطانة موقرة سكنت قلعة دمشق أعوامًا طويلة، ولانغفل أن عمرها كان حينذاك خمسين عامًا[٢]، ويلاحظ أن الأتابك عماد الدين زنكى من قبل أقدم على تجربة مهمة للزواج السياسى عندما اقترن بزمرد خاتون ملكة دمشق[٣] وكانت قد بلغت الستين من عمرها، ولانغفل هنا، أن من بين أسباب إقدام الفارس الكردى على الزواج من عصمت خاتون؛ رغبته فى أن يكون الوريث الشرعى لأملاك نور الدين محمود ، وحتى يتدعم نفوذه أمام القوى السياسية المتربصة به فى بلاد الشام من المسلمين وما أكثرها.

نخلص من ذلك أن ما أقدم عليه صلاح الدين الأيوبى عام ١١٧٦م من زواجه من أرملة سيده دل على نبل الأخلاق وفى نفس الحين القدرة على حسن تقدير الأمور لصالحه ولصالحها هى أيضًا ولايمكن إتخاذه على أنه دليل على العقوق أو الجحود كما توهم البعض ممن يتخذون موقفًا مسبقًا ثم يكتبون التاريخ من خلال القولبة وإعتساف الأحكام.

ويلاحظ أن صلاح الدين الأيوبى واجه خطرًا محدقًا من عناصر الإسماعيلية النزارية أو الحشاشين Assassins؛ وهم الذين من قبل إغتالوا قائد الجهاد الإسلامى شرف الدين مودود ،

١- عن زواجه من عصمت خاتون أنظر: عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية فى تاريخ مصر الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص٧٩ . وعنها انظر الفصل السادس.

٢- شاكر مصطفى، صلاح الدين، ص١٨٤ ، وعنها أنظر: خلف محمد الحسينى، لقاء بطلين صلاح الدين الأيوبى وجمال عبد الناصر ، ط. أسيوط ١٩٥٨م، ص١٠١ .

٣- نفسه ، نفس الصفحة. من الممكن الرجوع إلى هاتين الدراستين : فتحى أبوسيف ، المصاهرات السياسية فى العصرين الغزنوى والسلجوقى، ط. القاهرة ١٩٨٦م، وفاء محمد على، الزواج السياسى فى عهد الدولة العباسية ، ط. القاهرة ١٩٨٨م.

والآن يوجهون خناجرهم إلى ذلك القائد المسلم البارز وهكذا؛ تعرض لعملتى إغتيال[١] وذلك عام ١١٧٥م وذلك خلال حصاره لحلب . كما تعرض عام ١١٧٦م لمحاولة أخرى فى إعزاز وهى من مناطق الاسماعيلية وإن تحصنوا فى ما عرف بقلاع الدعوة مثل مصياف[٢] التى كانت من قلاع الدعوة الإسماعيلية مثل الخوابى [٣]، والقدموس [٤]،

١- عن محاولتى اغتياله أنظر: ابن الأثير ، الكامل، ج١، ص١٣٠ ، سبط بن الجوزى، مرآة الزمان، ص٣٢٨ ، ابن واصل مفرج الكروب، ج٢، ص٢٤ ، المقريزى ، السلوك ، ج١ / ق١ ، ص٦٧ ، حامد غنيم، الجبهة الإسلامية فى عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٢م، ج٢، ص٧٤، يوسف الديس ، تاريخ سوريا، ط. بيروت ١٩٠٠م، ج٦، ص٨٦ - ص٨٧ ، برنارد لويس، الدعوة الاسماعيلية الجديدة، ت. سهيل زكار ، ط. بيروت ١٩٧١م، ص١٣٠ ، جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ج٢ ، ص٤٥، محمد مؤنس عوض ، التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٨٤م، ص٢٥٠ .

٢- مصياف ، أو مصيات ، أو مصياب وهى من أهم قلاع الدعوة الاسماعيلية فى بلاد الشام ووقعت ضمن حدود امارة طرابلس الصليبية وحدد موقعها بأنها كانت إلى الجنوب من الرصافة وإلى الشرق من قلعة القدموس. عنها أنظر:

أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار، تحقيق فيليب حتى، ط. برنستون ١٩٣٠م، ص١٤٨ حاشية (٢) ، جوزيف نسيم يوسف ، العدوان الصليبى على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع فى الأراضى المقدسة، ط. بيروت ١٩٨١م، ص٢١٩ ، حاشية (١) .

٣- وقعت قلعة الخوابى فى شمال غرب صافيتا وجنوب شرق المرقب، عنها أنظر:

الإدريسى، نزهة المشتاق، ج٤ ، ص٣٧٥ ، ابن سعيد المغربى ، بسط الأرض فى الطول والعرض ، تحقيق خوان خنيس ، معهد مولاى الحسن ، ط. تطوان ١٩٥٨م، ص٨٦ ، محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ط. الاسكندرية ١٩٧٨م، ص٦٠٤ .

٤- القدموس، وقعت إلى الشرق من المرقب ويقال أن الإسماعيلية النزارية تمكنوا من الاستيلاء عليها خلال المرحلة ما بين ١١١٢، ١١١٣م، عنها أنظر : القلقشندى ، صبح الأعشى، ج٤ ، ص١٤٧ ، زكى نقاش، الحشاشون وأثرهم فى السياسة والاجتماع، رسالة دكتوراه غير منشورة- كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٥٠م، ص١٣٣ ، عبد الكريم حتاملة ، «صلاح الدين الأيوبى وموقفه من القوى المناوئة فى بلاد الشام»، الدارة السنة (١٢) العدد (٢) سبتمبر ١٩٨٦م، ص١٦٢ .

المينقة [١]، والعليقة [٢]، وغيرها، وهنا نلاحظ أن نجاته من عمليات الاغتيال والمؤامرات المتعددة لاتجد تعليلاً منطقياً لها إلا من خلال حفظ الله جل شأنه لذلك الفارس، وإدخاره ليوم محدد لجهاد الصليبيين، ومن الملفت للإنتباه؛ أن عناصر الإسماعيلية النزارية أرادت أن تفعل به ما فعلته من قبل مع قادة حركة الجهاد الإسلامي، كما لانغفل أيضاً أمر تهديدها لنور الدين محمود. لكن المحاولتين ضد صلاح الدين فشلتا ودل ذلك على عدم قدرتهم على تحقيق هدفهم الماكر بالقضاء عليه خلال تلك المرحلة القلقة من مراحل تاريخه العامر بالأحداث وقد اتجه إلى مهاجمة مراكزهم عام ١١٧٦م [٣].

لقد أثبتت الاسماعيلية النزارية حينذاك أنها، تعاملت بتآمر مع قادة حركة الجهاد الاسلامي، وبالتالي وقفوا فى خندق واحد مع الصليبيين.

وهكذا يمكن القول أن هناك ثلاث محاولات اغتيال كبيرة تعرض لها ذلك السلطان فى صورة المؤامرة الدولية الكبرى عام ١١٧٤م، ثم محاولة عند حلب عام ١١٧٥م [٤]، وأخرى عند

١- وقعت قلعة المينقة شمال قلعة الكهف وإلى الغرب من قلعة القدموس عنها أنظر: ابن بطوطة، الرحلة، ط. بيروت ١٩٦٤م، ص٧٦، عارف تامر، سنان وصلاح الدين، ط. بيروت ١٩٥٦م، ص٧١.

٢- وقعت قلعة العليقة جنوب شرق جبله، عنها أنظر: القلقشندى، المصدر السابق، ج٤، ص١٤٧، الياس ديب العقود الدرية فى تاريخ المملكة السورية، ط. بيروت ١٨٧٤م، ص٩٢، السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى، ط. الاسكندرية ١٩٦٧م، ص٣١٦.

٣- ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٤٧-٤٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٢٦٥.

٤- عن تلك المحاولة أنظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٢٤، سعيد عاشور، صلاح الدين الأيوبى، ص١١٤ نظير حسان سعداوى، التاريخ الحربى المصرى، ص٩٣، جمال الدين الرمادى، صلاح الدين الأيوبى، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص٥١. سوسن محمد نصر، القاضى الفاضل وصلاح الدين والوحدة الإسلامية، ط. القاهرة، ١٩٩٠م، ص٧٤، محمد المقدم، الاغتيالات فى بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب- جامعة المنصورة عام ٢٠٠٥م، ص٢٣٨ - ص٢٣٩ دراسة غير مسبوقة فى موضوعها والجهد المبذول فيها من جانب الطالب اليمنى النابه.

إعزاز عام ١١٧٦م [١]، وكل ذلك يكشف لنا أن تاريخه لم يكن صنعه أمراً سهلاً ميسوراً بل إن العقبات والمخاطر كانت تلاحقه فى مرات عديدة ، ومن الملفت للإنتباه أن العقبات صادفته من القوى الإسلامية بصورة نجدها فاقت أحياناً القوى الصليبية خاصة خلال مرحلة الوحدة الممتدة بين عامى ١١٧٤ ، ١١٨٢م، وفى تقديرى أنه فى حالة إنجازه لأمر تلك الوحدة فى أعوام قليلة لكان من الممكن مواجهة الكيان الصليبى فى عام سابق على عام ١١٨٧م، ومع ذلك يبقى الأمر كنوع من «الرياضة الذهنية» خاصة مع إدراكنا أن أحداث التاريخ لاتتقدم ولاتتأخر بل تحدث من خلال توقيت محدد كنتاج لظروف متعددة ودوافع مختلفة تؤدى إليها.

تجدر الإشارة ، أن عناصر الزنكيين فى كل من حلب والموصل تحالفا معًا لمهاجمة صلاح الدين الأيوبى فى منطقة حماه، وقد اتجه الأخير إلى أن يعرض عليهم إعطاءهم حمص، وحماه شريطة أن تظل دمشق فى يده، ويصير نائبًا عن الملك الصالح إسماعيل ، إلا أنهم رفضوا ، ويلاحظ هنا أن ذلك الفارس الأيوبى فى كافة تحركاته كان يفضل دومًا الحل السلمى تجنبًا لسفك الدماء ، وعندما لاتكون من ورائه جدوى عندئذ لايجد مفراً من الحرب ، وبالتالى فالأخيرة لم تكن بمثابة الاختيار الأول له .

وهكذا ، إلتقت قوات الطرفين فى ١٢ أبريل ١١٧٥م فى منطقة قرون حماه [٢] وقد أسفرت عن إنتصار كبير للقوات الأيوبية التى تتبعت الجيش الزنكى المنسحب حتى حلب.

١- عن تلك المحاولة انظر: ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٥٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٢ ، ص٤٥ ، المقريزى ، السلوك، ج١ / ق١ ، ص٦٧ ، نظير حسان سعداوى، التاريخ الحربى المصرى، ص٧٥ ، جمال الدين الرمادى، صلاح الدين الأيوبى، ص٥١-٥٢ . الدهس، تاريخ سوريا ، ج٦ ، ص٨٦- ص٨٧ ومن المفيد الإطلاع على هذه المقالة المهمة: عبد الكريم حتامله، «صلاح الدين وموقفه من القوى المناوئة فى بلاد الشام»، الدارة، العدد (٢) السنة (١٢) سبتمبر ١٩٨٦م، ص١٨٩- ص١٧٣ ، وكذلك هذه الدراسة المهمة: راجيه عبد الوهاب، الأيوبيون والاسماعيلية فى بلاد الشام والعلاقة بينهم، ط. القاهرة ١٩٨٢م.

٢- عن معركة قرون حماه أنظر: ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٥١ ، ابن واصل ، المصدر السابق ، ج٢، ص٣١- ص٣٣ ، عبلة المهتدى الزبدة ، صلاح الدين وتحرير القدس، ط. عمان ١٩٩٤م، ص١٠٢ ، سعيد عاشور، مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك ، ط. بيروت ، ب-ت ، ص٤٠ .

ولاريب فى أن تلك المعركة كانت ذات نتائج متعددة على مستقبل صلاح الدين الأيوبى السياسى، ويلاحظ أن فى تريخه معركتين بارزتين هما قرون حماه ١١٧٥م، وقرون حطين ١١٨٧م والأولى ضد الزنكيين والثانية ضد الصليبيين ، وقد اكتسب ثقة فى قوته وقدرته على أن يحدث تغييراً فعلياً فى الواقع السياسى فى بلاد الشام ويمكن إجمال تلك النتائج على النحو التالى :

أولاً : تخلصه من التبعية للصالح إسماعيل [١]، حيث أزال اسمه من على السكة ، ويلاحظ هنا أن ذلك الموقف لايدل على غدر أو عدم وفاءً لنور الدين محمود وابنه ، فلم يكن من الممكن بعد ذلك الإنتصار البارز أن يظل تابعًا له، وقد تأكد الآن - أكثر من أى وقت مضى- أن شمس الزنكيين آخذة فى الذبول والمغيب وشمس الأيوبيين بدأت تشرق بأشعة جديدة ستغير من تاريخ المنطقة.

ثانيًا : أكدت تلك المعركة سيطرته على المناطق التى كانت خاضعة لسيطرته السياسية فى صورة دمشق ، وحمص ، وحماه، وبعلبك [٢].

ثالثًا : تدعم وجوده فى المناطق السابقة بإخضاعه لمناطق جديدة هى معرة النعمان، وكذلك كفر طاب، وبعرين[٣] وبالتالى دعم نفوذه السياسى هناك وسيطر على خطوط التجارة المارة بها .

والواقع إن نظرة متأنية لخريطة بلاد الشام عصر الحروب الصليبية تؤكد لنا أن المناطق الأخيرة التى ضمها وقعت إلى الشرق من نهر العاصى، وفيما بين إمارتى أنطاكية وطرابلس وبالتالى توسع نحو الشمال، وصارت المنطقة الفاصلة بين دمشق وحلب فى أغلبها تابعة لسيطرته السياسية .

رابعًا : الأمر المؤكد أن ذلك الانتصار البارز جعل الخلافة العباسية تدرك أنها أمام قائد مسلم واعد يمكن أن تراهن عليه ليكون سيدها فى بلاد الشام وهكذا إعترفت الخلافة بصلاح الدين كسيد على مصر والشام، ووصلت بالفعل رسل الخليفة المستضئ بالله حاملة

١- نعمان جبران ، دراسات فى تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص٨٤ .

٢- نفسه ، ص٨٤ .

٣- نفسه ، نفس الصفحة .

معها الخلع والتقليد بحكم الاقليمين المذكورين [١] وبالتالى إكتسب الشرعية من بغداد وتفوق حربيًا وسياسيًا على كافة أقرانه .

لقد أكدت معركة قرون حماه على حقيقة لامناص من الإقرار بها وتعنى أن الزنكيين بعد عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود ، لم يتمكنوا من إظهار قيادة سياسية وعسكرية بديلة تستطيع أن تكون نداً لصلاح الدين، والأمر المؤكد، أن رحيل نور الدين محمود أوجد فراغًا سياسيًا واضحًا عمل ذلك القائد المنتصر على شغله دون أن يجد منافسًا حقيقيًا.

جدير بالذكر، لم يقف رد الفعل الزنكى عند هذا الحد بل أن سيف الدين غازى حاكم الموصل اتجه إلى استخدام قواته من أجل وقف التوسع الأيوبى، وألتقى الطرفان فى معركة تل السلطان عام ١١٧٥م[٢] وفيها انتصر صلاح الدين الأيوبى وفر حاكم الموصل إليها .

وفيما بعد ذلك الإنتصار إتجه إلى أن يخضع مناطق فى شمالى الشام مثل بزاغة، واعزاز، ومنبج [٣]، وقد أدرك أن ذلك من شأنه إضعاف الموصل وهى مناطق واقعة على خطوط التجاة بين العراق وبلاد الشام وإعاقة اتصالها المباشر بحلب إلى حد ما ، بل إتجه إلى حصار الأخيرة فى ٢٥ يونيو ١١٧٦م، وعندما لم يتمكن من إخضاعها عقد صلحًا مع حكامها .

الأمر المؤكد ، أن معركتى قرون حماه، وتل السلطان عام ١١٧٥م، أكدتا لصلاح الدين الأيوبى ضرورة إخضاع كل من حلب والموصل مهما طال الزمن واشتدت العقبات لأن ذلك هو السبيل الوحيد للقيام بجهوده الصادقة نحو جهاد الصليبيين .

كما لانغفل الاقرار هنا بأن خوض الجيش الأيوبى لمعركتين كبيرتين فى عام واحد وخروجه منتصراً منهما يعكس قدرته على إحداث تغييرات عسكرية، وسياسية فى المنطقة خلال مرحلة زمنية محدودة، ومن الملفت للإنتباه ، أن الصليبيين خلال تلك الأحداث التاريخية التى وقعت

١- نعمان جيران، دراسات فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٨٤ ، وعن العلاقات الأيوبية العباسية أنظر: محمد الحاج قلفل، علاقة الأيوبيين فى مصر والشام بالخلافة العباسية ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٧م.

٢- عن معركة تل السلطان انظر: ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٨- ص٤٢ ، سعداوى، التاريخ الحربى، ص٦٨- ص٧٠ ، مصطفى الحيادى، صلاح الدين، ص١٩١ ، عدنان جيران، دراسات فى تاريخ الأيوبيين ، ص٨٥ .

٣- نعمان جيران، دراسات فى تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص٨٥ .

فى جوارهم وجد منهم من ترقع أن أحداثًا محورية ستقع ، وخير مثال دال على ذلك، كتبه المؤرخ البارز وليم الصورى William of Tyre حيث أدرك أن التوسع الأيوبى فى بلاد الشام أنطلاقًا من مصر لابد وسيؤدى إلى ما هو فى غير صالح الصليبيين، خاصة أن بقاء الأخيرين فى المنطقة كان- فى أحد عناصره - يعود إلى تنامى الخلافات والصراعات السياسية والطائفية والعرقية التى عمل الغزاه على استثمارها لصالحهم.

تجدر الإشارة ، إلى أن صلاح الدين الأيوبى إتجه فى عام ١١٧٦م إلى العودة إلى مصر من أجل تأمينها ، وعمل على البدء فى تشييد قلعة الجبل فوق جبل المقطم [١]، وقد أدرك الضرورة الملحة لتأمينها ضد الخطر الصليبى وكذلك أية حركات معارضة معتادة، وعهد بأمر بنائها لبهاء الدين قراقوش (الطائر الأسود) الذى أحضر أحجار بعض الأهرامات الصغيرة فى الجيزة واستعملها فى تشييد تلك القلعة [٢]، ويقال أنه استعمل الشدة مع البنائيين ومنهم عناصر من أسرى الصليبيين، حتى صارت شدته مثلاً «حكم قراقوش» [٣]، دليلا على الظلم

١- عنها أنظر: ابن جبير ، الرحلة ، ط. بيروت ١٩٨٤م، ص٢٥، المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط. بولاق ١٢٧٠هـ ، ج١ ، ص٢٠١-٢٠٤ ، ابن شاهين ، نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، ط. القاهرة ١٩٨٧م، ص٥٢، حاشية (٢)، ابن دقماق ، الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور، ط. مكة المكرمة ١٩٨٢م، ص٢٦٦، حاشية (٣) كازانوفا ، تاريخ ووصف قلعة الجبل، ت. أحمد دراج مراجعة جمال محرز، ط. القاهرة ١٩٧١م، كريزويل، وصف قلعة الجبل، ت . جمال محرز، ط. القاهرة ١٩٧٤م، عبد الرحمن زكى، قلعة صلاح الدين الأيوبى وما حولها من الآثار، ط. القاهرة ١٩٧١م، ص٣١- ص٤٦ ، زكى حسن «قلعة الجبل»، مجلة الكتاب عدد أكتوبر ١٩٤٦م، ص٨٧٣- ٨٨٢ ، وفاء محمد على، قيام الدولة الأيوبية، ط. القاهرة ١٩٨٧م، ص١١٢- ص١١٣ ، أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج٢، العصر الأيوبى ، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص٢١- ص٢٩ . زكى حسن، فنون الاسلام ، ط. القاهرة ، ب-ت ، ص٦٩- ص٧١ .

٢- عدنان الحارثى ، عمران القاهرة، وخططها فى عهد صلاح الدين الأيوبى> ٥٦٤- ٥٨٩هـ/ ١١٦٨-١١٩١م ، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص٣٧٣ .

٣- محمد رجب البيومى، صلاح الدين الأيوبى قاهر العدوان الصليبى، ط. دمشق ١٩٩٨م، ص١١٩ .

وأنظر أيضًا : ابن مماتى، الفاشوش فى حكم قراقوش، تحقيق عبد اللطيف حمزه ، ضمن كتاب حكم قراقوش ، ط. القاهرة ١٩٨٢م.

مع ملاحظة أن اكتمال تلك القلعة لن يتم إلا بعد ذلك بثلاثة عقود وتحديداً فى عهد السلطان الكامل محمد الأيوبى (١٢١٨-١٢٣٨م) وتحديداً فى عام ١٢٠٧-١٢٠٨م[١]. ومما يذكر هنا ، أنه تم حفر بئر فى القلعة المذكورة. عرف باسم بئر يوسف من أجل تزويدها بالماء وقد اعتبر البئر المذكور آية من آيات المعمار ويقال أن هناك ٣٠٠ درجة كانت تؤدى إلى قاعه[٢] .

وقد انقسمت القلعة فى جميع مخططاتها إلى قسمين متميزين الشمالى وهو مستطيل الشكل، أما الجنوبى الشرقى فقد إنفصل عن القسم الأول عن طريق سور سميك، وكان يتم الوصول إلى القسم الشمالى عن طريق بوابة أطلق عليها بوابة الدرج [٣].

بصفة عامة ، من الملاحظ أن المسلمين- عموماً- فى صراعهم المرير مع الصليبيين لم يحتاجوا إلى تشييد العديد من القلاع [٤]؛ نظراً لعدم معاناتهم أصلاً من نقص العنصر البشرى، كما أنهم كانوا هم أصحاب الأرض التى تعرضت للغزو الخارجى الصليبى .

يبقى أن ألفت نظر القارئ إلى أن هناك من علماء الآثار من اهتم، بدراسة قلعة الجبل ومن أمثلتهم كريزويل Creswell - عمدة الآثار الإسلامية ، وكازانوفا Casanova ؛ مما عكس إدراكهم العميق لأهميتها ودورها فى تاريخ تلك المرحلة من مراحل الصراع الأيوبى الصليبى وحتى فيما بعد من عصور التاريخ وسيطاً وحديثاً [٥].

١- محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب، ص٢١٠ كليفورد بوزورث ، الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى دراسة فى التاريخ والأنساب، ت. حسين على اللبودى ومراجعة سليمان ابراهيم العسكرى ، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص٩٤ ، شحاته عيسى ابراهيم القاهرة، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص١٢٤ .

٢- مارجليوث ، القاهرة وبيت المقدس ودمشق ، ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، ط. دمشق ٢٠٠٠م، ص٥٦ .

٣- نفسه ، ص٥٦ .

٤- أنظر عن القلاع الإسلامية فى ذلك العصر هذه الرسالة المهمة: أجفان الصغير ، القلاع فى فترة الحروب الصليبية ودورها الاقتصادى والإجتماعى والإدارى عند المسلمين فى بلاد الشام، رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة دمشق عام ١٩٩٥م، عبد الرحمن زكى،« قلاع العالم العربى فى العصر الوسيط » الدارة ، السنة (٢) العدد (١) مارس ١٩٧٦م، ص٧٦-٨٩ .

٥- كما لانغفل كذلك دراسة مهمة صدرت فى ليدن عام ١٩٩٥م هى :

ويلاحظ أنه خلال ذلك العام الذى أمضاه فى أرض الكنانة عمل على تشييد أسطول قوى كى يواجه الصليبيين فى جبهة البحر[١] وعدم الاكتفاء بمنازلهم براً وكان إهمال أمره فى أواخر العصر الفاطمى قد أدى إلى تزايد الأطماع الصليبية تجاه سواحل مصر وستتوالى الأحداث فيما بعد لتؤكد أهمية ما أقدم عليه سواءً فى البحر المتوسط أو فى البحر الأحمر.

وقد تزايدت سفن ذلك الأسطول، واحتوت على أنواع متعددة مثل الشوانى[٢]، والبطس[٣]، والطرادات[٤].

Rabbat , The Citadel of Cairo , Leiden 1995 .

وعن طبوغرافية القاهرة بصفة عامة فى العصر الأيوبى أنظر:

Mackenzie , Ayyubid Cairo , A Topographical Study, Cairo 1982 .

١- عن ذلك انظر: شاكر مصطفى، صلاح الدين ، ص١٨٥ .

ويلاحظ أن ذلك أمر نبه إليه أسد الدين شيركوه حيث أوصى أتباعه قبيل وفاته بالاهتمام بالأسطول ووفق ما ذكره المقريزى قال «احذروا التفريط فى الأسطول» ، عن ذلك أنظر: إتعاظ الحنفا ، ج٣، ص٣٠٧ وعن الأسطول الأيوبى أنظر: وفيق بركات ، «صفحات مشرقة من تراثنا البحرى الأسطول البحرى فى الفكر العسكرى للناصر صلاح الدين الأيوبى» مجلة التراث العربى، العدد (٣٥)، (٣٦) أبريل- يوليه ١٩٨٩م، ص١١٧- ص١٣٨ .

٢- الشوانى نوع من السفن الطويلة وكان مجهزاً بنحو ١٤٠ مجدافًا عنه أنظر: على محمود فهمى، التنظيم البحرى الاسلامى فى شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادى، ت. د. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص١٣٥- ص١٣٦ ، جمعه الجندى، الاستيطان الصليبى فى فلسطين ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص٢٤٦ ، حاشية (١) .

٣- البطس جمع بطسه ، وهى مركب للحرب أو أعمال التجارة وهى سفينة كبيرة الحجم متعددة القلوع وقد يصل عددها إلى ٤٠ قلعًا للسفينة الواحدة، وتعد من أشهر أنواع السفن فى عصر الصليبيات، واحتوت على عدة طوابق وحملت أعداداً كبيرة من الأفراد ، عنها أنظر:

درويش نخيلى ، السفن الإسلامية على حروف المعجم ، ط. الاسكندرية ١٩٧٤م، ص١٦ ، أحمد محمد عدوان، العسكرية الإسلامية فى العصر المملوكى، ط. الرياض ١٩٨٥م، ص١٠٤ .

٤- الطرادات نوع من السفن تحمل نحو ٤٠ فارسًا وكانت تستعمل لحمل الخيول والفرسان ، عنها أنظر: ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٤٨ ، حاشية (٣) .

من جهة أخرى ، قام السلطان الأيوبى بإقامة سور حول القاهرة ضم موقع القطائع وكذلك العسكر، وقد أشرف على ذلك الأمر بهاء الدين قراقوش ، ويقال أن ذلك السور امتد بطول ٢٩٣٠٠ ذراع[١] وكان الهدف دفاعيًا بطبيعة الحال ، والأمر المؤكد أن القاهرة كانت فى قلب إهتماماته ولذلك عمل على تحصينها .

كذلك حرص على الإهتمام بالمدن الساحلية ؛ ترقعًا لغدر الصليبيين فقد أقام سورًا للإسكندرية - المدينة التالية فى الأهمية للقاهرة- وقام بإلقاء (٤٠٠) من الأعمدة[٢] التى ترجع إلى العصر الرومانى بالشواطئ من أجل إعاقة تقدم الأعداء، كما إتجه صوب دمياط، وجعل سورها يمتد بطول (٤٦٣٠) ذراعًا، ويقال أنه أنفق فى سبيل ذلك مليون من الدنانير[٣] مما عكس ضخامة حجم الانفاق الدفاعى فى مصر خلال تلك المرحلة، وإدراكه لأهمية القيام بذلك.

من جهة أخرى ، حرص على تقوية قلعة تنيس الواقعة على بحيرة المنزلة مع سور لها وأشرف شخصيًا على ذلك [٤]؛ مما عكس أنه كان فى قلب الأحداث وتابع الأمور بنفسه ولم يعتمد على تقارير أتباعه .

١- شاكر مصطفى، صلاح الدين، ص١٨٦ .

عن ذلك أنظر بالتفصيل هذه الأطروحة المهمة: أسامة طلعت عبد النعيم ، أسوار صلاح الدين وأثرها فى إمتداد القاهرة حتى عصر المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار- جامعة القاهرة عام ١٩٩٢م ، صالح لمعى مصطفى، التراث المعمارى الاسلامى فى مصر ، ط. بيروت ١٩٨٤م، ص٧٤ .

٢- شاكر مصطفى، المرجع السابق ، ص١٨٧ .

٣- نفسه ، نفس الصفحة.

٤- نفسه ، نفس الصفحة.

وتنيس، وقعت بين الفرما ودمياط، وموقعها فى قاع بحيرة ، المنزلة، وقد اشتهرت بصناعة المنسوجات وأشار إلى ذلك الرحالة والجغرافيون المسلمون فى العصور الوسطى، وفى عهد الحاكم بأمر الله احتوت على ما يقرب من ٢٥٠٠ حانوت ، و ١٠٠ معصرة ، و١٥٠ دكانًا لبيع الحرير والمنسوجات عمومًا و١٦٠ طاحونة و٥٠٠ منسج يعمل فيه ١٠,٠٠٠ عامل .

كما إتجه صوب تقوية دفاعات شبه جزيرة سيناء[١] من خلال إقامة قلاع بها ، كذلك أقام صهاريج للمياه لإدراكه أنها بوابة مصر الشرقية وإن أى غزو برى لها يبدأ من تلك المنطقة الصحراوية القاحلة المخلخلة سكانيًا والواسعة الأرجاء والتى من الصعب حمايتها .

على أية حال، ظل انتصار السلطان الأيوبى المذكور بسيطرته على دمشق مبتوراً وذلك لأنه لم يستطع إخضاع جارتها الشمالية حلب، ويلاحظ أن الأخيرة على جانب كبير من الأهمية إذ أنها مفتاح شمالى بلاد الشام، وفى نفس الحين تواجه إمارة أنطاكية الصليبية بالإضافة إلى أنها تمثل مع الموصل خطًا دفاعيًا إستراتيجيًا على جانب كبير من الأهمية ، وفى نفس الحين لانغفل أهميتها التجارية حيث عرفت فيها أسرات بعينها اشتهرت بتثمير الأموال . على حد قول ياقوت الحمرى[٢]، كما اشتهرت بأسواقها العامرة بكافة المنتجات والسلع ، والأمر المؤكد أن التوسعات الأيوبية خلال مرحلة الوحدة توجهت أيضًا من خلال دافع إقتصادى لاينكر ، إذ أدرك صلاح الدين أن المكاسب المادية الضخمة التى ستصب فى خزانته ستعينه على تكوين جيش يمثل قوة ضاربة فى الشرق بإمكانها تغيير خريطة التوزيعات السياسية فى المنطقة.

= عنها أنظر: ياقوت ، معجم البلدان، ط. بيروت ، ب-ت ، ج١، ص٦٠ ، ابن بسام ، أنيس الجليس فى أخبار تنيس ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مجلة المجمع العلمى العراقى، عدد (١٤) عام ١٩٦٧م، ص١٥١- ص١٨٩ ، عطيه القوصى «من أخبار المدن الإسلامية المندثرة تنيس»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد (٢) م (١) ، عام ١٩٨١م، ص٥٧- ص٩٧ ، أمينة الشوربجى ، رؤية الرحالة المسلمين، ص٣٢٢- ص٣٢٣ .

١- عنها أنظر نعوم شقير، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، ط. القاهرة ١٩١٦م، صلاح عمار ، المدخل الشرقى لمصر ، ط. القاهرة ، أحمد رمضان، شبه جزيرة سيناء، فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٧٧م.

٢- معجم البلدان، ج٢، ص٢٨٦ .

عن أهميتها التجارية أنظر: شيخ الربوة، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، تحقيق مهرن، ط. بطرسبرج ١٨٣٥م، ص٢٠٢ ، الغزى ، نهر الذهب فى تاريخ حلب ، ط. حلب ١٩٤٢م، ج١، ص١٤٥ ، هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ج١، ص١٨٠ ، أحمد رمضان ، المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص١٠٧ ، محمد مؤنس عوض، الأسواق التجارية فى عهد الدولة النورية ٥٤١- ٥٦٩هـ / ١١٤٦-١١٧٤م، الداره ، العدد (٣) السنة (١٦) ربيع الآخر جمادى الأولى ، جمادى الآخر عام ١٤١١هـ ، ص٧٧ .

وفى معرض حديثنا عن الدافع الاقتصادى فى التوسعات المذكورة لانغفل أن حلب وكذلك الموصل وقعتا على طريق الحرير[١] وهو خط تجارى بالغ الأهمية، وعابر للقارات امتد من الصين شرقًا إلى غربى آسيا ومنها إلى آسيا الصغرى فأوربا ، ولانغفل هنا الإشارة إلى أن تاريخ القوى الدولية الكبرى التى أرادت التوسع فى منطقة شرقى البحر المتوسط فى العصور الوسطى سواءً كانت قوى إسلامية محلية ، أو قوى خارجية أوربية مثل القوى الصليبية ، أو الآسيوية كالمغول [٢]- فيما بعد فى القرن ١٣م هو جزئيًا- تاريخ التوسع من أجل السيطرة على الطريق المذكور مع عدم اغفال الدوافع السياسية والعسكرية الأخرى بطبيعة الحال .

١- فيما يتصل بالحرير Silk، من المقرر أن مصدره دودة القز وكان ذلك فى جبال آسام فى شمالى الهند وفى بلاد البنغال إلا أنه فى شمال الصين تعلم الإنسان لأول مرة فى تاريخه كيفية القيام بنسيج خيوط الحرير من الشرنقة ، وتم ذلك فى حوض نهر تاريم فيما عرف باسم تركستان الصينية . وفيما بعد ظهر إلى الوجود طريق الحرير Sik Road ، وقد بدأ من الصين. واخترق ما عرف بمنغوليا ، وحوض نهر تاريم، وممرات أفغانستان ، وبلاد فارس . حتى وصل إلى بلاد الرافدين ثم إلى بلاد الشام، وهناك تفرع إلى آسيا الصغرى ومنها إلى أوربا، أو من الساحل الشامى إلى أوربا ويلاحظ أن الجيولوجى والرحالة الألمانى فرديناند فون ريشتهوفن Ferdeneand von Richthoffen (١٨٣٣-١٩٠٥م) قام عام ١٨٦٠م برحلاته فى الشرق وعاد أدراجه إلى ألمانيا عام (١٨٧٢م وأطلق على الطريق المذكور تعبير «طريق الحرير» ، ويلاحظ أنه لم يكن مجرد طريق عالمى للتجارة بل طريق للفن والأدب والدين عن ذلك أنظر:

هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ت. محمد رضا ، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص٨ ، موريس لومبار الإسلام فى مجده الأول ، ت. إسماعيل العربى، ط. الدار البيضاء ١٩٩٠م، ص٢٧١ - ص٢٧٢ ، مجدى غنيم، الحرير ، ط. القاهرة ١٩٩٣م، عبد الرحمن سامى ، القوى الحق فى بيروت ودمشق، ط. بيروت ١٩٨١م، ص١٠٣ ، على أبوعساف، «طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم»، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق، السنة (١٢ العددان (٣٩) ، (٤٠) كانون الأول ١٩٩١م، ص٧٢- ص٨٢، عبد الرحمن حميده، «بين ابن بطوطة وماركوبولو» ، العدد المذكور، ص٨٣- ص٩٥ ، محمد حرب فرزات ، «حواز الحضارات على طريق الحرير بين الصين والشام، العدد المذكور ، ص٩٦- ص١١٨ ، نعمان جيران. محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير أسباب ونتائج» ، العدد المذكور ، ص١٣٨- ص١٥٥ .

٢- انظر البحث القيم الذى أعده نعمان جيران والمشار إليه سابقًا.

نخلص من ذلك إلى حقيقة أراها مؤكدة ، وهى أن السلطان الأيوبى البعيد النظر أدرك أن إخضاعه لتجارة التوابل[١] فى مصر عبر البحر الأحمر، وتجارة الحرير المارة بشمالى الشام تمثلان بالنسبة له أهمية اقتصادية وبالتالى سياسية واستراتيجية كبرى وسوف تصب فى النهاية فى المواجهة مع الصليبيين.

كذلك لانغفل أن تكوين دولة مترامية الأطراف ما كان من الممكن أن يحدث بدون إخضاع شمالى بلاد الشام لسيادته السياسية ومن هنا جاءت أهمية التطلع شمالاً صوب حلب .

تجدر الإشارة إلى أن صلاح الدين الأيوبى خشى أمر صاحب الموصل عز الدين مسعود نظراً للتنسيق القائم بين كل من الموصل وحلب ضده وقد عمل على التوسع ودخل الرقة ، ونصيبين والرها، وسنجار، وحران ، ولكنه لم يتمكن من إخضاع الموصل لسيطرته [٢].

وقد اتجه فى عام ١١٨٣م نحو آمد وتمكن من إخضاعها ثم قام بمحاصرة حلب عدم أيام حتى قام بتسليمها له عماد الدين زنكى الثانى فى ٢٢ يونيو وقام بتنصيب ابنه الظاهر غازى حاكمًا عليها [٣].

ولانزاع فى أن إخضاع حلب مثل إنجازاً بارزاً للسياسية التوسعية الأيوبية ، لأنه كان يعنى أن القاهرة ودمشق وحلب تم ضمهم لكيان سياسى واحد وصار الصليبيون يعانون من جبهة موحدة جنوبًا وشرقًا وشمالاً وهو أمر لم يحدث منذ عهد طويل.

كما تأكد لنا أن زمن السيادة الزنكية ولى وأدبر ولم يعد للزنكيين سوى الموصل حاضرة شمالى العراق.

١- سونيا هاو، فى طلب التوابل ، ت. محمد عزيز رفعت ط. القاهرة ١٩٥٧م، ص١٣- ص٧٣ ، سعيد عاشور ، «قالوا طريق الحرير ونقول طريق التوابل محور التجارة العالمية فى العصور الوسطى»، ندوة التجارة العالمية عبر العالم العربى علي مر عصور التاريخ، اتحاد المؤرخين العرب. ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص١١- ص١٥ ، محمود الحويرى ، الأوضاع الحضارية ، ص١٣٢ ، زكى نقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ص١٨٨ .

٢- عصام شبارو، تاريخ الشرق .

٣- محمود الحويرى ، مصر فى العصور الوسطى، ط. القاهر، ١٩٩٦م، ص١٩٨ .

جميل جمول، حلب والحروب الصليبية ٤٩١هـ / ١٠٩٨ - ٥٧٩هـ / ١١٨٣م. رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة دمشق عام ٢٠٠٠م، ص٤٧٢ .

الأمر المؤكد ، أن تأخر إخضاع حلب إلى عام ١١٨٢ م، أثر بالفعل على قضية الجهاد ضد الصليبيين ؛ إذ أن صلاح الدين الأيوبى لم يكن له أن يواجهم بدون تأمين خطوطه الخلفية فى صورة خط دمشق- حلب، وليس من قبيل المصادفة أنه بعد أربعة أعوام فقط من إخضاع حاضرة شمالى بلاد الشام المزدهرة ، حدثت المعركة الفاصلة ضد الصليبيين عام ١١٨٧م ، مما عكس التلازم بين الجبهتين الداخلية مع المسلمين والخارجية مع الصليبيين . وهو أمر يؤكد تماماً أن القضيتين لم ينفصلا وذلك على عكس، ما صوره البعض من أنه أراد تكوين ملك شخصى له دون أن يتم الربط بين ذلك والهدف النهائى فى صورة جهاد الغزاه الصليبيين.

ولاريب فى أن السيطرة على حلب جعل الخطر الأيوبى يحدق بآخر المراكز الزنكية فى صورة الموصل ، ولم يتأخر أمرها مع ذلك القائد الذى يعرف جيداً قيمة عنصر الزمن فبعد عامين فقط وتحديداً فى عام ١١٨٥م حاصرها ، فأرسل صاحبها عز الدين مسعود والدته إلى صلاح الدين من أجل إستعطافه غير أنه ردها واستمر فى حصاره للمدينة، وعندما أدرك صاحبها عدم جدوى الاستمرار فى المقاومة، إتجه إلى طرق أبواب الدبلوماسية ، وتم الاتفاق بالفعل على أن تظل الموصل تحت سيطرة عز الدين مسعود على أن تكون الخطبة لصلاح الدين ويتعهد بأن يقدم للسلطان الأيوبى المساعدة العسكرية عندما يحتاجها [١]، وقد كان الأخير كريماً عندما قدم الهدايا لصاحب الموصل وأقاربه حتى يزيل ما فى نفوسهم من ألم الخضوع لنفوذه السياسى.

وواقع الأمر، أن التوصل إلى ذلك الاتفاق مع المواصلة شكل مكسبًا كبيراً للسياسة الأيوبية، فقد تم الحصول على مكسب سياسى بارز دون إراقة الدماء، كما أنه باعتراف المواصلة بنفوذه والخطبة له ، لم يعد محتاجًا لاخضاعها عسكريًا لسيطرته خاصة أن صاحبها تعهد بتقديم المساعدة العسكرية عندما يحتاج الأيوبيون إلى ذلك.

وهكذا، صار لدى صلاح الدين الأيوبى عدة مدن أفريقية وآسيوية على جانب كبير من الأهمية الاستراتيجية القاهرة، ودمشق ، وحلب، ودانت له الموصل بالولاء .

١- عن الاتفاق بين صلاح الدين وحاكم الموصل انظر: ابن شداد ، النوادر السلطانية، ص٧٠ ، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٧١- ص١٧٢ ، ابن شاهنشاه الأيوبى، مضمار الحقائق، ص٢٢٣ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٠٧ ، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٧٢- ص١٧٣ .

وبالتالى يعد عام ١١٨٥م بمثابة نقطة فارقة فى تاريخ السيطرة الأيوبية على قطاع جغرافى له شأن بارز امتد من شمالى العراق حتى جنوبى مصر ووصل إلى برقة غربًا وإلى الحجاز شرقًا ، وهى مناطق ذات أهمية دينية- من خلال وجود مكة المكرمة والمدينة تحت رعايته - وكذلك اقتصادية وسياسية؛ ولاشك فى أن ذلك كله وفر للسلطان أن يرفع لواء الجهاد ضد الصليبيين مسلحًا بتلك الإمكانات التى سعى إلى أن تتوافر فى قبضته على مدى أعوام طويلة مضت ، وجعلته يملك جيشًا اعتبر أكبر قوة ضاربة فى الشرق [١].

والواقع أن المدخل المنطقى لتناول حرب الاستنزاف الأيوبية تجاه الصليبيين ؛ يتطلب منا التعرض لفكرة الجهاد الإسلامى عصر الحروب الصليبية على إعتبار أنها فكرة محورية ومركزية وأثرت على قطاعات واسعة من أبناء ذلك العصر قيادات وجماعات ، ولذلك ؛ فإن تجنبها والوقوع فى دائرة سزد الأحداث لايجعلنا ندرك الأبعاد الأيدولوجية الكامنة وراء ذلك المتصارع الحربى والسياسى حينذاك ، ويلاحظ أن كتابات قطاع كبير من المستشرقين الذين تناولوا عصر صلاح الدين الأيوبى بالدراسة اغفلوا متعمدين ذلك الجانب حتى يتم افراغ القضية من مضمونها.

والواقع أن الجهاد لغة ، هو التعب والمشقة ، ويقال جهد الرجل فى الأمر جهداً ، ويقال أيضًا بذل المرء جهده أى أنه بذل طاقته [٢]، ومن الجليى البين أن الجهاد إحتل مكانة متميزة

١- عن الجيش الأيوبى بصفة عامة أنظر: نظير حسان سعداوى، جيش مصر فى أيام صلاح الدين، ط. القاهرة ١٩٥٩م، محسن محمد حسين، الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين، ط. بيروت ١٩٨٦م، صلاح البحيرى، «ديوان الجيش فى الدولة الأيوبية» الموسم الثقافى للجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٧٦-١٩٧٧م، ط. القاهرة ١٩٧٨م، ص١٦٩- ١٩٠ ، سعيد عاشور، «البنية البشرية لجيوش صلاح الدين»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد (٣٧) ، عام ١٩٩٠م، ص٨- ص٣١ .

Elbeheiry, Les Institutions de L'Egypte au Temps des Ayyubides, Lille 1972 .

٢- عن الأصل اللغوي لكلمة الجهاد ، أنظر: ابن منظور ، لسان العرب المحيط، ط. بيروت ب-ت ، ج١، ص٥٢٠ - ص٥٢١ ، المقرى الفيومى، المصباح المنير، ط. القاهرة ١٩٢٦م، ص١٥٥، على عبد الحليم محمود، ركن الجهاد أو الركن الذى لاتحيا الدعوة إلا به، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص٢٧ ؛ الشيخ الركابى ، الجهاد فى الإسلام ، دراسة موضوعية تحليلية تبحث بالدليل العلمى الفقهى عن الجهاد وعناصره فى التنزيل والسنة ، دمشق ١٩٩٧م، ص١٥ ، ظافر القاسمى ، الجهاد والحقوق الدولية العامة فى الإسلام ، ط. بيروت ١٩٨٢م، ص١١ .

فى الاسلام ، ويتضح ذلك من خلال الأهمية الكبيرة التى يعلقها القرآن الكريم عليه، وعلى القائمين به[١] ، ثم جاءت الأحاديث النبوية الشريفة لتدل على نفس الإتجاه نحو تعظيم شأن المجاهدين [٢].

ومن الجدير بالذكر ؛ أن الجهاد فى الإسلام قد مر بعدة مراحل حتى وصل إلى الوضع الذى صار من خلاله على المسلمين أن يقاتلوا المشركين كافة، وإذا تتبعنا آيات الجهاد فى القرآن الكريم، وجدنا أن فى أول الأمر كان هناك التوجيه من الله عز وجل نحو كف المسلمين عن القتال فى مكة وفى أول العهد بالهجرة النبوية إلى المدينة المنورة [٣]، ثم من بعد ذلك أذن للمسلمين بالقتال لمواجهة أعدائهم[٤]، ثم فرض القتال عليهم لمن قاتلهم، وذلك باستثناء من لم يقاتلوهم[٥]، وأخيراً ؛ فرض عليهم قتال المشركين كافة[٦].

وفكرة الجهاد فى الإسلام ؛ يمكن إعتبارها ذات صفة حضارية من حيث أنها ارتبطت بالمُثل العليا ، ولم يكن الإسلام ليقاتل القوى المناوئة له لمجرد القتل والسلب والنهب- كما زعم

١- من ذلك قوله تعالى : «جاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله » التوبة رقم (٩) آية (٤١) . «جاهدوا فى الله حق جهاده»، الحج رقم (٢٢) آيه (٧٨) . «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوا الله وعدوكم»، الأنفال رقم (٨) آية (٦٠) .

٢- عن أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه قال : قلت لرسول الله : أى الأعمال أفضل ؟ فقال الايمان بالله والجهاد فى سبيله ». حديث متفق عليه، وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال «إن رسول الله صلى عليه وسلم قال: لغزوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها».

عن ذلك انظر: مسلم . صحيح مسلم ، ط. القاهرة، ج٣ ، ص١٣٥٦- ص١٤٥٠ ، الترمذى ، سنن الترمذى . تحقيق أحمد شاكر ومصطفى الحلبى، ط. القاهرة ، ج٤ ، ص١٦٧ .

٣- قال تعالى : « كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ » النساء رقم (٤) آية (٧٧) .

٤- قال تعالى : « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » الحج رقم (٤) آيات (٣٩)، منير الغضبان، التربية الجهادية ، ط. المنصورة ٢٠٠٢م، ص١٧ .

٥- قال تعالى : « وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ » البقرة ، رقم (١٢) آية (١٩٠) .

٦- قال تعالى : « وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً » التوبة رقم (٢٩)، آية(٣٦) .

قطاع من المستشرقين - وإنما سعى إلى تقدم الإنسانية من خلال نشر أفكاره الدينية المتحضرة، التى تتفق أصلاً مع الفطرة الإنسانية ، ولانغفل هنا الإشارة إلى أن اعتناق الإسلام لم يكن بالوسائل القسرية. ولم يكن هناك إكراه فى فرضه على نفوس غير المقتنعين له. وهناك الآية القرآنية الصريحة القائلة «لا إكراه فى الدين» (١)، وهكذا أقر القرآن الكريم مبدأ الحرية الدينية منذ ما زاد على ١٤ قرناً من عمر الزمان ، وهذا يبين لنا أن الجهاد فى الإسلام لم يكن ليعنى توسعًا إقليميًا دون القيام بالإلتزام الحضارى تجاه الشعوب المفتوحة(٢) خاصة أن الإسلام نفسه حضارة.

من جهة أخرى ، فإن فكرة الجهاد فى الإسلام ذات طابع دفاعى أصلاً، وهى تتجاوز حدود الناحية الحربية المحضة إلى ما هو أرحب من ذلك ، فالدفاع هنا هو دفاع عن الإنسان نفسه ضد عوامل تقييد حريته ، خاصة تلك المتمثلة فى المعتقدات والتصورات وكذلك الأنظمة السياسية القائمة على الحواجز العنصرية ، والطبقية ، والاقتصادية التى كانت سائدة حينذاك(٣).

وقد أدرك مفكرو الإسلام أهمية فريضة الجهاد وعظم شأنها ، ونجد مثالاً وضّاحًا دالاً على ذلك لدى العامرى (ت ٩٩٢م) عندما قرر أن أقسام العبادات فى الإسلام منها العبادات النفسانية كالصلاة ، والبدنية كالصيام ، والمالية كالزكاة ، والعبادة المشتركة بين هذه العبادات هى الحج ، أما الجهاد ؛ فقد إعتبره ذلك المفكر المسلم العبادة الملكية (٤)، أما ضرورة القيام به فيتمثل فى أنه «لولا قيام أهل الدين بالمحاماة عن دينهم بالسيف ، لأجتاحهم أعداؤهم ، ولظهر الفساد فى البر والبحر، ولهدمت صوامع ، وبيع ، وصلوات ، ومساجد»(٥).

١- البقرة رقم (٢) آية (٢٥٦) .

محمد أبوزهرة ، نظرية الحرب فى الإسلام ، ط. القاهرة ١٩٦١م، ص١٨ .

٢- جمال الدين محمود ، الإسلام وقضية السلام والحرب ، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص٨٤ ، جمال الدين الرمادى، الأمن والسلام فى الإسلام ، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ص٩ .

٣- سيد قطب ، معالم فى الطريق، ط. القاهرة ١٩٨٢م، ص٧٢ ، نحو مجتمع إسلامى ، ط. القاهرة ١٩٨٢م، ص١٠١-١٠٩ .

٤- الإعلام بمناقب الإسلام ، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب ، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ص١٢٤ .

٥- نفسه، ص١٤٧ .

زد على ذلك ، وجدت عدة مبادئ للحرب فى الإسلام تمثلت فى أن السلم هو الأساس القائم فى العلاقات الإنسانية ، وإن وجدت الحرب فهى فى حالات الضرورة دون عدوان ، وينبغى ألا يتأثر بالحرب من لايشتركون فيها ثم هناك المسارعة إلى تلبية دعوة السلم وذلك فى حالة إظهار أحد الأطراف المتصارعة ميلاً حقيقيًا للمسالمة وكف الحرب، ثم أن الإسلام إحتوى فى مبادئه ضرورة الإحسان للأسرى من جيوش الكفار والمشركين [١]؛ نظراً لكونه فى الأصل جاء لهداية الإنسان وأدرك قيمته كخليفة الله تعالى فى الأرض، ومطالب بإعمارها .

وقد صار أمر الجهاد فى الإسلام فرض كفاية، وفرض عين ، وكان يفرض على من يقع عليهم العدوان فإن لم يكن منهم كفاية لصد المعتدين، فإن الجهاد عندئذ يفرض على من يليهم، وأقرب الناس إليهم، وهكذا يتسع نطاق الفرض حسب مجريات الحال وقدرات المعتدى الهجومية حتى يشمل أمر الجهاد المسلمين أجمعهم[٢]، وحينئذ نجد العاجزين عن الجهاد من المسلمين، عليهم المجاهدة بأموالهم[٣].

ومن الملاحظ أن المسلمين السُنّة أوجدوا مكانة بارزة للجهاد ، ونفس الأمر بالنسبة للشيعة الذين اعتبروه من أركان الإسلام وواحداً من أسسه [٤]، وهكذا إلتقى السنة والشيعة على أهمية الجهاد على نحو وضح فى كتابات الفريقين، وذلك يؤكد أن الجهاد لم يكن موضعًا لأى خلاف بينهم.

١- الماوردى، الأحكام السلطانية ، ط. القاهرة ب-ت ، ص٤١ ، ابن حزم ، مراتب الإجماع فى العبادات والمعاملات والاعتقادات ، ط. القاهرة ب-ت ، ص١١٩ ، محمد كامل مراد، «القتال فى الإسلام» ، مجلة كلية اللغة العربية بالرياض ، ج٢، عام ١٩٧٢م، ص١١٩، محمد شلتوت ، الإسلام دين وشريعة ط. القاهرة ب-ت ، ص٤٦٦ .

٢- السنهورى ، الإسلام والجهاد ، ط. القاهرة ب-ت ، ص٦١ ، محمد شديد، الجهاد فى الإسلام، ط. القاهرة ب-ت ، ص١٥٤ ، أحمد شلبى ، الجهاد والنظم العسكرية، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص٦٦- ص٦٧ ، محمود شاكر ، الجهاد فى سبيل الله، ط. الرياض ١٩٩٩م، ص٢٣٧- ص٢٣٨ .

٣- ابن تيمية ، الحسبة فى الإسلام ، ط. القاهرة ١٤٠٠ هـ، ص١٧ .

٤- النعمان بن حيون، دعائم الإسلام ، ج١، تحقيق فيطى، ط. القاهرة ١٩٥١م، ص٣٩٩، تأويل الدعائم، ط. القاهرة ، ج١، ص٥١ ، كتاب الإقتصاد ، تحقيق وحيد ميرزا ، ط. دمشق ١٩٥٣م، ص٦٧- ص٦٨ ، سميرة الليثى ، جهاد الشيعة، ط. بيروت ١٩٧٦م، ص١٣ ، حسن عباس حسن، الصياغة

والأمر المؤكد أن زاوية الجهاد وضحت منذ البواكير الأولى لدولة المدينة التى أسسها محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، ويعلق المستشرق الألمانى فلهوزن أمر الجهاد فى ذلك العصر قائلاً : « ... وهكذا نشأت الدولة العربية التى كان قد أسسها محمد عليه السلام إمبراطورية بعد موته، وتحولت الجماعة المحمدية إلى جيش تحولاً تامًا وصارت الصلاة والصوم وبقية الشعائر الدينية فى المرتبة الثانية بعد الجهاد[1] ووجه الاعتراض على تلك العبارة أن الجماعة المسلمة وصفت بالمحمدية وهو أمر يخالف الموضوعية التاريخية الواجبة لأنها جماعة مسلمة لامحمدية كما أن الصلاة والصوم وبقية الشعائر الدينية لم تكن فى المرتبة الثانية بعد الجهاد ، إذ أن تلك الأمة التى التزمت بتلك الشعائر جاهدت لإدراكها أهمية الجهاد ولم تكن تلك الشعائر البتة فى الدرجة الثانية كما توهم ذلك المستشرق .

على أية حال ، فإن إصطدام المسلمين مع الإمبراطورية البيزنطية، وكذلك الدولة الساسانية كان مجالاً عمليًا لتطبيق فكرة الجهاد ، ومن خلال ذلك ؛ توسع المسلمون على حساب الكيانين الكبيرين المذكورين وصارت دولة الإسلام فى عصر الدولة الأموية تمتد من سور الصين العظيم شرقًا إلى ما وراء جبال البرانس غربًا، ولم يكن ذلك ليحدث بدون إنتعاش فكرة الجهاد وتحولها إلى واقع حياتى معاشى مع ملاحظة أن ذلك حدث خلال القرنين ٧ ، ٨م ولكن فيما بعد مع بوادر الانقسام والتشرذم السياسى والتصارع المذهبى صار المسلمون محطًا لمطامع أعدائهم، وكانت الصليبيات من مظاهر ذلك.

والآن نتساءل عن الدوافع التى دفعت بالمسلمين إلى محاربة الصليبيين بعد إستقرارهم فى بلاد الشام والجزيرة.

= المنطقية للفكر السياسى الإسلامى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة عام ١٩٨٠م، ص٤١٠ .

١- تاريخ الدولة العربية، ت. عبد الهادى أبوريدة ، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص٢٤ وعن تطور فكرة الجهاد خلال تلك المرحلة أنظر:

Watt, " The Islamic concept of Jihad ", in Brundage (ed.), The Holy war, Ohio State 1974, pp. 142-147 .

Micheau, " Jihad :, L'Histoire, T.XLVII, Année 1982, p. 102 .

أنظر أيضًا : محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٤٥ .

المسلمين النازحين من المدن المنكوبة بالغزو الصليبى إلى المدن الأكثر أمنًا مثل دمشق وحلب؛ أدركنا الأمر على نحو أكثر جلاءً .

كما لانغفل أن الذاكرة الجماعية كانت تقوم بدورها الفعّال والمؤثر فى إبقاء القضية حية لاتموت، فقد روى الأجداد ، للأبناء، والأخيرون للأحفاد ، تاريخًا شفويًا للصراع مع الغزاه ، وبالتالى تعمقت كراهية الأعداء، وتنامى الشعور الجارف بالرغبة فى الجهاد ثأرًا للشهداء الذين مضوا، وصاروا رموزًا[١] لأمتهم وبحث العقل الجمعى المسلم عن من يسترد الحقوق المهدرة !

وقد يتوهم البعض أن حركة الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين لم تكن إلا صراعًا تقليديًا على خطوط التجارة العالمية المارة ببلاد الشام والجزيرة فى المقام الأول. غير أن ذلك يحوى قولبة واعتسافًا فى الأحكام وتصور أبناء أمة الإسلام وكأنهم كائنات بلا هوية دينية ، ويلهثون وراء الإشباعات المادية لا-أكثر، والواقع أن الجهاد مثّل «الهوية الدينية» التى إنصهرت فيها كافة الأقوام والأعراق، وبالتالى كان أمرًا حتميًا أن يتم مواجهة الغزو الصليبى الآثم فى ظل أيديولوجية جهادية واحدة.

من جهة أخرى، ظهر فى ذلك العصر تأليف مؤلفات متعددة عن الجهاد[٢] وأهميته لإشعار المعاصرين بضرورة القيام به ومن أمثلتها ، ما ألفه الفقيه الدمشقى السلمى (ت ١١٠٦م) فى

= وأنظر هذه المقالة الممتازة لعمانويل سيفان :

Sivan , " Refugies Syro- Palestinienes au Temps des Croisades", R.E.I , T. XXXV, Année 1967 , pp. 135-147 .

محمد مطيع الحافظ ، المدرسة العمرية، بدمشق وفضائل مؤسسها أبى عمر بن أحمد المقدسى الصالحى، ط. دمشق ٢٠٠٠م، ص٢٦-٤٠ .

١- عن مكانة الشهيد فى الإسلام أنظر بصفة عامة:

حسن خالد، الشهيد فى الإسلام- ط. بيروت ١٩٨٥م، ص١٩- ص١٣١ ، عبد الحليم محمود، الجهاد فى الإسلام، ط. القاهرة ١٩٨٨م، ص١١٥- ص١١٨ ، عمر أحمد عمر، الجهاد فى سبيل الله، ط. دمشق، ١٩٩٩م، ص١٥ .

٢- عن تلك المؤلفات أنظر: ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، م (١) ، ط. دمشق ١٩٥١م، ص٣٠ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ط. القاهرة ١٣١٧هـ، ص١٧، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط. القاهرة ١٩٤٨ م، ج٣، ص٨٥ ،

رسالته عن الجهاد [١]، وهى من أوائل ما ألفه العلماء والفقهاء المسلمون فى ذلك المجال حيث أدرك الصلة الوثيقة بين مراحل العداء الأوربى للاسلام من الأندلس إلى صقلية وجنوبى ايطاليا وصولاً إلى بلاد الشام ، كما أن نور الدين محمود نفسه، ألف كتاباً عن الجهاد[٢]، فى هذا الرد الأمثل على من تشكك فى أمر دوره فى جهاد الصليبيين ، كما أن بهاء الدين بن شداد ألف هو الآخر كتاباً فى نفس الأمر بطلب شخصى من صلاح الدين [٣]، وفى نفس الحين ظهرت مؤلفات تتناول فضائل بيت المقدس وتستنهض الأمم من أجل تحريرها ، ومن أمثلتها ما ألفه الحافظ ابن عساكر (ت ١١٧٦م) فى صورة رسالة فى فضائل بيت المقدس[٤] وغيرها من الإسهامات التأليفية.

= أحمد أحمد بدوى، الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية فى مصر والشام، ط. القاهرة ب-ت ، ص٥٣٧ ، الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية فى مصر والشام، ط. القاهرة ب-ت ص١٣٠ ، عواد الأعظمى ، «تراث العرب الفكرى والعلمى فى فلسطين فى ظل الحكم الإسلامى، «المؤرخ العربى، العدد (٢) عام ١٩٧٥، ص١٦٣ .

١- نشرت الرسالة المذكورة بتحقيق سيفان فى الجريدة الآسيوية عدد عام ١٩٦٦، J.A., 1966، ص٢١٤- ص٢٢٢ .

أنظر أيضاً جان فلورى، الحرب المقدسة ، الجهاد ، الحرب المقدسة العنف والدين فى المسيحية والاسلام، ت . عسان مايسو، مراجعة جلال شحادة ، ط. بيروت ٢٠٠٤م ، ص٣٠١- ص٣٠٥ ، هو مؤلف متعصب ضد الإسلام وأهله على محمد الصلابى، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطنى والغزو الصليبى، ط. بيروت ٢٠٠٦م، ص٥٩٣- ٥٩٦ ، سهيل زكار ، أربعة كتب فى الجهاد من عصر الحروب الصليبية، ط. دمشق ٢٠٠٧م .

٢- سبط بن الجوزى، مرآة الزمان، ج١ / ق١ ، ص٣١٣ ، ابن قاضى شهبة ، الكواكب الدرية، ص٥٧ .

٣- عن ذلك انظر: ابن شداد ، المصدر السابق، ص١٧ ، ابن خلكان ، المصدر السابق، ج٣ ، ص٢٨ ، صلاح البحيرى، عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها فى الفنون، حوليات كلية الآداب- جامعة الكويت حولية (٧) الرسالة (١٢) عام ١٩٨٢م ص٨٦ ، نظير حسان سعداوى، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، ط. القاهرة ١٩٦٢م، ص١٦ .

٤- من أمثلة تلك المؤلفات هناك ما ألفه الحافظ ابن عساكر (ت ١١٧٦م) فى صورة رسالة عن فضائل بيت المقدس ، وهى مخطوطة فى الجامعة العبرية بالقدس المحتلة عنها أنظر : الواسطى المقدسى، فضائل البيت المقدس، تحقيق إسحق حسون ، معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية بالجامعة العبرية بالقدس ،

والواقع أن نور الدين محمود أدرك ضرورة إعداد الأمة للجهاد من قبل عصر صلاح الدين الأيوبي، وتدعم ذلك من خلال الجانب الديني الذي ظهر في شخصيته (١).

أما بالنسبة لصلاح الدين الأيوبي؛ فقد أدرك هو الآخر ضرورة إعداد الأمة للجهاد ، وذلك من خلال إقامة المدارس ويلاحظ أنه عمل على إقامتها في مصر حتى من قبل إسقاط الدولة الفاطمية عام ١١٧١م، ومن أمثلة ذلك المدرسة الناصرية التي شيدت عام ١١٧٠م (٢). وكان عندئذ وزيراً للعاضد، ثم عمل على إقامة غيرها مثل المدرسة القمحية عام ١١٧٠م(٣)، أيضا والصلاحية والسيوفية عام ١١٧٦م (٤) .

= ط. القدس ١٩٧٩م، ص١٢٠ ، ويلاحظ أن تلك الظاهر التأليفية استمرت فيما بعد عصر صلاح الدين الأيوبي مما عكس تأصلها ، من ذلك أن القاسم بن عساكر (ت ١٢٠٣م) وهو ابن الحافظ ابن عساكر ألف كتاباً بعنوان: فضائل القدس الشريف عن ذلك أنظر السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى، ط. القاهرة ب-ت ، ج٥، ص١٤٨ ، كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ج٦ ، ص٧٤ .

١- عن الجانب الديني في شخصيته أنظر : الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ، تحقيق محمد نغش وإبراهيم شعلان ، ط. القاهرة ١٩٦٧م ص٢٠ ، ابن الأثير ، الباهر، ص١٦٤ ، الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق جاكلين سورديل ، ط. دمشق ١٩٥٣م، ص١٠ ، الديار بكري، الخميس في أحوال أنفس نفيس، ط. القاهرة ١٢٨٣هـ، ج٢ ، ص٣٦٥ ، حسن حبشي، نور الدين والصليبيون ، ط. القاهرة ١٩٤٨م، ص١٠٠ ، كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ت. بدر الدين قاسم ، ط. بيروت ١٩٧٣م، ص٣٦٢ ، محمد مؤنس عوض ، في الصراع الاسلامي الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص١٣٨ ، ووصف بالزاهد في أحد مساجد مدينة الرقة انظر: Repertoire, T. IX, p. 47.

٢- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص٢٨٥ ، عفاف صبرة، بهاء الدين قراقوش الوزير المفترى عليه، ص١٤٥ .

٣- ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٥، ص٢٨٥ ، المقريزي، الخطط ، ص١٩٣ ، إتعاظ الحنفا ، ج٣، ص٣١٩ ، عبد الغني عبد العاطي، التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ص٦٨ .

٤- أحمد أحمد بدوي، الحياة العقلية، ص٤٢، ص٤٥ ، عبد الغني عبد العاطي، المرجع السابق، ص٧٢ .

كما أن صلاح الدين الأيوبى سعى إلى إقامة المدارس ، والخوانق ، والزوايا فى بلاد الشام من قبل تحرير القدس وحتى بعد ذلك ، ولدينا إشارات فى المصادر تدل على أن ذلك العصر يمكن أن يوصف بأنه عصر المدارس ويكفى مطالعة ما ألفه النعيمى (ت ١٥٥٠م) فى صورة كتابه الدارس فى تاريخ المدارس[١]، لندرك أن السلطان وكبار رجال الدولة وحتى النساء - خاصة خاتونات البيت الأيوبى[٢]- سعوا إلى إقامتها ومن المؤكد خطورة دورها لأنها أدت إلى الإحياء السنى وتكوين جيل جديد مجاهد يدرك أهمية الجهاد ويوقن بضرورته وبالتالى فالأمر خاص بما يوصف «بالتربية الجهادية» .

١- النعيمى الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسنى، ط. دمشق ١٩٤٨م. أيضًا : أحمد شلبى، تاريخ التربية الاسلامية، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص١٢١ ، عفاف صبره ، «المدارس فى العصر الأيوبى»، ضمن ندوة تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين ، إعداد عبد العظيم رمضان، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص١٣٩ ، ص٢٠٠ ، حسن شميسانى، مدارس دمشق فى العصر الأيوبى، ط. بيروت ١٩٨٣م، ص٨٣- ص١٠٣ .

ومن المدارس فى دمشق :

المدرسة العصرونية، المدرسة الصلاحية ، المدرسة الاقبالية ، المدرسة التقوية، المدرسة الخاتونية الجوانية، المدرسة المقدمية الجوانية ، المدرسة الفرخشاهية ، المدرسة الأسدية ، المدرسة القادرية ، المدرسة العمرية، انظر: حسن شميسانى، المرجع السابق، ص٨٣- ص١٠٣ وعن المدارس فى الحضارة الإسلامية بصفة عامة أنظر:

عارف عبد الغنى ، نظم التعليم عند المسلمين، ط. دمشق ١٩٩٣م، ص٨٥- ص١٤١ ، محمد منير سعد الدين، دراسات فى تاريخ التربية عند المسلمين ، ط. بيروت ١٩٩٥م، ص٤٨- ص٦٩ ، مريزن عسيرى، الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى، ط. مكة المكرمة ١٩٨٧م، ص٢٥٤ - ص٣٠٥ ، كامل جميل العسلى، معاهد العلم فى بيت المقدس، ط. عمان ١٩٨١م، ص١٣- ص٢٤ ، سعد اسماعيل على، معاهد التربية الاسلامية، ط. القاهرة ١٩٨٦م، ص٣٠٣- ص٣٨٦ ، عبد الجليل عبد المهدى، المؤسسات التعليمية فى بلاد الشام فى العصرين الأيوبى والمملوكى، ضمن كتاب التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات ، المجمع الملكى للحضارة الاسلامية ، ج٢ ، مؤسسة آل البيت، عمان ١٩٨٩م، ص٥٢٥ ، محمد عبد الرحيم غنيمه، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، معهد مولاى الحسن، ط. تطوان ١٩٥٣م، ص٦٦ - ص١١٦ .

٢- سيتم تناول دورهم فى الفصل السادس .

بصفة عامة ، هدف صلاح الدين من وراء حرب الاستنزاف الأيوبية- الصليبية المعبرة تعبيراً صادقاً عن الجهاد الإسلامى تحقيق عدة أهداف يمكن أن تجمل فى الآتى :

أولاً : استهلاك ، وتشتيت طاقة الصليبيين الحربية، وإنزال أكبر قدر من الخسائر البشرية بهم وعدم إشعارهم بالأمان، بل بالضغط المستمر عليهم عسكريًا ، وسياسيًا ، ونفسيًا، مع ملاحظة أن الجيش الأيوبى، قد اكتسب خبرات قتالية عريضة بأساليب القتال الصليبية وطرق التخطيط والإعداد والتنفيذ ، ناهيك عن اكتسابه الثقة فى قدراته القتالية وإنزال الهزائم بالأعداء.

ويقرر أحد المؤرخين أن استراتيجيته حينذاك قامت على أساس الدخول إلى فلسطين عبر نهر الأردن والوصول إلى نابلس، وطبرية ، وصفورية وغيرها حيث يتم قتل الصليبيين ثم الإنسحاب سريعًا إلى القواعد الأيوبية ، ويعلق على الأمر قائلاً ما نصه : «لقد كانت أعمال صلاح الدين العسكرية تمثل حرب استنزاف للعدو، أجهدت قواتهم وأكثرت من خسائرهم»[1].

ويلاحظ أن تلك المرحلة غلب عليها أسلوب الكر والفر وعدم الحرص على إكتساب مواقع جديدة تكلف بشراً ، ووقتاً، ومجهوداً فى الحفاظ عليها فى الفيضة الأيوبية.

ثانيًا : القيام بسلب ونهب موارد الصليبيين الاقتصادية ، وبالتالى إنزال أكبر خسائر بالإقتصاد الصليبى على نحو يبعث الاضطراب فى المملكة الصليبية وجعل قطاعات من السكان خاصة فى المناطق الحدودية المستهدفة يدركون أن القيادة السياسية التى من المفروض أن توفر لهم الحماية عاجزة عن ذلك مع ملاحظة أن الجيش الأيوبى كان يفرض وقت ومكان الهجوم وبالتالى هو المبادر بالصدام ولم يمثل مجرد رد فعل على ما قام به الصليبيون ، وهكذا شعر الصليبيون فى تلك المناطق بالتشكك فى جدوى قياداتهم العاجزة .

١- يوسف غوانمه ، القدس الشريف ، ص٣٥ .

ومن أمثلة معارك حرب الاستنزاف الأيوبية الصليبية أنظر: نزيه شحاده ، «بيروت تحت وطأة المواجهات الصليبية الإسلامية، ١٠٩٧- ١٢٩١م/ ٤٩٠- ٦٩٠هـ» ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، ص٤٢٨ .

ثالثًا : إمتلاك عنصر المبادرة بالهجوم على الصليبيين وبالتالى يتحول المسلمون من جانب رد الفعل إلى الفعل العسكرى المباشر، فإذا ما لاحظنا أن تلك الحرب لم تكن فى منطقة واحدة بل متنوعة ومتعددة المناطق المستهدفة وأنها استمرت على مدى عدة أعوام؛ أدركنا حقيقة مهمة وهى أن حطين كانت تتويجًا حقيقيًا ، وصادقًا لحرب الاستنزاف الأيوبية.

رابعًا : إستفاد صلاح الدين الأيوبى من تلك الحرب من خلال دراسة نوعية القرار السياسى، والحربى الصليبى، وكذلك معرفة أكبر قدر من المعلومات عن الأعداء، ودراسة الواقع الجغرافى على الأرض وهو ما سيتم التعامل معه خلال المرحلة من ٤ يوليو إلى ٢ أكتوبر ١١٨٧م، على نحو أكد لنا تمامًا أن تلك الحرب الاستنزافية كانت تعميقًا لتعامل الجيش الأيوبى مع المناطق التى سيقوم بتحريرها فيما بعد وكذلك التعامل مع مناطق جغرافية مشابهة لها .

ومع ذلك ، ينبغى ألا نتصور أن كافة معاركه مع الصليبيين خلال تلك المرحلة خرج منها منتصراً ؛ إذ أن هناك معركة تل الصافية عام ١١٧٧م[١]، وفيها لحقته الهزيمة وانسحبت قواته على نحو مشين عبر صحراء شبه جزيرة سيناء[٢]، غير أنه تعلم من الدرس وأدرك أن الأفضل أن يكون الإنطلاق من دمشق لامصر لمواجهة الصليبيين، ومن بعد ذلك بعامين حقق نفس الجيش المهزوم إنتصاراً فى معركة وقعت بالقرب من بانياس عام ١١٧٩م وكان من بين القوات الصليبية الملك بلدوين الرابع نفسه [٣]، كما تم تحقيق إنتصار آخر فى نفس العام على

١- عن معركة تل الصافية أنظر :

William of Tyre , vol . II, p. 397 .

ابن شداد ، النوادر السلطانية ص٥٣ ، الفتح البندارى، سنا البرق الشامى، ص١٣٠ ، يوسف غوانمه ، دراسات فى تاريخ الأردن وفلسطين فى العصر الاسلامى ، ط. عمان ١٩٨٣م، ، ص١٨٩ ، محسن محمد حسين، الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٤١٢ .

٢- لدينا وصف مسهب للمعركة المذكورة لدى وليم الصورى أنظر:

William of Tyre, vol . II, pp. 397.

٣- ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٧٢- ص٧٣ .

ذلك الملك وارايموند الثالث بالقرب من تل القاضى عند سهل مرج عيون[١]، وفيما بعد استولى على حصن جسر بنات يعقوب الذى شيده الصليبيون [٢]. وبالتالى أمكن تحقيق ثلاثة انتصارات فى عام واحد .

ومع ذلك ، هناك حادثة على جانب كبير من الأهمية قام بها الصليبيون فى وسط أحداث حرب الاستنزاف الأيوبية- الصليبية فى صورة ما أقدم عليه الفارس الفرنسى رينودى شاتيون Renauld de Chatillon [٣] الشهير فى المصادر العربية باسم «إرناط» عندما إتجه إلى

١- عن معركة مرج عيون أنظر:

ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٢، ص٧٥- ص٧٧ ، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص٢٧ .

وقد توهم ول ديورانت أنها لم تكن حاسمة على الرغم من أن كافة ما ورد فى المصادر والمراجع يخالف تصوره انظر رأيه:

ول ديورانت ، الحروب الصليبية ، ضمن موسوعة قصة الحضارة، ت. محمد بدران ، ج١٤ / ق٤ ، ص٣٥، وأنظر تدعيم وجهة النظر المخالفة له :

محمود الحويرى ، مصر فى العصور الوسطى، ص١٩٩ .

٢- ابن واصل ، المصدر السابق، ص٧٢ ، ابن شاهنشاه الأيوبى، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشى ، ط. القاهرة ١٩٦٨م ، ص٢٤- ص٣١ هاملتون جب، صلاح الدين الأيوبى، دراسات فى التاريخ الإسلامى، ت. يوسف أبيش ، ط. بيروت ١٩٧٣م، ص١٣١ .

وهو حصن عرف باسم Jacob ford فى المصادر الصليبية ووقع على الطريق بين طبرية وصفد من ناحية ودمشق من ناحية أخرى وتحكم فى طريق القوافل التجارية المارة بالمنطقة عنه أنظر: ابن واصل ، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٦ ، الحنبلى، شفاء القلوب ، ورقة (٢٦) ،مصطفى الحيارى، «حصن بيت الأحزان جانب من العلاقات بين المسلمين والفرنجة الصليبيين»، مجلة دراسات ، م (١٣)، العدد (٤) عمان ١٩٨٦م، ص٣٩-ص٦٠ .

٣- من أهم الدراسات المتخصصة عنه والتى أشارت إليه أنظر :

Schlumberger , Renauld de Chatillon Prince d'Antioch au Temps de Croisades, Paris 1933

دراسة قديمة جديدة ولايمكن الاستغناء عنها على الرغم من مرور ثلاثة أرباع قرن عليها .

Hamilton , The elephant of Christ : Reynold of Chatillon ", S.C.H., vol . 15 , 1978 , pp. 97-108 ,

Friednan , Encounter between Enemies , Captivity and Ransom in the Latin kingdom of Jerusalem, Leiden 2007, pp. 85-86 .

محمود رزق محمود، العلاقة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبى حتى حرقعة حطين عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٧٧م.

مهاجمة المدينة المنورة ونقل رفات النبى الكريم عليه الصلاة والسلام إلى الكرك من أجل تحويل طريق الحج لدى المسلمين إلى هناك ، وبالتالى تحقيق مكاسب مالية طائلة وذلك عام ١١٨٢م.

والواقع أن ذلك الفارس الصليبى من المرجح أنه جمع معلومات مهمة من أجل القيام بتلك العملية الحربية التى من الواضح- من خلال نصوص المصادر التاريخية والسياق العام لتطور الأحداث ذاتها- أن الإعداد لها إستغرق وقتًا طويلاً لضمان نجاحها ، كما أن عناصر الخونة من البدو قدموا له كل مساعْدة ممكنة فى مقابل المال.

وقد قرر البعض أن إرناط قام ببناء أسطول من عددمن المراكب[1] ذات الحجم المتوسط عند

١- عن حملة ارناط على الحجاز أنظر :

العماد الأصفهانى ، البرق الشامى، تحقيق فالح صالح حسين، ط. عمان ١٩٨٧م، ج٥، ص٦٩- ص٧٥ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٢ ، ص١٢٧- ص١٣١ أبوشامة ، الروضتين ، ج٢ ص٣٧ ، ابن منكلى، الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية فى فن القتال فى البحر ،تحقيق عبد العزيز عبد الدايم، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م، ص٨٥- ص٨٦ .

Ernoul, Chronique d'Ernoul et Bernard Le Tresorier, ed . Mas Laterie, Paris 1971 , p. 69-70.

وهى إشارة موجزة للغاية

Atiya, Crusade Commerce and Culture, London 1962, p. 77 .

Hamilton , The Leper king and his heirs, Baldwin IV and The Crusader Kingdom of Jerusalem, Cambridge, 2000, pp. 178-179 .

عائشة بنت عبدالله ، البحر الأحمر فى العصر الأيوبى ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٠م، ص٤١- ص٤٤ ، جميل حرب محمود، الحجاز واليمن فى العصر الأيوبى، ط. جدة ، ١٩٨٥م، ص٦٨- ص٧٥ ، حسن عبد الوهاب ، مصر وأمن البحر الأحمر فى عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب ، مقالات وبحوث فى التاريخ الإجتماعى للحروب الصليبية، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م، ص٢٠٣- ص٢٠٤ ، حسنين ربيع، «البحر الأحمر فى العصر الأيوبى» ندوة البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية، ط. القاهرة ١٩٨٠م، ص٤١- ص٤٤ ، عبد الرحمن زكى ومحمود عيسى، الحروب بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٤٧م، ص٣٢، برهان العابد، «إرناط الفارس اللص »، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد (١٩) ، (٢٠) سبتمبر أكتوبر ١٩٨٨م، ص١٢- ٢٣ ،حسين شعيب ، صلاح الدين الأيوبى قاهر الصليبيين ، ط. بيروت ٢٠٠٥م، ص٣٥ .

البحر الميت وفيما بعد تم نقلها عن طريق الجمال إلى خليج العقبة عبر طريق صحراوى يبلغ طوله ١٢٥ ميلاً [١]، وهناك تم إعادة تركيبها وتجهيزها بالفرسان الصليبيين وكذلك بالمؤن والامدادات وسارت فى البحر الأحمر [٢]، وهو نطاق جغرافى لم يعهد فيه وجود عناصر صليبية من قبل .

ومن الواضح أن القيادة الأيوبية لم تكن تتوقع أن يكون ذلك البحر مجالاً لصراع مع الصليبيين ولذا ركزت الإهتمام على البحر المتوسط الذى كان الساحة الرئيسية للصراع على مدى ما زاد على الثمانين عامًا .

إتجه الصليبيون وعلى رأسهم قائدهم المندفع المغامر إلى جزيرة فرعون ؛ نظراً لأهميتها الاستراتيجية حيث تحكمت فى مدخل خليج العقبة ، وتمت محاصرة القلعة الموجودة هناك من أجل منع وصول أية مياه أو تموينات إليها[٣].

وفى تصورى أن مبادرته بمهاجمة جزيرة فرعون يؤكد على التخطيط المتآمر الجيد لتلك العملية الحربية البحرية ، كما تم إرسال قوات لمهاجمة عيذاب الميناء المصرى الواقع إلى جنوب شرقيها على البحر الأحمر وعد ميناء الحج الرئيسى للحجاز ولاتعليل للاتجاه صوب عيذاب[٤] إلا من خلال الرغبة فى إرباك الأيوبيين، والقيام بالسلب والنهب وحتى يكون هناك تصور ما بأن الهدف الأصلى للصليبيين هو ذلك الميناء على الرغم من أن الهدف كان أكبر وأخطر من ذلك.

من جهة أخرى ، كان إتجاه الصليبيين إلى الساحل الشرقى للبحر الأحمر خاصة عند رابغ،

١- يوشع براور، عالم الصليبيين، ص٥٩ .

٢- مصطفى الحيارى، صلاح الدين، ص٢٥٣- ص٢٥٤ .

٣- نفسه ، ص٢٥٤ ، أحمد عبد الرازق ، مصر الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ص٢٢٧ .

٤- يصور أحمد عبد الجواد الدومى الأمر على أن القوات الصليبية وصلت إلى عدن وحاصرتها وهو أمر لانجد ما يؤيده من أى مصدر تاريخى معاصر، انظر: أحمد عبد الجواد الدومى ، صلاح الدين الأيوبى الناصر لدين الله، ط. بيروت ٢٠٠٤م، ص٦٧ .

وحوراء [١]. والأمر المؤكد : أن الغزاة كانوا فى صراع مرير مع الزمن من أجل إنجاز عمليتهم الغادرة فى أسرع وقت ممكن ، وبنجاح ، ويقال أنهم كانوا على بعد مسيرة يسيرة من المدينة المنورة.

ويزعم المؤرخ الإسرائيلى يوشع براور Joshua Prawer أنه مرت عدة أسابيع إلى أن تنبه المصريون إلى مثل تلك الأحداث وبالتالى ردوا عليها[٢]، ومع ذلك فإن نصوص المصادر التاريخية لاتعطى ذلك الانطباع البته ، ومن المتصور والمنطقى أن مثل تلك الأحداث التى وقعت فى موسم الحج مع وجود أعداد كبيرة من الحجاج على ضفتى البحر الأحمر وموانئه المستخدمة حينذاك ، كل ذلك جعل الأخبار تصل على نحو سريع نظراً لخطورة الموقف، ناهيك عن وجود الحمام الزاجل لايصال الرسائل[٣] وتوافر شبكة بريد ممتازة فى ذلك العصر .

١- مصطفى الحيارى ، صلاح الدين، ص٢٥٤ .

٢- عالم الصليبيين ، ص٥٩ .

يقول ما نصه : «ومضت أسابيع قبل أن ترد مصر المباغتة » انظر ، نفس الصفحة.

ويوشع براور هو أستاذ تاريخ العصور الوسطى سابقًا بالجامعة العبرية بالقدس، وهو أبرز مؤرخ اسرائيلى فى مجال الحروب الصليبية، وله عشرات المقالات والكتب فى ذلك التخصص وتعد كتاباته على جانب كبير من الأهمية خاصة فى قضايا الإستيطان الصليبى، وقد عمل مستشاراً للحكومة الاسرائيلية ، وقد توفى عام ١٩٩٥م. عنه وعن مؤلفاته انظر:

محمد مؤنس عوض ، فصول ببليوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٢٦٣-ص٢٨٠ ، قاسم عبده قاسم ، رؤية اسرائيلية للحروب الصليبية، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، ط. القاهرة ١٩٨٣م، القراءة الصهيونية للتاريخ ، الحروب الصليبية نموذجاً ، ط. القاهرة ٢٠٠٥م.

٣- عن ذلك انظر: ابن الأثير ، الباهر ، ص١٥٩ ، ابن قاضى شهبة ، الكواكب الدرية، ص٣٨ ، الحويرى، الأوضاع الحضارية ، ص١٦٣ .

Edgington, " The Doves of war , the Part played by Carrier Pigeons in the Crusades" in Balard (M.) Autour de la Premiere Croisade Actes du Colloque de la Society for the Study of the Crusades and the latin East (Clermont- Ferrant 22-25 Juin 1955) Paris 1996, pp. 167-175 .

ومن المتصور أنه فى حالة مرور عدة أسابيع دون أن يتنبه المسلمون لذلك الأمر الجلل، لتم تنفيذ العملية بنجاح ، وهو ما لم يحدث بعون الله تبارك وتعالى وحفظه .

وهكذا ؛ جاء الرد الأيوبى سريعًا دونما إبطاء فقد جهز العادل أبوبكر نائب صلاح الدين الأيوبى فى مصر المراكب التى تم نقلها إلى خليج السويس، وكان الأسطول الأيوبى[١] قد تم تكوينه وتدعيمه قبل ذلك بأعوام ؛ مما عكس بعد نظر السلطان المذكور . وقد تم تعيين حسام الدين لؤلؤ قائداً له[٢] ، وهو رجل أشادت به المصادر التاريخية العربية وأنقسمت القوات الأيوبية إلى قسمين الأول اتجه إلى جزيرة فرعون . والقسم الثانى اتجه إلى عيذاب[٣] ومنها إلى الحجاز وتم بنجاح مهاجمة القوات الصليبية ولاذ إرناط بالفرار كاللص ، وهناك من يقرر أن الأسرى من الأخيرين بلغوا ١٧٠ رجلاً[٤] وصدر الأمر بقتلهم جميعًا[٥].

والواقع أن ذلك الرأى جانبه الصواب، إذ أننا نعلم جيداً أن تمَّ أخذ عدد من الأسارى كى يوزعوا على البلاد لكى يقتلوا فيها [٦]، ثم أنه تم التشهير بأعداد منهم، ولدينا شاهد عيان معاصر فى صورة الرحالة والأديب المبدع ابن جبير حيث وصف ذلك التشهير عندما زار مدينة

١- عنه أنظر : أحمد نشاطى العقباوى ، البحرية الاسلامية فى مصر والشام فى العصر الأيوبى، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- - جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩م.

عبد الجبار السامرائى ، «بحرية صلاح الدين الأيوبى فى البحر الأبيض المتوسط إبان الحروب الصليبية»، آفاق جامعية، عدد (٤) عام ١٩٧٩م، ص١٨- ص٢٣ .

٢- عنه أنظر : الفصل السادس .

٣- مصطفى الحيارى، صلاح الدين، ص٢٥٤ .

٤- أبوشامة ، الروضتين ، ج٢، ص٣٧ ، أحمد مختار العبادى ، «البحرية المصرية زمن الأيوبيين والمماليك» ، ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية، ط. الاسكندرية ١٩٧٢م، ص٥٦٨- حاشية (٤) .

محمد مؤنس عوض ، تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية الحربية فى مملكة بيت المقدس اللاتينية (القرنان ٦، ٧ هـ / ١٢، ١٣ م) ، ط. رام الله ٢٠٠٤م، ص١٣٨ .

٥- مصطفى الحيارى، المرجع السابق، ص٢٥٤ .

٦- الرحلة ص٣٤ .

الاسـكـنـدريـة[1] وذلك فى ثنايا رحلتـه ، مما ينفى فكرة قـتل جـميع من شـارك فـيـهـا من الأعداء.

والآن نتساءل ما هي دوافع ذلك الفارس الفرنسى من وراء تلك العملية البحرية؟

تجدر الإشارة إلى أن هناك عدة دوافع مجتمعة حركته ولانغفل هنا أننا من خلال «خبرتنا» فى التعامل مع تاريخ الصليبيين فى بلاد الشام؛ ندرك جيداً أنهم لايتحركون من خلال دافع واحد بل عدة دوافع فى وقت واحد من خلال تخطيط وسرعة تنفيذ بل ومباغتة لتحقيق أكبر عدد من الأهداف، ويمكن إجمالها فى الآتى:

أولاً : الثأر الشخصى ، حيث أنه أراد أن ينتقم من المسلمين بعد أن مكث فى السجن على مدى ١٦ عامًا من ١١٦٠ إلى ١١٧٦م ، ومن المفترض أن تلك الفكرة راودته منذ زمن بعيد، وجاء الآن وقت تنفيذها ، غيـر أنه توهم بقاء المنطقة كما كانت عندما وقع فى الأسر دون إدراك أن تغيرات سياسية وعسكرية متعددة حدثت فى أثناء وجوده فى غياهب السجن ، غير أنه لم يعمل لذلك حساباً بفضل إندفاعه وتهوره .

ثانيًا : لانغفل رغبته القوية فى تحقيق شهرة مدوية فى صفوف الصليبيين فى بلاد الشام، وفى الغرب الأوربى؛ إذ أن مثل تلك العملية - فى حالة نجاحها - سوف تجعله فى أعلى مكانة- هكذا توهم - وبصورة تتفوق على وضعيته السياسية من قبل القيام بها .

ثالثًا : لانغفل رغبته فى السيطرة على عدن[2] عند مدخل البحر الأحمر، وضرب حركة تجارة التوابل المزدهرة عبره .

والأمر المرجح أن الصليبيين وجهوا اهتمامهم إلى ذلك البحر نظراً لكونه المدخل الاستراتيجى للتعامل مع جنوبى وشرقى آسيا وهى مناطق حيوية على الصعيد التجارى.

١- الرحلة ، نفس ص٣٤ ، محسن محمد حسين، الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين، ص٣٦٠ .

بصفة عامة عن تلك الحملة انظر:

Leiser, The Crusades Raid in the Red sea 578 / 1182-3 .

J.A.R.C.E, 14., 1977, pp. 87-99 .

٢- ورد ذلك فى رسالة أرسلها صلاح الدين الأيوبى إلى الخليفة العباسى الناصر لدين الله ، انظر: ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٢، ص١٢٩- ص١٣١ ، أيضًا : يوشع براور ، عالم الصليبيين، ص٥٩ .

وإذا كانت لتلك العملية الغادرة مثل تلك الدوافع المتعددة ، فإنها تركت عدة نتائج متعددة ومؤثرة على تطور الأحداث التالية، وهى كالآتى :

أولاً : إرتفع شأن صلاح الدين الأيوبى وتألق نجمه بصورة أكبر من ذى قبل فها هو الفارس الصليبى الأرعن يقدم له فرصة ذهبية كى يظهر بمظهر حامى الحرمين الشريفين ويجعل العالم الإسلامى بأكمله يلتف حول قضية الجهاد بعد أن تعرضت الأماكن المقدسة الإسلامية للتهديد الفعلى الصليبى[1] بصورة غير مسبوقة.

ثانيًا : من المرجح أن ذلك السلطان بعد تلك الأحداث العاصفة أدرك ضرورة الاهتمام بالأسطول الأيوبى الذى انقذ المسلمين من كارثة محققة ، ولانزاع فى أن الصراع مع الصليبيين لم يكن بريًا بل بحريًا أيضًا.

ثالثًا : دخل البحر الأحمر لأول مرة بمثل ذلك الحجم فى دائرة الصراع الصليبى- الإسلامى ودل ذلك على أن الحركة الصليبية كالأخطبوط بأذرع متعددة ، فإذا كان البابا أوربان الثانى فى ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م[2]، دعا إلى تحرير بيت المقدس، ولم يشر إلى أى موضع آخر ، أما الآن فقد إتضح للقاصى والدانى أن المعلن من الأهداف الصليبية غير المستتر وأن تلك الحركة المتعصبة تهاجم كل مكان يمكن أن تصل إليه دون أية إعتبارات فها هى حتى الأماكن المقدسة الإسلامية لم تسلم من التآمر والعدوان ! مما عكس أن المعلن من أهداف ذلك المشروع الاستعمارى شئ والتنفيذ الفعلى شئ آخر !.

رابعاً : من الممكن الإفتراض - دون إمكانية التأكيد نظراً لصمت المصادر التاريخية - أن صلاح الدين الأيوبى بعد تلك الحادثة أدرك - أكثر من ذى قبل - خطورة ذلك الفارس الصليبى على نحو جعله قد جعله فى بؤرة إهتماماته .

١- تجدر الإشارة أن القوى الصليبية فى الغرب الأوربى طوال العصور الوسطى وحتى مطلع العصر الحديث كان يراودها الأمل فى الهجوم على الأماكن المقدسة الاسلامية فى البحار حتى أن البرتغاليين سعوا إلى ذلك الأمر، إلا أن يقظة الدولة العثمانية حالت دون ذلك وجعلت البحر الأحمر بحيرة إسلامية مغلقة ومن المهم الرجوع إلى هذه الدراسة المهمة الرائدة.

عبد العزيز الشناوى ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ط. القاهرة ١٩٨٠م.

٢- أنظر ما تم إيراده من قبل.

وقد أقسم أنه فى حالة الظفر به سوف يقتله بيده، وهو أمر نفذه فعليًا فى يوم ٤ يوليو ١١٨٧م، أى يوم معركة حطين الحاسمة.

من جهة أخرى ، لم يكن غريبًا أنه بعد تلك الحادثة بنحو أربعة أعوام فقط كان اجتياح مناطق مملكة الصليبيين وذلك كله يعنى لنا أن الرد الأيوبى العسكرى الشامل لم يتأخر طويلاً مع عدم إغفال كافة الظروف والملابسات الأخرى التى جعلت السلطان الأيوبى يستغرق تلك الأعوام الأربعة فى تكوين قوته العسكرية إستعداداً ليوم فاصل .

ومن المهم هنا الإقرار، بأن السلطان الأيوبى لم يكن مندفعًا مثل ذلك الفارس الفرنسى بل لم يورط نفسه فى حرب شاملة كرد على تلك الحادثة النادرة والوحيدة على مدى قرنين كاملين من تاريخ المواجهة الصليبية- الإسلامية .

خامسًا : هناك نتيجة نتجت عن تلك المحاولة الفاشلة - التى يتجه البعض إلى وصفها بأنها جريئة [1]، وأود وصفها بالرعونة، والاندفاع - وهى تتمثل فى تأكيدها على أن القرار السياسى ، والعسكرى فى المملكة الصليبية خرج من أيدى الخبراء المحنكين ، وصار فى أيدى جيل مندفع متهور سيجلب الخراب على الكيان الصليبى الغاصب الدخيل لأنه لايدرك عواقب ما يفعل .

ولايفهم من العبارات السابقة أن ارناط قام بتلك الحملة من عنده دون التنسيق مع المملكة الصليبية ذاتها؛ إذ أن عملية عسكرية بحرية وبرية بمثل تلك الصورة ، من المستبعد تمامًا أن تتم دون التنسيق بين حكام بيت المقدس وصاحب الكرك.

ذلك عرض عن حركة الوحدة وحرب الاستنزاف الأيوبية- الصليبية ، أما الفصل التالى فإنه يتناول معركة حطين عام ١١٨٧م.

١- يوسف غوانمه ، إمارة الكرك الأيوبية ، ص١٣٥ . هذا الوصف تأثر فيه المؤرخ بآراء المستشرقين الأوربيين مثل شلوبرجيه Schlumberger ، وجب Gibb وغيرهما .

ويلاحظ أن برنارد هاملتون فى عرضه لتلك الأحداث حاول القول أن ذلك دل على قوة المملكة الصليبية فى عهد بلدوين الرابع ، مخالفًا بذلك الاتجاه العام لمؤرخى الصليبيات الذين درسوا تلك المرحلة انظر كتابه :
Hamilton, The leper king and his hiers , Baldwin IV and the Crusader kingdom of Jerusalem , Cambridge 2000 .

الفصل الرابع

معركة حطين الحاسمة ١١٨٧م ونتائجها

نتناول فى الصفحات التالية معركة حطين التى وقعت بين الجيش الأيوبى ، وجيش مملكة بيت المقدس الصليبية؛ من أجل إدراك أهميتها فى تاريخ صلاح الدين الأيوبى والصراع الإسلامى- الصليبى والنتائج المتعددة التى نتجت عنها.

والواقع أن دراسة تلك المعركة تحتاج من المؤرخ ألا يقع فى دائرة التفسير الفردى للتاريخ وينسب كل شئ للبطل الفرد- كما أسلفت الإشارة من قبل- كذلك علينا أن ندرك الإشارات ذات الطابع الدعائى الذى تلمح بعض جوانبه فى نصوص المصادر الأيوبية التى أرخت لتلك المعركة وكذلك المصادر المتأخرة التى نقلت عنها.

تجدر الإشارة إلى أن مقدمات يوم ٤ يوليو ١١٨٧م وهو اليوم الذى جرت فيه وقائع تلك المعركة إمتدت على مدى تاريخ الوجود الصليبى فى المنطقة ، إذ أننا نلاحظ أن المشاكل المتعددة التى واجهت الصليبيين مثل مشروعية الوجود ومشكلة الأمن . بالإضافة إلى مشكلة نقص العنصر البشرى ، جميعها ظلت تلازم ذلك الكيان الغازى الدخيل إلى أن تضخمت وأمكن للمسلمين الاستفادة من كافة تلك الظروف لتوجيه ضربة حاسمة لأعدائهم بصورة غير مسبوقة .

تجدر الإشارة أن المؤرخ الصليبى البارز وليم الصورى يعد أبرز مؤرخ يعكس المقدمات الحقيقية لكارثة حطين التى حلت ببنى جلدته ، فقد عاصر جيل الأقوياء الذى أسس الوجود الصليبى ، كما إمتد به العمر وعاصر الجيل التالى الذى لم يكن على نفس قوة جيل التأسيس وبالتالى أدرك فجوة الأجيال الصليبية على نحو واضح .

من ناحية أخرى، أدرك ذلك المؤرخ أن نوعية الملوك الصليبيين فيما بعد الملك عمورى (١١٦٣-١١٧٤م) لم تكن تستطيع مواجهة الأحداث الصاخبة التى أحاطت المملكة الصليبية خاصة أن أمراء الأطراف زاد نفوذهم على حساب القلب السياسى الصليبى فى بيت المقدس .

ومن المهم إدراك ؛ أن تلك المملكة كانت تعانى من مشاكل اجتماعية نلاحظها من خلال الصراع المحتدم بين الصليبيين الأوائل الذين استقروا منذ عقود عديدة ، وأولئك الوافدين إليها

الحديثى عهد بالبلاد وقد رأى الأولون أنهم بذلوا الدماء وقدموا التضحيات من أجل إقامة الكيان الصليبى على أرض بلاد الشام وأن الجدد وجدوا الأمور ميسرة ويريدون جنى الثمار السائغة دون دفع تضحيات ، كذلك ندرك، إرتفاع معدلات الجريمة كالدعارة[١] والقتل، والسرقة والرشوة[٢] وغيرها .

١- من المعروف أن من رجال الدين الصليبيين من كان يؤجر بعض البيوت لأعمال الدعارة نظراً لما تدره من مبالغ كبيرة، كما نعرف من خلال جاك دى ڤترى أن عناصر البولانى أو الأفراخ انتشر الزنا بينهم، وقرر أسامة بن منقذ أن الصليبيين ليست لديهم غيره على نسائهم ، وأحتوت عكا على حى الدعارة عرف بالحى الأحمر، كما أحتوى الجيش الصليبى على عدد من العاهرات منذ الحملة الصليبية الأولى. ويقدم العماد الأصفهانى اشارات عن مقدم سفن الغرب الأوربى عليها عاهرات ضمن أحداث الصليبية الثالثة عن ذلك أنظر: «الجريمة والعقوبة فى المجتمع الصليبى فى بلاد الشام» ضمن دراسات فى تاريخ الحضارة الأوربية فى العصور الوسطى (المجتمع الصليبى فى بلاد الشام) ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م، ص٥ - ص٦١ .

Joannes Phocas , A Brief Description of the Holy Land , Trans . by Aubrey Stewart. P.P.T.S., vol V, London 1896, p. 11 .

Jacques de Vitry , A History of Jerusalem, p.11., Brundage" Prostitution , Miscegenation and Sexual Purity in The First Crusade ", in Edbury (ed.) , Crusade and Settlement. Cardiff 1985 , pp. 57-72 .

العماد الأصفهانى ، الفتح القسى، ط. القاهرة ب-ت ص١٧٠ .

يوشع براور ، عالم الصليبيين، ت. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة، ط. القاهرة١٩٨١م ، ص٢٢١، قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية فى ألف ليلة وليلة ، ضمن كتاب بين الأدب والتاريخ ، ط. القاهرة ١٩٨٨م، ص٣٣ ، زكى نقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية، ط. بيروت ١٩٥٨م، ص١٥٢ ، جمعه الجندى، حياة الفرنج ونظمهم فى الشام خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس ، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٥م، ص٢٩٩ ، ص٣٠٠ ، جيمس رستون (الابن)، مقاتلون فى سبيل الله صلاح الدين الأيوبى ريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة، ت. رضوان السيد ، ط. الرياض ٢٠٠٢م، ص٢٣٣

٢- عن ظاهرة الرشوة، فى الكيان الصليبى انظر: حسن عبد الوهاب، «الرشوة فى المجتمع الصليبى فى بلاد الشام منذ الحملة الصليبية الأولى وحتى سقوط بيت المقدس ١٠٩٥- ١١٨٧م/ ٤٨٨-٥٨٣هـ، ضمن كتاب مقالات وبحوث فى التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م، ص٩٣- ١٥٤ .

والأمر المؤكد أن الجريمة - بصفة عامة- تقدم مؤشراً قوى الدلالة يعكس حالة مجتمع ما، وبالنسبة لمملكة بيت المقدس ندرك بجلاء أنها سقطت اجتماعيًا وأخلاقيًا من الداخل قبل أن تسقط على أيدى المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبى عام ١١٨٧م.

ومن المؤشرات ذات الدلالة ما نذكره عن تطرق الفساد إلى رأس المؤسسة الكنسية، وهى من المفترض أن تكون ذات طابع أخلاقى مثالى فى نظر الصليبيين، وخير مثال دال على ذلك البطريرك هرقل وهو فى الأصل شخصية دينية فرنسية ولدت فى مقاطعة افريجين Auvergne فى جنوبى فرنسا، وقد قدم إلى بيت المقدس وقد صار قسيسًا، وتولى منصب رئيس شمامسة بيت المقدس خلال المرحلة من ١١٦٩-١١٧٥م، وفى أعقاب وفاة هرنسيوس رئيس أساقفة قيسارية عام ١١٧٥م، تم إنتخابه من فوره لكى يتولى المنصب الشاغر، وقد مثل المملكة الصليبية خارجيًا حيث توجه عام ١١٧٨ مع وفد من رؤساء الأساقفة ورؤساء الكنائس والأديرة إلى روما.

وفى أعقاب وفاة عمورى نسل بطريرك بيت المقدس عام ١١٨٠م تم انتخاب هرقل لكى يخلفه فى منصبه[1].

= ويقوم حاليًا تلميذى النابه السيد / أحمد عبدالله أحمد بإعداد أطروحه للدكتوراه عن الجريمة والعقوبة فى مملكة بيت المقدس الصليبية، رأتوقع أن تكون قيمة ومهمة.

محمد الحاج عبد ربه، أحوال الشعب فى بلاد الشام، فى عهد الحملات الصليبية ٤٩٢- ٦٩٠هـ / ١٠٩٨- ١٢٩١م رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة القديس يوسف ببيروت، ١٩٩٦م، ص٩٩- حاشية (١١).

وعن الجريمة لدى الصليبيين بصفة عامة انظر: حسن عبد الوهاب، «الجريمة والعقوبة فى المجتمع الصليبى فى بلاد الشام» ضمن دراسات فى تاريخ الحضارة الأوربية فى العصور الوسطى (المجتمع الصليبى فى بلاد الشام)ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م، ص٥- ٦١.

١- عن البطريرك هرقل أنظر:

William of Tyre, vol. II, pp. 436-451.

سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م، ص٢٨٠ حاشية (١). مارشال بلدين، إضمحلال وسقوط بيت المقدس ١١٧٤-١١٨٩ م، ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية، تحرير سعيد البيشاوى ومحمد مؤنس، ص٢٨٥، حاشية (١٧).

ومن الملفت للنظر أن ذلك البطريرك كانت له سلوكيات منحلة ، حيث أشار البعض إلى علاقة مشينة له مع ابنة أحد التجار الصليبيين فى نابلس، قد جعلها ذلك البطريرك تحضر إليه فى بيت المقدس عدة مرات وقدمت إليه حيث مكثت لديه خمسة عشر يومًا فى أعقاب وفاة زوجها وقد اشترى لها منزلاً جميلاً فى المدينة المقدسة كى تكون بالقرب منه [١] ؛ مما عكس فساده وقدرته المالية، وأن تلك الواقعة اشتهرت بين الناس حينذاك على الأرجح.

ولامراء فى أن ذلك الإنحلال الخلقى الذى وصل إلى رأس المؤسسة الكنسية يجعلنا ندرك أن القطاعات الأدنى تطرق إليها الفساد ، طالما أن قادتها على هذا النحو من الإنحلال.

ويلاحظ أن ذلك السلوك الشائن للبطريرك هرقل قد جعل وليم الصورى ساخطًا على أوضاع المملكة الصليبية بصفة عامة ويدرك أن المناصب ذهبت لغير أصحابها وبالتالى توقع لها الإنهيار.

ومن ناحية أخرى، إذا ما نظرنا إلى الفريق الآخر فى صورة المسلمين؛ نجد أن صلاح الدين الأيوبى أكمل ما بدأه نور الدين محمود فى حركة الإحياء السنى والتعبئة المعنوية لأمر الجهاد ، وعلى الصعيد السياسى ، والحربى تمكن بعد جهد جهيد بالحرب والدبلوماسية من إقامة جبهة موحدة من القاهرة ودمشق وحلب، ودانت له الموصل بالولاء - كما أسلفت الاشارة من قبل- وهكذا صار الكيان الصليبى فى بلاد الشام محاطًا بكيان إسلامى ينصاع لأوامر رجل واحد ومن قبل فكرة جهادية توحده .

ومن الملفت للانتباه أن المؤرخ الصليبى البارز وليم الصورى William of Tyre الذى أود وصفه بأنه مؤرخ ما قبل الكارثة كان يستشعر أن سماء الصليبيين ملبده بالغيوم وأن كارثة

Kedar , " The Patriarch Eraclius" in Kedar (B.Z), Mayer (H.E.), and Smail (R..C.) = (eds.) Outremer Studies in the history of the Crusadig kingdom of Jerusalem , Jerusalem 1982, pp. 177-204 .

Regan , Saladin and the Fall of Jerusalem, London 1987, p. 55 .

١- سعيد البيشاوى، الممتلكات الكنسية ، ص٢٨٠ حاشية (١) .

كبيرة ستحل ببنى جلدته. وفى الفصل الأخير من كتابه تاريخ الأعمال من Historia Rerum نجده يتساءل سؤالاً محيراً أربكه ولم يجد له إجابة وهو من الذى سينقذ مملكة بيت المقدس الصليبية من المصير الذى تتجه إليه ؟ لقد امتلك رؤية مستقبلية نادرة فى ذلك العصر، وكانت صراحته وجرأته سببًا فى الفتك به فمات مسمومًا على الأرجح فى ٢٩ سبتمبر ١١٨٦م، قبل أقل من عام واحد على دخول صلاح الدين الأيوبى للمدينة المقدسة فاتحًا فى ٢ أكتوبر ١١٨٧م ومحققًا نبوءة المؤرخ الصليبى البارز البعيد النظر[1].

ولانغفل أن عوامل النحر الداخلى كانت تفعل فعلها فى الجسد الصليبى وبالتأكيد لم يكن عنصر «الزمن» فى صالح الغزاة على حين كان تمامًا فى صالح المسلمين الذين توحدوا وأدركوا الهدف الواحد وترأسهم قائد تاريخى.

تبقى زاوية أساسية علينا أن نعيها قبل التعرض لتفاصيل معركة حطين، وهى أن الصليبيين على مدى قرابة ثمانية عقود كاملة لم يتمكنوا من توسيع حدود أملاكهم فى بلاد الشام أو حتى فى مصر وكان الفشل رفيقًا لهم !

ولانغفل أن الحدود الفلسطينية لمملكة بيت المقدس الصليبية بلغت ٢٧,٥٠٠ كيلو متر مربع[2] فقط وقد شكلت الصحراء النقب ٤٦,٧٪ تلك المساحة وكانت بالفعل مخلخلة سكانيًا[3] وكانت المملكة تعمل على أن تنقل الصراع بين المسلمين وبينها فى الأطراف أى

١- من المفيد الإطلاع على هذا البحث المتميز : سرور عبد المنعم، «رؤية المؤرخ وليم الصورى لصلاح الدين خلال الرحلة ١١٧١- ١١٨٤م / ٥٦٧- ٥٨٠هـ ، مجلة بحوث الشرق الأوسط، عدد (١٦) ، عام ٢٠٠٥م، ص٢٦٤- ص٢٨٦ .

٢- تيسير جبارة ، تاريخ فلسطين ، ط. رام الله ١٩٩٨م، ص١٥ .

٣- عن ذلك انظر هذه الدراسة المهمة: السيد غلاب ، «سكان فلسطين ودراسة تاريخهم الجنسى» ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٥) ، لعام ١٩٥٦م، ص١٢٧ ، عبد الرحمن الشرنوبى، جغرافية السكان، ط. القاهرة ١٩٧٨م، ص٢٠٧-٢١١ ، السيد غلاب وصبحى عبد الحكيم، السكان ديموغرافيًا وجغرافيًا ، ط. القاهرة ١٩٧٨م، ص٢١٥- ص٢١٩ ، فتحى أبو عيانة، جغرافية السكان ، ط. الاسكندرية ١٩٧٧م، ص٧٧- ص٨٢، يسرى الجوهرى، مبادئ جغرافية السكان، ط. بيروت ١٩٦٩م، ص٩٤- ص٩٥، عبد الغنى سعودى، الجغرافية والمشكلات الدولية، ط. القاهرة ١٩٧٤م، ص٦ ، شكرى مقبل، الأحوال السياسية والحضارية فى فلسطين خلال عصر دولة المماليك الأولى. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الملك سعود

فى الإمارات، أما أن يتم فرض الصدام معها إلى تلك المساحة المحدودة الصغيرة التى عملت على أن «تزرعها» بكم غير مسبوق من القلاع والحصون فتلك كارثة مروعة بلا أدنى شك. ويلاحظ أن الصليبيين على مدى تاريخهم فى الشرق كانوا يتجنبون المعارك الحاسمة؛ نظراً لما عانوه من نقص العنصر البشرى ، وصعوبة تعويضهم للخسائر ، كما أن مثل تلك المعارك غير مضمونة النتائج خاصة أن الطرف الإسلامى المعادى كان فى مقدوره تعويض الفاقد البشرى عمومًا فى وقت قصير نسبيًا بحكم أنه يحارب على أرضه والعمق الدفاعى الاستراتيجى له على نفس تلك الأرض وهو ما لم يتوافر للغزاة .

فإذا أضفنا إلى ذلك كله أن المملكة الصليبية كانت تضم عناصر من المسلمين الخاضعين لها بقوة السلاح، وقلوبهم مع إخوانهم فيما وراء الحدود، وهؤلاء كانوا ينتظرون فى لهفة متلهفة وشوق عارم جارف لحظة التحرير كي ينضموا إليهما ، وبالتالى كانت مملكة بيت المقدس فى وضع غريب وشاذ فهى محاطة بالأعداء المسلمين من خارجها، وفى الداخل أعداء مسلمون أيضًا وإذا كانت قد استطاعت قهرهم بقوة السلاح، فإن الأمل الوثاب ظل قائمًا فى عقولهم وقلوبهم وكل معركة إنتصر فيها المسلمون على الصليبيين فيما قبل عام ١١٨٧م كانت تحدث آثارها الفعالة فى تجديد الأمل فى طرد الغزاه من الأرض التى احتلت وتصرخ بعروبتها وإسلاميتها.

ولسنا فى حاجة للتأكيد على أن المناطق الجبلية كانت مسرحًا لعمليات المقاومة الاسلامية ضد الصليبيين وبالتالى فإن ذلك الوضع يؤكد مقولة أن المملكة الصليبية حينذاك تعرضت لعملية استنزاف داخلية دون أن تتمكن من تسليط أضواء كاشفة عليها نظراً لصمت المصادر إلا ما ندر . كما فى حالة بعض مؤلفات الرحالة الأوربيين ، وكذلك كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ .

من جهة أخرى، وجدت هناك ناحية لها تأثيرها الفعال . على نحو سلبى بالنسبة للمملكة الصليبية ، إذ بعد جيل التأسيس القوى، ظهر جيل آخر تأثر بالمؤثرات الشرقية فى صورة

= بالرياض عام ١٤٠٢هـ ، ص٩٠ ، فتحى فياض «فلسطين الموقع والموضع دراسة جيوبولوتيكية »، ضمن أعمال ندوة فلسطين عبر عصور التاريخ، إشراف أ.د. حامد زيان، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٣٩ ، عبد الرحمن صادق الشريف ، «فلسطين» ، ضمن الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامى، م (٤) ، الهلال الخصيب ، ط. الرياض ١٤١٩ ، هـ . ص٤٨٦ ويقرر أن صحراء النقب ثلث مساحة فلسطين وهو مالاينطبق على الواقع.

البولانى أو الأفراخ ، وقد اختلف فى أصل التسمية ، إذ أن المؤرخة م.د مورجان M.D. Morgan فى أطروحتها للدكتوراه من جامعة اكسفورد عن التكملات الفرنسية لتاريخ وليم الصورى حتى عام ١٢٣٢م أشارت إلى أن كلمة بولانوس Pullanus أو فى الفرنسية القديمة بولان Polain اشتقت من كلمة بولوس Pullus وتعنى صغير حيوان ما، وقد رأت تلك المؤرخة أن البولانى لم يكونوا مطلقًا من دماء مختلطة[1]. على حين تصور فريق آخر سابق من المؤرخين أنهم نتجوا عن تزاوج تم بين الغربيين والشرقيين على أرض بلاد الشام.

وأيًا كان أمر الاختلاف فإن عناصر البولانى قد تعرضت لإتهام المؤرخين وإشاراتهم إلى مسئوليتهم عن انهيار المملكة الصليبية ، فيلاحظ أن المؤرخ وليم النيوبرجى William of Newburgh قد أنحى باللائمة على تلك العناصر لاسيما بعد كارثة حطين ١١٨٧م وقد ذكر أنهم فسدوا بمجاورتهم للمسلمين وأنهم لم يكونوا كمسيحيين ولامسلمين [2]، كما أن جاك دى فترى Jacques de Vitry انتقدهم انتقادًا لاذعًا وأشار إلى ما فى حياتهم من فساد أخلاقى[3].

والأمر المؤكد، أن فجوة حقيقية ظهرت بين الأجيال الصليبية ، وأن القوات التى واجهت المسلمين فى حطين عام ١١٨٧م انتمت إلى عناصر لم تكن فيها نفس صفات جيل التأسيس الصليبى القوى.

من زاوية أخرى، فإن المجتمع الصليبى احتوى إشتاتًا من كافة أنحاء أوربا من الفرنسيين، والإيطاليين، والإنجليز، والألمان ، وغيرهم. ونقلوا خلافاتهم بل وصراعاتهم على الأرض الأوربية إلى أرض بلاد الشام، وهكذا فإن الفسيفساء الصليبية المتناحرة والغير متجانسة شكلت عنصرًا سلبيًا مضادًا لإستمرارية ذلك الكيان الدخيل على أرض بلاد الشام.

١- عن ذلك انظر: Davis, William of Tyre, p. 75 , note (7) .

وعن البولانى انظر: ميشيل بالا، الحملات الصليبية والشرق اللاتينى من القرن الحادى عشر إلى القرن الرابع عشر، ت. بشير السباعى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٥٦- ص١٦٠ .

٢- William of Newburgh, in Chronicles of the Reigns of Stephen , Henry II and Richard I, ed. by Richard Howlett, in R.S., London 1884- 1899 , vol .I p. 224.

نقلا عن : Davis William of Tyre, p. 66 .

٣- History of Jerusalem, p. 64-65 .

ولامراء ، فى أن المطالع للسطور السابقة يدرك بجلاء كيف أن مملكة بيت المقدس الصليبية كانت تعيش فى مجموعة من الأزمات المتشابكة سياسيًا وإجتماعيًا فى مرحلة ما قبل حطين، وقد تمكن صلاح الدين الأيوبى ومعه جيشه من إستثمار كافة تلك الظروف المعقدة، والمتأزمة لصالح المسلمين وتحقيق إنتصار تاريخى غير مسبوق من خلال تفاعل عوامل النحر الداخلى والخارجى التى تعرضت لها مملكة بيت المقدس الصليبية.

على أية حال ، كانت وفاة الملك عمورى عام ١١٧٤م فى نفس العام الذى رحل فيه نور الدين محمود وكانا قد تصارعا فى عالم الحرب والسياسة واتفقا فى عام الوفاة !!! - كانت نهاية مرحلة وبداية أخرى فى تاريخ الصليبيين فى بلاد الشام ، وقد انتهى عصر آخر الملوك الصليبيين الكبار- من وجهة النظر الصليبية- وقد حاول الخروج من «الشرنقة الآسيوية» إلى النطاق الأفريقى دون جدوى، ولذلك يعد رحيله بداية لفراغ سياسى صعب أن يشغله ملك صليبى آخر على نفس إمكاناته، فمن بعد رحيله تولى ابنه بلدوين الرابع Baldwin IV [١] (١١٧٤- ١١٨٥م) الذى كان قد بلغ من العمر ١٣ عامًا ، وقد تولى أمر الوصاية عليه الكونت ريموند الثالث صاحب طرابلس Raymond III of Tripolis (١١٥٢-١١٨٧م) وهو شخصية تأثرت بحياة المسلمين وتعلم اللغة العربية خاصة أنه مكث فى أسر المسلمين عدة أعوام ولم يكن يفضل أسلوب الفرسان الصليبيين الأوائل الأشداء.

ويلاحظ أن مملكة بيت المقدس حينذاك كان يتنازعها حزبان ، الحزب الأول وتمثل فى البارونات المحليين والاسبتارية Hospitallers [٢]. وقد خضعوا للوصى على العرش وقد فضلوا - كما قرر البعض- التعايش مع المسلمين قدر الاستطاعة .

١- عنه أنظر : William of Tyre, vol . II , pp. 397-509 .

Aube (P.), Baudouin IV de Jerusalem , Le roi Lepreux, Paris 1981 .

Hamilton , The Leper king and his heirs, Baldwin IV and the Crusader kingdom of Jerusal-en , Cambridge 2000 .

وهى أحدث وأفضل دراسة فى موضوعها .

ويقوم حاليًا الطالب النابه / ياسر كامل الباحث فى كلية الآداب - جامعة أسيوط بإعداد أطروحته للماجستير عن ذلك الملك الصليبى، وأتوقع أن تكون رسالة متميزة علميًا .

٢- الاسبتارية Hospitallers، هم فرسان المستشفى الصليبيين، بدأ تاريخهم بداية طبية علاجية فى

أما الحزب الآخر ، فقد تمثل فى حديثى العهد بالإقامة فى مناطق الصليبيين من المهاجرين الجدد من الغرب الأوربى، وهم الذين أشار أسامة بن منقذ (ت ١١٨٨م) من قبل إلى تعصبهم الشديد ضد المسلمين، وكذلك عناصر فرسان الداوية Templars [١]، وممثلو الحزب

= مستشفى فى بيت المقدس من قبل مقدم الصليبيين، وفيما بعد زاد نفوذهم وتحولوا إلى الجانب الحربى بجوار الجانب العلاجى وسيطروا على القلاع الصليبية فى مواقع متعددة وفى بلاد الشام وشاركوا فى المعارك ضد المسلمين، عنهم أنظر:

William of Tyre , vol. II , p. 82 .

Delaville Le Roulex, " Inventaire de Pieces Terre Sainte de l'Hospitale", R.O.L., T. III, Année 1885 , pp. 36-100 .

King , The knights Hospitallers in the Holy land, London, 1930 .

Riley - Smith, A History of the knights of St. John of Jerusalem , London 1967 .

Cavaliero, The Last Crusaders, London 1960 .p.1 .

Luttrell, " The earliest Hospitallers", in kedar, Riley- Smith, Hiestand (eds.) Montjoie Studies in Crusade History in Honour of Hans Eberhard Mayer, Hampshire 1997, pp. 37-54 .

مصطفى الحناوى ، جماعة الاسبتارية ، ودورها فى الصراع الصليبى الاسلامى فى عصر الحروب الصليبية (١٠٩٩-١٢٩١م/ ٤٩٣- ٦٩٠هـ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة المنيا عام ١٩٨٠م ، سامى سلطان سعد، الاسبتارية فى رودس ، رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآدب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م.

١- الداوية Templers ، هم فرسان المعبد الصليبيين، أسسهم هيودى باين وجودفرى دى سانت أومير وظهرت إلى الوجود هيئتهم عام ١١١٨م ، ومنذ البداية كانوا هيئة حربية وتزايد نفوذها وسيطروا على العديد من القلاع الصليبية وشاركوا فى المعارك ضد المسلمين، وقد تزايدت ثرواتهم حتى صاروا يعملون فى مجال البنوك، والصيرفة ، عنهما أنظر:

William of Tyre , vol . I , p. 524 .

Barber, The Trial of Templars , Cambridge 1982 , The New Knighthood: A History of the Order of the Temple, Cambridge 1994 , Northop , The knights Templars in the Holy Land (1118-1187), M. A. , Thesis, University of California 1943 , Menache, " Rewriting The History of the Templars according to Mathew Paris ", in Michael Goodish , Sophia Menache and Sylvia Schein (eds.) Cross. Converyences in the Crusader Period ,

المتشدد الذى كان يرى أن الحرب هى الوسيلة المثلى لحسم الصراع مع المسلمين فى أية خلافات تنشب بين الجانبين ، ويلاحظ أن ذلك الحزب سيورد المملكة موارد الهلاك خاصة منذ عام ١١٧٥م وهو العام الذى أطلق فيه المسلمون سراح الفارس الصليبى الفرنسى المندفع والمغامر رينودى شاتيون وهو ما ستكشفه الصفحات التالية.

مهما يكن من أمر، أصيب بلدوين الرابع بالجذام وهو أحد الأمراض الجلدية وقد انهكت صحته، وفى نهاية المطاف تخلى عن السلطة وتولى من بعده بلدوين الخامس Baldwin V (١١٨٥- ١١٨٦م) وقد توقف مصير الأسرة الحاكمة على سبيلا وهى الأخت الكبرى للملك الصليبى، وقد تزوجت من وليم مونتفرت William Montfort عام ١١٧٦م وأنجبت له بلدوين الخامس، وحيث أنه مات بعد عام ، فقد تزوجت من جى لوزينيان Guy de Lusignan عام ١١٨٠م، وتولى بلدوين الخامس الحكم عام ١١٨٥م، وفى نفس الحين؛ تولى ريموند الثالث الوصاية عليه[1] كما أسلفت الذكر من قبل.

ومن المهم هنا الاقرار ، بأن الصليبيين تهادنوا مع صلاح الدين الأيوبى عام ١١٨٥م[2]

Essays Presented to Aryeh Grabois on his Sixty Fifth Birthday , New York 1995 , pp. 183-213 , Paul Read, The Templars, London 2000, pp. 87-235 , Prestage, Chivalry its Historical Significance and Civilizing influence upon History , London 1925, p. 13 , Conder , The Latin kingdom of Jerusalem , London 1897 , p. 355 .

إبراهيم خميس ، جماعة الفرسان الداوية وعلاقاتهم السياسية بالمسلمين فى الشرق الأدنى حتى نهاية حكم صلاح الدين الأيوبى، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٠م، العلاقات السياسية بين جماعة الفرسان الداوية والمسلمين فى مصر والشام (١١٩٣-١٢٩١) رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، عام ١٩٨٣م، دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية جماعة الفرسان الداوية، ط. الاسكندرية ٢٠٠٢م.

١- فاروق عمر فوزى ومحسن محمد حسين، تاريخ فلسطين فى العصور الوسطى ، ط. بغداد ١٩٨٧م، ص٢٤٠ – ص٢٤١ .

محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية ، العلاقات بين الشرق والغرب، ص٢٠٧ .

٢- نفسه ، ص٢١٥ .

وكانت مدة الهدنة أربع سنوات ، فقد احتاج كل من الطرفين إلى أعوام يلتقط فيها الانفاس ويعيد تنظيم صفوفه .

والواقع أن تاريخ العلاقات الإسلامية- الصليبية أثبت مراراً وتكراراً أن الصليبيين لم يحترموا تعهداتهم التى قطعوها على أنفسهم[1] وأنهم كثيراً ما خرقوا الهدن والاتفاقيات ؛ نظراً لرغبتهم فى القيام بعمليات سلب ونهب وشجعهم على ذلك وجود أمير صليبى جشع حركته أطماعه نحو أن يرمى بالإتفاقيات مع المسلمين عرض الحائط، دون أن يحسب حساب العواقب الوخيمة .

وهكذا، وجدنا أن الأمير الصليبى رينودى شاتيون الذى حركته عقدة الأسر لسنوات طويلة لدى المسلمين، ناهيك عن الجشع والرغبة فى الانتقام منهم، قام بنهب قافلة إسلامية كبيرة كانت تمر عبر الطريق ما بين دمشق والقاهرة ، وقد احتوت على خيرات وافرة، وعندما طلب صلاح الدين الأيوبى من جى لوزينيان أن يضغط على الأمير الصليبى المذكور لإعادة القافلة للمسلمين لم يتمكن من إثنائه عن عزمه .

والواقع الأمر، أن من المؤرخين من عمل على ابراز أمر نهب القافلة واعتبروه الشرارة التى أشعلت الصدام الحربى فى حطين، ومع ذلك علينا إدراك إستعداد صلاح الدين الأيوبى منذ أعوام عديدة لمثل ذلك اليوم، وفى حالة كون الأمر مجرد نهب قافلة إسلامية لكان من الممكن أن يرد عليه السلطان المذكور بنهب قافلة صليبية أخرى وهو أمر تكرر حدوثه من قبل ومن بعد، غير أن حادثة نهب القافلة المذكورة على يدى أرناط جاء فى وقت كان السلطان الأيوبى قد استعد تماماً للقيام بحرب التحرير الشاملة وقد قدم له إرناط الفرصة الذهبية من خلال المبرر

١- من أوضح الأمثلة الدالة على ذلك من قبل عصر صلاح الدين الأيوبى ما حدث فى عهد نور الدين محمود وبلدوين الثالث عندما خرق الصليبيون الاتفاقية المعقودة بين الطرفين وقاموا بمهاجمة سهل بانياس طمعاً فى الغنائم والأسلاب ، وذلك عام ١١٥٧م ويلاحظ أن وليم الصورى نفسه اعترف بأن ذلك المسلك من جانب المملكة الصليبية كان خرقاً للاتفاقية المعقودة مع نور الدين محمود عن ذلك انظر:

ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص٣٣٩ .

William of Tyre , vol . II, p. 260 .

محمد مؤنس عوض، فى الصراع الإسلامى- الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص١٤٩- ص١٥١ .

السياسي لذلك ومن المفترض - دون إمكانية التأكد- أن ذلك القائد المسلم الخبير بالصليبيين قد ورّطهم بالفعل بالموافقة على التوقيع على إتفاقية عام ١١٨٥؛ نظراً لصعوبة إلتزام الصليبيين بها خاصة مع وجود نوعية متطرفة لدى الجانب الأخير ، وبالتالى نصل إلى فكرة مفادها أن صلاح الدين الأيوبى استعمل مع الغزاة «سلاح فرض السلام» الذى أدرك حتماً أنهم لايتمكنون من الالتزام به وبتبعاته وكان التوقيع على اتفاقية عام ١١٨٥م بمثابة توقيع على وثيقة إعلان حرب وأثبتت الأيام صحة ذلك التصور.

ويلاحظ أنه من قبل معركة حطين، حدثت معركة سابقة مباشرة عليها هى معركة عين كريسون عام ١١٨٧م [١].

وقد تحالفت القيادة الأيوبية مع الامير الصليبى ريموند الثالث كونت طرابلس، وتم استئذانه من أجل المرور فى المناطق الخاضعة لسيطرته السياسية وقد وافق على أن تقوم القوات الأيوبية بالمرور بطبرية ولايكون ذلك لمدى زمنى أكثر من ١٢ ساعة فقط، وألا يرتبط بذلك أعمال تتصل بالسلب، والنهب، والتخريب فى المناطق الصليبية [٢]، ويلاحظ أن دور ذلك الأمير الصليبى سيكون بارزاً فى سبيل نصرة المسلمين من خلال الأحداث التالية.

وقد حدث الصدام بين الجانبين الإسلامى والصليبى فى صورة منطقة عين كريسون واحتوى الأخير على عناصر الرهبان الفرسان من الاسبتارية ، والداوية، وقد وصفت المعركة من جانب ابن الأثير بأنها «جرت بينهم حرب تشيب لها المفارق السود» [٣]، ووصفها مؤرخ آخر بأنها

١- وقعت عين كريسون بين صفورية وكفر كنا قرب حطين وبعدت ٦ ك.م عن كفر كنا، عن تحديدها انظر:
Le Strange , Palestine , p. 469 .

إبراهيم المحمود ، فن الحرب عند العرب، ط. ١٩٧٨م، ص٣٨٤ ،

السيد الباز العرينى، مصر فى عصر الأيوبيين، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص٧٢ .

٢- العماد الأصفهانى، الفتح القسى، ص١٣ ، نظير حسان سعداوى، التاريخ الحربى المصرى، ص١٧٧ .
Lane-Poole, Saladin and the Fall of the Latin kingdom , p. 201 Runciman, A History of the Crusades, vol. II, p. 453 , Baldwin , " The Decline and Fall of Jerusalem", in Setton, A History of the Crusades, vol I. p. 607 .

٣- الكامل، ج١١، ص٥٣١ .

كانت بمثابة مذبحة لعناصر فرسان الداوية[١] على حين اعتبرها مؤرخ آخر معركة طاحنة [٢]، وهو أمر نختلف معه بشأنه لأن حطين كانت أكثر خطورة منها.

ولدينا نص مهم يورده جاك دى ڤترى[٣] Jacques de Vitry يذكر فيه أن القوات الأيوبية فى المعركة قد بلغت نحو ١٠٠٠٠٠ من المقاتلين[٤]، ومن الواضح أن ذلك يحوى مبالغة واضحة ، ومن الممكن إيجاد تبرير منطقى لمثل ذلك الرقم من خلال رغبة ذلك المؤرخ فى أن يبرر إنكسار عناصر الداوية من خلال الإشارة إلى أن أعداءهم كانوا فى عدد ضخم لاقبل لهم به، كما لانغفل أن الحملة المذكورة من جانب الأيوبيين كانت ذات طابع إستطلاعى إستكشافى وبالتالى من المفترض أن عدد المشاركين فيها كان محدوداً نسبيًا بحكم المهمة الموكلة لهم.

على أية حال ، الأمر المؤكد أن تلك المعركة وما لحق الصليبيين فيها من خسائر يكشف لنا عن أن الوضع العسكرى للمملكة كان ينذر بعواقب - بالفعل- وخيمة .

وهكذا ، تسارعت الأحداث، وقد تجهز صلاح الدين الأيوبى وقام باستدعاء أمراء الأطراف وأنطلق من مرتفعات الجولان وتحديداً من خسفين[٥]، ووصل إلى طبرية وحاصر قلعتها وعمل على أن يجعل بحيرتها تحت سيطرته وبالتالى يحرم الصليبيين منها، وفى ذلك الحين كان الصليبيون قد تجمعوا فى موقع مثالى فى صورة عين صفورية[٦] وهى منطقة فى شمالى

١- Jacques de Vitry , History of Jerusalem , p. 100 .

٢- Runciman, vol . II, p. 453 .

٣- إبراهيم طرخان ، الناصر صلاح الدين، ص٩٠ .

٤- Jacques de Vitry, p. 100 .

٥- تجدر الإشارة إلى أن خسفين تقع حاليًا فى محافظة القنيطرة السورية ، فى أرض منبسطة إنحدرت ببطء بإتجاه الجنوب الغربى نحو وادى الرخا، وعرفت بخصوبة تربتها ، وبعدت عن مدينة فيق ١٤ كم باتجاه الشمال الشرقى ، ويلاحظ اكتشاف آثار ترجع إلى العهدين الرومانى والبيزنطى فيها ، عنها انظر: أحمد محمود الحسن، الجولان تاريخ وجذور دراسة جغرافية سياسية ثقافية ، ص٢٨، حاشية، (١) .

٦- صفورية ، إحدى القرى الواقعة فى إقليم الجليل بشمالى فلسطين ، ويحدها من الشرق كفر كنه، وجنوبيًا بجهة الشرق الناصرة ومن الجنوب الغربى قرية عبلوت (عبلوط) وشمالاً قرية روما (خربة روما) ، ويلاحظ أنها فى المرحلة الرومانية أطلق عليه Dio Caesarea ، وفى مرحلة الحروب الصليبية احتوت على قلعة حصينة سيطرت عليها هيئة الداوية عنها أنظر: Fetellus, p. 30 .

فلسطين توافرت فيها المياه ، ولاءمت تمامًا مصلحة الصليبيين الحربية، ولكن مع وصول الأخبار للأخيرين بمهاجمة صلاح الدين الأيوبى لطبرية ، اختلف الغزاة فيما بينهم، فقد وجد فريق يؤيد البقاء فى صفورية وانتظار مقدم القوات الأيوبية ، بينما وجد فريق آخر يرى ضرورة التوجه إلى المسلمين وعدم انتظارهم ، وكان رينو دى شاتيون ومقدم الداوية من أنصار ذلك الرأى ، بينما عارضهم ريموند الثالث، وفى النهاية رجحت كفة الفريق الأول، وكان معنى ذلك أن يسير الجيش الصليبى مسافة ١٧ ك.م[١] وسط الشمس الحارقة فى شهر يوليو ولاتوجد موارد للمياه ومن بعد ذلك كان على الجيش الصليبى الإصطدام مع الجيش الأيوبى الذى ينتظره ولديه مصادر المياه بوفرة وقد تجهز تسليحيًا وارتفعت روحه المعنوية.

وقد إلتقى الطرفان فى منطقة قرون حطين The Horns of Hatin[٢] فى يوم ٤ يوليو ١١٨٧م ويلاحظ أن الصليبيين وصلوا إلى المنطقة المذكورة فى اليوم السابق وباتوا هناك، وعندما أشرقت شمس صباح يوم ٤ يوليو أدركوا أن الجيش الأيوبى فرض عليهم حصاراً شاملاً أثناء الليل . وجرى الصدام بين الجانبين وهو صدام أبلى فيه المسلمون بلاءً حسنًا ووقع الجيش

= Theoderich, p. 69 .

Marino Sanuto, p. 69 .

مجهول ، الاستبصار فى عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، ط. الاسكندرية ١٩٥٨م، ص١٠٦ ، ياقوت معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤١٤ ، بنيامين التطيلى ، الرحلة ، ص١١٠ ، حاشية (١) ، ليلى طرشوبى ، إقليم الجليل، ص٩٩ ، سعيد البيشاوى ، نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢- ٦٩٠هـ/ ١٠٩٩-١٢٩١م ، ط. عمان ، ص١٣٨ ، حاشية (١٢١) ،محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص٢٣٠ ، حاشية (٣٥) ، كشاف البلدان الفلسطينية ، معهد البحوث والدراسات العربية، ط. القاهرة ١٩٧٣م، ص٦٢ ، موضى السرحان ، بيروت تحت الحكم الصليبى وعلاقتها بالمسلمين ٥٠٤- ٦٩٠هـ / ١١١٠-١٢٩١م ، ط. الرياض ٢٠٠١م، ص١٧٣ ، حاشية (١) .

١- أحمد مختار العبادى، فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط. بيروت ١٩٩٥م، ص٥٣ .

٢- عن معركة حطين انظر:

The Old French Continuation of William of Tyre 1194-1197 , in the Conquest of Jerusalem and the Third Crusade , Sources in translation, ed. by P.W. Edbury, Hampshire 1996 , pp. 158- 163 .

الصليبى - الذى كان أكبر جيش أمكن للغزاه جمعه منذ أن وصلوا إلى المنطقة فى أخريات

= ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٧٥- ص٧٩، العماد الأصفهانى ، الفتح القسى، ص٨١ ، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٧٩ .

Richard , " La Bataille de Hattin Saladin defait L'Occident", L'Histoire T. XLVII, Année 1982 , pp. 104- 111, "An Account of the battle, of Hattin deferring to the Frankish mercenaries in Oriental Moslem States", S., vol . XXVII, 1952, pp. 168-175 , Lane - Poole, Saladin , pp. 205-210 , Fuller, Decisive battles of Western Europe, and their influences upon History , London 1954, p. 427 , Eggemberger, Dictionary of battles, London , p. 430 . Kedar (ed.), The Horns of Hatin Jerusalem 1992 .

وهو من أفضل الدراسات الجماعية عن المعركة المذكورة ويحتوى على أبحاث مؤتمر دولى عقد فى فلسطين المحتلة عام ١٩٨٧م بمناسبة مرور ٨٠٠ عام على وقوعها .

ديڤيد جاكسون ، «معركة حطين والاستيلاء على القدس» ، ضمن كتاب حطين صلاح الدين والعمل العربى الموحد ، ط. القاهرة ١٩٨٩م، ص٨٦- ص٩٣، جوزيف نسيم يوسف ، «معركة حطين خلفياتها ودلالاتها ، عالم الفكر ، م (٢٠) العدد (١) أبريل- مايو- يونيو ١٩٨٩م، ص٢٣٢- ص٢٥١ ، جوزيف داهموس، ط. سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى . ت . محمد فتحى الشاعر. ط. القاهرة ١٩٨٧م، ص١٠٣- ص١٣١ ، أمين توفيق الصليبى «وقعتا حطين والارك نصران متوازيان على الغزاه الصليبيين فى المشرق والمغرب»، مجلة البحوث التاريخية، السنة (١٠) العدد يناير ١٩٨٨م، ص٥١- ص٦٤ . محمد رشيد رضا، «ذكرى صلاح الدين ومعركة حطين» ، مجلة المنار، العدد (٨) سبتمبر ١٩٣٢ م، ص٥٩٣- ص٦٠٦، سهيل زكار ، «وقائع معركة حطين »، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد (١٠٥) ، (١٠٦) يوليو اغسطس ١٩٨٧م، ص٧٠-٨١ ، محمد مصطفى زيادة، «يوم حطين»، مجلة العربى، العدد (٥٩) أكتوبر ١٩٦٣م، ص٣٦- ٤٦ ؛ عبد الرحمن الشرقاوى ، وحدة الوطن تعلو على وحدة العنصر، ضمن كتاب ٨٠٠ عام ، حطين صلاح الدين ، ص٤٤- ص٤٧ ، صفى الدين أبو العز، معركة حطين الاطار والنتائج، ضمن كتاب ٨٠٠ عام حطين صلاح الدين ص١٣٠- ص١٣٦ ؛ عطيه القوصى ، معركة حطين ووحدة الصف العربى، ط. القاهرة ، ١٩٦٢م.

محمد مؤنس عوض، «٨٢٠ عامًا على معركة حطين»، مجلة المنبر الجامعى العدد (٤٨)، السنة (٧) مايو ٢٠٠٧م، ص٨٢- ص٨٣ .

القرن ١١م وقع فريسة للمسلمين ، وسقط رجاله بين قتيل ، وجريح، وأسير ، وتم إشعال النيران في الأعشاب الجافة في المنطقة ، كذلك فتك العطش بالصليبيين واجتمع عليهم حر الشمس ، وحر النار، وحر العطش ، وحر القتال، وهناك عبارة بليغة أوردها المؤرخ ابن الأثير عندما ذكر أن من كان يرى القتلى من الصليبيين يظن أن المسلمين ما أسروا أحداً وأن من يرى الأسرى يظن أنهم ما قتلوا أحداً[1] كناية عن كثافة أعداد القتلى والأسرى، وقد سجد صلاح الدين الأيوبي لله تعالى شاكراً على ذلك الانتصار الكبير.

تجدر الإشارة إلى أن المسلمين تمكنوا من إنتزاع ما يعتقد الصليبيون بأنه صليب

= قاسم عبده قاسم ، في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٥١- ص٧٦ ، حسين سليمان، نبذة تاريخية عن معركة حطين الرمز والعظة ومدخل التحرير»، مجلة لواء الإسلام، العدد (٣) سبتمبر ١٩٧٩م، س٤١- ص٤٥ ، سعيد طيان، «موقعة حطين دراسة عسكرية» ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد (١٠٥) ، (١٠٦) يوليو - أغسطس ١٩٨٧م، ص٣٤- ص٤٠ ، عباس العقاد ، «صلاح الدين» ، العربي ، العدد (١) ، ديسمبر عام ١٩٥٨م، ص٥٣- ص٥٩ ، محمود ابراهيم ، حطين بين أخبار مؤرخيها وشعر معاصريها ، ط. عمان ١٩٨٧م، سهيل زكار ، حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس، ط. دمشق ١٩٨٤م، عبله المهندي الزبدة، القدس تاريخ وحضارة ، ط. عمان ٢٠٠٠م، ص١٩٠ ، محمد حلمي محمد، مصر والشام والصليبيون، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص١٤٠- ص١٤١ ، محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز ، ط. بيروت ٢٠٠٢م، ص١٩٩- ص٢٠٠ ،. سمايل ، الحروب الصليبية ، ت. سامي هاشم، ط. بيروت ١٩٨٢م، ص١٧٥- ص١٨١ .؛ هيثم الأيوبي، معركة حطين، ١١٨٧م، الموسوعة العسكرية ، ط. ببروت ١٩٧٧م، ص٨٢١- ٨٢٢، طه أحمد ، معركة حطين ، المجلة العسكرية، العدد (٣٢)، عام ١٩٥٥م، ص١٦٥-١٨٢ ، محمد عبدالله عنان، موقعة حطين واسترداد بيت المقدس، ضمن كتاب مواقعة حاسمة في تاريخ الاسلام، ط. القاهرة ١٩٦٢م، ص١٣٠- ص١٤١ ؛ محمود السرساوي ، يوم حطين من روائع التاريخ العسكري العربي، ط. القاهرة ب-ت ؛ محمد زنبير ، «معركة حطين من التمزق إلى التوحد» المؤرخ العربي، العدد (٣٩)، السنة ٥ عام ١٩٨٩، ص١٦٥-١٧٦؛ الحبيب الجنحاني «حطين رمز الوحدة والتحرر» المؤرخ العربي ، العدد (٣٩) السنة (١٥) عام ١٩٨٩م، ص١٧٧- ص١٨٥ .

١- الكامل، ج١١، ص٢١٨ .

الصليبوت[1] على نحو ترك أسوأ الأسر في حالة الغزاة المعنوية وقد ايقنوا عندئذ بأن الهزيمة واقعة لامحالة كما تم أسر كبار القادة في صورة الملك الصليبي ومقدمي الاسبتارية والداوية والفارس ارناط وعلى حين عامل السلطان الأيوبي الملك الصليبي معاملة طيبة، إلا أنه قام بتوبيخ إرناط على ما تلفظ به في حق نبي الإسلام عندما أسر القافلة ، وقد قام بقتله[2] جزاء ما قام به خاصة حملته الشهيرة على الحجاز عام ١١٨٣م، كما قام باصدار أوامره بالفتك بعناصر فرسان الاسبتارية والداوية[3]، وقد عرض لتلك الحادثة المؤرخون الأوربيون المحدثون من وجهة نظرهم، حيث وجد منهم من إعتبر أن أولئك الفرسان لقوا مصرعهم فداء لواجبهم

١- صليب الصلبوت، قطعة خشبية مغلفة بالذهب اعتقد الصليبيون أن السيد المسيح قد صلب عليها- وذلك وفق معتقدهم الديني الذي يرى أمر الصلب - وكانت مرصعة بالجواهر، وقد احضروه إلى ساحة المعركة في حطين لإشعال الحماس في نفوس المقاتلين الصليبيين وللتبرك به، ويقال أنهم رفعوه على رمح عال ، حتى يراه الجميع ، عن ذلك أنظر: .

ابن العديم ، زبدة الحلب، ج٣، ص٨٤٢ ، علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ص١٠٢ .

٢- ابن وصل ، مفرج الكروب ، ج٢، ص١٩٤- ص١٩٥ ، محمد عبد القادر أبوفارس، دروس وتأملات في الحروب الصليبية ، ط. عمان ٢٠٠٢م، ص١٧٨ .

حامد زيان ، دراسات في تاريخ العالم الاسلامي في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص٣٥٨، محمود السيد، تاريخ الحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٢م، ص١٦٠ .

٣- العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ، ص٨١ ، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٧٧ ، ابن واصل، المصدر السابق، ج٢ ، ص١٩٦ ، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٧ ، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٤ ، ص٢٦ ، ابن الوردي، تتمة المختصر، ج٢، ص٩٦، ابن أيبك الدواداري ، الدر المطلوب في أخبار بني أيوب، ص٩٦ ، المقريزي ، السلوك، ج١، ق١، ص٩٣ ، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٤٤ .
Jacques de Vitry, History of Jerusalem , p. 101 , Richard, " An account of the Battle of Hattin refering to the Frankish mercenaries in Oriental Moslem States, p. 169 , Oman, A History of the art of War in The Middle Ages vol . II, p. 332 , Belloe, The Crusade, World's debate, p. 294 , Kerr, The Crusades, p. 49 .

فى قتال المسلمين وعقيدتهم[١]، بينما قرر ستيفنسن Stevenson أن الحادثة نفسها لامجال لإنكارها ولكنها لاتزال تحتاج إلى تعليل[٢]، ويبدو أن ذلك المؤرخ قد نسى أو تناسى الدور الحربى العدوانى الذى قامت به تلك العناصر طوال تلك المرحلة.

وقد قرر أحد المؤرخين أن أولئك الفرسان كانوا أشد أهل الكفر وطأة على المسلمين وأنه لم تجر عادتها بالمفاداة ولايقلعان عن المعاداة ولاينفعان فى الأسر[٣] ويقرر أحد الباحثين الغربيين المحدثين، أن أولئك الفرسان كانوا فى نظر صلاح الأيوبى بمثابة الأعداء القساة ضد عقيدته وينبغى ألا يلقوا منه شفقة أو رحمة [٤]، ثم أنه فى حالة إطلاق سراحهم فإن من المرجح عودتهم إلى قتال المسلمين، وكانت تجربة المسلمين مع إرناط نفسه خير دليل وبرهان على صحة ذلك التصور.

وأود هنا الإشارة إلى أن المؤرخين الغربيين منهم من إتجه إلى النيل من سمعة صلاح الدين الأيوبى وتصويره بمظهر الدموى القاسى لأنه قام بذلك العمل دون أن يدركوا الدوافع التى دفعته إلى مثل ذلك القرار والذى أراه صائباً تماماً من خلال الظروف الحربية التى عاصرت ذلك القرار ، فإذا ما لاحظنا أن الصليبيين من بعد ذلك لن يحترموا تعهداتهم وسيرفعون السلاح فى وجه المسلمين؛ أدركنا كيف كان ذلك القرار بإعدام أولئك الفرسان كان صائباً .

ويعلق البعض على معركة حطين قائلاً : «لم تكن معركة حطين كارثة حربية ، ولكنها كانت نصراً على أكبر حركة إستيطانية غربية شهدتها العصور الوسطى .. حررت المشرق العربى وأرضه بالذات من المجموعات البشرية التى غزته للبقاء فيه، وإذا أخذ هذا التحرير مئة

= خليل سركيس، تاريخ أورشليم ، ط. بيروت ١٨٧١م، ص١٧٣ ، أحمد بيلى، حياة صلاح الدين، ص١٣٨ ، محمد مؤنس عوض ، تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية الحربية فى مملكة بيت المقدس اللاتينية، ص١٣٩ ، جوناثان رايلى سميث، الاسبتارية فرسان القديس يوحنا فى بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠- ١٣١٠، ت. صبحى الجابى، ط. دمشق ١٩٨٤م، ص٧٧ .

١- King, The Knights of St John in , The British kingdom , London 1943, p. 19-20 .

٢- The Crusaders in the east , p. 248 .

٣- أبو شامة ، الروضتين، ص٧٩ .

٤- king, The knights Hospitallers in the Holy Land , p. 123 .

سنه أخرى بعد حطين ، فقد كانت هذه المعركة هى المؤشر الأول والأساس لرفض استقرار الغرباء على هذه الأرض.. ولم يفقد الفرنج جيشهم فيها فقط، ولكن زهرة شبابهم ورجالهم أيضًا ، وسوف يضطرون باستمرار إلى حمل المزيد من الرجال والأموال لسد النقص البشرى الذى كشفته هذه المعركة ، ولم يكن بقاء الإمارات بعد حطين بقوتها ، ولكنه كان بقاءً إصطناعيًا وقد حاول الغرب إعاشتها بالحملات المتتالية عبثًا حتى إنقرض آخر ممثليها فى عكا سنة ١٢٩١م»[١]، ويلاحظ أن ذلك الرأى السابق أصاب قلب الحقيقة باقتدار رفيع المستوى.

واقع الأمر ، أن أهم ما يميز معركة حطين، القدرة من جانب المسلمين على تحقيق الإنجازات العسكرية بكفاءة وإتقان وعلى نحو سريع ، وينبغى ملاحظة أن ذلك الإنتصار كانت الناحية المناخية [٢]. خاصة خلال شهر يوليو الشديد الحرارة عنصر مساعد فقط، ولايمكن تصور أن ذلك العنصر كان هو العنصر الحاسم، إذ أن الحسم جاء من خلال كفاءة الجيش الأيوبى المجاهد، ونفس الأمر يقال فيما بعد عندما قام الملك الفرنسى لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦- ١٢٧٠م) بحملته على تونس المعروفة بالحملة الثامنة، فى صيف عام ١٢٧٠م[٣].

١- شاكر مصطفى، صلاح الدين، ص٢٦٤ - ص٢٦٥ .

٢- عن ذلك العامل وتأثيره بالتفصيل انظر: ماهر أبو السعيد، الحروب الصليبية وتأثرها بالعوامل الجغرافية فى الشرق الأدنى الإسلامى فيما بين ١٠٩٥- ١٢٩١م / ٤٨٩- ٦٩٠هـ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية ، فرع دمنهور عام ٢٠٠٣م.

٣- عن تلك الحملة انظر :

Jean de Joinville, in Chronicles of the Crusades, Trans. by . M.R.B. Shaw London 1976, p. 346 .

Prima, Chronique de Prima, R.H.G. F., T. XXIII, Ch . XXXII, pp. 48-49 .

ابن أبى دينار ، المؤنس فى تاريخ أفريقية وتونس ، تحقيق محمد شمام- ، ط. تونس ب-ت ، ص١٣٦-١٣٧ . ابن خلدون ، العبر ، ج٦ ، ط. القاهرة ب-ت ، ص٢٩٣ .

Strayer , "The Crusades of Louis IX", in Setton , AHistory of the Crusades, vol . II, 1969 , pp. 515-516 . Talbi , " Saint Louis Voir Tunis et mourir", H. T.XLVIII, Année 1982, p. 38-41 .

مصطفى الكنانى، حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ٦٦٨- ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠م، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م، ص١٣٣- ص٢٧١ .

وفشلت تلك الحملة وتوفى هناك فى ٢٥ أغسطس من العام المذكور ، وهكذا ، فإن عامل الحر لم يكن هو الحاسم بل جهاد أهل تونس ضد الصليبيين خلال أحداث الحملة المذكورة .

تجدر الإشارة ، إتجه صلاح الدين الأيوبى إلى إرسال قواته من أجل فتح مدن الساحل الشامى؛ نظراً لإدراكه لأهمية إخضاعها من قبل مقدم الدعم العسكرى الأوربى للحركة الصليبية فى شرق البحر المتوسط. وبالفعل سقطت العديد من المدن مثل عكا ، ويافا ، وصيدا، وبيروت، وجبيل ، وعسقلان[١]، وغيرها.

والأمر المؤكد ؛ أن هناك عدة أسباب كانت من وراء نجاح الجيش الأيوبى فى الاستيلاء على تلك المدن خلال مرحلة زمنية محدودة نسبيًا لايتجاوز ثلاثة أشهر فقط ، فإلى جانب

= سامية عامر، الصليبيون فى شمال أفريقيا ، حملة لويس التاسع على تونس ١٢٧٠م / ٦٦٨-٦٦٩هـ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، فايز نجيب اسكندر، المقاومة الاسلامية فى مواجهة العدوان الصليبى على تونس، ط. القاهرة ١٩٨٧م، رسائل بيير دو كوندبه عن العدوان الصليبى على تونس دراسة تحليلية نقدية مقارنة للمصادر »، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. المنصورة، ب-ت ، ص١٥٥- ص١٨٣ .

وعن مقاومة التونسيين للحملة أنظر: ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك، نشر: مالكوم ليونز ج١، ط. كمبردج ١٩٧١م، ص١٧٩ .

سيمون للويد، حملتا القديس لويس الصليبيتان ، ت. عادل زيتون ، الثقافة العالمية ، العدد (٨٧) مارس- أبريل ١٩٩٨م، ص١١٦ .

حياة الحجى، السياسة الصليبية للملك الفرنسى لويس التاسع ط. الكويت ١٩٨٣م، ص١٠٣ ، محمد العروسى المطوى، السلطنة الحفصية تاريخها السياسى ودورها فى الغرب الإسلامى، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٢٠٤ ، روبار برونشفيك ، تاريخ افريقيا فى العهد الحفصى من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥ ، ت. حمادى الساحلى، ط. بيروت ١٩٨٨م، ج١ ، ص١٩ .

١- عن سقوط مدن الساحل الشامى فى قبضة المسلمين فى أعقاب حطين أنظر: ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٨٦- ص٩٠، العماد الاصفهانى ، الفتح القسى، ط. القاهرة ١٣٢١هـ، ص١٠٤-١٠٩ ، وبقيت مواقع قليلة فى أيدى الصليبيين عن ذلك أنظر: سعيد عاشور ، مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك، ص٦٢ ، ياسين سويد، صلاح الدين واستراتيجية التوحيد للتحرير » شؤون عربية ، العدد (٨٣)، سبتمبر ١٩٩٥م، ص١٣٢ .

الكفاءة الحربية للأيوبيين. هناك ضعف القوة البشرية الصليبية المدافعة عنها نظراً لإشتراك أكبر عدد منهم في أحداث معركة حطين، كما لانغفل عنصر فعال آخر إذ أن الجانب الأخلاقي الذي عرف عن السلطان الأيوبي وهو جانب لايمكن كتابة تاريخه بدونه ، وإدراك الصليبيين أنه لايتراجع عن أي وعد قطعه على نفسه حتى لأعدائه (١)، جعل البعض يفضل الاستسلام عن الاستمرار في المقاومة وما تعنيه من ويلات الحصار خاصة أن الجيش الأيوبي كان قد حقق خبرة عريضة في مثل تلك العمليات من قبل، وبالتالي ؛ تساقطت في أيدي المسلمين العديد من المدن الخاضعة للسيادة الصليبية ، كما لانغفل عنصر آخر دعم الجانب الإسلامي في صورة عناصر المسلمين الخاضعين للصليبيين حيث دعّموا اخوانهم القادمين للإستيلاء على تلك المناطق وهنا ظهر دور تلك العناصر كقوة دعم تنتظر الدور التحريري للأيوبيين.

والأمر المؤكد ، أن صلاح الدين الأيوبي وقواته كانوا في صراع مرير مع الزمن من أجل إعادة السيادة الإسلامية على أكبر عدد من المواقع الصليبية حتى يجد القادمون من الغرب الأوربي صعوبية بالغة في إعادة الأمور إلى ما قبل ٤ يوليو ١١٨٧م، ومن المهم هنا ملاحظة أن الصراع كان أصلاً على منطقة جغرافية محدودة ومركزة ولذلك كانت النتائج باهرة وسريعة.

ولانغفل زاوية أخرى مؤثرة إلى حد كبير ، تتمثل في أن إنتصار حطين الحاسم ؛ أشعل في نفوس المسلمين حماسًا شديداً ، وأرتفعت روحهم المعنوية وتملكتهم رغبة قوية وصادقة وعارمة نحو إسقاط أكبر قدر من الأملاك الإسلامية التي سيطر عليها الصليبيون في أسرع وقت ممكن لفرض واقع سياسي جديد على الأرض لأول مرة منذ عدة عقود في قلب الوجود الصليبي.

من ناحية أخرى، تم الإتجاه إلى إسقاط القلاع الصليبية ؛ وهي التي مثلت الأوتاد التي تثبتت الوجود الصليبي في الأرض المسلمة ، وكانت من التعدد وقوة التحصينات على نحو

١- ولتر سكوت، الطلسم، ت. محمود محمود محمد ، ط. القاهرة ١٩٣٨م، ص١٠٦ . أنظر أيضًا: رأي جنثياف شوفيل حيث وصفت صلاح الدين بأنه وفي للعهد عن ذلك انظر:

أحمد حسن أحمد ، «فقه التاريخ وانتصارات صلاح الدين» ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية العدد، (٥٩) ، السنة (١٥) صيف ١٩٩٧م، ص٥٠ ،حاشية، (٤٥) .

جعلها تمثل تهديدًا عسكريًا كبيرًا فى مواجهة أية قوة عسكرية تسعى إلى إحداث تغييرات حقيقية على الأرض،ومن أمثلتها قلاع الفولة [١]، وصفد [٢] ،

١- وقعت قلعة الفولة La Feve إلى الجنوب من الناصرة ، وإلى جانب ذلك الاسم، عرفت باسم الباقلا أو باسم فابا Faba وعرفت فى المصادر التاريخية الصليبية باسم La Feve Afula ، وقد سيطرت هيئة الداوية على القلعة ويبدو أنها مثلت إحدىَ القلاع المهمة فى اقليم الجليل، ويقرر العماد الأصفهانى عنها أنها كانت بالنسبة للصليبيين والداوية على نحو خاص «ذخائر كنايسهم وأخاير نفايسهم»، وقد تمكن المسلمون من إخضاعها عقب حطين عام ١١٨٧م، عنها انظر:

ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٩٣٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب، ج٣، ص٧٣ ، الفتح البندارى ، سنا البرق الشامى، ص٣٠٢ .

Le Strange, Palestine under Islam, London 1890, p. 441 , Runciman, The Crusades, vol . II , p. 453 , Stevenson , The Crusaders , p. 250 .

٢- وقعت قلعة صفد Safad على بعد ٨ أميال من بحيرة طبرية فى الجهة الغربية منها، على الطريق الرئيسى المتجه إلى دمشق ومن ثم اعتبرت مفتاح طريق دمشق، وقد أشرفت على إقليم الجليل وغدت من أقوى وأمنع القلاع الصليبية وعهد الصليبيون بأمرها لعناصر الداوية وقد قرر عز الدين بن شداد أن ذلك تم عام ٤٩٥هـ وهو يوافق عام ١١٠٢م، ونقل عنه العثمانى ذلك التحديد الزمنى ومن بعده طه ثلجى الطراونة، والواقع أن ذلك أبعد ما يكون عن الواقع التاريخى لأمر يسير وهو أن هيئة الداوية ذاتها لم تظهر إلى الوجود إلا عام ١١١٨م عندما تم تأسيسها وذلك بالاعتماد على ما أورده وليم الصورى نفسه، وقد سقطت القلعة المذكورة بعد أحداث حطين حيث سقطت عام ١١٨٨م .

بعد حصار طويل عن ذلك انظر:

ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة، ج٢ ، ص٨٥ ، العثمانى ، تاريخ صفد، تحقيق برنارد لويس ، B.S.O.A.S., vol. XV, 1953, p. 179, William of Tyre , vol . I, p. 524 , Ernoul, Ernoul's account of Palestine , Trans . by Conder , P.P.T.S., vol . IV, London 1896 , p. 51 , Kennedy, Crusader Castles, Cambridge 2001 , pp. 190-198 .

طه ثلجى الطراونة ، مملكة صفد فى عهد المماليك، ط. بيروت ١٩٨٢م، ص٨٥ ، سعيد عاشور، العصر المماليكى فى مصر والشام ، ط. القاهرة ١٩٦٥م، ص٦١ ، قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية ،

وصهيـــون(١) ، وبغـــراس (٢) ، وشقيـــف أرنـــون(٣) .

= سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٠م، ص١٥٩ ، ليلى طرشوبي ، إقليم الجليل فترة الحروب الصليبية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٨٧م، ص٨٤- ص٨٥ .

١- هي قلعة صلاح الدين وقعت على بعد ٢٣ ك.م شرقي مدينة اللاذقية، احتلها الصليبيون في بداية القرن ١٢م، وحررها المسلمون في أعقاب معركة حطين عام ١١٨٨م، ويلاحظ أن لها عدة أسماء مثل Cha-teau de Sane ، أرساورونا Saona ، سيهرنا Sehunna ، وساهون Sahaune ، وسون Seun وفي المصادر العربية عرفت باسم صهيون من الصهوة بالعربية وتعني أعلى الشئ ومن الفرس موضع السرج على ظهرها والجمع صهوات ثم حرفت صهيون، عنها أنظر: طالب الصوافي، القلاع والحصون في شمال فلسطين، ط. عكا ٢٠٠٠م، ص١١٥ ، حاشية (١) . قتيبة الشهابي، معجم المواقع الأثرية السورية، ط. دمشق ٢٠٠٦م، ص٢٠٥ .

٢- بغراس وقعت في مكان قرية بين أنطاكية وكيليكيا الأرمينية Armenian Cilicia خلف جبل اللكام الهائل المعروف باسم امانوس Ammanus وبعدت عن أنطاكية مسافة ١٢ ميلاً وبينها وبين الاسكندرونة ١٢ ميلاً أخرى، وبالقرب منها وقعت قلعة دربساك وقد سيطرت عليها هيئة فرسان الداوية Templars ، وقد سقطت في أيدي المسلمين في أعقاب معركة حطين، عنها أنظر : علي عودة الغامدي ، «حصن بغراس ودوره الحربي في عصر الحروب الصليبية» ، ندوة الاطار التاريخي للحركة الصليبية، اتحاد المؤرخين العرب ١٩٩٦م، ص٢٦١-ص٣١٤ ، مرلر ، القلاع أيام الحروب الصليبية ، ص٥٨- ص٥٩ ، محمد مؤنس عوض، تاريخ القلاع الصليبية في بلاد الشام، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص٢٠- ص٢٢ .

٣- شقيف أرنون ، قلعة في جنوبي لبنان تطل على نهر الليطاني على إرتفاع ٢١٩٩ قدم فوق سطح البحر ، وكأنها عش نسر شاهق يشرف على النهر المذكور ويحرس الممر الجنوبي الذي يربط بين صور بالبقع بدمشق، وقد سقطت في أيدي المسلمين بعد معركة حطين ١١٨٧م، عنها انظر: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص١٥٤ ، ابن عبد الحق البغدادي ، مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، ج٢، ص٨٠٧ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك، م٥، ج١ ، تحقيق الشماع، ط. البصرة ١٩٧٠م، ص٢٢١، حاشية (٩٠١) ، العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف، ط. القاهرة ١٣١٢هـ ، ص١٨٢ ، سليمان مظهر «قلعة شقيف أرنون»،

كوكب الهواء (١)، وأرسوف(٢)

= مجلة المجمع العلمي بدمشق عدد عام ١٩٤٤م، ص٤٢٤ ، سعيد عاشور ، صلاح الدين الأيوبي ، ط. القاهرة ١٩٦٥م، ص٢١٤ .أحمد الحفناوي ، «الصراع من أجل صيدا في العصر الوسيط»، المنهل، ص (٤٦) ، عام ١٩٨٣م ، ص٦٧ ، سرور عبد المنعم، الدور السياسي لحصن شقيف أرنون في عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة طنطا عام ١٩٩٧م وهي الاطروحة العلمية الوحيدة المتخصصة في تلك القلعة المتخصص في تلك القلعة. عبدالله الغامدي، «شقيف ارنون في عصر الحروب الصليبية ، مجلة الانسانيات ، العدد (٧) عام ٢٠٠١م ص١٣ - ص٥٥ .

١- قلعة كوكب الهواء، Belvoire وقعت شرق إقليم الجليل، وأشرفت على ضفتي نهر الأردن شمالي وادي بيسان، وعرفت في المصادر الصليبية باسم بلفوار Belvoire ، أما المصادر العربية فقد اشتهرت فيها باسم كوكب الهواء ، ولانزاع في أنها اعتبرت من أهم القلاع في اقليم الجليل، ويعود تشييدها إلى عهد الملك الصليبي فولك الأنجوي Fulk of Anjou وذلك عام ١١٤٠م، وفيما بعد عهد بها الملك عموري الأول Amaury I إلى هيئة الاسبتارية في عام ١١٦٨م ، وقد وصفت بأنها كانت صغيرة الحجم وشيدت على النمط المعماري البيزنطي، وأحاطها سور مربع الشكل وقد احتوت القلعة على عدة أبراج ، وبصفة عامة سقطت القلعة في عام ١١٨٧م في أعقاب معركة حطين . عنها أنظر:

ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٧٨- ص٧٩ العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص٢٥، ص١٢٥، ابن الأثير ، الكامل، ج١٢ ، ص٢٢ ، ابن شاهنشاه الأيوبي ، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، ص٦٥، ص٦٦ الحنبلي ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق محمد بحر العجون ، ط. النجف ١٣٨٧هـ ، ج٢، ص٣٥٦ ، سعيد عاشور الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٦٩٣ ، نبيلة مقامي، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين ١٢ ، ١٣م رسالة ماجستير كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م، ص٨٣ ، ماهر حماده ، وثائق الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص١٧٧- ص١٧٨ ، ليلى طرشوبي ، إقليم الجليل ، ص٩٠- ص٩٥ ، محمود برهوم ومحمد خروب، قاموس القرى الفلسطينية ابان الانتداب البريطاني، ط. عمان، ١٩٩٠م، ص١٣٤ ؛ صلاح عبد المنعم، قلاع مملكة بيت المقدس الصليبية في الفترة : ١٠٩٩-١١٩٢م- ٤٩٢-٥٨٨هـ.

٢- قلعة ارسوف Arsuf، وقعت على الساحل الفلسطيني بين قيسارية ويافا ، ولدينا وصف موجز له أهمية أورده أحد المصادر اللاتينية ، وفيه يذكر أن القلعة المذكورة كانت قريبة للغاية من البحر ووقعت على رابية صغيرة ، وقد استولى الصليبيون بقيادة جودفري دي بويون على المنطقة المذكورة وعملوا على تحصينها، وفيما بعد خضعت القلعة لعناصر الاستبارية ، ويلاحظ أنها سقطت عقب معركة حطين عام ١١٨٧م عنها انظر:

وهونين [1]، وتبنين [2]، وغيرها .

والأمر المؤكد ؛ أن إسقاط مثل تلك القلاع كان أمراً على جانب كبير من الأهمية من أجل تجريد المملكة الصليبية ، وكذلك الإمارتين التابعين لها وهما أنطاكية وطرابلس من عناصر

= Guide Booke to Jerusalem, Trans. by J.H. Bernard, P.P.T.S., vol. VI, London 1894, p. 34, The City of Jerusalem Trans. by C.R. Conder, P.P.T.S., vol .VI, London 1894, p. 32, Riley - Smith, The knights of St. John of Jerusalem, London 1967, p. 133-134, Id, The Feudal Nobility in the Latin kingdom of Jerusalem, London 1970, p. 60.

محمد مؤنس عوض، الزلازل فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦، ص١٢٥ .

١- قلعة هونين Hunin وقعت فى جبال عاملة قرب بانياس وبعدت عنها بمسافة تبلغ ٣ فرسخ وشكلت مع قلعة جسر بنات يعقوب خطاً دفاعياً تحكم فى الروافد العليا لنهر الأردن، وقد عمل المسلمون على العديد من الهجمات عليها من أجل إسقاطها ، ومن أمثلة ذلك ما حدث فى عهد نور نور الدين محمود ، حيث هاجمها عام ١١٦٧م غير أنها لم تسقط إلا فى عام ١١٨٧م، فى أعقاب معركة حطين، عنها أنظر:

ابن جبير ، الرحلة ، ص٢٠٠، ابن شاهنشاه ، زبدة كشف الممالك، ص٤٨ ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر، ص٢١١ ، القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ص١٤٤ ، الخالدى، المقصد الرفيع المنشأ الهادى لديوان الإنشاء، مخطوط بجامعة القاهرة تحت رقم ٤٥-٢٤ ورقة (٩٧) ، نبيلة مقامى، فرق الرهبان الفرسان، ص١٦ .
king, The knights Hospitallers in the Holy Land, p. 132.

٢- قلعة تبنين Toron، وقعت على بعد ١٧ ميلاً من بانياس إلى الجنوب الشرقى منها فى مواجهة ساحل صور، وهناك إختلاف حول تاريخ تشييدها بين عامى ١١٠٤م، ١١٠٧م وبصفة عامة من المرجح أن تشييدها تم فى أوائل القرن الثانى عشر م، ومن خلال رحلة ابن جبير نعرف أن عندها كان تمكيس القوافل القادمة من دمشق ، وقد سقطت القلعة المذكورة عام ١١٨٧م فى أعقاب معركة حطين عنها أنظر:
William of Tyre, vol, I. p. 469.

الفتح البندارى ، سنا البرق الشامى، ص٣٢٣ ،

ياقوت ، معجم البلدان، ج١ ص٨٢٠، ابن جبير ، الرحلة، ص٢١٠ ، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ، ج٢، ص١٥٢ ، الخالدى، المصدر السابق ، ورقة (٩٧) ، عاشور، الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص١١٤٦، محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص١١٦- ص١١٧ .
Runciman, A History of the Crusades, vol . II, p. 324-325.
Riley- Smith, The Feudal Nobility, p. 198.

القوة التى ظلت تعتمد عليها لعشرات السنين الماضية ، ويؤكد سقوطها الجماعى على هذا النحو وخلال مرحلة زمنية مركزة أنها لم تستطع أن توفر للغزاه الأمان عندما واجهوا أول معركة حاسمة كبيرة فى تاريخهم.

وعلى الرغم من النجاح الذى حققه الجيش الأيوبى فى إسقاط أغلب القلاع الصليبية ؛ إلا أن هناك قلاعًا أخرى استعصت عليه مثل حصن الأكراد[١]، والمرقب[٢] نظراً لحصانتها وضخامتها واستبسال الصليبيين فى الدفاع عنها.

١- حصن الأكراد ، يسمى قلعة الحصن أو قلعة الفرسان Crac des Chevaliers ، وقد وقع على طريق القوافل الواقعة إلى الشمال من حمص وحماه من جهة وطرابلس وطرطوس من جهة أخرى وذلك فى وادى النهر الكبير وهو على بعد ٢٤٠ ك.م من دمشق و ١٤٠ ك.م من طرابلس و ٤٠ ك.م من حمص وقام بتوفير الحماية لإمارة طرابلس الصليبية وأمتاز بحصانة كبيرة وضخامة بنائه واعتبره الباحثون درة العمارة الصليبية الحربية فى بلاد الشام عنه أنظر:

Marino Sanuto , Secrets for True Crusaders to help them to recover the Holy land Trans . by Aubrey Stewart, P.P.T.S., vol . VII , London 1896 , p. 5 , Deschamps, Les Chateaux des Croisés en Terre Sainte, T.I, Le Crac des Chevaliers ,Paris 1934, Richaui, Le Crar des Chevaliers Guide Touristique et Archaeologique, Damas 1975 , Fedden, Crusader Castles, Beirut 1957 , p. 50 , Lawrence, Crusader Castles, vol . I, London 1936 , p. 47 , Boase, Kingdoms and Strongholds of the Crusaders, London 1971 , p. 80, Bradford, The Shield and the Sword , London , p. 27 , King , " The Taking of le Krak des Chevaliers 1271", A., vol . XXIII, March 1949 , pp. 83-97 . Nicolle, Crusader Castles in the Holy Land 1192-1302, London 2005, pp. 31-32 .

مرفت سعيد ، حصن الأكراد ودوره فى الصراع الصليبى- الإسلامى (٥٨٩-٦٩٠هـ / ١١٩٣-١٢٩١م)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب – جامعة الاسكندرية ، عبد العزيز عبد الدايم، إمارة طرابلس فى القرن الثانى عشر م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، ص٤١ ، أبو الفرج العش ، آثارنا فى الإقليم السورى ط. دمشق ١٩٦٠م، ص٩٦ ، يوسف سماره جولة فى الاقليم الشمالى، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص٦٢ ، نقولا زيادة ، صور من التاريخ العربى، ط. القاهرة ١٩٤٦م، ص١٠٥ ، مصطفى طلاس ووليد الجلاد، قلعة حصن الأكراد ، ط. دمشق ١٩٩٠م.

٢- المرقب، وقع ذلك الحصن فى الجنوب الشرقى من بانياس الساحلية، وورد فى المصادر الصليبية على أنـه Castrum Margatum وقد سمى فى المصادر العربية بالمرقب على أساس أن الأهلة كانت ترصد منه

من جهة أخرى، كان صلاح الدين الأيوبى رجلاً واعياً مدركاً لوجود الأهم ثم المهم فى مجال الصراع العسكرى ، ولذلك لم يندفع وراء مشاعره الدينية الجياشة كقائد مسلم، ويتجه نحو تحرير بيت المقدس من قبل فتح مدن الساحل الشامى، وكذلك إسقاط عشرات القلاع الصليبية الحصينة[١] ، وبالتالى ؛ تأكد لنا كيف أن قراره العسكرى والسياسى كان قراراً صائباً ، والفضل فى ذلك يرجع إلى المستشارين الذين أحاطوه بالرأى السديد والنصيحة الصائبة وكانوا خير أعوان له فى جهاده ضد الصليبيين بالإضافة إلى عدم إنفراده بالرأى .

ومن بعد ذلك جاءت اللحظة التاريخية الفاصلة والفارقة فى صورة دخول القائد المذكور بيت المقدس فى يوم الجمعة ٢ أكتوبر عام ١١٨٧م[٢] وكان ذلك يوافق ليلة الاسراء والمعراج

= وترقب نظراً لارتفاعه ، وقد سيطرت عليه هيئة الاسبتارية، عنه أنظر:

أبو الفداء، تقويم البلدان ، ص٢٥٥، ابن عبدالظاهر، تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، ط. القاهرة ١٩٦١م، ص٨٥ ، ابن الشحنة، الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، ص٢٦٧ ، مجهول ، تاريخ سلاطين المماليك، نشر زرشتين ، ط. ليدن ١٩١٩م، ص٢٤٢ ، ابن إياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ط. القاهرة، ج١ ، ص١١٦ . آمال هاشم ، المرقب وقلعتها ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى فى عصر الحروب الصليبية (١٠٩٥- ١٢٩١م/ ٤٨٧- ٦٩٠هـ) رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٧م.

Dussaud, Topographie Historique La Syrie Antique et Medievale, Paris 1931, p. 152.
Ziada, " The Mamluk Sultan to 1293", in Setton, A History of the Crusades, vol. III, p. 252.

١- أود أن ألفت نظر القارئ إلى أن الباحثة إيمان كامل ثابت تقوم حالياً بإعداد رسالتها للماجستير عن القلاع الصليبية فى القرن ١٣م، وأتوقع أنها ستكون رسالة قيمة.

٢- عن فتح بيت المقدس انظر: ابن الأثير ، الكامل، ج١١، ص٢٢٥ ، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٢١٥، سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان، ج٨ / ق١ ، ص٣٩٧، ابن الشحنة ، روضة المناظر ، بهامش الكامل، ص٢٨ ،

Dajani, " Some Medieval accounts of Salah Al- Din's recovery of Jerusalem (Al- quds), S.P. 1988, pp. 83-113.

فى ٢٧ رجب ٥٨٣هـ ، بعد أن ظلت فى الأسر الصليبى ٨٨ عاماً [١].

تجدر الاشارة إلى أن ذلك السلطان المتسامح لم يرق قطرة دماء صليبية واحدة فى تلك المدينة المقدسة، وبالتالى كشف عن حضارة الإسلام، وأظهر للتاريخ البون الشاسع بين تحضره ووحشية وبربرية الصليبيين عندما إقتحموها فى ١٥ يوليو ١٠٩٩م[٢] - كما أسلفت الإشارة من قبل - ومن المتصور أن ذلك الموقف التاريخى المشهود جعل ذلك القائد المسلم يحتل مكانة سامية حتى فى قلوب أعدائه وبالتالى؛ قدم المثال الوضاح البارز على التسامح والسلام فى عصر اشتهر بسفك الدماء[٣]، ولدينا شهادة تاريخية من النصف الثانى من القرن العشرين يقلم المؤرخ البريطانى الشهير السير ستيڤن رنسيمان Sir Steven Runciman تعليقاً على ذلك الموقف حيث قال ما نصه : «أنه أثبت بالدليل القاطع ما لدى الشرق من روح ، ففى

= ملكوم ليونز وجاكسون ، صلاح الدين، ت. على ماضى، مراجعة نقولا زيادة وفهمى سعد، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص٣٢٠ ، عزيز سوريال عطية، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ت. فيليب صابر ، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص٦٨ ، أمين معلوف ، الحروب الصليبية كما رآها العرب ، ت. عفيف دمشقية، ط. بيروت ١٩٨٩م، ص٢٤٩ ، على عبد الحليم محمود ، الغزو الصليبى والعالم الإسلامى، ط. الرياض ١٩٨٢م، ص١٠٦ ، محمد حسن شراب، بيت المقدس والمسجد الأقصى، دراسة تاريخية وثائقية ، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص١٢٩- ص١٣٠ ، محمد على حلة، القدس الشريف حقائق التاريخ وآفاق المستقبل، ط. مكة المكرمة ٢٠٠١م، ص١٧ ، محمد عبد المنعم عامر ، تحرير القدس ودعاوى الصهيونية الباطلة ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٦١ ، مجموعة من الباحثين ، صلاح الدين قاهر الصليبيين ، ط. بيروت ١٩٨٩م ، ص٧٩ .

١- قد قرر جواهر لال نهرو أنها ظلت فى قبضة الصليبيين ٧٠ عاماً وهو أمر جانبه الصواب لأن المدة هى ٨٨ عاماً ، انظر رأيه: لمحات من تاريخ العالم، ت. مجموعة الباحثين ، ط. بيروت ١٩٩٧م، ص٥٢ .

٢- انظر: منى حماد ، «صورة المسلمين فى المصادر اللاتينية للحملة الصليبية الأولى»، مجلة أبحاث اليرموك، م (١٣) ، العدد (١) عام ١٩٩٧م ، ص٢٦٠ .

٣- من المهم قراءة هذا البحث :

فايز نجيب اسكندر ، تسامح صلاح الدين مع الصليبيين أثناء حرب تحرير القدس » ، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. المنصورة ب-ت ، ص٣٩-٥٣ .

قرون حطين ، وعلى أبواب بيت المقدس إنتقم صلاح الدين لما حدث» فى الحرب الصليبية الأولى من المهانة والإذلال وأثبت كيف يحتفل الرجل الشريف بانتصاره[١].

وأود أن ألفت نظر القارئ العربى إلى أن ذلك التصرف النبيل من جانب السلطان الأيوبى المتسامح حدث فى القرن الثانى عشر م فى عصر لم تكن فيه إتفاقية جنيف الرابعة لتنظيم معاملة الأسرى، وما أحوج عالمنا الذى يصف نفسه بالتحضر بأن يأخذ من موقف ذلك السلطان درسًا بارزًا خاصة من تلك الاتفاقية تنتهك يوميًا فى فلسطين وغيرها.

من ناحية أخرى، ألزم كل رجل يدفع ١٠ قطع ذهبية و٥ قطع ذهبية للمرأة وقطعة واحدة للطفل [٢]وتم منحهم ٤٠ يومًا لمغادرة المدينة وتقرر تركهم الخيول، والأسلحة خلفهم [٣]، كما تقرر أن يطلق سراح جميع الفقراء الذين كانوا أكثر من ٢٠,٠٠٠ ولايستطيعون دفع أية مبالغ ، وذلك فى مقابل ١٠٠,٠٠٠ [٤] قطعة ذهبية ويلاحظ أنه إفتدى من ماله الخاص قسمًا من الصليبيين ممن لم يتمكنوا من فداء أنفسهم بالمال بل ذرف الدمع تأثرًا عندما وجد الأسر الصليبية وقد تفرقت من خلال الإسترقاق [٥].

ويلاحظ أن تسامحه لم يقتصر على أعدائه الصليبيين بل امتد ليشمل عناصر اليهود الذين تسامح معهم الاسلام عمومًا فى العصور الوسطى [٦]. حيث سمح لهم بالعودة إلى المدينة

١- تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ت. السيد الباز العرينى، ط. بيروت ١٩٩٣م، ص٧٦٥ .

٢- الأصفهانى ، الفتح القسى ، ص١٢٧ .

٣- مصطفى الحيارى، القدس تحت حكم الصليبيين ١٠٩٩-١١٨٧، ص٢٠١ ، حاشية (٩٧) .

٤- مارشال بلدوين، إضمحلال وسقوط بيت المقدس ١١٧٤- ١١٨٩ ، ضمن كتاب الحروب الصليبية ، تحرير سعيد البيشاوى ومحمد مؤنس عوض ، ط. رام الله ٢٠٠٤م، ص٢٧٧ .

٥- كارين أرمسترونج ، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ت. فاطمة نصر ومحمد عنانى، ط. القاهرة ١٩٩٨م، .

٦- من صور تسامح المسلمين مع اليهود فى العصور الوسطى بصفة عامة: وولتر ميشيل ، يهود فى الحياة الاقتصادية والسياسية للدولة الإسلامية العباسية - الفاطمية- الاخشانية ، ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ٢٠٠٥م، ص١٥٥ ، فاطمة مصطفى عامر، تاريخ أهل الذمة فى مصر الاسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى،ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ج١، ص٣٨٥- ص٣٨٦ ، حسن الميحى، أهل الذمة فى الحضارة الإسلامية ، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص١٣٢ ، محمد بحر عبد المجيد، اليهود فى الأندلس ط. القاهرة

المقدسة[1] بعد أن حرّم عليهم الصليبيون دخولها عندما إستولوا عليها عام ١٠٩٩م، ويلاحظ أنه من قبل زار عدد من الرحالة الأوربيين اليهود تلك المدينة ومن أمثلتهم بتاحيا الراتسبوتى Petachia of Ratisbon وقد أشارا إلى قلة عدد اليهود فيها [2]. أما بعد تحريرها عام ١١٨٧م فتزايدت أعدادهم فيها.

لاتغفل أن المؤرخ العراقى ابن الأثير أخذ على ذلك السلطان قيامه بإطلاق سراح أعداد كبيرة من الصليبيين عندما دخل بيت المقدس وبالتالى صاروا قوة ضده، والواقع أن ذلك المسلك من القائد المسلم البارز كان بمثابة فتح صفحة جديدة من العلاقات الإسلامية- الصليبية وقد رغب فى أن يقدم رسالة مفتوحة للغزاة أمام الآلاف منهم مفادها أنه لاخوف من بقاء الأماكن المقدسة المسيحية فى فلسطين تحت السيادة الإسلامية. وأن التسامح والأمان سيشمل الجميع دونما تعصب وبالتالى ؛ يقضى على المبرر الأصلى لمقدم الحملات الصليبية إلى المنطقة، كما أنه أراد أن يغير الصورة الذهبية السيئة عمومًا التى طبعت فى عقولهم عن الاسلام وأبنائه وأخلاقهم ، وأتصور أن ذلك يعد إنجازًا بارزًا حفظه له التاريخ.

ولاتغفل هنا نقطة مهمة، وهى أن ذلك التسامح الذى ظهر جليًا خلال الفتح التاريخى لبيت المقدس كان له أثره البارز فى تكوين ما عرف بأسطورة صلاح الدين الأيوبى The Legend of Saladin فى الفكر الأوربى فى العصور الوسطى[3].

= ١٩٧٠م، ص١١، ص١٧٧ ، برنار لازار ، مناهضة السامية تاريخها وأسبابها ، ت. مارى شهرستانى، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص٦٤ .

١- عن علاقته باليهود أنظر هذا البحث القيم:

Goitein , " Saladin and the Jews", H.U.C.A., vol . XXVII, 1950, pp. 305-326 .

عطيه القوصى «صلاح الدين واليهود» ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد (٢٤) ، عام ١٩٧٧ .

أما عن سياسة الصليبيين تجاههم انظر:

يوشع براور ، عالم الصليبيين، ص١١٤ .

٢- Petachia of Ratisbon Tour du Monde , ou voyage de Rabbi Petachia", J.A.T.VIII, Paris , 1831 , p. 399 .

حيث وجد فى بيت المقدس يهوديًا واحدًا هو ابراهيم هلتسيفغ .

٣- سيتم تناول هذا الأمر على نحو مفصل فى الفصل السابع.

واقع الأمر ، أراد ذلك القائد المسلم السنى أن يحدث تغيرات متعددة خاصة أنه رغب فى إقامة الخطبة للعباسيين من جديد من على منبر المسجد الأقصى يوم الجمعة التالية التى توافق يوم ٩ / ١٠ / ١١٨٧م، والتى كان لابد من أن تقام دونما تأخير، ومن هناك كان من المحتم إزالة كافة الإضافات المعمارية التى أحدثها الغزاه من قبل، ولاتغفل أن فرسان الداوية -Tem plars كانوا قد جعلوا من المسجد الأقصى مقراً لهم وأطلقوا عليه اسم معبد سليمان -Tem plum Solomonis[1] وقد قسموه إلى ثلاثة أقسام؛ الأول كنيسة ، والثانى مسكنًا لهم، والثالث مستودعًا لذخائرهم ، وكان منحهم لذلك المكان سببًا فى تسميتهم بفرسان المعبد، كما نعلم أنهم حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة أطلق عليها معبد السيد Templum Domini .

والآن جاء وقت تغيير كل ذلك على نحو عكس أن الإحتلال الغاشم مهما طال عهده فلابد أن تنطق الأرض بعروبتها واسلاميتها وزال ما فعله الغزاه على الرغم من استمراره قرابة التسعين عامًا؛ ويعلق البعض على ذلك كله قائلاً : «وهكذا شهدت القدس وللمرة الثانية. وخلال أقل من قرن من الزمان تغيرات أساسية فى بعض جوانب عمرانها وبنية سكانها البشرية وإدارتها ونمط حياتها »[2].

١- إبراهيم خميس، العلاقات السياسية بين جماعة الفرسان الداوية والمسلمين فى مصر والشام ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م، ص٣٧ .

وعن منطقة معبد سليمان كما تصورها الصليبيون أنظر:

Marino Sanuto , Secrets for True Crusaders, p. 9 .

Bernard The Wise, How The City of Jerusalem is Situated , Trans. by J.H. Bernard, P.P.T..S., vol. II, London 1893 , p. 12 .

Arculf , The Pilgrimage of Arculfus in the Holy Land , Trans. by J.R. Macepherson, P.P.T.S., vol. III, London 1895 , p. 68 .

٢- مصطفى الحيارى، صلاح الدين، ص٣٣٥ .

أنظر عن التعديلات المذكورة: عبد الجبار حسن عبد المهدى، الحركة الفكرية فى ظل المسجد الأقصى فى العصرين الأيوبى والمملوكى، ط. عمان ١٩٨٠م، ص٥٤ .

وقد قام صلاح الدين الأيوبى بإمداد المسجد الأقصى بالبسط النفيسة كذلك تم تعليق القناديل، وتمت إزالة الصليب الكبير الحجم الذى كان مقامًا فى أعلى قبة الصخرة [١]، كما تم ترتيب الوظائف الدينية والإدارية فى ذلك المسجد . كذلك قام المسلمون بغسل قبة الصخرة بماء الورد لتطهيرها وأزيلت الصلبان[٢].

من ناحية أخرى ، تم جلب منبر خشبى بديع الصنع من دمشق كان قد أقامه نورَ الدين محمود خصيصًا لهذه المناسبة التى تمنى أن تكون فى عهده غير أنه توفى من قبلها بثلاثة عشر عامًا.

مهما يكن من أمر ، أقيمت الصلاة فى يوم الجمعة التالى لفتح بيت المقدس فى المسجد الأقصى، وقد خطب فى المسلمين القاضى محيى الدين بن ركن الدين [٣]، ولدينا نص تلك الخطبة وهى قطعة أدبية صيغت ببراعة وأسلوب أدبى رفيع، وعكست ارتفاع الروح المعنوية لدى المسلمين بعد أن نجحوا ومعهم قائدهم التاريخى فى تحقيق ذلك الإنجاز بعد أن ظلت بيت المقدس أسيرة الاحتلال الصليبى خلال المرحلة الواقعة بين عامى ١٠٩٩م، ١١٨٧م[٤].

هكذا ؛ يتأكد لنا أن المرحلة الزمنية من ٤ يوليو إلى ٢ أكتوبر ١١٨٧م تعد مرحلة فارقة فى تاريخ الصراع الإسلامى- الصليبى، ويتضح على نحو جلى كيف أن الكيان الصليبى الذى إمتد طوال الأعوام السالفة الذكر إنهار خلال شهور قليلة ولم يتبق منه سوى مدينة أنطاكية

١- يوسف غوانمه ، «القدس فى العصرين الأيوبى والمملوكى»، ضمن كتاب القدس عبر العصور ، تحرير على محافظة ، ط. اربد ٢٠٠١م، ص٢٠٣ ، سيده كاشف ، صلاح الدين الأيوبى بطل وحدة الصف العربى الإسلامى وبطل الجهاد فى سبيل الله، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٨٩ .

٢- ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص٨٤٦ .

٣- ابن العديم ، زبدة الحلب، ج٣، ص٨٤٥ .

٤- وقد تصور بوزورث خطأ أنها ظلت فى أيدى الصليبيين ٨٠ عامًا ، والصواب نحو ٩٠ عامًا ، انظر: كليفورد بوزوث ، الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى دراسة فى التاريخ والأنساب ، ت. حسين على اللبودى، ط. القاهرة ١٩٥٠م، ص٩٧ .

ومدينة طرابلس، وصور، وحصن الأكراد، وحصن المرقب [١]، ولاريب فى أن «عاصفة التحرير» قلعت ذلك الكيان الدخيل من جذوره إلا القليل.

يبقى أن أذكر أن هناك من الباحثين الأوربيين من تصور أن ضعف المملكة الصليبية فقط كان أساس إنتصار المسلمين فى تلك المعركة التاريخية الفاصلة، وأنه بدون ذلك الوضع السياسى الذى عانت منه المملكة ما كان ذلك الإنتصار، والواقع أنه مع الإعتراف بأن ذلك شكل حقيقة لاتنكر؛ إلا أنه كان جزءاً من الحقيقة وليس كلها، إذ أن هناك أيضاً حركة الوحدة بين مصر وبلاد الشام وهى تلك الوحدة التى حَذَّر منها أحد القادة الصليبيين فى صورة برنارد دى بلانكفور Bernard de Blanquefort مقدم الداوية Templars خلال المرحلة من ١١٥٦- ١١٦٩م، عندما قال: «إن أشد ما يبعث الخوف فى نفسه هو أن يقوم أمير مسلم واحد بإعادة توحيد المملكتين البالغتى القوة فى القاهرة ودمشق ويمحو بذلك اسم النصارى ذاته» [٢]، وأمر تلك الوحدة كلف صلاح الدين الأيوبى مرحلة زمنية من تاريخه امتدت من ١١٧١ إلى ١١٨٧م وهو ما تم تخصيص فصل سابق لمناقشته.

والواقع أن من أهم النتائج التى نتجت عن معركة حطين؛ عودة السيادة السياسية الإسلامية على مصادر المياه فى المناطق التى خضعت من قبل لسيطرة الصليبيين، ولانغفل هنا ملاحظة أن الجيش الأيوبى عمل على إخضاع بحيرة طبرية[٣] حتى من قبل حدوث المعركة فى ٤ يوليو ١١٨٧م، وأتصور أن الهدف من وراء إخضاع تلك الأنهار والبحيرة المذكورة

١- سعيد عاشور، مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك، ص٦٢، ياسين سويد، صلاح الدين واستراتيجية التوحيد للتحرير، ص١٣٢.

٢- Howarth, The knights Templar, London 1982, p. 125.

نقلا عن: مصطفى الحيارى: «القدس تحت حكم الصليبيين ١٠٩٩-١١٨٧»، ضمن كتاب القدس فى التاريخ، تحرير وترجمة كامل جميل العسلى، ط. عمان ١٩٩٢م، ص١٨٧.

٣- يلاحظ أن ذلك كان يعنى إتباع سلاح التعطيش وهو سلاح فتاك فى كل عصر عن ذلك انظر: نظير حسان سعداوى، التاريخ الحربى فى عهد صلاح الدين، ص١٨٤، عبد العزيز سيد الأهل، أيام صلاح الدين، ص١٩٦، محسن محمد حسين، الجيش الأيوبى، ص٤٢٠- ص٤٢١.

بالإضافة إلى تحرير مساحات وافرة من الأرض التى أقام عليها الغزاة كيانهم بما فيها القلاع الصليبية المتعددة ؛ تمثل فى استخدامها كورقة ضغط رابحة فى أى مشروع تفاوضى مستقبلى وفرض واقع جيوبولوتيكى جديد غير مسبوق ليس - بالتأكيد- فى صالح الجانب الصليبى الذى وجد غالبية كيانه يتهاوى فى غضون حوالى ٩٠ يومًا تقريبًا .

ولا نغفل أنه بدون إدراك التغيرات التى أحدثتها تلك المعركة فى زاويتى المياه والأرض، ليس فى مقدورنا إدراك النتائج الكبرى التى حدثت من جرائها .

وهكذا ، فليس بالغريب أن يكون أمر التعطيش واضحًا تمامًا فى المصادر العربية ويدونه ما أمكن أصلاً تحقيق الانتصار العسكرى الحاسم فى الصدام بين الجانبين لصالح المسلمين.

وبالتالى يمكن القول دونما أية مبالغة ، أن الأمن المائى للمسلمين كان فى ذهن القيادة الأيوبية الواعية لآليات الصراع مع الصليبيين ، وهكذا ، فلم يكن الأمر مجرد صراع عسكرى كما قد توهمنا الاشارات المصدرية المفصلة، بل إن الأمر تجاوز ذلك بمراحل لما هو أرحب، وأتصور أنه لم يحدث طوال ٩٠ عامًا أن تمكن المسلمون من فرض معركة على الصليبيين يخرجون فيها منتصرين ويضعوا فى أيديهم مفاتيح الأمن المائى في بلاد الشام فى قبضتهم مثلما حدث فى حطين.

وهكذا فإن إسقاط المملكة الصليبية جاء من خلال فعل عسكرى تم الإعداد له ببراعة وتنفيذه باقتدار وندرك تمامًا أن سقوط الكيانات فى التاريخ من الداخل قبل الخارج، ولكن لابد من العامل الخارجى الذى يحسم القضية ويضع الخطوط النهائية ، وبالتالى فإن تحجيم أمر معركة حطين أمر يخالف المنطق التاريخى باعتبارها معركة حاسمة فاصلة فرضت واقعًا جيوبولوتيكيًا جديداً فى المنطقة وأنهت السيادة السياسية الصليبية على معظم الأرض والمياه وهما أساس الوجود السياسى أصلاً .

من ناحية أخرى، أود الإشارة إلى أن تلك المعركة صارت جزءاً من العقل الجمعى العربى والمسلم منذ القرن الثانى عشر الميلادى وحتى كتابة هذه السطور وفيما بعد ذلك، فإذا ذكر صلاح الدين الأيوبى ، ذكرت معه تلك المعركة الفارقة فى تاريخ المسلمين فى القرون الوسطى وتحول قائدها المسلم رمزاً للجهاد الإسلامى.

ومن الملاحظ أنه لايخلو كتاب فى التاريخ الحربى عبر العصور وتحديداً فى العصور الوسطى إلا وقام المؤلف بإعداد قسم عن تلك المعركة، وهكذا ، نجد أن المؤرخ البريطانى

تشارلز أومان Charles Oman فى كتابه فن الحرب فى العصور الوسطى History of the art of War in the Middle Ages ، قد خصص لها قسمًا مهمًا ، ونفس الأمر مع فولر Fuller فى كتابه عن المعارك الحاسمة لغرب أوروبا وآثارها التاريخية Decisive Battles of Western Europe and their influences upon History وكذلك فعل إجمبرجر Egemberger فى كتابة قاموس المعارك Dictionary of Battles ، وما ذكرته أمثلة فقط تدل على صدق تلك المقولة.

أما فى كليات الحرب والدفاع على مستوى العالم فإن مادة التاريخ الحربى لابد وأن تتعرض لدراسة معركة حطين باعتبارها من المعارك الفاصلة فى التاريخ فى العصور الوسطى شأنها فى ذلك شأن معركة اليرموك[1] ٦٣٦م، وعين جالوت ١٢٦٠م[2] ، وغيرها .

١- عن معركة اليرموك بين المسلمين والبيزنطيين أنظر:

البلاذرى ، فتوح البلدان ، ط. بيروت ١٩٥٨م، ص٦٩- ص٧٢ .

Nicolle , Yarmuk ad 636 the Muslim conquest of Syria, Oxford 1994, pp. 46- 86 , kaegi, Byzantium and the early Islamic conquests, Cambridge 2000, pp. 112- 146 , Whittow, the Making of Byzantium 600-1025, Los Angelos 1996, p. 86-, p. 89 , Diehl, History of the Byzantine Empire, Trans. by George B. Ives, Princeton 1925 , p. 43 .

جلوب ، الفتوحات العربية الكبرى ، ت. خيرى حماد ، ط. بيروت ب-ت ص١٤٢ علاء الدين مكى ، فن الحرب عند العرب دراسة فى الفتوحات الكبرى فى العصر الراشدى، ط. بغداد ١٩٩٩م، ص٣١٨ ، عبد القادر الراوى ، الجيش العربى الإسلامى فى صدر الاسلام، ط. بغداد ١٩٩٨م، ص١٥٣ ، دافيد نيكول، اليرموك والفتح الإسلامى للقدس ، ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ٢٠٠٢م، ص٧٧- ص٢٦٦ .

٢- عن معركة عين جالوت انظر:

القلقشندى ، صبح الأعشى، ج٧، ص٣٦٠- ص٣٦١ .

Thorau, " The Battle of Ayn Jalut : a Re- Consideration", in Edbury (ed.) , Crusade and Settlement , Cardiff 1985, pp. 236-239 .

محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولى للعالم الإسلامى، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٧٥، فؤاد عبد المعطى الصياد، المغول فى التاريخ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص٣٠٩- ص٣٢١ على السيد على ، «الاسهام العسكرى المصرى فى موقعة عين جالوت »، ضمن كتاب أثر الاسلام فى مصر وأثر مصر

من زاوية أخرى، اتجه أحد كبار المؤرخين العرب إلى القول بأن معركة حطين تأخرت سبعين عـامًا [١]، وقد تصور أنه سبقتها معركة الأقحوانة التى جرت وقائعها عام ١١١٣م، - التى سبق وأن أشرنا إليهـا من قبل- بين شرف الدين مودود وطغتكين والملك بلدوين الأول، وفى رأيه أنه كان من الممكن استغلال تلك المعركة والقضاء على الوجود الصليبى تمامًا خلال تلك المرحلة المبكرة بعد ١٦ عامًا من تاريخ وجوده فى المنطقة.

والواقع أن مثل ذلك التصور يحوى نوعًا من البكاء على الأطلال ، والحديث عن الفرص التاريخية الضائعة ودراسة أحداث ١١١٣م تؤكد بالفعل عدم إمكانية تحقيق مثل ذلك الإنجاز نظرًا للصراعات القائمة بين بعض القيادات الإسلامية حينذاك التى كانت تخشى على مناصبها ولم تكن مخلصة لقضية الجهاد ، كما أن مصر كانت خارج القضية بحكم خضوعها للسيطرة الفاطمية الشيعية ، وارى فوارق عديدة بين الوضع العسكرى والسياسى للمسلمين عام ١١١٣م، وعام ١١٨٧م .

ولا أدل على صحة مثل ذلك التصور المعارض لفكرة الفرص الضائعة ؛ أن التاريخ ذاته لايحوى ما يوصف بالفرص الضائعة ، فالحدث التاريخى - عمومًا- لايحدث إلا من خلال جملة دوافع سياسية واقتصادية وعسكرية متعددة فلايوجد تقديم أو تأخير .

من جهة أخرى ، نلاحظ أن قائد الجهاد شرف الدين مودود قد اغتيل من خلال مؤامرة. بعد فترة وجيزة من أحداث تلك المعركة ، على نحو عكس أن البيت الإسلامى كان مفككًا على الرغم من الصحوة العسكرية التى قادها أتابك الموصل ، واغتياله يمثل الدليل الأكبر على أنه لم تكن هناك فرصة حقيقية لاستغلال انتصار الأقحوانة نظرًا لتصارع المسلمين.

= فى الحضارة العربية الإسلامية ، إشراف قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص٣٦٥- ٤١٧ ، عبدالله سعيد الغامدى ، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى، منشورات جامعة أم القرى، ط. مكة المكرمة عام ١٤١٠هـ، ص١٢٦- ص١٣٥ حيث يعرض على نحو متميز لنتائج المعركة، محمد فتحى أمين ، الغزو المغولى لديار الاسلام ، ط. دمشق ٢٠٠٥م، ص١٣١ - ص١٥٦ ، عماد عبد السلام رؤوف ، معركة عين جالوت ، ط. بغداد ١٩٨٦م.

١- عن ذلك انظر: شاكر مصطفى ، حطين والفرص الضائعة ، مجلة العربى، العدد (٣٤٤)، يوليو ١٩٨٧م، وتوجد فى كتاب تاريخنا وبقايا صور ، ط. الكويت، ١٩٨٩م، ص٧١ - ص٨٢ .

ولانغفل أن المقارنة بين الاقحوانة وحطين مقارنة نظرية أبعد ما تكون عن الواقعية ، فالأولى معركة محدودة ولم ينجم عنها نتائج بارزة على الواقع الجيوبولوتيكي والعكس تماماً نجده لدى حطين التي كانت بمثابة الزلازل الذي غير خريطة المنطقة إلى حد كبير.

واقع الأمر ؛ فإن إسقاط مملكة بيت المقدس الصليبية على أيدي المسلمين تحت قيادة صلاح الدين الأيوبي تجعلنا نعقد مقارنة بينه وبين الملك الصليبي بلدوين الأول[1] من حيث الدور التاريخي وأوجه التشابه والاختلاف ، وأتصور أن المقارنة بين القيادتين المسلمة ، والصليبية من شأنها تعميق فهمنا لحقيقة ما حدث عام ١١٨٧م وتداعياته .

فالملاحظ أن القائدين المذكورين يتشابهان من حيث أنهما أبرز حاكمين على المستوى الإسلامي والصليبي على مدى القرن ١٢م ، وقد أفاضت المصادر التاريخية المعاصرة في تناول دورهما التاريخي ، ولانغفل أن بلدوين الأول؛ هو المؤسس الفعلي لمملكة بيت المقدس الصليبية بينما صلاح الدين الأيوبي هو الذي قاد فعلياً إسقاطها ومن ورائه المسلمون.

من جهة أخرى ، نجد أن الملك الصليبي المذكور قد حكم خلال المرحلة من ١١٠٠ إلى ١١١٨م وبالتالي يكون قد استغرق نحو ١٨ عاماً في تأسيس ذلك الكيان على الأرض المسلمة وعند وفاته عام ١١١٨م، كان قد ترك للصليبيين مملكة واضحة المعالم الجغرافية والسياسية بعد أن تولى أمر الصليبيين ، وهي نفس الفترة تقريباً التي استغرقت صلاح الدين الأيوبي في تحقيق إنتصار حطين على وجه التقريب حيث بلغت ١٦ عاماً وتحديداً من ١١٧١ إلى ١١٨٧م .

كما إتفق القائدان في أن كلاً منهما أدرك قيمة الزمن فالملك الصليبي المذكور حقق إنجازاته خلال تلك الأعوام ولم يضع وقته سدى في صراعات جانبيه لا طائل من ورائها ، ونفس الأمر حدث بالنسبة للسلطان الأيوبي الذي إستغل كل فرصة ممكننة ولم يضع الزمن هو الآخر على

١- أفضل دراسة عربية عن ذلك الملك الصليبي قامت بإعدادها تلميذتي / هنادي السيد محمود بعنوان مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد بلدوين الأول (٤٩٤- ٥١٢هـ / ١١٠٠-١١١٨م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م، وقد توليت الاشراف على الرسالة المذكورة بالاشتراك مع أ.د. أحمد رمضان .

الرغم من كثرة الخصوم والتحديات التي واجهته من جانب المسلمين وكذلك الصليبيين على حد سواء. وبخاصة الفريق الأول . وإن كنت اعتقد أن الأخير كان إدراكه لعنصر الزمن أكثر براعة بحكم كثرة التحديات والعقبات وتجاوزها .

ومع ذلك ، هناك عدة جوانب اختلف فيها القائدان ، ومن أبرزها أن ذلك الملك الصليبي قدم من خلال حركة تاريخية غازية للمنطقة لاتعتمد على أساس أخلاقي تاريخي حقيقي إلا من خلال الأطماع الجامحة فى ثروات المسلمين الإقتصادية- على الرغم من الغطاء الدينى التبريري لتجميل وجه الحركة - أما صلاح الدين الأيوبى فهو ابن الأرض ذاتها التى تعرضت للغزو الخارجي . وبالتالى فقد عبر عن مبدأ أخلاقى دفاعى مشروع فى وجه تلك الإتجاهات العدوانية خلال مرحلة مؤثرة وفعالة من مراحل العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى.

كذلك لانغفل أن مهمة بلدوين الأول كانت أيسر من صلاح الدين الأيوبى، إذ أنه إعتمد على الدعم الأوربى البحرى خاصة من المدن الايطالية الثلاث الكبار جنوة وبيزا والبندقية وكذلك النرويج فى السيطرة على أغلب مدن الساحل الشامى. أما السلطان الأيوبى فقد إعتمد فى الغالب الأعم على موارد دولته من أجل استرداد تلك الأملاك التى اغتصبها الصليبيون- ويكفى أن نسترجع أدواره التاريخية فى اسقاط الدولة الفاطمية بعد جهد جهيد وتوحيد القاهرة ، ودمشق ، وحلب ، وفرض سيطرته السياسية على الموصل ؛ كى ندرك أن الطريق لم يكن سهلاً ميسوراً أمامه.

ولانغفل أن صلاح الدين الأيوبى نجح فى إخضاع مصر لسيطرته عام ١١٧١م - كما أسلفت العرض من قبل- ولم يتمكن بلدوين الأول من ذلك عام ١١١٨م ولم يستطع إلا القيام بحملة استكشافية لا أكثر ويشاركه بالطبع فى ذلك الأمر الملك عمورى نفسه فيما بعد .

كما لانغفل إتساع مساحة النطاق الجغرافى الذى تحرك فيه السلطان الأيوبى مقارنة بنفس الأمر لدى الملك الصليبى ، فالأول توزع مجاله بين قارتين أفريقيا وآسيا ، أما الثانى فإن دوره التاريخى لم يتجاوز الحدود الفلسطينية فى الغالب الأعم وذلك باستثناء الحملة المذكورة الأفريقية الطابع .

أما الفارق الأكبر بين القائدين أن بلدوين الأول صنع إنجازه التاريخى- من وجهة النظر الصليبية - فى وقت كان فيه المسلمون يعانون من التشرذم السياسى والتصارع المذهبى وكان ذلك العامل عنصراً أساسيًا فى تمكنه من تحقيق نجاحه ، بمعنى آخر أن المسلمين- دون أن يدروا- ساعدوا أعداءهم الصليبيين بينما الأخيرين - وقت مهاجمة صلاح الدين لهم- لم يكونوا على نفس الدرجة التى كان المسلمون عليها فى العقدين الأولين من القرن ١٢ م عندما قام بلدوين الأول بدوره كملك للمملكة الصليبية.

ويبقى هناك فارق آخر بين الرجلين ، إذ أن صلاح الدين الأيوبى صار بعد وفاته باقيًا من خلال تلك الأسطورة التى نسجت من حوله حتى لدى أعدائه من الصليبيين وكذلك فى الغرب الأوربى ذاته، أما الملك بلدوين الأول ؛ فلانعرف أنه وضع فى طابع أسطورى من بعد وفاته، وذلك كله يعنى أن السلطان الأيوبى كان أكثر بقاءً فى التاريخ مقارنة بالملك الصليبى المذكور.

من جهة أخرى، ردد البعض مقولة ترى أن المصريين دون غيرهم هم الذين استردوا بيت المقدس فى أعقاب معركة حطين ١١٨٧م. وقد أورد أحد المؤرخين المصريين الرواد ما نصه : «تحققت معجزة استرداد بيت المقدس من الصليبيين على يد عسكر مصر وحدهم من دون عسكر المسلمين جميعاً »[1].

ويلاحظ أن ذلك التصور جانبه الصواب إذ أن جيش صلاح الدين الأيوبى إحتوى العديد من العناصر مثل الأكراد، والترك، والعرب وعناصر المصريين وليس من المنطقى القول بأن إستعادة بيت المقدس تم على أيدى الأخيرين دون غيرهم من المسلمين، ويمثل الرأى السابق إتجاهًا وطنيًا متحمسًا إنعكس على الكتابة التاريخية دون إدراك الواقع التاريخى الذى يؤكد إشتراك عناصر متعددة فى صنع ذلك الإنجاز، الذى لايوصف بأنه «معجزة» لأنه من فعل بشر أخلصوا لقضية الجهاد وتم ذلك بتوفيق الله تبارك وتعالى من قبل ومن بعد .

تبقى زاوية أخيرة عن تلك المعركة ، إذ أن التاريخ شهد قادة إنتشوا بخمر الإنتصار ، وبالتالى فتكوا بأعدائهم ، غير أنه فى حالة واقعة حطين، وجدنا أن صلاح الدين الأيوبى يتمكن من السيطرة على أى شعور بالانتقام والثأر ، ولذلك يمكن أن نصف تلك الواقعة

١- عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية فى تاريخ مصر الاسلامية ، ص١١٧ .

بأنها معركة أصلاً دفاعية ، وهى حضارية لأن المسلمين فيها دافعوا عن أرضهم المسلوبة التى إغتصبها الصليبيون على مدى قرابة تسعة عقود. فهم لم يعتدوا بل دافعوا وتلك زاوية على جانب كبير من الأهمية ، فإذا ما لاحظنا كيف أنها لم تصاحب بتطهير عرقى أو إبادة جماعية للصليبيين فى بيت المقدس كما حدث عام ١٠٩٩م، وما تلاه ؛ أدركنا أن حطين تقدم درسًا لكل منتصر عبر عصور التاريخ فى كيفية أن يكون انتصاره العسكرى راقيًا ومتحضرًا دون سفك لدماء المدنيين الذين هم أصلاً خارج نطاق العمليات العسكرية ، وبالتالى فإن مثل ذلك الصدام الحربى بين الجانبين الاسلامى والصليبى إنتصر فيه المسلمون حضاريًا قبل أن ينتصروا فيه حربيًا على نحو أدى إلى تعميق صورته فى التاريخ بجدارة.

وأود هنا أن أقدم مقارنة موجزة بين صلاح الدين الأيوبى وامبراطور بيزنطى عاصر القرن السابق على قرن ذلك السلطان المسلم فى صورة الإمبراطور باسل الثانى Basil II (٩٧٦-١٠٢٥م) وما فعله بعد أن إنتصر على أعدائه من البلغار Bulgars فى معركة كيمبالونجو Kimbalongou فى يوليو عام ١٠١٤م [1]، وقد نتج عنها أن وقع عدد كبير من البلغار بين قتيل وجريح وأسير، وتجمع لديه من الأسرى ١٤,٠٠٠ أسير، وقد حركته رغبة عارمة نحو الثأر من هزيمة ألحقها به البلغار عندما عرف باسم ممر تراجان Tragan's Gate فى أغسطس عام ٩٨٦م، فقام بتسميل عيونهم جميعًا! ووضع أعور على رأس كل مائة من العميان، وقد أطلق عليه بعد تلك الحادثة لقب قصاب البلغار.Bulgaroctonus وأتصور أن الفارق شاسع بين القائدين، بين من يوصف بأنه مصاب بنوع من السادية Sadism أو حب تعذيب الآخرين، ومن أطلق سراح أعدائه ويفتدى أعداداً كبيرة منه من ماله الخاص .

١- عن تفاصيل صراع باسل الثانى مع البلغار انظر:

Gibbon , The History of the decline and Fall of the Roman Empire , vol . III, New York 1955, pp. 1939-1942 , Ostrogorsky , History of the Byzantine State, Trans. by J. Hussey , Oxford 1956, p. 268 , Stephenson, The Legend of Basil The Bulgar Slayer, Cambridge, 2003, pp. 32-48 .

وعن انتصاره فى معركة كيمبالونجو انظر: حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ط. القاهرة ١٩٨٧م، ص١٥٨ ، عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص١٧٠، أسد رستم ، الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ط. بيروت ١٩٥٦م ، ج٢، ص٥٨، محمد مؤنس عوض ، الامبراطورية البيزنطية، دراسة فى تاريخ الأسر الحاكمة، ص٢٩٠- ص٢٩١ .

ولامراء فى أن ذلك كله يزيد من تقديرنا لمسلك السلطان الأيوبى المتسامح .

ذلك أمر معركة حطين الفاصلة والتى شكلت ذروة انتصارات صلاح الدين الأيوبى وجيشه بمختلف عناصره حتى أصغر جندى شارك فى صنع ذلك الانتصار ، لكن كان من المنطقى أن يحدث ذلك الانتصار الذى كان أشبه بالزلزال آثاراً كبيرة، وهو ما سيتناوله الفصل التالى الذى يختص بدراسة الحملة الصليبية الثالثة.

الفصل الخامس

الحملة الصليبية الثالثة

١١٨٩ - ١١٩٢م

نتعرض فى الصفحات التالية لوقائع الحملة التى عرفت بالصليبية الثالثة من خلال دوافعها ، وأحداثها ، والنتائج التى نتجت عنها وذلك بالإعتماد على المصادر التاريخية العربية وكذلك الصليبية وتتعرض لدور صلاح الدين الأيوبى فى قيادة المسلمين فى بلاد الشام لمواجهتها .

واقع الأمر، يتجه العديد من الدارسين لعصر الحروب الصليبية إلى التأكيد على أن الصليبية الثالثة ما قامت أصلاً إلا كرد فعل لأحداث معركة حطين الحاسمة عام ١١٨٧م ونتائجها المتعددة كما أسلفت العرض من قبل ، وحقيقة أن مثل ذلك التصور ينطبق على الواقع فى زوايا عديدة، لكنه قد يؤدى إلى إبعاد التصور المنطقى الخاص بدوافع الحركة الصليبية ذاتها؛ إذ أن الصليبية الثالثة لاتنفصل- بأى حال من الأحوال - عن مسار المشروع الصليبى بصفة عامة بدوافعه الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية، والدينية، ويضاف إلى ذلك كدافعية قوية - ما ترتب على أحداث يوم ٤ يوليو ١١٨٧م وعلى نحو خاص ٢ أكتوبر من نفس العام.

ويؤكد المؤرخ البارز ابن الأثير- المعاصر للقرن الثانى عشر الميلادى - على أهمية الدافع النفسى فى خروج أعداد غفيرة من أهل الغرب الأوربى من أجل الاشتراك فى تلك الحملة ولانغفل أن العصور الوسطى هناك يطلق عليها عصور الإيمان حيث شهدت تعاظم حجم الظاهرة الدينية والتدين العاطفى فى قلوب المعاصرين ، ويلاحظ أن خضوع بيت المقدس للمسلمين لم يكن يعنى لدى الغرب الأوربى مجرد ضياع مدينة من المدن ، بل أن ما سمى «بالضريح المقدس» كما يعتقد المسيحيون قد فقد لذلك تأجج الحماس هناك لتلك الصليبية[1] .

١- يوشع براور ، عالم الصليبيين، ت. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص٦٠ .

ولانغفل إن افتقاد الأملاك الصليبية فى شرق البحر المتوسط Levant كان يعنى إفتقاد الغرب الأوربى لكافة المزايا الاقتصادية خاصة التجارية التى عمل جاهداً على تحقيقها طوال عقود طويلة، كذلك فإن الحلف الدفاعى الإستراتيجى بين ذلك الكيان الصليبى على أرض بلاد الشام والغرب الأوربى خاصة فرنسا لم يكن من الممكن أن يقبل بأن تنهار مملكة بيت المقدس الصليبية دون أن يحرك ساكنًا.

ولانغفل هنا حقيقة مؤكدة ، وهى أن ما حدث فى عام ١١٨٧م لم يكن له نظير من قبل فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب لقرابة تسعة عقود مضت من عمر الزمان، ولم يكن من الممكن أن يعتمد الصليبيون المحليون فى بلاد الشام على أنفسهم فى مواجهة كارثة حطين، ولذلك تحتم الاستعانة بالغرب الأوربى وتدخله لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه من قبل تلك الأحداث العاصفة وأكد هذا الأمر «الوضع المرضى» الذى عانى منه الصليبيون على مدى تاريخهم فى بلاد الشام وهو ضرورة الإعتماد على الغرب الأوربى عسكريًا عندما تشتد بهم ضربات حركة الجهاد الاسلامى مثلما حدث من قبل عام ١١٤٤م.

على أية حال ؛ وجدت عدة دوافع مجتمعه - دون الإنحياز لدافع على حساب الآخر- أدت إلى قيام وقائع ما عرف بالصليبية الثالثة.

وقد شارك فيها الإمبراطور الألمانى فردريك الأول بارباروسا Frederick Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م) أو فردريك ذو اللحية الحمراء[1]، والملك الفرنسى فيليب أغسطس

= ولانغفل الاشارة إلى أن البابا أوربان الثالث (١١٨٥-١١٨٧م) مات عقب وصوله خبر فتح صلاح الدين لبيت المقدس، عنه انظر: فاطمة الشناوى، فيليب أغسطس ملك فرنسا ١١٨٠- ١٢٢٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة حلوان عام ٢٠٠٣م، ص١٥٥ ، حاشية (٢) . وهى دراسة علمية فريدة المستوى العلمى وبإشراف أ.د. زبيدة عطا .

١- عن فردريك بارباروسا انظر:

Otto of Freising , The deeds of Frederick Barbarossa, Trans. by Charles Christopher Microw, Toronto 1906 .

وعن دوره فى الصليبية الثالثة انظر:

Otto of St. Blasion, The Third Crusade 1187-1190 , From The Chronicle of Otto of St. Blasion , in Thatcher , Source Book of Medieval History , New York 1902 , pp. 529- 535 .

حامد زيان، الامبراطور فردريك بارباروسا والحملة الصليبية الثالثة ، ط. القاهرة ١٩٧٧م.

Philip Augustus (١) (١١٨٠-١١٢٣م) ، ثم الملك الإنجليزى ريتشارد قلب الأسد(٢) Richard Lionhearted (١١٨٩-١١٩٩م) ، وهم يعدون أكبر أباطرة وملوك عصرهم ، ويلاحظ أن إشتراكهم لحسم قضايا الشرق اللاتينى يؤكد على أن التاريخ الأوربى فى العصور الوسطى لم يكن جميعه تجرى وقائعه على الأرض الأوربية ذاتها بل فى قسم مهم وفعال منه على أرض شرق البحر المتوسط .

ولانغفل هنا الإقرار بأن دوافع أولئك القادة الكبار للاشتراك فى أحداث تلك الحملة، المصلحة السياسية العليا، فالمؤكد أن الامبراطور الألمانى العجوز فردريك بارباروسا الذى بلغ

١- عن فيليب أغسطس انظر:

Guillaume de Nangis, Les Gestes de Phillipe- Augustus , Extraits des grand Chronigues de Frans, R.H.G.F.T.XVII, pp. 346-417 .

Hutton, Philip Augustus, New York 1970 , Baldwing, The Government of Philip Augustus California 1986, Cartellier, Philip II Augustus Konig von Frankreich, Leipzig 1899-1900.

محمد دسوقى محمد حسن ، العلاقات السياسية الفرنسية الانجليزية وأثرها فى الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب الاسلاميين ١١٣٧- ١٢٢٣م / ٥٣١-٦٢٠هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية فرع دمنهور عام ٢٠٠٦م.

٢- عن ريتشارد قلب الأسد انظر:

Richard of Devizes , Crusade of Richard Coeur de Lion , in Chronicles of the Crusades , London 1908 , Geoffrey of Vinsauf , Crusade of Richard Coeur de Lion, in Chronicles of The Crusades, London 1908 , Ambroise , The Crusade of Richard Heart of Lion , Trans . by Hubert , New York 1943 , Chronicle of the Third Crusade, A Translation of Tinerarium Perecrinorum et Gesta Regis Ricardi, Trans . by Helen Nicholson ,London 1997 , Brundage, Richard Lion Heart, New York 1974 , Gillingham, The Life and Times of Richard I , London 1973 , Norgate, Richard The Lion Heart, London 1924 .

زينب عبد القوى، الإنجليز والحروب الصليبية فى الفترة من ١١٨٩- ١٢٩١م، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص١٢٢- ص١٣٧ .

السبعين عامًا ؛ أراد ألا يقتصر دور الصليبيات على فرنسا وانجلترا ، بل لابد لألمانيا من دور فعَّال شرقى البحر المتوسط ، ومن المفترض اشتراك ذلك الإمبراطور الذى كان يشبه إسهام كونراد الثالث Conrad III (١١٣٨-١١٥٢م) خلال وقائع الصليبية الثانية ، ما هو إلا جزءًا من سياسة الاتجاه نحو الشرق أو ما يعرف بالألمانية باسم Drang Nach Osten فى القرون الوسطى، وقد هدف فردريك من وراء ذلك إلى دعم نفوذه الداخلى ، كذلك أن يثبت لأوروبا أنه الصليبى الكبير الذى لم ينس صليبيته، وأن تقدمه فى السن لم يعقه دون الإسهام فى تاريخ الصليبيات ، وقد راودته أحلام الفارس القديم خاصة أنه اشترك من قبل فى أحداث ما عرف بالصليبية الثانية عندما كان أميراً، غير أنه ، لايفهم من ذلك أن الزاوية الإقتصادية كانت غائبة عن الساحة، فقد أرادت ألمانيا أن تحقق مكاسب هى الأخرى فى ذلك النطاق ولاتكون الكفة راجحة للمدن التجارية الإيطالية، وفرنسا فقط.

أما الملك الفرنسى فيليب أغسطس ؛ فلاريب فى أنه امتلك عدة دوافع دفعته للإسهام فى تلك الأحداث ، فقد أراد دعم نفوذ أسرة آل كابيه التى أسسها هيوكابيه Hugh Capet عام ٩٨٧م فى شرقى المتوسط وقد أدرك أن الحرب الصليبية هى الجسر الذى عليه عبوره لتحقيق ذلك الهدف ، كما لاتغفل أن فرنسا ذاتها كانت ترى نفسها أم الحروب الصليبية والمسئولة أدبيًا عن الوجود الصليبى فى الشرق الذى هو جزء لايتجزأ من تاريخ فرنسا فى العصور الوسطى ، كذلك هناك التنافس التقليدى بين فرنسا وإنجلترا، فلم يكن من الممكن للأولى أن ترى غريمتها تساهم فى الأحداث الصاخبة فى الشرق وهى تقف مكتوفة اليدين، ولاننسى هنا الإشارة إلى أن تاريخ فرنسا فى العصور الوسطى نجد قسمًا مهمًا منه فى انجلترا والعكس صحيح ، فإذا أضفنا إلى ذلك ؛ أن تحرك السياسة الفرنسية ممثلة فى فيليب أغسطس كان من أجل الحفاظ على مصالح فرنسا الإقتصادية لاسيما التجارية حيث وجد خط تجارى نشط وفعّال بين مينائى عكا ومرسيليا ؛ أدركنا أن جملة دوافع حركت فرنسا صوب تلك الحملة على نحو خاص .

أما انجلترا ، فإن هنرى الثانى Henry II (١١٥٤-١١٨٩م) ومن بعده ريتشارد قلب الأسد (١١٨٩-١١٩٩م) هدفا إلى دعم نفوذ انجلترا السياسى أمام المنافسة الفرنسية التقليدية، كما لاتغفل أن «عقدة» التاريخ الإنجليزى فى ذلك العصر تمثلت فى الإنفصال الجغرافى عن الجسد الأوروبى، وقد توافر لملوك انجلترا رغبة قوية للإشتراك فى قضايا القارة

الأوروبية خاصة أن معركة هاستنجز عام ١٠٦٦م، أنهت عزلتها عن القارة المذكورة[١] وجعلتها أكثر إرتباطًا واتصالاً بما يجرى على أرضها من أحداث ، وحيث أن الحروب الصليبية مثلت مشروعًا أوروبيًا عامًا، لذلك قررت إنجلترا المساهمة فى الصليبية الثالثة دون إغفال المصلحة الإقتصادية بطبيعة الحال ورغبتها فى عدم إنفراد المدن الإيطالية وفرنسا بالنهب المنظم لثروات الشرق دونها .

مهما يكن من أمر، من الملاحظ أن صلاح الدين الأيوبى بعد أن دخل بيت المقدس فاتحًا، أطلق سراح الكثيرين من الصليبيين من خلال أخلاق الفرسان التى تمتع بها بجدارة بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء وقد أخذ العهود والمواثيق من الملك الصليبى جى دى لوزينيان بألا يرفع سيفًا ضده ، غير أنه نكث بكل ذلك، وقد تجمع الصليبيون فى مدينة صور Tyre اللبنانية التى دخلت التاريخ منذ عهد الاسكندر الأكبر Alexander The Great بفضل حصانتها ومناعتها الطبيعية[٢] والتى أشارت إليها المصادر الجغرافية مراراً

١- قاد تلك المعركة وليم دوق نورمنديا الملقب بالفاتح William The Conqueror وقد تمكن فيها من الانتصار على السكسون وتعد المعركة المذكورة بمثابة غزو حضارى فرنسى لانجلترا، عنها انظر:

وليم الفاتح انظر:

William of Poitiers , Deeds of Duke William , in Houts, The Normans in Europe, Manchester 2000, 74-75 , Adams, The History of England from The Norman Conquest to the death of John (1066-1216) , Lodon 1905, pp. 67-78 , Chibnall, The Normans, Massachestre 2000, p. 29 .

محمد محمد مرسى الشيخ ، «الفتح النورمانى لإنجلترا - ملحمة فريدة فى تاريخ إنجلترا ونورمنديا فى العصور الوسطى» ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص٢٤٧- ٢٥١ ، سعيد السيد على فرغلى ، «إضمحلال حكم الانجلوسكسون فى إنجلترا ٩٧٩-١٠٦٦م / ٣٦٨-٤٥٨هـ »، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص٤٩٤- ص٤٩٥ ، نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط فى أوروبا، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص٦٩٠- ص٦٩٥ .

٢- استعصت عليه طوال ٧ شهور ، عن ذلك انظر: رفاه شحاده قصير، «أهمية الأبنية التاريخية فى مدينة صور القديمة» ضمن كتاب صور من العهد الفينيقى إلى القرن العشرين، ط. صور ١٩٩٦م، ص٩٢ .

أحمد فاروق رضوان، الاسكندر الأكبر دراسة تحليلية لمؤثراته الحضارية ، ط. المنصورة ٢٠٠٦م،ص١٩ .

وتكرارا[1] وكذلك المراجع .

ولانغفل دور بارز قام به قائد صليبي هو كونراد دى مونتفرت Conrad de Montferrat الذى عمل على الدعاية للحملة الصليبية المذكورة، وقد أعد صورة كبيرة تصور ما يعتقد المسيحيون أنه الضريح المقدس فى بيت المقدس وفوقه فارس مسلم يمتطى صهوة حصان ، وتم الطواف بها فى أنحاء أوربا ، وقد أشعلت تلك الصورة نيران الحماس المتأجج فى النفوس فى عصر إفتقد بطبيعة الحال، وسائل الإعلام المسموعة والمرئية ، ومن المقرر ؛ أن جانب الدعاية مثل أهمية بارزة فى نجاح أية حملة صليبية مرتقبة تتجه صوب الشرق، ويلاحظ أن المؤرخ البريطانى إرنست باركر Ernest Barker يبرز دور ذلك القائد الصليبى ويعتبره مسئولاً أكثر من غيره عن اندلاع أحداث الصليبية الثالثة[2]، غير أنه من الممكن اعتباره عنصراً فعالاً غير أن مسئوليتها متشعبة ومرتبطة برد الفعل الأوربى على أحداث الشرق.

مهما يكن من أمر، تجمع الصليبيون بأعداد كبيرة فى صور وعندما اتجه الجيش الأيوبى لحصارها عجز عن إسقاطها وكان ذلك بداية الوهن بالنسبة للمسلمين كما اعتقد البعض،

١- عن حصانة صور أنظر:

ابن حوقل ، صورة الأرض، تحقيق دى جويه، ط. ليدن ١٩٦٧م، ص١٧٤ ، المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم، ص١٦٣- ص١٦٤ ، ياقوت ، المشترك وضعًا والمفترق صقعًا ، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٢٨٦، القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢١٧ ، ابن بطوطة ، الرحلة ص٧٥ ، سر الختم عثمان ، مدينة صور فى القرنين ١٢ ، ١٣، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، ص٤ ص٧، محسن محمد حسين، «مسئولية صلاح الدين فى فشل حصار صور»، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، م (٧) ، العدد (٢٦) ، الكويت ١٩٨٧م، ص٣٢ ،محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ص٢٢٨- ص٢٣٩ . عمر عبد السلام تدمرى ، «صور من كتابات المؤرخين والرحالة من الفتح الإسلامى حتى التحرير من الصليبيين»، ضمن كتاب صور من الوهن الفينيقى إلى القرن العشرين، مؤتمر منتدى صور الثقافى، ط. صور ١٩٩٦م، ص١٤١- ص١٤٤ .

٢- The Crusades, London 1949 , p. 61 .

وعن دوره انظر: حسين عطيه «قومون صور (١١٨٧-١١٨٩م) نشأته وأهدافه ونهايته» ضمن كتاب دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م، ص١٧٧- ص٢٨٨ .

رينيه جروسيه ، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب ، ت. أحمد أيبش ، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص٦٦، حاشية (٤) .

ويحاول المؤرخ العراقى المعاصر ابن الأثير النيل من صلاح الدين الأيوبى وسياسته التسامحية التى أدت فى النهاية إلى العجز عن إخضاع صور[١] التى منها أرسلت الاستغاثات إلى الغرب الأوروبى فقدمت أعداد كبيرة من المشاركين من هناك وعلى رأسها القيادات السالفة الذكر ومعهم أسلحتهم[٢].

واقع الأمر ، أن القضية، ليست قضية صور بل أنها قضية ارتباط ابن الأثير بالبيت الزنكى ولذلك عمل على ترصد أية أخطاء للسلطان الأيوبى ، وسعى إلى إبرازها مغفلاً أن الأخير أراد فتح صفحة جديدة فى العلاقات الإسلامية - الصليبية وأن الخطأ لايعود إليه بل إلى الصليبيين أنفسهم الذين عجزو عن فهم السياسة السلمية الحضارية الراقية التى تبناها ذلك السلطان الحكيم .

ويضاف إلى ذلك، أن الغرب الأوروبى كان من المقرر أن يأتى إلى المنطقة سواءً إستطاع الجيش الأيوبى الاستيلاء على صور أو لم يتمكن من ذلك والأمر المؤكد أن انجاز ذلك الجيش فى إسقاط مدن الساحل الشامى الأخرى- خاصة عكا جوهرة ذلك الساحل- وإسقاط القلاع الصليبية وفتح بيت المقدس يتفوق تمامًا على العجز عن إسقاط صور.

وليس معنى ذلك إعفاء صلاح الدين الأيوبى من المسئولية ، بل إنه يتحمل قسمًا منها، غير أنه - وفى نفس الحين- يعد بطل فتح المدن الساحلية الأخرى، وتلك حقيقة مؤكدة عمل على إبرازها ابن الأثير نفسه ، وإذا ذكر ذلك السلطان فالمقصود هو وجيشه الباسل بطبيعة الحال، وهكذا ؛ ينبغى أن تكون الموضوعية التاريخية الواجبة هى قدوتنا، لا أن نسلب أبطالنا التاريخيين إنجازاتهم خدمة لدوافع حزبية ضيقة الرؤية، وأتصور أن معاصرة ابن الأثير وكونه من الموصل وارتباطه بالزنكيين حجبت رؤيته المؤضوعية أحيانًا لسياسات ذلك السلطان .

١- الكامل، ج١١، ص٣٢١ .

٢- وقد وصف القاضى الفاضل فى إحدى رسائله الدعم الأوروبى الصليبى صور على أنهم «... أمم لاتحصى وجيوش لاتستقصى وإن لم يفترقوا من كل جانب .. استأسدوا واستكلبوا وكانوا لباطلهم الداحض أنصر منا لحقنا الناهض». انظر:

سالم الهدروس، «صورة الفرنج العسكرية فى النثر الفنى العربى زمن الحروب الصليبية فى المشرق العربى» ، مجلة أبحاث اليرموك، م (١١)، العدد (١١) ، عام ١٩٩٣م ، ص٤٥ .

تجدر الإشارة، إتجهت جموع كبيرة من أبناء الغرب الأوروبى للاشتراك فى الحملة الثالثة، وفى انجلترا - على سبيل المثال- تم فرض ما عرف بعشور صلاح الدين [١] Saladin's Tith وهى ضريبة فرضت على كل من لم يستطع الاشتراك شخصيًا فى قتال المسلمين فى الشرق.ولذلك يحولنا وصف صلاح الدين الأيوبى بأنه بذلك ساهم فى تطور النظام الضرائبى فى أوروبا العصور الوسطى وعلى نحو خاص فى إنجلترا .

بصفة عامة، كان وليم الثانى William II ملك صقلية Sicily من أوائل من تحرك من قادة الغرب الأوروبى ، وقد إتجه إلى عقد صلح مع الإمبراطورية البيزنطية عام ١١٨٨م، وأرسل رسائله إلى باقى ملوك أوربا لحثهم على التدخل ، إنقاذاً لما بقى للصليبيين من أملاك فى بلاد الشام ، كذلك أرسل أسطولاً بحريًا إلى طرابلس الشام وقد نجح فى منع الأيوبيين من الإستيلاء على طرابلس واللاذقية [٢].

وإذا ما اتجهنا إلى الامبراطور فردريك بارباروسا؛ نجده قد تلقى الصليب على يد الكاردينال البانو Albano فى مدينة مينز Mainz عام ١١٨٨م ، وعهد بالوصاية على العرش لابنه الذى سيتولى العرش فيما بعد باسم هنرى السادس، ويقال أنه أرسل عدة رسائل إلى ملوك وحكام المناطق التى سيمر بها جيشه مثل ملك المجر، والامبراطور البيزنطى إسحق الثانى أنجيلوس[٣] Issac II Angelus (١١٨٥-١١٩٥م) والسلطان السلجوقى قلج

١- عنها انظر:

حسين عطيه ، «عشر صلاح الدين وأصوله فى غرب أوربا ومملكة بيت المقدس الصليبية»، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية، ٢٠٠٠م، ص٢٧٩- ٣٥٠ .

٢- سعيد عاشور، الحركة الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ج٢، ص٨٤٢ .

٣- إمبراطور بيزنطى انتمى إلى أسرة حققت شهرة كبيرة فى عهد الامبراطور مانويل كومنين ، وقد نادت به الجماهير بعد أن قتلت اندرونيكوس الأول كومنين فى سبتمبر ١١٨٥م، عنه أنظر:

حسنين ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص٢٣٧ - ص٢٣٨ ، عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، ص٢٠٦ ؛ دونالد نيكول ، معجم التراجم البيزنطية ، ت. حسن حبشى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص٧٢ ، محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م، ص٣٣٩ ،اسمت غنيم ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ٣٢٤- ١٤٥٣، ط. الاسكندرية ص٣٤١ .

أرسلان، وكذلك صلاح الدين الأيوبى ، ولدينا نص الرسالة الأخيرة وهى تعكس طابع الدعاية السياسية والتلويح بالقوة[1]، ويلاحظ أن جيش ذلك الامبراطور كان كبيراً وقدره البعض بخمسين ألفاً، بل وصل لدى البعض الآخر إلى مائة ألف[2] مع عدم القدرة على تحديد الرقم الأدق نظراً لطابع المبالغة الرقمية فى حوليات العصور الوسطى بصفة عامة.

لقد واجهت الامبراطور الألمانى مصاعب متعددة خلال إجتيازه لمناطق الامبراطورية البيزنطية [3]، ولانزاع فى أن الشكوك المتبادلة بين الطرفين كان لها دورها فى كل ذلك، ووصل الأمر بفردريك بارباروسا أن راسل ابنه فى ألمانيا يطلب منه إعداد القوات اللازمة لقتال بيزنطة ، ثم هدأت الأمور بين الجانبين من بعد ذلك، وأن ظل ذلك رصيداً لأحداث تاريخية عاصفة فى علاقات الغرب الأوروبى بالشرق البيزنطى خاصة فى خلال الصليبية الرابعة.

والأمر المؤكد، أن صلاح الدين الأيوبى أدرك بثاقب بصره حجم الصراع بين الجانبين ، ولذلك سعى إلى عقد تحالف مع الامبراطورية البيزنطية حتى يضمن حيادها على الأقل فى صراعه مع الصليبيين حتى من قبل حدوث الحملة الصليبية الثالثة، وحتى يكون الإمبراطور البيزنطى عيناً له على التحركات الألمانية خاصة عندما تجتاز مناطقه، ولدينا وثيقة مهمة عبارة عن رسالة مرسلة من جانب إسحق الثانى أنجيلوس إلى السلطان الأيوبى أوردها المؤرخ المعاصر بهاء الدين بن شداد ذكر فيها الأول لحليفه أن عليه الإطمئنان وأنه صديقه الدائم

١- انظر الترجمة العربية لها لدى: جلال حسنين سلامة ، عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة ، ط. نابلس ١٩٩٨م، ص١٥٣ .

وأيضًا عادل عبد الحافظ «موقف ألمانيا من هزيمة الصليبيين فى حطين» التاريخ والمستقبل ، م (١) ، العدد (١) ، عام ١٩٩١م، ص٢١٥- ص٢٣٣ .

٢- رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج٣، ص٣٣ .

٣- من علاقته بالإمبراطورية البيزنطية خلال الصليبية الثالثة انظر:

Brand , Byzantium Confronts The west 1180- 1204 , Cambridge 1968, pp. 176-188 .

وعن العلاقة بين بيزنطة بصلاح الدين الأيوبى خلال تلك المرحلة انظر:

Brand, " The Byzantines and Saladin 1185-1192: Opponents of the Third Crusade, S. vol . XXXVII, 1962 , pp. 167-181 .

وسيخبره بتحركات القوات الألمانية (١)؛ على نحو عكس مدى النجاح الكبير الذى حققته الدبلوماسية الأيوبية النشطة فى الإفادة من تدهور العلاقات البيزنطية الصليبية لصالحها، وبصفة عامة فإن صلاح الدين اعتمد على شبكة تجسس ممتازة وفرت له معلومات وافرة عن عدوه الصليبى(٢).

ويضاف إلى ذلك، أن قلج أرسلان عمل على مهاجمة القوات الألمانية(٣) عندما مرت بمناطق نفوذه فى آسيا الصغرى Asia Minor ، وأدى ذلك إلى الفتك بعدد من أفرادها ، وزادت الأمور تدهوراً بالألمان عندما نزل الإمبراطور الذى بلغ من الكبر عتياً كى يستحم فى نهـر سـالف Saleph(٤) من أنهـار كـيليكيـا Cilicia فى آسيـا الصغرى »..، فغرق

١- النوادر السلطانية ، ص١٣٢- ص١٣٣ .

وعن العلاقات الدبلوماسية بين صلاح الدين والإمبراطورية البيزنطية قبيل حطين وحتى الصليبية الثالثة انظر: زبيدة عطا، الشرق الإسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص٨٧-ص١٠٠ .

٢- عنها انظر: صلاح الدين البحيرى ، «المخابرات الإسلامية فى مواجهة الصليبيين »، مجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة ، العدد (٣) عام ١٩٨٩م، ص١٨- ٢٣ .

جمال الدين الشيال، الجاسوسية فى حروب بنى أيوب ، ضمن كتاب دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ط. بيروت ١٩٦٤م، ص٧٣- ص٧٧ .

٣- عن الحملة الألمانية انظر:

عبد الكريم كلشنى، «الصليبيون الألمان فى الشام من ٥٨٥- ٥٨٦هـ / ١١٨٩-١١٩٠م ، «المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ، ط. عمان ١٩٧٤م، ص٢٤٥- ص٢٥٣ وهى عبارة عن تجميع نصوص مصدرية عربية دون أن تحوى كتابة تاريخية حقيقية .

وعن دور الألمان فى الحروب الصليبية بصفة عامة انظر: صلاح ضبيع ، دور الألمان فى الحروب الصليبية فى بلاد الشام، ٥٤٠هـ / ١١٤٥م إلى ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة أسيوط عام ١٩٩٣م. دراسة جديرة بكل تقدير .

٤- من الملاحظ أن ذلك النهر يورد أحيانًا باسم نهر الفاتر، كما لدى ابن العديم، انظر: زبدة الحلب، تحقيق سامى الدهان، ط. دمشق ١٩٦٧م، ج٣، ص١١٤ ، أو نهر اللامس كما لدى لسترانج انظر:
Le Strange, The Lands of The eastern Caliphate, Mesopotamia from the moslem Conquest to the Time of Timur, London 1966, p. 141 .

وذلك فى يوم ١٠ يوليو ١١٩٠م [1]، وبذلك وجهت ضربة قاضية لمصير الحملة الألمانية ، حيث تفرق أغلب أفرادها ، وفتك المرض بالعديدين، ووصل العدد القليل من الألمان إلى بلاد الشام حيث شاركوا فى حصار مدينة عكا ، ويعلق البعض أنه فى حالة مقدم الإمبراطور الألمانى بقواته الكثيفة لقيل أن مصر والشام كانتا من أملاك المسلمين [2]؛ مما عكس الخطر الداهم الذى كان ينتظر الأيوبيين فى حالة وصول الحملة الألمانية فعليًا بقواتها الأصلية إلى المنطقة .

والأمر المؤكد ، أن غرق الإمبراطور الألمانى على هذا النحو حول حملته إلى موكب جنائزى [3]، كما اعتقد أحد المؤرخين ، وبدد الآمال العريضة التى علقت بها ، ولاريب فى أن المسلمين وعلى رأسهم صلاح الدين الأيوبى غمرتهم السعادة لتلك الأخبار التى دلت على أن الحملة الصليبية الثالثة حرمت - منذ بدايتها- من دعم ألمانى قوى بشريًا وتسليحيًا من خلال ذلك الحدث الجلل وبالتالى تبددت آمال الألمان فى مشاركة بارزة فى تلك الحملة، وتعلقت الأنظار على دور بارز من جانب كل من انجلترا وفرنسا .

بصفة عامة ، من الملاحظ أن مركز الحملة الصليبية الثالثة تمثل فى مدينة عكا Acre [4] الساحلية بفلسطين ، والتى إتجه الصليبيون إلى حصارها بإعتبارها جوهرة الساحل الشامى

١- Otto of St. Blasion, p. 535 .

٢- أنظر أيضًا : Chronicle of the Third Crusade, Atranslation of Itinerarium et Gesta Regis Recardi , pp. 64-65 , Johnson , " The Crusade of Frederick Barbarossa and Henry VI, in Setton, A History of the Crusades, vol . II, Madison 1969, p. 114 , Vistestam, " Saladin and Richard The Lionhearted Selected annals from Masalik al - absar, Fimamlik al- amsar by al. Umairi, S.O.L., vol . VII , 1996, p. 43 .

٢- عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص١٧٧ .

٣- Johnson, The Crusade of Frederick Barbarossa, p. 114 .

٤- تكتب عكاء ، أو عكه ، أو عكا وقد بعدت عن قيسارية مسافة ٣٦ ميلاً ، وقد تحصنت مع مقدم أحمد بن طولون الذى عمل على إقامة تحصينات لها، وقد استولى عليها الصليبيون فى عهد الملك بلدوين الأول (١١٠٠-١١١٨م) وذلك فى عام ١١٠٤م، واشتهرت بأزدهار النشاط التجارى بها حيث تمتعت بميناء صالح لرسو السفن طوال العام ، وقد تصارع عليها المسلمون والصليبيون خلال الصليبية الثالثة وسقطت نهائيًا فى أيدى المسلمون عام ١٢٩١م، المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ، ط. ليدن ١٩٦٧م، ص١٦٢- ١٦٣، ناصر خسرو، سفر نامه ، يحيى الخشاب ، ط. القاهرة ١٩٤٥م، ص١٥ الإدريسى ، نزهة المشتاق فى إختراق الآفاق ، تحقيق جابريللي ديلافيلا وآخرون ، ط. نابولى ، ج٤، ص٣٦٥ ، ابن جبير،

والعاصمة الاقتصادية التجارية للكيان الصليبى فى بلاد الشام، خاصة أنها تمتعت بميناء ممتاز صالح لرسو السفن طوال العام مع عدم إغفال أن عكا كانت ملتقى شبكة ممتازة من الطرق التجارية البحرية مثل ما ربطها بالاسكندرية فى مصر والقسطنطينية العاصمة البيزنطية وبالبندقية شمالى الأدرياتيكى وطريق آخر وصلها مع مرسيليا الميناء الفرنسى الشهير ، كما أن عكا ارتبطت بمدينة دمشق بطريق تجارى مزدهر عبر مرتفعات الجولان، وهكذا، فإن إختيار الصليبيين لها لم يكن عشوائيًا بل من خلال تخطيط محكم يدرك أهمية دورها حينذاك.

ويلاحظ أن تاريخ الصليبيين فى الشرق وفى الحدود الفلسطينية لمملكة بيت المقدس الصليبية يتركز بصفة عامة على مدينتين أساسيتين هما بيت المقدس ، وعكا مع عدم إغفال أهمية المدن الأخرى بطبيعة الحال.

ولقد اكتسب الصليبيون دعمًا قويًا بإشتراك الملك الإنجليزى ريتشارد قلب الأسد الذى تمكن وهو فى طريقه إلى الشرق من الاستيلاء على جزيرة قبرص Cyprus عـام ١١٩١م[١] ذات الموقع الإستراتيجى الفريد فى مقابل الساحل الشامى[٢]، وقد أراد السيطرة على موقع

= الرحلة ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص٢٧٦ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ط. بيروت ١٩٦٢م، ص٣٥ مكسيموس، هونروند ، تاريخ الحرب المقدسة المدعوة بحرب الصليب ، ت. مكسيموس مظلوم، ج١، ط. أورشليم ١٨٦٥م، ص٢٢١ - ص٢٢٢ ، سيد الحريرى، الأخبار السنية فى الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩١١م، ص٤٩ ، ناجى حبيب مخول، عكا وقداها جزآن، ط. عكا ١٩٧٩م.

١- يلاحظ أن ريتشارد قلب الأسد تمكن من هزيمة القبارصة فى عام ١١٩١م فى منطقة سكيرمش Skir-mish ، كذلك هزمهم فى قرية تريتوشا Tremetousha ، وتمكن من الاستيلاء على نيقوسيا Nicosia ، وكيرنيا Kyrenia ، انظر: , Edbury , The Kingdom of Cyprus and the Crusades , 1191-1374 Cambridge 1981, p. 7 .

بيتر اديبورى، قبرص والحروب الصليبية ، ط. قبرص ١٩٩٧م، ص١٥- ص١٨ .

أيضًا ، عاطف مرقص ، قبرص والحروب الصليبية فى القرنين ١٢ ، ١٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩١م، ص٩٧ .

٢- وقعت قبرص فى الركن الشمالى الشرقى من البحر المتوسط بين خطى عرض ٣٤,٥ و ٣٥,٥ شمالاً وبين خطى طول ٣٢ و ٣٤,٥ ، وقد بعدت عن دمشق بمسافة ٢٠٩,٤٥ ك.م تقريبًا ، وعن الأناضول ١٨٥,٣٣ ك.م وعن مصر ٤٢٦,٢٣٥ ك.م تقريبًا عن ذلك انظر:

عبد الوهاب حسن القرش، قبرص والصراع البيزنطى الاسلامى فى الفترة من ٢١- ٣٥٤هـ / ٦٤١-٩٦٥م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات ، جامعة عين شمس عام ١٩٩٦م، ص٤٧- ص٤٩ .

ومن أفضل الدراسات عنها دراسة هل فى ثلاثة أجزاء.

Hill, History of Cyprus, 3 vols., Cambridge 1940 .

حيث تناولها عبر العصور .

صليبي متقدم يمكنه تقديم المؤن والإمدادات للقوات الصليبية عند قدومها إلى الشرق، كذلك من الممكن الإنسحاب الصليبي إليها من بلاد الشام وهو أمر أكدته بالفعل وقائع التاريخ، ويرى أحد كبار المؤرخين العرب أن دخول قبرص دائرة الحروب الصليبية عن طريق الفتح كان أهم ما نتجت عنه الحملة الصليبية الثالثة من نتائج ، فالمشرق اللاتيني الذى أراد له صلاح الدين الأيوبي أن يلقى به فى البحر المتوسط قُدِّر له أن يحيا مرة أخرى على شواطئ الجزيرة القبرصية [١]، كذلك لانغفل كون قبرص ذاتها كانت تابعة للسيادة البيزنطية إلى أن ظهرت بها حركة تمرد، وبصفة عامة، فإن الاستيلاء عليها جاء مؤشراً لتنامى الأطماع الغرب أوروبية فى الأملاك البيزنطية وهو أمر سيصل إلى ذروته عام ١٢٠٤م خلال أحداث الصليبية الرابعة[٢] عندما يسقط القلب البيزنطي ذاته لأول مرة فى تاريخ تلك الإمبراطورية منذ عام ٣٣٠م.

تجدر الإشارة، إلتقت القوات الفرنسية والإنجليزية عند أسوار عكا، من أجل إسقاطها، وقد أدرك الغزاة أن عليهم إستعادة العاصمة الاقتصادية في صورة عكا أولاً قبل استرداد العاصمة الدينية بيت المقدس ودل ذلك على إدراكهم الجيد للأولويات فى الأهمية ، وقد عبرت عن ذلك الموقف إحدى المؤرخات المتميزات بقولها : «وجه فرنج الشام كل عنايتهم للاستيلاء على عكه ليتخذوا منها مفتاحاً يستردون به باقى ممتلكاتهم المفقودة»[٣].

١- سعيد عاشور ، قبرص والحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ص٩١ .

٢- عنها انظر:

Robert Clari , The Conquest of Constantinople, Trans.by E.H. McNeal, New York 1936 .

وانظر الترجمة العربية، روبرت كلاري، فتح القسطنطينية ، ت. حسين حبشى ، ط. القاهرة ١٩٦٤م،

Villehardouin, The Conquest of Constantinople, Trans. by M.R.B. Shaw, in Chronicles of The Crusades, London 1963 , pp. 29-87 .

وأنظر الترجمة العربية، مذكرات فلهاردوين فتح القسطنطينية ت. حسن حبشى ، ط. جدة ١٩٨٢م.

أيضاً :

Grogoir, " The diversion of the Fourth Crusade", B., vol . XV , 1940, 1941, pp. 158-166 .
Ebid, " was pope Innocent IV an accomplice in the diversion of the Fourth crusade 1204 ", E.H.R., vol . XV, 1969 , pp. 219 .

٣- راجيه ابراهيم عبد الوهاب ، الاستراتيجية العسكرية لصلاح الدين »، سلسلة دراسات عن الشرق الأوسط، مركز بحوث الشرق الأوسط- جامعة عين شمس ، عام ١٩٨٦م، ص١٥ .

من الملاحظ أن القتال حول عكا إشتد بصورة كبيرة، وأراد كل طرف تحقيق أكبر قدر من المكاسب على حساب الطرف الآخر ، وقد بذل صلاح الدين الأيوبي مجهوداً كبيراً من أجل دعم حامية عكا بكل وسيلة ممكنة ، وهدف إلى إطالة مدة الحصار إلى أبعد حد ممكن؛ من أجل إشعار الصليبيين أن الحصار الطويل لاجدوى من ورائه وأنه يستهلك طاقاتهم العسكرية خاصة أن الصليبيين وفدوا من بقاع بعيدة والمسلمين يحاربونهم على أرضهم .

ويلاحظ أن بهاء الدين بن شداد - وغيره من المؤرخين- نجد فى كتاباته إشارات مهمة ومفصلة عن أحداث ذلك الحصار التاريخى الذى استمر عامين كاملين واعتبر أطول معارك الحروب الصليبية على مدى قرنين من عمر الزمان، حتى أن أحد المؤرخين الأوربيين شبهه بحصار مدينة طرواده [١]- قرية حصارلك التركية حاليًا- التى خلدتها أشعار الشاعر اليونانى الكفيف هوميروس Homeros فى ملحمته الالياذة والأوديسا [٢]، ونعرف أن وسائل الإتصال بين صلاح الدين الأيوبى وجنوده المحاصرين فى عكا تمثلت فى الحمام الزاجل ، ونعرف أن جنديًا شغف حبًا بذلك النوع من الحمام وأقام له برجًا خشبيًا.كى يرتحل طوال النهار ثم يعود إليه ، وقد صار موضعًا لتندر زملائه وتوهموا أنه لافائدة ترجى من وراء ذلك ، غير أنه فى خلال أحداث حصار عكا اتضح أن للحمام الزاجل فائدة كبرى فى إيصال الرسائل إلى القوات المحاصرة وإبلاغهم بخطط الصليبيين الحربية[٣] وإمدادات المسلمين للمحاصرين .

١- Barker, The Crusades, p. 62 .

٢- الإلياذة Iliad والأوديسا Odyssey لهوميروس ، ويلاحظ أن الالياذة تصف الحرب فى سهول طرواده وغضب اخيلويس Achiles وقتله لهكتور Hector ، بطل طرواده ، وتروى الأوديسا جولات قام بها اوديسيوس Odysseus لمدة عشر أعوام فى البحر وذلك بعد سقوط طرواده ثم من بعد ذلك عودة إلى اتيكا وقتله ، عن ذلك انظر:

حسن صبحى بكرى : الاغريق والرومان والشرق الاغريقى الرومانى، ط. الرياض ١٩٨٥م، ص٣٩ .

٣- عن ذلك انظر: جمال الدين الشيال ، «الجاسوسية فى حروب بنى أيوب» ، ضمن كتاب دراسات فى التاريخ الاسلامى ، ص٧٤ .

ويلاحظ أن نور الدين محمود من قبل كان قد استعمل الحمام الزاجل أو الهوادى لإيصال الأخبار، وذلك عام ١١٧١م، عن ذلك انظر:

ابن الأثير ، الباهر ، ص١٥٩ ، أبوشامة ، الروضتين ج/١ ق٢ ، ص٥٢٠ ،. ابن قاضى شهبة ،

من جهة أخرى، حدث أن قام الصليبيون بصنع ثلاثة أبراج من الحديد والخشب وتم تغطيتها بالجلود التى تم نقعها فى الخل حتى لاتنفذ فيها النار. ويقال أن كل برج كان من الضخامة بحيث اتسع لأكثر من خمسمائة مقاتل، وقد اتجه صلاح الدين الأيوبى إلى أن يطلب من العلماء والصناع التوصل إلى حد لذلك الخطر الداهم .

والأمر المؤكد أن أحداث الحملة الصليبية الثالثة شهدت سباقًا تسليحيًا من الجانبين الصليبى، والإسلامى وكان كل طرف فى صراع مع الزمن من أجل فرض واقع عسكرى حاسم على أرض المعركة . وهناك إشارات تفيد بأن شابًا دمشقيًا مجهولاً توصل إلى طريقة للقضاء على تلك الأبراج ، وقد طلب إحضار بعض المواد الكيماوية وبالفعل تم إحضارها له بأوامر من صلاح الدين الأيوبى شخصيًا ، واستخدم تلك المواد مع النفط ووضعها فى قدور نحاسية وتم إلقاؤها على أحد الابراج فأحترق ، وكذلك كان مصير البرجين الأخيرين ، والملفت للانتباه ؛ أن ذلك المهندس الدمشقى المبتكر رفض أن يحصل على جائزة مقابل ما توصل إليه من اختراع وجع كفة المسلمين فى مواجهة ذلك التسابق التسليحى فى مواجهة الصليبيين، وذكر أنه فعل ذلك لوجه الله تعالى[1] فقدم مثالاً دالاً على إنكار الذات لصالح المسلمين .

ويقرر أحد كبار المؤرخين العرب أن صلاح الدين الأيوبى واجه خلال حصار عكا مشكلة متعددة الأوجه تمثلت فى الآتى :

أولاً : إنه إعتاد الحرب الهجومية ولم يتمرس على القيام بالحرب الدفاعية وكان «يقودها من قلب عكا وهو خارجها » [2].

ثانيا : تحولت الحرب حول عكا إلى حرب خنادق وليس إلى ميدان معركة فيه الكر والفر ، ويقرر أن القوات الأيوبية لم تكن متمرسة فى حرب الخنادق الثابتة.

= الكواكب الدرية ، ص٣٨، ص٦٧ ، ضيف الله بطاينه، «الجهاز الإدارى فى الحضارة الإسلامية» ، الدارة ، العدد (١٢) ، السنة (١٠) عام ١٩٨٤م، ص١١٥ . محمود الحويرى، الأوضاع الحضارية ، ص١٦٣، الغزى ، نهر الذهب ، ج٣، ص٩٧ ، كرد على، خطط الشام، ج٢، ص٤٥ ، ص٦٦، سعيد عاشور، كتاب صبح الأعشى ، مصدراً لدراسة تاريخ مصر فى العصور الوسطى ، ضمن كتاب القلقشندى وكتابه صبح الأعشى، ط. القاهرة ١٩٧٣م، ص٤٢ .

١- مصطفى الحيارى، صلاح الدين القائد وعصره ، ص٣٩٣- ص٣٩٤ .

٢- شاكر مصطفى ، صلاح الدين ، ص٣٠١ . المؤرخ الراحل المذكور من أفضل من أنجبت سوريا العزيزة.

ثالثًا : طول مدة ذلك الحصار الذى استمر عامين كاملين[١] على نحو أجهد الجيش الأيوبى خارج المدينة والحامية المحاصرة داخلها .

والواقع أن من الممكن إضافة عنصر آخر من خلال ملاحظة أن الدعم الأوربى الإنجليزى والفرنسى القادم إلى القوات الصليبية المحلية فرض تحديات عسكرية جديدة على الأيوبيين خاصة أنهم إعتمدوا على امكاناتهم الخاصة. خاصة أن جيشهم لم ينل فترة هدنة منذ عدة أعوام.

تجدر الإشارة ، إلى أن صلاح الدين الأيوبى عندما اشتدت الأحداث فى عكا ، ولم تكن لديه قوة تدعمه خاصة على المستوى البحرى فكر فى الاستعانة بقوة عناصر الموحدين فى بلاد المغرب وربما شجعه على ذلك ؛ أن التجار المغاربة الذين كانوا يترددون على بلاد الشام شاعت أحاديثهم عن كفاءة القوة البحرية الموحدية وحيث أن حركة الجهاد الإسلامى حينذاك لم تكن قضية مشرقية فحسب ، بل ومغربية أيضًا ؛ نظرًا لاشتراك أعداد من المغاربة فى مواجهة الصليبيين كما أشار ابن جبير فى رحلته [٢]، لذلك كله إتجه السلطان الأيوبى إلى طلب تلك المساعدة البحرية من الموحدين .

جدير بالذكر ، تمت مخاطبة سلطان المغرب يعقوب بن يوسف[٣] (١١٨٤-١١٩٩م) ، وتم إرسال أحد السفراء وهو شمس الدين عبد الرحمن بن منقذ الكنانى ومعه رسالة فيها طلب

١- شاكر مصطفى، صلاح الدين، ص٣٠١ .

٢- الرحلة ، ط. بيروت ١٩٨٤م، ص٢٧٤ أنظر أيضًا :

على أحمد ، دور الأندلسيين والمغاربة فى الحروب الصليبية على مسرح الشام ومصر»، ندوة الإطار التاريخى للحركة الصليبية ، منشورات إتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٢٠٩ - ص٢٣١ ، أحمد بدر، «الأندلسيون والمغاربة فى القدس» ، مجلة أوراق المعهد الاسبانى العربى ، العدد (٤) ، مدريد ١٩٨١م، ص١٣٣ ، عبد الهادى التازى ، بلاد الشام فى الوثائق الدبلوماسية المغربية ، المؤتمر الأول لتاريخ بلاد الشام، ط. عمان ١٩٧٤م، ص٤٣٤ ، نظير حسان سعداوى ، التاريخ الحربى المصرى، ص١٢١ ، حاشية (٢) زكى حسن ، الرحالة المسلمون،ص٨٤ ، نقولا زيادة ، رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٨م، ص١٥١ .

٣- هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن لقب بالمنصور ويعد ثالث الخلفاء الموحدين، عنه انظر:

شفيق محمد الرقب ، شعر الجهاد فى عصر الموحدين، ط. عمان ١٩٨٤م، ص١٤، حاشية (٦) .

العون البحرى، وهناك من يقرر أن الرسالة المذكورة إحتوت على اعتذار عما قام به شرف الدين قراقوش التقوى[١] عندما قام بحملة عام ١١٧٢- ١١٧٣م على برقة وطرابلس[٢] على نحو أوغر صدور الموحدين ، ولانغفل أن دوافعه كانت فى ذلك الأمر تأمين حدود مصر من الغرب بالإضافة إلى السيطرة على قسم من طرق التجارة المارة بتلك المنطقة.

ومع ذلك ، فإن الموحدين لم يتمكنوا من تقديم يد العون البحرى خاصة إذا ما علمنا أن ما تردد فى الشرق عن كفاءة قوتهم فى المجال المذكور صاحبته دعاية سياسة واضحة، كما أنهم انهمكوا فى مواجهة بنى غانية فى جزر البليار[٣] شرقى الأندلس.

وهكذا ، وقعت عدة عوائق حالت دون إشتراك الموحدين بالدعم البحرى لمساندة الأيوبيين فى جهادهم الصليبيين[٤]، وكل ذلك يكشف لنا بجلاء كيف أن السلطان الأيوبى واجه منفرداً ذلك الهجوم الأوربى الكبير خلال أحداث ما عرف بالصليبية الثالثة .

١- مملوك معاصر لصلاح الدين وهو غير بهاء الدين قراقوش الذى أشرف على تشييد قلعة الجبل، عنه أنظر:

ابن شاهنشاه الأيوبى ، مضمار الحقائق ، ص٢٠٢- ص٢٠٤ .

المقريزى ، السلوك، ج١ / ق١ ، ص٤٥ ، حاشية (٥) .

كلود كاهن ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ص٣٥٢ ، حاشية (١٤) .

٢- عن ذلك انظر: الأصفهانى، البستان الجامع ، ص١٣٩- ص١٤٠ ، أبوشامة ، الروضتين ، ج١ / ق٢ ، ص٥٤٧ ، ابن واصل ، مفرج الكروب، ج١ ، ص٢٣٥ ، الذهبى ، دول الإسلام ، ج٢، ص٨١ ، المقريزى، المصدر السابق، ص٦٥- ص٦٦ .

وعن الأهمية التجارية لبرقة انظر :

ابن حوقل ، صورة الأرض، ص٦٩ ، صالح مفتاح ، برقة وطرابلس من الفتح العربى حتى إنتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ، ١٩٧٦م، ص١٨٦- ص١٧٩ ، إحسان عباس ونجم، ليبيا فى كتب الجغرافيا والرحالة ، ط. بنى غازى ١٩٦٨م، ص٢٠ .

٣- وعن تاريخ المسلمين فى جزر البليار انظر هذه الدراسة الوحيدة باللغة العربية.

عصام سالم سيسالم، جزر الإسلام المنسية، التاريخ الإسلامى لجزر البليار، ط. بيروت ١٩٨٤م، وعن بنى غانية وصراع الموحدين معهم انظر: ص٣١٨- ص٣٩٤ .

٤- عن العلاقات بين السلطان صلاح الدين الأيوبى والمنصور الموحدى بصفة عامة أنظر:

سعد زغلول عبد الحميد، والعلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف يعقوب المنصور يوسف بن عبد المؤمن

مهما يكن من أمر ، أجهد المسلمون وقائدهم الأيوبي خلال معركة حصار عكا ، ولسنا في حاجة إلى إيراد التفاصيل المسهبة التي وردت لدى بهاء الدين بن شداد في كتابه النوادر السلطانية ، وابن الأثير وكتابه الكامل، والعماد الأصفهاني في كتابه الفتح القسي ، والتي أوردها امبراوز والمؤرخ المجهول لرحلة حج ريتشارد ومن يطالعها يدرك بجلاء تام أنها كانت معركة كبرى امتدت على مدى زمني طويل بصورة غير مسبوقة في تاريخ الصراع الحربي بين المسلمين وأعدائهم الصليبيين، وأخيراً، بعد أن اجهدت الحامية، وقلت الأقوات وانتشرت الأمراض لم يكن من الممكن الإستمرار في المقاومة ، واستسلمت عكا للصليبيين في ١٢ يوليو ١١٩١م .

وهكذا ، انتهت تلك المعركة التي دامت عامين إبتداً من ٢٥ أغسطس ١١٨٩م إلى ١٢ يوليو ١١٩١م، وبالتالي لم تمتد إلى ثلاث سنوات كما تصور خطأ المؤرخ

= الموحدي»، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية م (٦) ، (٧) عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣م، ص٨٤- ص١٠٠ ، فايزه كلاس، «العلاقات الأيوبية الموحدية أيام صلاح الدين»، دراسات تاريخية ، السنة (٢٥) ، العدد (٨٩) ، (٩٠) آذار - حزيران ٢٠٠٥م، ص١٠٥- ص١٤٨ ، إبتسام مرعى خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ٥٢٤- ٦٣٦هـ / ١١١٣-١٥٢٩م، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص١٤٧- ص١٦٥ .

ويقرر سهيل زكار وزميلاه أن الموحدين كان في مقدورهم تقديم يد العون وإعاقة الملاحة في مضيق مسينا أن لم تقل السيطرة عليه، وهو رأي فيه مبالغة ، انظر : سهيل زكار ووفاء جوني واكتمال اسماعيل ، حروب الفرنجة (الصليبية) ، ط. دمشق ٢٠٠٤-٢٠٠٥م، ص٣٢٣ .

وعن الموحدين بصفة عامة انظر:

حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص٢٠٣- ص٢٣٧ ، هشام أبو رميله، الموحدين وعلاقاتهم بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط. عمان ٢٠٠٤م، علي الصلابي، اعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين سقوط الأندلس الاسلامية ومحاكم التفتيش البربرية ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ابراهيم القادري بوتشيش ، تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة ، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص٨٧- ص١٢٢ ، وأود الاشادة بذلك المؤرخ المتمكن ، عصام عبد الرءوف ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص٢٦٤- ص٢٦٩ .

براور Prawer [١] ونفس الأمر تكرر لدى المؤرخ شاكر مصطفى[٢] .

ومن الممكن القول أن من أسباب نجاح الصليبيين فى إسقاط عكا إلى جانب الظروف السيئة التى صاحبت المسلمين، هناك الكثافة العددية للقوات الصليبية والإمكانات المادية الكبيرة التى توافرت خاصة مع مقدم الملك الإنجليزى.

على أية حال ، تم الاتفاق على الاستسلام وخروج الحامية المسلمة البطلة ، غير أنه على أثر حدوث خلافات بين المسلمين والصليبيين قام الملك ريتشارد قلب الأسد بإرتكاب مذبحة مروعة فتك فيها بنحو ٢,٧٠٠[٣] من أفراد الحامية المسلمة فى وضح النهار وفى منطقة

١- Prawer, The latin Kingdom of Jerusalem , p. 29 .

وعن التحديد الزمنى الدقيق انظر:

جلال حسنى سلامه، عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة ، ط. نابلس ١٩٩٨م، ص٨٤ .

٢- صلاح الدين ، ص٢٩٨ ، ويلاحظ أنه يعود فى ص٣٠١ ليقرر أن الحصار إستمر عامين أوقعه فى تناقض والصواب ما أثبته فى المتن .

٣- عن تلك المذبحة انظر:

Jacques de vitry , History of Jerusalem , p. 113 .

Roger of Wondover , Flowers of History , Trans. by Gilles , vol . II, London 1849 , p. 105 .

Treece , The Crusades, U.S.A. 1964 , p. 130 .

ابن الأثير، الكامل ، ط. بيروت ١٩٧٩م، ج١٢، ص٦٧ ، العماد الأصفهانى ، الفتح القسى، تحقيق محمد صبيح ، ص٥٧٨ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك، م٤ / ج١ ، تحقيق حسن الشماع، ط. بغداد ١٩٦٩م، ص٢٧ ، أحمد عبد الجواد الدومى، صلاح الدين الناصر لدين الله، ط. صيدا ب-ت ، ص١٢٤ ، جنيفاى شوفيل ، صلاح الدين بطل الإسلام، ت. جورج أبى صالح. ط. بيروت ١٩٩٢م، ص٢٠٣ ، وفاء محمد على، دراسات فى تاريخ الدولة الأيوبية ، ط. القاهرة ١٤١٠هـ، ص٧٢ ، قدرى قلعجى ، صلاح الدين الأيوبى ، قصة الصراع بين الشرق والغرب فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، ط. بيروت ١٩٧٩م، ص٣٩٥ ، حمدى عبد المنعم حسين، دراسات فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط. الاسكندرية، ١٩٩٨م، ص٨٨ وقد مر الرحالة السائح الهروى بتلك المنطقة بعد تلك الأحداث انظر:

الهروى، الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق دومنيك، سورديل ، ط. دمشق ١٩٥٣م، ص٢٣ .

الحنبلى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان أبوتبانه، ط. الخليل ١٩٩٩م، ج١ ، ص٥٢٤ .

سعود أبو محفوظ ، منهجية صلاح الدين فى تحرر القدس وإنقاذ الأقصى، ط. عمان، ٢٠٠٤م، ص٨٦ .

خارج عكا عرفت باسم تل العياضية، وبذلك كشف عن الطابع الدموى فى شخصيته، ونحن نعرف أن تاريخه مع المذابح قديم، فعقب توليه العرش فى بلاده أرتكب مذبحة ضد اليهود[١]، وها هو الآن يرتكب أخرى على أرض بلاد الشام، وعكس ذلك مـا اتصف به من دموية ورعونة[٢]، ومن الملفت للإنتباه ، أن المؤرخين الأوربيين الذين راعهم قيام صلاح الدين الأيوبى بالفتك بعدة بفرسان الإسبتارية والداوية عقب معركة حطين الحاسمة فى ٤ يوليو ١١٨٧م ؛ نجد منهم من لم يأخذ على ريتشارد قلب الأسد قيامه بتلك المذبحة المروعة ، بل أن المؤرخ الأمريكى الشهير ول ديورانت Well Durant فى كتابه قصة الحضارة The Story of Civil-ization قرر أن الملك المذكور قام بعمل لايتفق مع شخصيته النبيلة الرومانسية[٣] لإعتقاده أن ذلك تأتى له لأن أمه هى اليانور Eleanor ذات الميول الرومانسية الحالمة . وذلك يعكس بجلاء ازدواجية المعايير لدى العقل الغربى عمومًا عندما يتصل الأمر بالإسلام وأهله ولاشك فى أن رؤيته توصف بالانحياز وعدم الموضوعية .

وأود الإقرار هنا بأنه لاصليبيات دون سفك دماء، فالحركة الصليبية منذ بواكيرها الأولى، وهى على الأرض الأوربية ذاتها قامت بمذابح ضد اليهود فى حوض نهر الراين بألمانيا عام ١٠٩٩م[٤]، واستمرت المذابح ضد المسلمين فى بلاد الشام خاصة خلال المرحلة الأولى من

١- زنيب عبد القوى، اليهود فى انجلترا العصور الوسطى ١٠٦٦- ١٢٩٠م، ص٥٩- ص٦٠ .

٢- وعلى الرغم من ذلك لايمكن قبول الرواية التى أوردها سهيل زكار وزميلتاه عنها «لم يكتف ريتشارد بذلك ، وإنما أقدم على أكل لحوم القتلى منهم وذلك بعد طهيها وأصدر أوامره لجنده بفعل ذلك ».

وهى رؤية غير منطقية لأنه فى حالة حدوثها أصلاً لذكرتها المصادر التاريخية المعاصرة الإسلامية مثل ما ألفه ابن شداد، والعماد الأصفهانى وابن الأثير وهو أمر لم يحدث انظر :

سهيل زكار ووفاء جونى وإكتمال اسماعيل، حروب الفرنجة (الصليبية)، ص٣٢٥ .

٣- «الحروب الصليبية»، ضمن موسوعة قصة الحضارة، ج/٤ ق٤ ، ت. محمد بدران، ط. القاهرة ١٩٧٦م، ص٤١ .

وكرر نفس الأمر موريس بيشوب حيث قال ما نصه : «كان ريتشارد بطلاً رومانسيًا »، انظر: موريس بيشوب أوروبا فى العصور الوسطى ، ت. على السيد على، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص٦٨ وهو أمر مغلوط تمامًا ولايعتمد على أساس تاريخى واقعى . ويدعو إلى السخرية !.

٤- عن ذلك بالتفصيل انظر:

تاريخ وجود الغزاة فى المنطقة ولنا فى مذبحة بيت المقدس ١٠٩٩م- السالفة الذكر - خير دليل وبرهان وضّاح ، وبصفة عامة ؛ فإن المؤرخ المنصف - أيًا كانت توجهاته الدينية والسياسية- ليس أمامه إلا أن يشعر بالاشمئزاز من سلوك ذلك الملك الإنجليزى الدموى الذى دخل التاريخ على جماجم شهداء تل العياضية الذين تطلعوا بشوق عارم إلى السلام بعد عامين من الحصار المرير فإذا بالقتل يصبهم على أيدى أعدائهم فدخلوا التاريخ من بوابة الأبطال دون أية شيفونية ممجوجة ، والأمر المؤكد أنه عجز عن أن يغفر ويتسامح ووقع فريسة رغبة جامحة للثأر والانتقام من أناس عزل من السلاح وبعبارة أخرى لم يستطع الوصول إلي أخلاقيات صلاح الدين الأيوبى .

جدير بالذكر ، نتج عن سقوط عكا فى قبضة الغزاه عدة نتائج بالنسبة للطرفين، فقد تمكن الصليبيون من تحقيق أول إنتصار بارز لهم منذ أن حلت كارثة حطين بهم، وأثبتوا بذلك للمسلمين وقائدهم التاريخىّ صلاح الدين الأيوبى أن بإمكانهم تحجيم إنتصارهم فى المعركة

= The Chronicle of Solomon bar Simson, Trans. and ed. by Eidelberg, Jews and the Crusaders, Wisconson 1977 , The Narrative of the Old Persecution , in Eidelbery, Jews and The Crusaders, Wisconson 1977 , The Chronicle of Rabbi Eliezer bar Nathan , in Eidelberg, Jews and the Crusaders, Wisconson 1977 , Neubauer, " Le Memorbuch de Mayence ", R.E.J., T. IV , Année1882, pp. 1-30 , Goitein , " Geniza Sources for the Crusades: A Survey ", in Smail, Kedar and Mayer (eds.), Outremer Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem, Presented to Joshua Prawer, Jerusalem 1982, p. 208 .

قاسم عبده قاسم ، «الإضطهادات الصليبية ليهود أوربا من خلال حولية يهودية الظاهرة ومغزاها »، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد، م (١) ط. القاهرة ١٩٨٢م، ص١٣٧- ص١٦٦ .

محمد مؤنس عوض ، «الإضطهادات الصليبية لليهود فى حوض الراين بألمانيا عام ١٠٩٦م / ٤٩٠هـ من خلال حولية الربى اليعازر بازلاتان، ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية بحوث ودراسات ، ط. القاهرة ٢٠٠٥م، ص٧- ص٥٢ .

المذكورة ، وهكذا إرتفعت روحهم المعنوية إلى حد كبير ، وصار الأمل الوثاب يحدوهم نحو تحقيق المزيد من الإنتصارات وإعادة عقارب الساعة إلى الوراء أى إلى ما قبل يوم ٤ يوليو ١١٨٧م، كذلك تألق نجم الملك الإنجليزى سالف الذكر حيث ظهر بمظهر «البطل الصليبى» الذى حقق لبلاده نصراً بارزاً فيما وراء البحر المتوسط، أما بالنسبة لصلاح الدين الأيوبى فلاريب فى أن إفتقاد عكا شكل كارثة حقيقية وبدد جهود عامين كاملين من الجهد والمال والوقت، وقد حرم المسلمون من المزايا الاستراتيجية والاقتصادية التى كان من الممكن أن تتوافر للمسلمين فى حالة الاستمرار فى الإحتفاظ بعكا فى قبضتهم.

والأمر المؤكد، أن السلطان الأيوبى من بعد أحداث عكا المأساوية إتجه إلى تدعيم الدفاع عن مدينة بيت المقدس نظراً لإدراكه العميق أن الهدف التالى لأعدائه هو تلك المدينة المقدسة، ومن المهم ملاحظة أن الحدث البارز من بعد ذلك يتمثل فى معركة أرسوف[1] التى وقعت وقائعها فى ٧ سبتمبر ١١٩١م.

والواقع أن الصليبيين من بعد فراغهم من أمر عكا؛ برزوا فى يوم ٢٢ أغسطس ١١٩١م واتجهوا صوب حيفا Haifa ، واتجه الجيش الأيوبى إلى مضايقتهم فى سيرهم ومناوشتهم واتجه الجيش الأيوبى إلى مضايقتهم فى سيدهم، ومناوشتهم وتمت مهاجمتهم بالسهام على

١- أرسوف ، وقعت على بعد ١٠ أميال إلى الشمال من يافا، وبينها وبين قيسارية ١٨ ميلاً وبينها وبين الرملة ١٢ ميلاً عنها أنظر: المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، تحقيق دى جويه ط. ليدن ١٩٠٩م، ص٥٤ ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، تحقيق رينو دى سلان ، ط. باريس، ١٨٤٠م، ص٢٣٨- ص٢٣٩ ، شافع بن على، حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ، تحقيق عبد العزيز الخويطر، ط. الرياض ١٩٧٦م، ص٨٩- ص٩٠ .

Jacques de Verone , Le Pelerinage du Moine Augustin Jacques de Verone, ed . par Rohricht, R.O.L., T. III, Année 1895, p. 180 .

صابر دياب، سياسة الدولة الإسلامية فى حوض البحر المتوسط ط. القاهرة ١٩٧١م، ص٢٩١- ص٢٩٢، عبد الهادى شعيرة ، الرملة ورباطاتها السبعة ، المجلة التاريخية المصرية م (١٥) عام ١٩٦٩م، ص٤٣ ، عبد الحفيظ محمد على، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين فى الشرق الأدنى فى القرنين ١٢ ، ١٣م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م، ص٢١ .

نحو وصف بأنه «ما كان يحجب الشمس»[١] وقد قتلوا من أعدائهم عدداً كبيراً ، وقد أرادوا أن يؤثر ذلك على الإنضباط العسكرى الذى عرف لدى الصليبيين باسم Disciplina Militaris[٢]، كذلك لانغفل ، أن المسلمين أرادوا الثأر لإخوانهم شهداء تل العياضية من قاتليهم من الصليبيين.

ومن الملاحظ أنه خلال عملية الزحف الصليبى بمحاذاة البحر، أظهر الغزاة جلداً كبيراً عرف عنهم من قبل، كذلك إمتازوا بتنظيم العمل ، فكان جيشهم يتبادل الراحة حتى لايرهق ، فهناك قسم يشارك فى الصدام مع المسلمين ، والقسم الآخر يستريح فلا يقاتل ، فإذا لحق الإرهاق القسم الأول؛ تولى الثانى الأمر بدلاً منه ليستريح القسم المجهد، بينما كانت عناصر الخيالة فى الوسط لاتخرج إلا عندما تحمل على المسلمين فقط[٣].

والجدير بالذكر هنا، أن ما حدث من صدام بين الجانبين فى الطريق إلى أرسوف يمكن وصفه بالقتال أثناء الزحف ، وذلك من خلال هجمات خاطفة للجيش الأيوبى، وقد بذل الصليبيون للتصدى لذلك جهداً كبيراً من أجل الانضباط والبقاء فى صورة طابور متراص[٤]، ومع ذلك فقد تم إيقاع الخسائر فى صفوف الصليبيين وكذلك خيولهم[٥]، بالإضافة إلى أن السهام ذاتها

١- ابن الأثير، الكامل، ط. بيروت ١٩٦٧م ، ج٩، ص٢١٥ ، ويلاحظ أن المؤرخ الصليبى جوفرى أوف فينزوف قرر أن الأتراك (ويعنى بهم المسلمين) رموا السهام على الجنود الصليبيين كالمطر أو البرد المتساقط من السماء، ويقول ما معناه يا لعدد الخيول التى تساقطت ! ، ويا لأولئك الرجال الذين سقطوا من جراء جراحهم ! عن ذلك انظر:

Geoffrey of Vinsauf, Crusade of Richard Coeur de Lion , in Chronicles of the Crusades, London 1908 , p. 232 .

وعن معركة أرسوف بصفة عامة أنظر:

Chronicle of the Third Crusade, A Translation of The Itnerarium Peregrinorum et Gesta Regis Ricardi, Trans. by Helen Nicholson , London 1997 , pp. 246- 261 .

٢- محمد مؤنس عوض ، فى الصراع الإسلامى- الصليبى معركة أرسوف ١١٩١م / ٥٨٧هـ ، ط. القاهرة ١٩٩٧م، ص١٠ .

٣- ابن واصل ، مفرج الكروب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ج٢، ص٣٦٥- ص٣٦٦ .

٤- Smail , Crusading Warefare (1097-1193), Cambridge 1956 , P. 156 .

٥- Ibid, 231 .

كان من شأنها فرض التوتر العصبى الشديد على الجنود الذين تعرضوا لها [١]، كذلك نجد أن المسلمين عملوا على تخطف الصليبيين وقتلهم [٢]، وقد وضح ذلك الأسلوب على نحو خاص خلال الزحف من قيسارية إلى أرسوف ذاتها ، ويلاحظ أن ذلك الأسلوب القتالى إستمر حتى قرية عرفت بدير الراهب حيث جرت هناك مفاوضات بين المسلمين والصليبيين وذلك فى يوم ٥ سبتمبر ١١٩١م؛ أى قبل خوض غمار معركة أرسوف بيومين فقط، وقد أخفقت المفاوضات نتيجة البَوْن الشاسع بين الجانبين ورفض المسلمين طلب الصليبيين العودة إلى حدود ما قبل ٤ يوليو ١١٨٧م، وأمام فشل الجهود الدبلوماسية حينذاك، لم يكن هناك من مفر من المواجهة الحربية وهو ما حدث فى المعركة المذكورة .

ويمكن تقسيم معركة أرسوف إلى ثلاث مراحل الأولى بادر خلالها الجيش الأيوبى وعلى رأسه صلاح الدين الأيوبى بالهجوم رتم تحقيق خسائر متعددة لدى الصليبيين ، أما المرحلة الثانية فقد تحول فيها الصليبيون من الدفاع إلى الهجوم المفاجئ العنيف وقد قاده إثنان من عناصر الاسبتارية Hospitallers هما المارشال وليم بوريل William Borrel وكذلك فارس فلمنكى أونورمانى هو بلدوين لى كارون Baldwin de Caron ، وضاحا صيحة واحدة تتعلق بالقديس جورج St. George وردد الباقون الصيحة ذاتها ، واشتبكوا مع المسلمين [٣]،

-١ Geoffrey of Vinsauf, p. 231 .

وفى هذا الصدد نجد أن هناك نوعًا من السهام كثيراً ما ترد ذكره فى المصادر خاصة التى تعود إلى العصر الأيوبى ، وهو الزنبورك وهو سهم فى سمك الابهام ، وطوله مقدار ذراع وله أربعة أوجه، وله طرف من الحديد، وهو أيضاً ذو ريش من أجل أن يكون أكثر ثباتًا عند الانطلاق ووصف بأنه أينما سقط أصابته كانت مؤكدة ، ويقال أنه اخترق درع الجندى وملابسه، وبإمكانه كذلك إصابة أحجار الأسوار ، والجدير بالإشارة إلى أنه سمى بذلك الاسم لأنه يشبه فى صوت إنطلاقة صوت حشرة الزنبور ، عنه أنظر :

الطرسوس ، تذكرة أرباب الألباب ، تحقيق كاهن . B.E.O., T.XII Années 1947-1948 ، ص١٥٣- ص١٥٤، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٢٢٤ ، حاشية (٤) .

٢- ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٢١٥ .

-٣ Geoffrey of Vinsauf, p. 228-229 .

والقديس جورج St. George هو جورج الشهيد عاش ما بين القرنين ٣ ، ٤ م ، واعتبر القديس الحامى Patron Saint لانجلترا ، ويعد أحد أكبر الشهداء المسيحيين شهرة فى عهد المسيحية المبكر ، ومن المحتمل

وعندما لاحظ ريتشارد قلب الأسد أن زمام المعركة بدأ يفلت من يده أصدر أوامره الفورية بالاصطدام مع المسلمين[١]، ويقدم لنا شاهد عيان معاصر فى صورة بهاء الدين بن شداد نصاً قوى الدلالة لما حدث حيث ذكر ما نصه : « لقد رأيتهم وقد اجتمعوا فى وسط الرجالة، وأخذوا رماحهم وصاحوا صيحة الرجل الواحد، وخرج لهم رجالهم ، وحملوا حملة واحدة من الجوانب كلها ، فحملت طائفة على الميمنة ، وطائفة على الميسرة ، وطائفة على القلب فأندفع الناس بين أيديهم »[٢]، ولاريب أن تلك الكلمات تختزل موقفاً حربياً قاسياً مر على صلاح الدين الأيوبى وجيشه .

ويمكن القول بالتالى أن الصليبيين قد تحولوا من الدفاع المنظم إلى الهجوم المفاجئ العنيف[٣] على نحو أربك الجيش الأيوبى وبصورة أدت إلى تفرق عناصره حتى ليقال أن صلاح الدين الأيوبى لم يبق معه فى طلبه سوى سبعة عشر رجلاً فقط من رجاله [٤]، وهكذا

= أنه قتل فى اللد Lydda فى أخريات القرن ٣م ، وبدايات القرن ٤م ، ويرى البعض أن الملك ادوارد الثانى جعل ذلك القديس حامياً لإنجلترا ، ومنذ عام ١٤١٥م صار يوم الاحتفال به من أكثر الأيام المحتفل بها أهمية من جانب الانجليز ، ويلاحظ أن يوم ٢٣ أبريل هو يوم الاحتفال بذكراه ، عنه أنظر:

Attwater , The Penguin dictionary of Saints , p. 148 .

Ency. Brit. St. George, vol . V , London 1958, p. 198 .

Ency , Amer., St. George, vol . XII, U.S.A. 1980, p. 508 Chamb. Ency , St. George, vol . VI , London 1973, p. 238 .

صباح محمود محمد ، «التنين فى المصادر العربية»، ضمن كتاب دراسات فى التراث الجغرافى العربى ، ط. بغداد ، ١٩٨١م، ص٩٠ .

١- Ambroise, p. 260 .

٢- النوادر السلطانية، ص١٨٣، نبيلة مقامى، فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص٦٣ .

٣- عبد الرحمن زكى، الجيش المصرى فى العصر الإسلامى من الفتح العربى إلى معركة المنصورة ، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ص١٤٨ .

٤- ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٦٨ ، والطلب جمعه أطلاب وهو لفظ كردى يعنى الأمير الذى يقود مائتى فارس ويطلق أيضاً على قائد المائة وكذلك على قائد السبعين ، وكان أول استعماله فى عهد صلاح الدين الأيوبى، عن الاصطلاح المذكور انظر: ابن شداد ، المصدر السابق ، ص٦٢، حاشية (٣) ، أيضاً: نظير حسان سعداوى ، جيش مصر فى أيام صلاح الدين، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ص٩ ، حاشية (٢) .

يصدق قول أحد المؤرخين عندما قرر عن المعركة المذكورة أنه قد نال المسلمون وهن شديد فيها[١].

وأمام تلك الملابسات ، والظروف العصيبة ، لجأ المسلمون إلى الإحتماء بغابة أرسوف التى عرفت بالأشجار الكثيفة [٢]، وتوافرت هناك فوق عدد من التلال [٣]، ومع ذلك فإن صلاح الدين الأيوبى الذى وجد جيشه فى هذه الحالة من التفرق والتبعثر ثبت فى ميدان المعركة وعمل على تجميع أمرائه وقواته مرة أخرى من أجل شن هجوم آخر ضد الصليبيين وأتجه إلى ذلك من خلال الأمر بدق طبول الحرب وإثارة الحماس فى صفوفهم ؛ من إجل إعادتهم إلى التماسك من جديد [٤].

واقع الأمر ، أن ذلك الموقف العصيب والمفاجئ يمكن أن نتخذه مثالاً للتأكد تاريخيًا وعمليًا من صفات ذلك القائد ، والأمر المؤكد إتصافه بالشجاعة النادرة ، والقدرة على التحدى، مما عكس الارادة الصلبة وذلك دون أية شبهة للدعاية أو المزايدة وتصدق عليه عبارات المديح التى ذكرها من قبل المؤرخ الصليبى البارز وليم الصورى William of Tyre ومن المفترض أن المواقف التاريخية المفاجئة أقدر من غيرها على الكشف عن مفاتيح الشخصية التى يتم دراستها .

على أية حال ، فإن تلك المحاولة باءت بالفشل ولم يكن من الممكن تجميع القوات الأيوبية، وتأكد لنا أن المسلمين خسروا المعركة ولحقت بهم الهزيمة، ويلاحظ أن الصليبيين تخوفوا من دخول المسلمين لغابة أرسوف وظنوا أن ذلك بمثابة كمين مدبر فلم يتتبعوا تلك القوات، ويقرر

١- ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج٧، ص١٩٧ .

٢- ابن الأثير ، الكامل، ج٩، ص٢١٥ ، فايد حماد عاشور، الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين فى العصر الأيوبى، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص٢٢٤ ، بسام العسلى، فن الحرب الإسلامى أيام الحروب الصليبية ، ط. بيروت ١٩٩٨م، ص١٦٤ .

٣- جنيڤاف شوڤيل ، صلاح الدين بطل الإسلام، ص٤٠١ .

٤- عن دوره خلال تلك الظروف العصيبة أنظر: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص١٨٤ ، ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٦٨، المقريزى، السلوك، ج١/ ق١، ص١٠٥ .

المؤرخ العراقي ابن الأثير أن الصليبيين لو أدركوا أنها الهزيمة ولاحقوهم لشاع أمرها[١]، ومن الواضح أن ذلك المؤرخ لم يتمكن من التخلص من عقدة إرتباطاته الزنكية، وكان يترصد للسلطان الأيوبي أية ثغرات كي ينال منه، ويبدو أنه لم يتمكن من أن يكون موضوعيًا في عدة نقاط خاصة بذلك القائد التاريخي والأمر المؤكد أن إشارات بهاء الدين بن شداد عن معركة أرسوف أثرى من تلك التي وردت لدى ابن الأثير، خاصة أنها شهادة شاهد عيان، وقدم كافة الملابسات الموضوعية الخاصة بالواقعة المذكورة .

ومن الجوانب المهمة، التعرض لرؤية المؤرخين الأوربيين لتلك المعركة وكيف أنهم عالجوها خدمة لمصالحهم وأهدافهم الوطنية الخاصة، وقد قرر المؤرخ البريطاني تشارلز أومان Charles Oman أن معركة أرسوف تعد حاسمة وأعطت للصليبيين كل الأراضي الساحلية الواقعة جنوبي فلسطين[٢]، غير أن ذلك التصور لاتؤيده منطقية الأحداث التاريخية ذاتها، إذ أن الجيش الأيوبي بعد أحداثها ظل يحتفظ بفاعلياته الحربية ، وقدراته على الأخذ بزمام المبادرة[٣]، بالإضافة إلى أن منطقة أرسوف ذاتها حيث البحر المتوسط ، والوادي والغابات لاتسمح أصلاً بحدوث معركة حاسمة تحقق مكاسب عسكرية كبيرة لأحد طرفي الصراع ضد الطرف الآخر[٤]، وفي حالة كون أرسوف - جدلاً - في منطقة متسعة لايحدها البحر من الغرب ، والغابات من الشرق ، لكان من الممكن إفتراض توافر الصفة السابقة لتلك المعركة وهو ما لم يحدث أصلاً .

ومن زاوية أخرى، فإن القول بأن معركة أرسوف جعلت الصليبيين يسيطرون على كافة الأراضي الساحلية جنوبي فلسطين ، توجه يحوي مغالطة ؛ لأنه يعكس أنهم تمكنوا بإمكاناتهم الحربية من تحقيق ذلك، بينما إتجه الجيش الأيوبي نفسه إلى التخلي عن بعض مواقعه من خلال استراتيجية دفاعية متميزة ، وخير مثال دال على ذلك ما حدث في أمر عسقلان وهو أمر ستوضحه فيما بعد .

١- الكامل، ج٩ ، ص٢١٥

وعلى الرغم من هزيمة المسلمين فيها إلا أن هناك من تصور أنهم انتصروا عن ذلك انظر: شفيق جاسر، القدس تحت الحكم الصليبي ودور صلاح الدين في تحريرها ، ط. عمان ١٩٨٩م، ص٧١ .

٢- A History of art of War in the Middle Ages , vol . II, London 1924 , p. 315 .

٣- Gibb, The Life of Saladin, Oxford 1973 , p. 71 .

٤- أدين بهذه الفكرة لصاحبها أ.د. أحمد رمضان بوصفه خبيراً عسكرياً .

وهكذا، يتضح لنا أن من المؤرخين البريطانيين من حرص على القول بأن تلك المعركة كانت حاسمة من أجل أن يتم إيجاد معركة توازى معركة حطين، ويقودها ملك إنجليزى على شاكلة ريتشارد قلب الأسد، والدليل على أنها لم تكن حاسمة ولاتقف نداً لمعركة حطين، أنها لم تغير الخريطة الجغرافية السياسية للمنطقة ، فلم يتمكن الصليبيون من بعدها من إنتزاع بيت المقدس من أيدى المسلمين .

أما نتائج المعركة، فمن الملاحظ أنها كانت قاسية على صلاح الدين الأيوبى شخصيًا ، ففى إشارة قوية الدلالة من جانب مؤلف النوادر السلطانية، أوضح أنه كان فى قلب السلطان من تلك الواقعة مالايعلمه إلا الله تعالى، والناس بين جريح النفس وجريح البدن [١]، مما عكس الأثر السئ الذى أحدثته المعركة على القائد والجنود، ولانغفل أن ذلك القائد الذى انتصر فى حطين من قبل وحقق شهرة غير مسبوقة لم يكن من السهل عليه أن تلحقه الهزيمة على هذا النحو السريع والمفاجئ خاصة أنه حاول جاهداً تعديل نتيجتها دون جدوى .

ويقرر المؤرخ الألمانى هانز ماير Hans Mayer تعليقاً على تلك الأحداث ونتائج المعركة، أن أسطورة تفوق صلاح الدين قد إنهارت[٢]، وتصور السير ستيفن رنسيمان Sir Steven Runciman أنه تعرض لمهانة شخصية وإذلالاً بين الناس[٣]، وفى تصورى أن كلاً من المؤرخين المذكورين- على الرغم من علو مكانتهما فى الكتابة عن تاريخ الحروب الصليبية، جانبهما الصواب ؛ إذ أن الهزيمة في تلك المعركة الثانوية المحدودة النتائج والغير حاسمة باعتراف المؤرخ البريطانى هاملتون جب Hamilton Gibb [٤] نفسه، لم تنل من مكانه بطل حطين وقائد فتح بيت المقدس وفتح الساحل الشامى وإسقاط القلاع الصليبية، ولم يكن من الممكن تصور أن تلك المعركة أنست المسلمين النجاحات البارزة التى تحققت منذ ثلاث سنوات فقط من خلال فعاليات الجيش الأيوبى الباسل وبقيادة ذلك القائد التاريخى، خاصة أنه لم يبرز أى قائد آخر كمنافس يديل عنه طوال مدة حياته السابقة وكذلك اللاحقة .

١- ابن شداد ، النوادر السلطانية .

٢- The Crusades, Trans. by John Gillingham, Oxford 1987 , p. 145 .

٣- The Crusades, vol . II, p. 57 .

٤- Gibb, The Life of Saladin, p. 71 .

ويرى المؤرخ الفرنسى البارز رينيه جروسيه Réne Grousset ضمن تقويمه لمعركة أرسوف أن تيار الحرب الدائرة بين المسلمين، والصليبيين ، والذى صار فى صالح المسلمين منذ سنة ١١٧٠م، بدأ يتحول بعد تلك المعركة ليكون فى جانب الصليبيين لمدة طويلة من الزمان تصل إلى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى وتحديداً عام ١٢٥٠م[١]، وهو عام سقوط الدولة الأيوبية ، ولسنا فى حاجة للرد طويلاً على ذلك المؤرخ الفرنسى الذى ألف كتابه الشهير عن تاريخ الحروب الصليبية في القرن التاسع عشر الميلادى، ويكفى أنها لم تحدث أثراً فى وقتها فكيف بها تحدث ذلك الأثر على المدى الزمنى الطويل الذى ذكره ؟!!

على أية حال فإن معركة أرسوف عدت آخر محاولة أيوبية من أجل تحطيم جيش ريتشارد قلب الأسد[٢] وحتى يتضح لنا صورة المشهد التاريخى ، من المقرر أن معركة أرسوف لايمكن أن تقارن البته بمعركة سابقة عليها بخمسة عشر عاماً بين الأتراك السلاجقة والبيزنطيين فى عهد الامبراطور مانويل كومنين Manuel Comnenus (١١٤٣-١١٨٠م) فمن خلال معركة مرياكيفالون[٣] Myriokephalon عام ١١٧٦م ؛ هزم جيش الإمبراطور المذكور هزيمة

١- Histoire des Croisades et de Royaume Franc de Jerusalem, T. III, Paris 1946, p. 71.

وأخذ بنفس الفكرة شاكر مصطفى ، صلاح الدين، ص٣١٣ .

٢- Painter, " The Third Crusade, : Richard The Lionhearted and Philip Augustus ", in Setton, A History of the Crusades, vol. II, Madison 1969, p. 75.

٣- عن معركة مرياكيفالون أنظر:

Nicetas Choniates, O'city of Byzantium, Annales of Nicetas Choniates, Trans by Harry Magoulias, Wayne State University, Detroit 1984, pp. 101-107.

على عوده الغامدى، «معركة مرياكيفالون ١١٧٦م»، مجلة كلية الشريعة- جامعة أم القرى، مكة المكرمة العدد الأول، عام ١٤٠٩هـ ، ص١٢٣- ص١٥٠ ، محمد عبد الشافى المغربى ، آسيا الصغرى فى العصور الوسطى دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى (القرن ١١-١٣م) ط. الاسكندرية ٢٠٠٣م، ص٢٢٠- ص٢٢١ ، على صالح المحيميد ، الدانشمنديون وجهادهم فى بلاد الأناضول ، ط. الاسكندرية ١٩٩٤م، ص٢٣٣ ، حاشية (١)، محمد نجيب زكى، علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية فى عصر أسرة كومنين ١٠٨١- ١١٨٥م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٨٨م،ص١٨٤

مروعة وتمكن هو شخصياً من النجاه بأعجوبة حتى أنها شبهت بمعركة مانزكرت التى جرت- كما أسلفت من قبل- عام ١١٧١م.

لقد أدت تلك المعركة إلى خسائر فادحة للجيش البيزنطى، وأنهت أى أمل بيزنطى فى إستعادة الأملاك التى تمكن السلاجقة من قبل من السيطرة عليها فى آسيا الصغرى Asia . Minor

إن مقارنة عابرة بين تلك المعركة التى جرت على أرض آسيا الصغرى وتحديداً فى منطقة فـريجـيـا Phrygia ، وأرسوف على الساحل الفلسطينى تؤكد أن المعركة الأخيـرة لم تكن حاسمة، لأنها لم ينجم عنها نتائج على عكس ما حدث للامبراطورية البيزنطية حينذاك.

تجدر الإشارة إلى أنه فى أعقاب معركة أرسوف إتجه السلطان الأيوبى إلى إتباع سياسة دفاعية أكبر من ذى قبل ، بل سار نحو تنفيذ سياسة الأرض المحروقة حتى يحرم الغزاة من إكتساب موانع جديدة تقوى شوكتهم ، وهكذا صدر قراره بتدمير عسقلان[1] وذلك بعـد

= محمد مؤنس عوض ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص٣٢٦- ص٣٢٧ ، شارلز أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ت. مصطفى طه بدر، ط. القاهرة ١٩٥٣م، ص٢١١ زبيدة عطا، بلاد الترك فى العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص١٠٠- ص١٠١ .

Treadgold , A History of the Byzantine State and Society , California 1997, p. 649 .

Diehl , History of the Byzantine Empire, Trans. by George B.E Ives , Princeton 1925, p. 119 .

Hussey , The Byzantine World , New Yok 1961, p. 66 .

هولت ، عصر الحروب الصليبية ، تاريخ الشرق الأدنى من القرن الحادى عشر حتى عام ١٥١٧ م، ت. عادل اسماعيل هلال، ط. دمنهور ٢٠٠١م، ص١٢٣ .

١- عن تدمير عسقلان أنظر:

Geodffrey of Vinsauf, p. 231 .

ابن شداد، النوادر السلطانية ، ص١٨٧، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج١، ص١٩٨، ابن واصل، مفرج الكروب ، ج٢، ص٣٦٩- ص٣٧٠ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص٤٦- ص٤٧ ، السيد الباز العرينى، الشرق الأوسط فى العصور الوسطى. ط. بيروت ١٩٦٧م، ص١٠١ ، محمود إبراهيم «عوامل النجاح فى سيرة صلاح الدين الأيوبى» ، ضمن كتاب بحوث ودراسات مهداة إلى عبد العزيز الدورى، ط. عمان ١٩٩٥م، ص٢٧٥ ، مصطفى الحيارى، «القدس تحت حكم الصليبيين ١٠٩٩-١١٨٧» ضمن كتاب القدس فى التاريخ ، منشورات الجامعة الأردنية ٢ / ٩٢ ، عمادة البحث العلمى، ط. عمان ١٩٩٢م، ص١٩٠، محمد فريد أبوحديد، صلاح الدين الأيوبى البطل الذى انتصر على الغرب، ط. القاهرة ١٩٥٨م، ص١٩٢ .

إخلائها من سكانها وكانت لحظات مؤثرة عندما أقدم على إحراق تلك المدينة التى وصفت بأنها عروس الشام - وهو وصف أطلق أيضًا على دمشق- وكانت الحسرة والألم تفترسان قلبه وهو يرى تلك المدينة وقد تم تهجير أهلها قسريًا وبيعت ممتلكاتهم بثمن بخس وتركت كى تحترق بألسنة اللهب ، وقد تردد قوله أنه يفضل أن يفتقد أحد أبنائه ولا أن يرى عسقلان تحترق !! . ويلاحظ أن ذلك الاحتراق تم فى ١٢ سبتمبر ١١٩١م أى بعد خمسة أيام فقط من معركة أرسوف مما يؤكد أن ذلك جاء نتاجًا مباشرًا لأحداثها حتى يحرم عدوه من تحقيق أية مكاسب على الأرض، وهكذا، فبإحراق عسقلان صار انتصار أرسوف إنتصاراً أعرج لافائدة منه.

وأتصور أن قرار إحراق عسقلان وتدميرها كان من أصوب القرارات الحربية التى اتخذها صلاح الدين الأيوبى على الرغم من أن ذلك لم يكن إلا قراراً مريراً على المستوى النفسى، إذ فى حالة نجاح ريتشارد قلب الأسد فى دخول عسقلان عقب إنتصار أرسوف ، فعندئذ تأكد للباحثين أنها بالفعل معركة فعالة ومؤثرة لكن عندما قدم ريتشارد لها ووجدها أطلالاً تنعى أصحابها ، أيقن أن غريمه الأيوبى حرمه من هدف كانت نفسه تشتاق إليه كى ينطلق إلى هدفه الأكبر فى صورة بيت المقدس.

ويكشف لنا ذلك الأمر عن تعدد أساليب المواجهات العسكرية بين الأيوبيين والصليبيين حينذاك ، فهناك المعارك المفتوحة كما فى أرسوف ، وعمليات الحصار، وأيضًا إحراق المدن كأسلوب دفاعى عندما تتزايد حدة المواجهة الحربية.

من ناحية أخرى، اتجه صلاح الدين إلى تدعيم، دفاعات بيت المقدس[١] وحفر عدداً من الخنادق ، وحمل هو شخصيًا الحجارة على كتفه وكذلك فعل أولاده والفقهاء والعلماء [٢]. وعكس ذلك كله أنه لم ينفصل عن الناس ولم يترفع عليهم ، والتعليل المنطقى وراء ذلك كله،

١- ابن واصل، مفرج الكروب ، ج٢ ، ص٣٧٠ ، أحمد عبد الجواد الدومى، صلاح الدين الأيوبى الناصر لدين الله، ص١٢٦ .

٢- ابن واصل ، المصدر السابق، ج٢، ص٣٧٥ ، شاهنشاه بن أيوب ، كتاب التاريخ منتخبات منه منشورة فى ختام كتاب النوادر السلطانية لابن شداد . ط. بيروت ب-ت ، ص٣٠٠، محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص٢٤٥ .

أنه بالفعل عشق الجهاد وقدم الدليل على عدم وجود عائق بينه وبين جنوده وكان لذلك أكبر الأثر فى أن شعروا أنهم وقائدهم فى خندق واحد، مما دعم مكانة بيت المقدس فى نفوسهم خاصة أنها لم تكن مجرد مدينة مثل أية مدينة أخرى، كما توهم البعض، بل كانت المدينة إتصلت بها قضية الجهاد ضد الصليبيين ولذلك كان الصراع بشأنها يمثل تلك الشراسة حينذاك. ومن المتصور أن تلك المدينة هى التى أعطت لصلاح الدين- بجدارة- مكانته البارزة فى التاريخ .

مهما يكن من أمر، فالملاحظ أنه خلال تلك المرحلة من أحداث الصليبية الثالثة، حدثت عملية إغتيال لأحد قادة الصليبيين هو كونراد دى مونتفرت عندما إغتالته خناجر الحشاشين فى ٢٨ أبريل عـــام ١١٩٢م [١]، وقد اتهم بن الأثير صلاح الدين الأيوبى بأنه من وراء ذلك[٢]، وهو إتهام لايقف على قدميه، خاصة أنه كان من مصلحة ذلك القائد السياسية وجود

١- عن اغتيال كونراد دى مونتفرت أنظر:

Ambroise, The Crusade of Richard, p. 334-335, Eracler, p. 191.

Geoffrey of Vinsauf, p. 276.

Roger of Wondover, Flowers of History, London 1849, p. 182.

العماد الأصفهانى ، الفتح القسى، ص٥٨٩ ، ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٢٠٨ ، ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٨١- ص٣٨٢ .

Gabrieli, Arab Historians of the Crusades, pp. 238-240.

Hodgson, The Order of Assassins, London 1959, p. 189.

أسامة زكى زيد ، الصليبيون واسماعيلية الشام فى عصر الحروب الصليبية ، القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى، ط. الاسكندرية ١٩٨٠م، ص٢٢٧- ص٢٣٤ .

فرهاد دفترى، خرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيلية ، ت. سيف الدين القصير، ط. بيروت ١٩٩٦م، ص١١٨ ، إبراهيم سعيد فهمى، جى دى لوزينيان وصلاح الدين، ص٣٧٧ .

٢- الكامل، ج١٢، ص٢٧ .

وقد تصور وليد نويهض أن صلاح الدين الأيوبى استعان بالحشاشين لقتل قيادات صليبية كما فى حالة كونراد دى مونتفرت ، انظر رأيه .

وليد نويهض، صلاح الدين الأيوبى سقوط القدس وتحريرها قراءة معاصرة، ط. بيروت ١٩٩٧م،ص١٢٣ .

تلك القيادة السياسية الصليبية تعميقًا للصراع مع هنرى دى شامبنى حيث تنافسا على منصب ملك بيت المقدس- مع ملاحظة أن المملكة إنتقلت من الآن فصاعداً بصورة فعلية إلى عكا- والمرجح أن ريتشارد قلب الأسد كان المحرك الفعلى لعملية الاغتيال حيث كان مؤيداً للمنافس الآخر، كما أن المصادر أشارت إلى عناصر الحشاشين التى شاركت فى الاغتيال إعترفت بذلك[1].

وهكذا ، يظهر لنا ابن الأثير مرة أخرى على أنه لايستطيع التخلص عن إرتباطاته السياسية ورغبته فى النيل من مكانة صلاح الدين الأيوبى، ومن الأمور التى تدعو للدهشة، إذا كان الأخير يحرك الحشاشين على هذا النحو ، فلماذا لم يطلب منهم اغتيال ريتشارد نفسه ؟ والإجابة ميسورة وهى أن أخلاقياته لم تكن تسمح له بذلك وهو أمر أشاد به الصليبيون أنفسهم.

على أية حال، بعد تلك الوقائع الحربية العنيفة كان لابد من طرق بوابة الدبلوماسية بيد مضرجة بالدماء على الأقل من جانب ريتشارد قلب الأسد، الذى كان بعيداً عن بلاده ووصلت إليه الأخبار عن تآمر شريك حروبه ضد المسلمين الملك فيليب أغسطس مع أخيه يوحنا[2] ضده، خاصة أن الحرب ضد السلطان الأيوبى المجاهد لم تحقق إنتصاراً بارزاً بإستثناء إنتزاع عكا فقط من أيدى المسلمين [3].

١- ابن واصل ،مفرج الكروب، ص٣٨٢ .

٢- يوحنا هو ابن هنرى الثانى Henry ، وقد حكم خلال المرحلة من ١١٩٩ إلى ١٢١٦م، وفى عهده تمرد عليه النبلاء على نحو أدى إلى عقد الاتفاق المعروف بالعهد الأعظم Magna Charta عام ١٢١٥م، وبصفة عامة لم يوصف بالخبرة السياسية ووصف بأنه دخل التاريخ بفضل أخطائه ، عنه أنظر:

جيمس ، الماجنا كارتا (العهد الأعظم) ، ت. مصطفى طه ، ط. القاهرة ١٩٦٥ م، سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٨١م، ص٤٧٤، عبد القادر اليوسف، العصور الوسطى الأوربية ، ط. صيدا ١٩٦٧م، ص١٨٤-١٨٥ ، إسماعيل نورى الربيعى، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ط. عمان ٢٠٠٢م، ص١١١ .

Appleby, John king of England , New York 1959 .

٣- من قبل جانب عبد اللطيف حمزه الصواب عندما قرر عن الحملة الصليبية الثالثة أنها والحملة التى عجزت عن أن تنقض شيئًا مما حققه صلاح الدين » ، ومن الجلى البين أن الواقع التاريخى عكس ذلك؛

أما صلاح الدين، فقد أدرك ضرورة الحل الدبلوماسى بعد كارثة سقوط عكا وفقدان جيشه لـ ٢,٧٠٠ جندى من جنوده فى يوم تل العياضية الدموى المرير، وكذلك مرحلة ما بعد أرسوف.

مع ملاحظة أن عامًا كاملاً تم إنفاقه فى تبادل الصدام الحربى وكذلك وجهتى النظر الصليبية، والأيوبية، إلى أن تم التوصل إلى ما عرف بصلح الرملة الذى وقع فى ٢ سبتمبر عام ١١٩١م[1].

= إذ استرد الصليبيون عكا بالسلاح. وحصروا على مناطق أخرى من الساحل من خلال التفاوض كما أقر بذلك صلح الرملة، انظر رأيه:

صلاح الدين بطل حطين، ص١٦٦.

كما يلاحظ إنه اعتقد أن الحملة المذكورة استمرت عامى ١١٨٧، ١١٨٨م على الرغم من استمرارها إلى عقد صلح الرملة فى ٢ سبتمبر ١١٩٢م، أنظر رأيه: المرجع السابق، نفس الصفحة.

١- عن صلح الرملة وشروطه أنظر:

العماد الأصفهانى، الفتح القسى، ص٦٠٥، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٤٠٤، ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص١٢١- ص١٢٢.

Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion , pp. 429-430, Geoffrey of Vinsauf, pp. 429-430, Richard of Divizes, pp. 63-64, Roger of Wendover Flowers of history , p. 123, Cambell, The Crusades, London 1925, p. 328.

عمر كمال توفيق، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين دراسات تحليلة وثائقية فى التاريخ الدبلوماسى، ط. الاسكندرية ١٩٦٨م، ص١٨٢-١٨٣، محمود سعيد عمران، الهدن بين المسلمين والصليبيين فى عصر الدولة الأيوبية، ضمن كتاب دراسات فى بحوث تاريخ العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٩٦م، ص٢٦- ص٢٧، خاشع المعاضيدى وسوادى عبد وديد نورى، تاريخ الوطن العربى والغزو الصليبى، ط. بغداد ١٩٨٦م، ص١٩٠، محمد أحمد محمد، فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط. الرياض ٢٠٠٤م، ص٥٨، حكمت بك شريف، تاريخ طرابلس الشام من أقدم أزمانها، ط. طرابلس ١٩٨٧م، ص٦١. رياض شاهين، «هدنة الرملة والظروف المحيطة بها»، مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الاسلامى الفرنجى، اربد عام ٢٠٠٠، ص٤٦٣- ص٥٠٣. رفيق التميمى، الحروب الصليبية، ط. القدس ١٩٤٥م، ص١٩٧-١٩٨، سعيد برجاوى، الحروب الصليبية فى الشرق، ط. بيروت ١٩٨٤، ص٤٣٧- ص٤٣٨.

ومن أهم بنود الصلح المذكور- الذى حدث بفضل براعة السلطان الأيوبى وشقيقه العادل أبوبكر الذى مَثّله فى المفاوضات[1] - هدنة تامة فى البر والبحر والسهل والوعر لمدة ثلاث سنوات، وثلاثة شهور، وثلاثة أيام، وقد حصل الصليبيون على المنطقة الساحلية الواقعة من صور إلى يافا وتقرر أن تصبح الرملة واللد مناصفة بين الطرفين ، وتظل عسقلان مخربة ، ووافق صلاح الدين على أن يقوم الصليبيون بالحج[2] دون قيد أو شرط بل قام ريتشارد نفسه بتأدية طقوس الحج وعكس ذلك كله تسامح الفارس المسلم النبيل .

واقع الأمر ، أن صلاح الدين الأيوبى قد تعرض لضغوط أدت به إلى قبول صلح الرملة، فهناك ما أشارت إليه المصادر من سأمة العسكر وتظاهرهم بالمخالفة[3] خاصة أن الجيش الأيوبى ظل فى حرب مستمرة منذ عام ١١٨٧م إلى عام ١١٩٢م، وهو عام توقيع الصلح المذكور، ولم يكن من الممكن الاستمرار فى الصراع الحربى مع الصليبيين خاصة أن تلك الحرب كانت طاحنة أكلت الأخضر واليابس وافترست بأنيابها البشر وبالتالى فإن الاستمرار فيها أمر لم يكن معقولاً من قائد حكيم مثل صلاح الدين.

١- عن التفاوض بصفة عامة انظر:

سيف السيف ، التفاوض فن الممكن ، ط. الرياض ، ثابت عبد الرحمن إدريس ، التفاوض مهارات واستراتيجيات ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، ص٢٣- ص٥٩ ، كيفين كين ، المفاوض المثالى، ت. حسن وجيه ، ط. الرياض ٢٠٠٢م، ص٢٧- ص١٤٧ ، جيرارد نيرنبرج ، أسس التفاوض ، ت. حازم عبد الرحمن ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص٦٩- ص٩٣ ، فيلكس بك كريتك ، التفاوض من موقعين غير متكافئين ، ت. بشرى ملكه ، ط. الرياض ٢٠٠١م، ص١٣١- ص٤٥٣ .

٢- أشار وفاء محمد على إلى ما نصه : «والسماح لأعداد قليلة من النصارى بزيارة بيت المقدس، انظر: وفاء محمد على ، الزواج السياسى ، ص١٤٥ .

وقد اعتمد على كل من ماجد، العلاقات، ص١٨٣- ص١٨٤ وباركر . Barker, The Crusades, p. 65

والواقع أن هذا القول لايجد سنداً تدعمه من المصادر التاريخية كما لايتفق مع منطق الأحداث التاريخية ذاتها، ومن المتصور أن السلطان الأيوبى سمح لهم بالحج دون قيد أو شرط مما عكس تسامحه .

٣- ابن الأثير ، الكامل، ج٢، ص٨٦ ، محمود رفعت زنجير، الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى، ط.

ومع ذلك فالملاحظ أن الوضع الحربى السابق على الصلح إنعكس على بنوده؛ إذ أن الدفاع المستميت عن بيت المقدس جعلها لاتخضع للغزاة فى بنوده، وهكذا فإن السلطان الأيوبى سمح للصليبيين بالحج كى يلغى تمامًا حجة الحروب الصليبية أصلاً، وهو بذلك يقدم رسالة مفتوحة لأوروبا وهى أن بقاء الأماكن المقدسة المسيحية فى فلسطين تحت السيادة الإسلامية هو الضمان الحقيقى لإستمرار الأمن والسلام[١].

كذلك يلاحظ أن مدة صلح الرملة وهى ثلاث سنوات وثلاثة شهور وثلاثة أيام تعد مرحلة زمنية محدودة ولم تطل إلى أعوام طويلة قد تؤدى إلى نوع من السلام الذى يفتك بقدرات الجيش الأيوبى وبالتالى أمكن تجنب ترهله .

أما فيما يتصل بحصول الصليبيين على المنطقة الممتدة من صور إلى يافا فهو أمر منطقى تمامًا [٢]، إذ أن الغزاه تصارعوا على مدى زمنى طويل من أجل إسترداد قطاع طولى من الساحل يبدأ من صور الحصينة تمامًا - كما - أسلفت الإشارة من قبل- إلى يافا ؛ وهى ميناء بيت المقدس مع ملاحظة أن أهم مدينة فى ذلك القطاع هى - بلا ريب - عكا العاصمة الإقتصادية لمملكة بيت المقدس الصليبية.

حجة ١٩٩٧م، ص٤٧ ، يوسف غوانمة ، معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج خطاب جديد فى العجز الاسلامى والعربى والمشروع النهضوى العربى الوحدوى، ط. عمان ١٩٩٥م، ص٤٢ .

١- كواقع تاريخى يلاحظ أن مفاتيح كنيسة القيامة لها ٨٠٠ عام فى أيدى أسرة مسلمة فلسطينية هى أسرة آل غضية ، عن ذلك انظر:

على العواجى، موقف نصارى الشام ومصر من الحروب الصليبية فى الفترة من ٤٨٨ / ١٠٩٥م إلى ٦٩٠هـ / ١٢٩١م ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، عام ١٩٩٩م، ص٣٢٣ .

٢- هاجم المؤرخ اللبنانى حسن الأمين السلطان الأيوبى لإعطائه تلك المناطق للصليبيين ناسيًا أنها نتاج الجهد الحربى بذلوه خلال الصليبية الثالثة انظر رأيه:

حسن الأمين، «صلاح الدين الأيوبى نظرة مختلفة»، العربى، العدد (٤٤٢) ، سبتمبر ١٩٩٥م،ص١٠٧ .

وأنظر كتابه الذى عرض فيه لوجهة نظرة بالتفصيل :

حسن الأمين، صلاح الدين الأيوبى بين العباسيين والفاطميين والصليبيين، ط. بيروت ١٩٩٥م، ص١٥١-ص١٧٥ .

وفيما يتصل بأن تكون اللد والرملة مناصفة بين الطرفين فذلك أمر عُبّر عما عرف بظاهرة : «بلاد المناصفات » وفي هذه الحالة تم الإتفاق على الإستغلال المشترك لها ، وهناك من يقرر أن إدارة مناطق بلاد المناصفات كان يتم عن طريق إدارة مشتركة بين المسلمين والصليبيين برأسها نائب عن كل طرف[١] مع ملاحظة أن ذلك النظام إستمر فيما بعد كما نلاحظ ذلك في عصر الظاهر بيبرس[٢] مؤسس دولة سلاطين المماليك في مصر .

١- شفيق محمد الرقب ، «صور من الحياة الاجتماعية للفرنجة فى النثر الفنى زمن الحروب الصليبية»، دراسات ، م (٢٣) ، عدد (٢) أغسطس ١٩٩٦م، ص٣٤٥ ، عمر كمال توفيق، الدبلوماسية الإسلامية، ص٢٢١ ، على السيد على، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٤٨ ، «أضواء جديدة على العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والفرنج فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية (بلاد المناصفات)» الدارة ، العدد (١) ، السنة (١٨) شوال - ذو القعدة ، ذو الحجة ، ١٤١٢هـ، ص١٦٧ دراسة رائدة فى موضوعها باللغة العربية.

ويلاحظ أن نظام بلاد المناصفات تم تطبيقه فى مرتفعات الجولان وقد حدث ذلك بين حكام دمشق والمملكة الصليبية ، انظر:

Prawer, The Latin kingdom , p. 42 .

٢- عنه انظر:

ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر، باعتناء أحمد حطيط ، ط. فسبادن ١٩٨٣م، ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، ط. الرياض ١٩٧٦م، الخزندارى ، تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر، (٦١٦-٦٩٣هـ) تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، ط. صيدا ٢٠٠٥م، ج٤، ص١٨١ - ص٢٥٥ ، جمال الدين سرور ، دولة الظاهر بيبرس، ط. القاهرة ١٩٦٠م، سعيد عاشور، الظاهر بيبرس، ط. القاهرة ١٩٦٣م، عبد العزيز الخويطر، الملك الظاهر بيبرس، ط. الرياض ١٩٨٩م، محمد مؤنس عوض، الظاهر بيبرس مؤسس دولة سلاطين المماليك فى مصر ، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، عبدالله سعيد الغامدى، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى، ص١٣٩- ص٢٢٢ ، وفاء محمد على، جهود المماليك الحربية ضد الصليبيين، ط. القاهرة ١٩٩١م، ص١١- ص٢٩ ، قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسى والاجتماعى، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص٨٢- ص١١١ ، زاهية الدجانى، الظاهر بيبرس بين المغول والصليبيين ، ط. بيروت ٢٠٠٣م، بسام العسلى، الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية القديمة، ط. بيروت ١٩٩٢م، صالح الأشتر، أعلام خالدون: الظاهر بيبرس، ط. بيروت ب-ت ، مفيد الزيدى، العصر المملوكى ، موسوعة التاريخ الاسلامى، ط. عمان ٢٠٠٣م، ص٢٧- ص٣٦ .

واقع الأمر ، أن نظرة متأنية لذلك الصلح وبنوده تكشف لنا براعة صلاح الدين الأيوبى ومستشاريه الذين تمكنوا من الحصول على السلام المشرف من أعدائهم ولم يمكنوهم من بيت المقدس – وهى الهدف المعلن الرئيسى للحملة الصليبية الثالثة أصلاً – وهكذا تأكد لنا أن ما عجز الصليبيون عن تحقيقه حربًا عجزوا أيضًا عن تحقيقه من خلال المفاوضات وبالتالى أغلقت كافة السبل فى وجوههم .

إن القضية الملحة هنا، تتمثل فى سؤال هو كيف إستطاع صلاح الدين الأيوبى وهو المهزوم فى عكا، وأرسوف أن يصل إلى ذلك الصلح المشرف مع الملك ريتشارد قلب الأسد ؟ والواقع أن الإجابة عن ذلك التساؤل تتمثل فى إدراك السلطان المذكور إلى أن عنصر الزمن كان فى صالح المسلمين أكثر من الطرف المعادى خاصة أنه يحارب على أرضه وفى مقدوره تعويض أية خسائر بشرية بالإضافة إلى الاستبسال فى المقاومة والدفاع عن بيت المقدس على نحو أدرك معه ملك إنجلترا أن الإستيلاء عليها سراب بعيد المنال .

تبقى هنا زاوية لاتخلو من دلالة ؛ فخلال مفاوضات الصلح بين الطرفين تم طرح فكرة أن يتزوج العادل أبوبكر شقيق صلاح الدين من جوانا شقيقة الملك ريتشارد قلب الأسد وأن يتم مناصفة بيت المقدس بين الجانبين[١] ، وقد تعددت إشارات الباحثين وتحليلاتهم لتلك الحادثة،

١- عن مشروع الزواج المذكور أنظر:

أحمد عطية الله ، صلاح الدين الأيوبى ، ط. القاهرة ب-ت ، ص٦٧- ص٢٦٦ ، عبد اللطيف حمزة ، صلاح الدين بطل حطين ، ص١٢٨ . محمد مؤنس عوض ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ص٢٩٧ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية، ج٢ ، ص٨٨١- ص٨٨٣ ، حبيب جاماتى ، تاريخ ما أهمله التاريخ الناصر صلاح الدين ، ط. القاهرة ١٩٦٢م، ص١٤٤- ص١٤٨ ، حسن الأمين ، صلاح الدين بين العباسيين والفاطميين والصليبيين ، ص٤١٢ . ويقول هذا الأخير ما نصه «ومن الطريف، وربما هو من المحزن أن العادل المندوب المفاوض لم يكتف بزوجاته المسلمات ، ولم يشغله الأمر الخطير القادم عليه ، بل طار به الخيال إلى المجال الأوربى والانوثة الانكليزية ، فرآها فرصة سانحة ليدخل فى حريمه إلى جانب الكرديات ، والعربيات، والتركيات – غادة إنجليزية تلون مفاتن الجمال، فيجمع من السمرة والشقرة وبين الزرقة والسوداء لذلك حاول إغراء ملك الإنكليز بأن يزوجه أخته ، وجعل ذلك من مقومات الصلح ، وبهذه المصاهرة يصبح الانكليز من ذوى القربى ، فتتوحد المصالح وتتمازج الأهداف».

والأرجع فى تصورى أنها كانت من أجل كسب الوقت لكى يكون فى صالح المسلمين أكثر من أعدائهم ، خاصة أن المشروع أصلاً لايمكن أن يكتب له النجاح فالكنيسة لن تقبل به، كما أنه لم يكن له أية سابقة فى العلاقات الإسلامية - الصليبية ، وينبغى عدم تحميل الأمور أكثر مما تتحمل فيتصور البعض أن ذلك جاء كنوع من «التطبيع» خلال عصر الحروب الصليبية، فالأمر لم يخرج عن نطاق الأفكار المتبادلة تفاوضياً .

من ناحية أخرى ، يقرر واضعوا كتاب Lexikon der Islamischen Welt أى معجم العالم الإسلامى ما نصه : «أخذ صلاح الدين الأيوبى عن نور الدين زنكى قيادة الجهاد المقدس ضد الصليبيين الذين اشتد ساعدهم بفضل ما أتاهم من مساعدات إقتصادية من مصر (عام ١١٨٧م) ، إلا أن تكاليف الحرب الباهظة ، والتحالفات السياسية التى برزت فى أوروبا قد دفعت بالسلطان صلاح الدين للقبول ببعض التنازلات وللترقيع على معاهدة سلام ١١٩٣»[١].

والفقرة المذكورة عامرة بالأخطاء ؛ إذ أن عام ١١٨٧م، لم تكن فيه مصر تابعة للصليبيين البتة، بل إن مواردها هى التى أفادت صلاح الدين حيث نعلم أنه استفاد من مال مصر فى فتح الشام وانفق مال الشام فى فتح الجزيرة وانفق مال الجميع لفتح الساحل»[٢]، أما القول بأن معاهدة السلام وقعت عام ١١٩٣م فهو ينطوى على مغالطة أخرى لأن ذلك حدث تحديداً فى ٢ سبتمبر ١١٩٢م كما أسلفت الذكر من قبل.

وقد قرر مؤرخ حقق شهرة من خلال عدائه لصلاح الدين ما نصه : « حياة صلاح الدين تقسم إلى قسمين ؛ كان فى بعضها محارباً حقًا فهو الذى حقق النصر فى معركة حطين، والأقسام الأخرى تناقض هذا القسم تمام المناقضة، ولقد نسى بعض الناس حقيقة صلاح الدين ولم يذكروا إلا دوراً واحداً من أدوار حياته، وذلك لعوامل لا أحب الآن ذكرها ، فما هى حقيقة

= انظر ، حسن الأمين، صلاح الدين بين العباسيين والفاطميين والصليبيين، ص١٢٢ ، والواقع أن ذلك يحوى تعريضًا بالعادل وإظهاره بمظهر المتدفع فى الشهوات وبصورة فى غير واقعه التاريخى الموضوعى

١- انظر الترجمة العربية : كلوس كريزر فارترديم وهانس ماير، معجم العالم الإسلامى، ت. ج كنوره، ط. بيروت ١٩٩١م، ص١١٥ .

٢- أبوشامة ، الروضتين ، ج٢، ص١٧٧ .

صلاح الدين ؟ لقد إنتصر فى حطين وحرر القدس، وكان المفروض أن يتابع الكفاح حتى تتحرر البلاد كلها، ولكن صلاح الدين لم يفعل شيئًا من ذلك ، بل فعل العكس تمامًا فأقدم على أمر لا أدرى كيف يتجاهله كتابنا وكيف يسقطونه من حسابهم وهم يتحدثون عن صلاح الدين، لقد فضل صلاح الدين فى هذا الدور من حياته الراحة على الجهاد وآثر الاستسلام للفرنج على مقاتلتهم ، بل فعل أكثر من ذلك ، لقد سلمهم البلاد سلمًا بلا قتال .. نعم سلمهم البلاد سلمًا بلا قتال»[1].

ولسنا فى حاجة للرد على مثل ذلك القول المغلوط الذى يعكس عدم دراية بوقائع الأحداث التاريخية خلال الحملة الصليبية الثالثة، واتهام السلطان المجاهد بأنه فضل الراحة على الجهاد وآثر الاستسلام للفرنج على مقاتلتهم أمر لايقبله أى مؤرخ منصف أو موضوعى، لأن الحرب لاتكون للحرب بل من أجل فرض واقع سياسى جديد، وإذا تمكن بالتفاوض أن يصل إلى حل ما يمكنه من حفظ دماء جنوده فهو بالتالى رجل حصيف. والأمر المؤكد أن المفاوضات مع الأعداء لم تكن سهلة ميسورة ، ومن الخطأ البين ، تصور أنه فضل الراحة لأن من يطالع ما كتبه ابن شداد، وابن الأثير، والعماد الأصفهانى يدرك - عن قناعة تامة- أن ذلك الفارس لم يهدأ ولم يرتح مثل باقى معاصريه فلم يعش حياته كشخص عادى ذلك لأن حياته كانت بالفعل جهاداً مستمراً ومواجهات مع الصليبيين وخصومه من أعداء حركة الوحدة الإسلامية .

إن إلقاء الاتهامات جزافًا على رموز تاريخنا فى مرحلة العصور الوسطى لن ينال منهم شيئًا ، ومن المثير للدهشة أن يكون الهجوم على هذا النحو تجاه رجل حظى بتقدير عمدة مؤرخى الصليبيين وليم الصورى نفسه.

إن صلح الرملة يدعونا للتأمل ؛ من أجل إكتشاف كيف أدار السلطان الأيوبى الخبير فى التعامل العسكرى مع الصليبيين - كيف أدار التعامل معهم دبلوماسيًا ، إذ أن ذلك يمكننا بالضرورة من إكتشاف جوانب جديدة من تاريخه.

١- حسن الأمين، صلاح الدين ، ص١٥٤ .

وأتصور أن القارئ الموضوعى سيدرك من فوره مدى التحامل والرؤية المسبقة الاعتسافية التى تتضح من خلال عبارات المؤلف ، وأود الإشارة إلى أن من رد عليه إلى جانب أ.د. شاكر مصطفى هناك زاهية الدجانى فى كتابها عن صلاح الدين ، انظر ، ص١١١- ص١١٥ .

فالملاحظ أنه إستغل خبرته العريضة بزاوية الزمن وظل يتفاوض، ويحارب لمدة عام كامل دون أن يكل أو يمل ، وبالتالى أثبت لخصمه الإنجليزى أنه ليس بالرجل السهل العريكة الذى يمكن خداعه بصلح مهين أو لايتحقق مطالبه. ومن المفترض أن مستشاريه العسكريين والسياسيين أوضحوا له ضرورة الاستمرار كسبًا للوقت وإجهاداً للخصم من أجل أن يتم إرغام الصليبيين على توقيع إتفاق يحقق المطلب الأيوبى الرئيسى فى ابعاد بيت المقدس عن أية سيادة سياسية صليبية مدعومة بدعم أوربى غربى إنجليزيًا كان أم فرنسيًا.

والتساؤل الآن، هل العام الذى تم إنقضاؤه ما كان هناك مبرر له وكان من الممكن تجنب سقوط قتلى وجرحى وتخريب للمنشآت كما حدث فى عسقلان فى حالة الموافقة على العروض الصليبية من قبل صلح الرملة ؟ .

والواقع أن العروض الصليبية السابقة على صلح الرملة لم تكن مقبولة أمام بطل معركة حطين وفاتح الساحل ومحرر بيت المقدس، كما أن صنع صلح الرملة، لم يكن بالأمر السهل الهين لأن هذا هو الاتفاق الوحيد بين صلاح الدين وملك أوربى بحجم ووزن ريتشارد قلب الأسد وبالتالى فهو أهم إتفاق دبلوماسى فى تاريخ الدولة الأيوبية وسوف يؤسس لصلات دبلوماسية أيوبية- صليبية فى المرحلة التالية بل سيغدو مقياساً مهمًا ، ولانغفل زاوية لها شأنها فالمحاربون الذين إعتادوا الحرب ليس من اليسير عليهم التوجه صوب الحلول الدبلوماسية مع الأعداء.

وهكذا نصل إلى قناعة مهمة مفادها أن العام الذى أنفق للوصول إلى صلح الرملة لم يضع هباءً بل كان جزءاً من صراع سياسى مرير بين السلطان الأيوبى، والملك الإنجليزى وقد أثبت الأول قدرته على تحمل الخسائر وأن يلعق جراحه كى يزيد من تأزم وضع الخصم .

وفى تقديرى أنه فى حالة قبول صلاح الدين الأيوبى- افتراضًا- لأى عرض صليبى قبل ٢ سبتمبر ١١٩١، فعندئذ يقضى على كل ما تم إنجازه فى ٤ يوليو ١١٨٧م وما بعده خاصة أن إنتصاره البارز فى حطين جعل إمكانية تراجعه عن بيت المقدس أمر وهمى ولايمكن تطبيقه على أرض الواقع بحكم ارتباطها النفسى القوى بالجماهير المسلمة فى كل مكان .

الأمر المؤكد إذاً، أن صلح الرملة يجعلنا نكتشف فى السلطان الأيوبى دون أية دعائية أو مزايدة ممجوجة من خلال تطور الأحداث ذاتها أنه مفاوض قدير مثلما كان محاربًا بنفس الصفة، ومن المهم التقرر هنا بأن كون العادل أبوبكر مهندس صلح الرملة فلايعنى ذلك غياب

دور شقيقه ، إذ أن كافة الملابسات تدل على أن السلطان الأيوبى تابع جولات المفاوضات بدقة ولم يحدث أى تصرف دون علمه ، والمتصور أن «العادل» كان ظلاً للناصر وتلك حقيقة مؤكدة وإن كان الأول مستشاراً وممثلاً للسلطان .

وهكذا ، فبدون ترقيع الصلح المذكور ما كنا ندرك الجانب الدبلوماسى فى عقلية ذلك السلطان خاصة أن الاتفاقيات السابقة التى وقعها مع مملكة بيت المقدس كانت محدودة وليس لها نفس الصدى السياسى الذى أحدثه الاتفاق المذكور الذى اتخذ الشكل الدولى مع قوة أوربية وليس قوة محلية على أرض الشام كما فى حالة مملكة بيت المقدس الصليبية.

وهناك زاوية على جانب من الأهمية فى تحليل نصوص صلح الرملة ، إذ أن السلطان الأيوبى لم يقدم أية تنازلات للصليبيين فيما يتصل بزاوية الأمن المائى للمسلمين وهو الذى نتج عن معركة حطين - كما أسلفت الإشارة من قبل- حقيقة أنه قدم لهم تنازلات - صارت ضرورية من أجل الإبقاء على بيت المقدس فى قبضة المسلمين ، إلا أنها لم تشمل زاوية المناطق الداخلية التى احتوت على منابع ومسارات الأنهار فى بلاد الشام كما فى مرتفعات الجولان ، وفى فلسطين ولبنان وبعبارة أخرى؛ فإن ما تم تقديمه للصليبيين تمثل فى مدن ساحلية على رقعة جغرافية محدودة أما المناطق الداخلية الإستراتيجية مائيًا فهذه لم يتنازل عنها لهم شأنها فى ذلك شأن بيت المقدس تمامًا مما عكس دهاء القيادة الأيوبية ومستشاريها . ودل ذلك على أن ما توهمه البعض بتنازلات كان محسوبًا بدقة فى ذهن القيادة الأيوبية.

جدير بالذكر ، البحث فى زاوية مهمة ، وهى هل كان هناك بديل أمام صلاح الدين الأيوبى يجعله لايقبل ترقيع صلح الرملة ؟ ، والواقع أن المؤرخين الذين تستهويهم الروح العسكرية والنجاحات السريعة الناجمة عن إنتصار حربى حاسم كما فى عام ١١٨٧م، قد يروا فى قبول التوقيع على ذلك الاتفاق نوعًا من الهزيمة الأدبية ، وتراجعًا واضحًا عن طريق الإنجازات الكبرى التى تحققت ، وأن مثل ذلك الاتفاق من شأنه تكريس قدرة الغرب الأوربى خاصة بإتجاهه الأنجلو- فرنسى نحو فرض واقع جيوبوليتيكى جديد على أرض الشرق وتحديداً بلاد الشام.

واقع الأمر، أدرك السلطان الأيوبى أن الاستمرار فى محاربة الصليبيين لن يكون وراءه طائل سوى الانتحار الذاتى لقواته وفقدان أية قدرة على المناورة حربيًا ودبلوماسيًا وكان الحل الأمثل يتمثل فى الاحتفاظ بالقوات الأيوبية إلى أقصى حد ممكن دون أن تستهلك فى حرب استنزاف لاتكسب من ورائها شيئًا .

كما أن ذلك السلطان الأيوبى كان من المنطقى تمامًا أن يقدم تنازلات للصليبيين فى صورة بعض مدن الساحل من صور إلى يافا لأن مقابل هذه التنازلات كان أكبر بكثير من مما تم دفعه للغزاه ، إذ أن إعطاء ذلك النطاق الساحلى المحدود من شأنه إنسحاب القوات الإنجليزية من فلسطين ، وعودة الصليبيين فى بلاد الشام دون دعم أوربى كبير كذلك الذى لاحظناه خلال أحداث الصليبية الثالثة، وفى هذه الحالة ستكون هناك للأيوبيين ميزة التفوق العسكرى على الصليبيين وهو أمر يدركه من يطالع الموقف عن كثب بعد عام ١١٩٢م.

كما أن علينا أن ننظر بواقعية للأمر ، فما دام تم قبول فكرة التفاوض كفكرة ، فلابد من أن يقدم كل طرف تنازلات، والمهم فى الأمر هنا من الذى سيتمكن من خلال النصوص الموقعة، والتنفيذ المتوقع أن يحقق مكاسب على المدى البعيد، وفى تصورى أن صلاح الدين الأيوبى ومن خلفه القوات الأيوبية هو الرابح وراء ذلك الإتفاق ، لقد أعطوا الصليبيين نطاقًا محدودًا من الساحل الشامى مع ملاحظة أن ذلك النطاق لايمكن حمايته تمامًا إلا بأن يظل الغرب الأوربى بقواته على تلك المساحة الجغرافية ، وهو الأمر الذى لم يحدث ، بمعنى آخر، أن ذلك النطاق المذكور كان محاصرًا من المسلمين شمالاً ، وشرقًا ، وجنوبًا خاصة أن تلك القلاع الصليبية لم تتمكن فى الأصل من توفير الحماية للصليبيين عندما اضطربت الأمور لصالح المسلمين فى صيف عام ١١٨٧م كما لاحظنا من قبل.

من ناحية أخرى ، لاتفهم عبارة عدم وجود بديل عن توقيع صلح الرملة أمام صلاح الدين الأيوبى، أنه تعرض لما يوصف بقهر أو إجبار أو إرغام ، غير أن الأمر ليس على هذه الدرجة، فعندما عقد صلح الرملة، كان قويًا إلى درجة تفوق خصمه وكان بالتالى يفرض السلام عليه، ويعطيه بديلاً ساحليًا ، لكى يحتفظ ببيت المقدس وعكس ذلك كله قدرته على المناورة وترتيب الأولويات على نحو يحقق صالح المسلمين فى نهاية المطاف.

من جهة أخرى، عند مقارنة ذلك الصلح، بالاتفاق الذى عقد بين ابن شقيق صلاح الدين الأيوبى ونعني به الكامل والأيوبى ، وبين الإمبراطور الألمانى فردريك الثانى Frederick II (١٢٢٥-١٢٥٠م) عام ١٢٢٩م[1]، يتضح الفارق الشاسع حيث إحتوى الاتفاق الأخير على

١- عن اتفاقية يافا ١٢٢٩ أنظر:

Philip of Navara , The Crusade of Frederick II From Philip of Navara, in Peters (ed.) , Christian Society and the Crusades 1198-1229 , Sources in Translation including The Capture of Damietta by Oliver of Paderborn, Pennsylvania 1971, pp. 157-158 .

هدنة مدتها عشر سنوات، وعشرة شهور ، وعشرة أيام وتم تقديم بيت المقدس على طبق من ذهب للصليبيين ! على نحو ندرك معه الفارق الكبير بين أبرز إتفاقيتين تم توقيعهما فى تاريخ الدولة الأيوبية على الرغم من ضآلة التحدى العسكرى الذى واجهه الكامل (٥٠٠ جندى فقط فى رفقة الإمبراطور الألمانى) وعلى نحو عكس أيضًا فجوة الأجيال التى وجدت فى أسرة حاكمة مسلمة واحدة بين جيل التأسيس الذى جاهد والجيل التالى له ، وذلك يعنى أنه بعد قرابة الأربعين عامًا وبالتحديد ٣٧ عامًا لم يكن فى مقدور الأيوبيين الحصول على إتفاق على نفس المستوى الذى كان فى صلح الرملة مما عكس تفرده وقت توقيعه وحتى من بعد ذلك .

مهما يكن من أمر نصل إلى قناعة وهى أن صلح الرملة أثبت للباحثين المنصفين أن صلاح الدين الأيوبى هو بالفعل بطل الحرب والسلام وأنه لم يكن يحارب لمجرد شهوة الحرب فى حد ذاتها ، بل أن فكرة السلام كانت المفضلة لديه وما خاض ساحات الوغى، إلا من أجل إسترداد الحقوق وليس للعدوان أو التخريب وسفك الدماء.

= ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣ ، ص٢٠٥ ، ابن نظيف الحموى، التاريخ المنصورى- تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان، تحقيق أبو العيد دودو، ط. دمشق ١٩٨٢م، ص١٧٦ ، ابن أيبك الدوادارى، الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب، ص٢٩٢ ، ذكرى عزيز محمد صالح الصائغ ، عصر الملك الكامل الأيوبى، ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الموصل عام ١٩٨٨م، ص١١٣- ص١١٤ ، أحمد رمضان ، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، الحروب الصليبية ، ج١ ، القاهرة ب-ت ، ص١٧٩ ، نظير حسان سعداوى ، الحرب والسلام زمن العدوان الصليبى، ط. القاهرة ١٩٦١م، ص٩٦ ، ص٩٧ ، رأفت عبد الحميد، الملك الكامل بين الإفراط والتفريط فى مواجهة الصليبيين ، ضمن كتاب قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص١٢٥- ص٢٠١ ، أفضل رؤية مدافعة عن الكامل، سعيد عاشور ، « الإمبراطور فردريك الثانى والمشرق العربى» ، المجلة التاريخية المصرية، عام ١٩٦٣م، ص٢٠٩ محمد مصطفى زيادة ، مصر والحروب الصليبية ، رسائل الثقافة الحربية ، منشورات وزارة الدفاع الوطنى، ط. القاهرة ١٩٥٤ م، ص١٢ ياسين التكريتى، الأيوبيون فى شمال الشام والجزيرة، رسالة دكتوراه - كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٨١م، ص٢٠٤ ، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ص٢٩٣- ص٣٠١ ، عادل عبد الحافظ ، العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الاسلامى ١١٥٢-١٢٥٠م / ٥٤٧- ٦٤٨هـ، القاهرة ١٩٨٩م، ص٢٩٢- ص٢٩٥ ، ابراهيم ياسين الخطيب ، القدس بين اطماع الصليبيين وتفريط الملك الكامل الأيوبى ، ط. عمان ٢٠٠١م .

Van Cleve , " The Crusade of Frederick II ", in Setton , A History of the Crusades, vol . II Madison 1969 , p. 455 , Kantorowiez , Frederick The Second , London 1931 , p. 182 .

أما إذا أردنا البحث فى نتائج الحملة الصليبية الثالثة، فإننا ندرك أن من أهمها؛ التداخل الاجتماعى بين المسلمين والصليبيين، حيث عمت الفرحة أنحاء البلاد[١] وذلك يكشف لنا عن أن الرغبة فى الحياة تتفوق دومًا على نزعات الحرب، والتدمير ، والتعصب على نحو خاص تلك التى حملها الصليبيون إلى المنطقة، وهكذا فقد دخل المسلمون مناطق الصليبيين وكذلك فعل الأخيرون ونشر السلام ألويته بعد حرب ضروس دامت عدة أعوام .

كما أن تلك الحملة جعلت الصليبيين يوقنون أكثر من ذى قبل أن رأس الأفعى هى مصر ، وأن الطريق إلى بيت المقدس يبدأ من القاهرة، وهكذا ، فإن ريتشارد قلب الأسد نصح الصليبيين وهو يحزم أمتعته عائدًا إلى بلاده بضرورة ضرب مصر خاصة أن إمكاناتها المادية والبشرية دَعَّمت صلاح الدين الأيوبى تمامًا فى جهاده الصليبيين ، مع ملاحظة أن ذلك لم يكن منفصلاً عن شقيقاتها فى بلاد الشام والعراق حيث تعاون الجميع فى صد الهجمة الصليبية الشرسة.

غير أن من أهم نتائج الحملة الصليبية الثالثة، أنها مَثَّلت لقاءً تاريخيًا فريدًا بين الفروسية الإسلامية ممثلة فى صلاح الدين الأيوبى والفروسية الأوروبية فى العصور الوسطى، ونعنى بها ريتشارد قلب الأسد، مع ملاحظة أنه لم يحدث لقاءً شخصى بين القائدين [٢]، فطوال مفاوضات صلح الرملة ، كان العادل أبوبكر هو ممثل صلاح الدين.

١- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٢٣٥ ، يقول ابن شداد ما نصه : «غشى الناس من الطائفتين من الفرح والسرور مالايعلمه إلا الله تعالى». أيضًا : ابن واصل، مفرج الكروب ، ج٢، ص٤٠٥ .

٢- Lane - Poole, Saladin and The Fall of the Kingdom of Jerusalem , p. 378 .

وأود الإشارة هنا إلى أن الفيلم السينمائى الذى يحمل عنوان صلاح الدين الأيوبى تم إجراء لقاء شخصى بين الرجلين وقيام صلاح الدين بعلاج ريتشارد شخصيًا وهو ما لم يحدث كواقع تاريخى.

انظر اشارة مهمة لدى : جيمس رستون (الابن) ، مقاتلون فى سبيل الله صلاح الدين الأيوبى وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة، ت. رضوان السيد، ط. الرياض ٢٠٠٢م، ص٢٥٦ .

وقد قرر سلامه البلوى ما نصه «فى احدى المعارك سقط ريتشارد مصابًا فسارع إليه صلاح الدين وداواه بنفسه »، أنظر: صور من تسامح الحضارة الإسلامية مع غير المسلمين ، ط. الشارقة ٢٠٠٣م، ص٧٤ ومن الممكن بالفعل معارضة ذلك أمام عدم وجود نصوص تاريخية تدعمه .

والواقع أن الفارق كان شاسعًا بين الطرفين، ودوغا تعصب تأكد لنا تحضر الفارس المسلم الذى أطلق سراح الصليبيين بأعداد غفيرة من بعد فتح بيت المقدس فى ٢ أكتوبر ١١٨٧م .

كما أنه قام بإرسال طبيبه الشخصى لغريمه كى يعالجه عندما مرض فى لفتة نادرة فى التاريخ الإنسانى عمومًا ، أما الفارس الأوربى على أرض الشرق ، فكان دمويًا مندفعًا فيه رعونة غير مسبوقة ، وكأنه نسخة مكررة عن الفارس الفرنسى رينو دى شاتيون ويكفى حادثة تل العياضية بما فيها من دموية كى تؤكد لنا ذلك الجانب [١].

على أية حال ، بعد كافة تلك الأحداث العاصفة حربًا وتفاوضًا ، مرض صلاح الدين الأيوبى بالملاريا وتوفى فى ٤ مارس ١١٩٣م، وكانت جنازته مشهودة ، وحزنت عليه الجماهير المسلمة ويقدم لنا بهاء الدين بن شداد وصفًا مؤثرًا لذلك على نحو يكشف عن حب معاصريه الجارف له [٢]. ويلاحظ هنا أنه ترك ١٤ ابنًا وابنه واحدة هى مؤنسه خاتون التى تزوجت ابن عمها المعروف فى التاريخ بالكامل الأيوبى، كذلك ترك ذلك السلطان دينارًا صوريًا واحدًا وأربعين درهمًا نقره [٣]، ولم يترك أملاكًا شخصية ، وقد قسم أرجاء دولته بين أبنائه .

والأمر المؤكد ، أن ذلك السلطان الذى عشق الجهاد ، وأنفق عليه بسخاء ، ولم يجعل من نفسه عبدًا للمال ، بل إحتقره[٤]، ولذلك ندرك طابع الزهد العام الذى أخذ به نفسه، وقد فضل

١- يلاحظ أن الملك الإنجليزى بعد خروجه من بلاد الشام وقع أسيرًا فى يدى دوق النمسا ليوبولد. فقام بتسليمه إلى هنرى السادس الامبراطور الألمانى حينذاك، وقام بإلقائه فى السجن إلى أن يتم دفع فدية له ، ومن بعد إطلاق سراحه لقى حتفه عام ١١٩٩م من خلال سهم خطأ أطلقه أحد أتباعه ، عن ذلك انظر :
Geoffrey of Vinsauf, p. 358-359 .

نظير حسان سعداوى ، تاريخ إنجلترا وحضاراتها فى العصور القديمة والوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص٩٢-٩٣ ، محمود سعيد عمران ، معالم تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م، ص٢٠٨ .

٢- النوادر السلطانية، ط. بيروت ب-ت ص.٢٥٠ أيضًا :

محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص٢٥٢ .

٣- ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٣ ، ص٨٧١ ، كرد على، دمشق مدينة السحر والشعر، ط. دمشق ١٩٨٤م، ص٢٦ .

٤- هناك نص أورده ابن شداد يعكس رؤية صلاح الدين الأيوبى للمال حيث ذكر على لسان السلطان

الحياة فى خيمة فى الصحراء تذروها الرياح على قصور القواطم البالغة الثراء باعتراف المصادر التاريخية الصليبية ، وقد بنى له أحد الأمراء قصراً فرفض الإقامة فيه !

والواقع أن العبارات التى أوردها مؤرخ سيرته بهاء الدين بن شداد فى كتابه النوادر حيث ذكر أن الجهاد ربيبه، ولاحديث له إلا عنه، ولانظر لآلاته لم يكن من قبيل الدعائية المجوجة، بل بمثابة الاقتراب من أعماق شخصية ، فلاتفهم سيرة الرجل بدون الجهاد ومن المهم أن ألفت نظر القارئ إلى أن ذلك القائد التاريخى للمسلمين فى عصر المواجهة بين الشرق والغرب لم يعش حياة مستقرة مثل غيره من البشر، بل لم يهدأ ولم يستقر خاصة أن بيت المقدس كانت فى بؤرة اهتماماته ، وهكذا لايفهم الأمر إلا من خلال عشقه الحقيقى لتلك المدينة التى ما كان يمكن الوصل إليها محررة إلا من خلال الجهاد .

تبقى زاوية من الضرورة بمكان الإشارة إليها عن تلك الحملة الصليبية وهى التى يطلق عليها الثالثة كاصطلاح بين الباحثين المتخصصين فى تاريخ الغرب الأوربى فى العصور الوسطى وعلاقاته بالشرق ، إذ أن الواقع التاريخى لم يعرف ذلك الأمر، ومن المهم النظر إليها كجزء من مشروع إستعمارى (أى إستخرابى) فى العصور الوسطى لايتجزأ ، وإذا قمنا بدراسته بصورة متجزئة فذلك من قبيل تسهيل الدراسة وليس بالضرورة تعبيراً عن الواقع التاريخى الفعلى.

مهما يكن من أمر، فإن تلك الحملة تعد آخر الحملات «الجماعية» الكبرى فى عصر الحروب الصليبية على إمتداد القرنين الثانى عشر والثالث عشر م ، ففى القرن التالى ونعنى به القرن الثالث عشر م، لم تظهر إلى الوجود حملات بارزة إلا فى صورة الحملتين السابعة[1]

= الأيوبى ما نصه : «يمكن أن يكون فى الناس من ينظر إلى المال كمن ينظر إلى التراب»، عن ذلك انظر: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق أحمد أيبش ، ط. دمشق ٢٠٠٣م، ص٧١ .

فى ذلك أورد أحد كبار المؤرخين العرب عبارة هى «الكرم بالمال واستحقاره» أنظر: شاكر مصطفى، صلاح الدين ، ص٢٣١ .

ويقرر المؤرخ الأمريكى ول ديورانت نفس المعنى حيث ذكر ما نصه : «كانت قيمة المال عنده لاتزيد على قيمة التراب ، انظر: ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج٤ / ق٤ ، ص٤٥، شحاته عيسى، القاهرة، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص١٢٠ ، أمين معلوف ، الحروب الصليبية ، ص٢٢٦- ص٢٢٧ .

١- عن تلك الحملة أنظر:

والثامنة والتى قادها الملك الفرنسى لويس التاسع Louis IX (١٢٢٦-١٢٧٠م) على نحو عكس أن الحملة الثالثة، بالفعل كانت من أكبر الحملات الصليبية حيث وجد فيها الاشتراك الألمانى- على الرغم من المصير الذى تحدد فى نهر سالف- والفرنسى والإنجليزى وهو تحد بارز واجهه المسلمون بقيادة السلطان الأيوبى باقتدار .

من جهة أخرى، يقرر أحد المؤرخين تعليقًا على فشل الصليبية الثالثة ما نصه : «أظهرت الحملة الصليبية الثالثة أن الإستعراض الكبير للجيوش التى قادها حكام الغرب، لم يكن وسيلة يمكن أن تعلق عليها الآمال فى إعادة الوضع إلى ما كان عليه ، وكان الملوك من أمثال فيليب وريتشارد كباراً فى بلادهم بحيث لايمكنهم البقاء بشكل مستمر بعيداً عنها، ومهما كان نوع الحماسة التى تحرك جيوشهم فإنهم بالضرورة كانوا يأتون متأخرين للغاية ويرحلون بسرعة شديدة ، ولم يكن ممكنًا على الاطلاق أن تكون مواردهم العسكرية أكثر من عامل مؤقت فى السياسات فى المنطقة العربية شرق المتوسط ولم يكن بوسعهم أن يساهموا فى متطلبات الدفاع عن بيت المقدس أى تكوين حامية قوية مقيمة أو البحث عن حلفاء مسيحيين أقوياء فى المنطقة »[1] ويعد الرأى المذكور متسمًا بالموضوعية وانطباقه على الواقع التاريخى.

أما إرنست باركر ، فقد قرر أن الحملة الصليبية الثالثة أخفقت لأنه لايستطيع جيش فرقته الميول والأهواء- ويعنى بذلك الجيش الصليبى- ويحارب على أرض أجنبية أن يحقق إنتصاراً على جيش موحد بقائد مثل صلاح الدين وتحركه الروح الدينية[2]- يعنى الجهاد- وهكذا شهد شاهد من أهلها على إخفاق تلك الحملة التى انفقت من أجلها الأموال الطائلة وحشد لها عشرات الألوف من الصليبيين دون جدوى.

Jean de Joinville, The Life of Saint Louis , in Chronicle of the Crusades , Trans. by = Shaw, London 1976 .

حسن حبشى، الشرق الأوسط بين شقى الرحى، ط. القاهرة ١٩٤٩ م، جوزيف نسيم يوسف، هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل، ط. القاهرة ب-ت ، العدوان الصليبى على مصر، ط. الاسكندرية ١٩٦٧م، محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة ، ط. القاهرة ١٩٦١م.

١- موريس كين، حضارة أوروبا العصور الوسطى، ت . قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص١١٨- ص١١٩ .

٢- The Crusades, p. 66 .

يبقى أن أذكر هنا أن صلاح الدين الأيوبى توفى فى ٤ مارس ١١٩٣م[١] ودفن فى دمشق التى عشقها ، بعد أن خلد اسمه فى التاريخ سواءً لدى المسلمين أو لدى الغرب الأوربى.

ويلاحظ أن عقد التسعينيات من القرن الثانى عشر م شهد حادثة مهمة فى الأندلس وهى رحيل الفيلسوف البارز ابن رشد عام ١١٩٨م، وهكذا ، رحل فارس الجهاد ضد الصليبيين فى الشرق وبعده بخمس أعوام رحل ذلك الفيلسوف البارز فى الأندلس.

فإذا ما لاحظنا أن نفس العقد المذكور شهد مقتل السهروردى الحلبى؛ أدركنا أنه بالفعل على جانب خاص من الأهمية فى تاريخ الفلسفة الإسلامية فى العصور الوسطى.

يبقى فى هذا الفصل التعرض لأحد المستشرقين الذين تحاملوا على صلاح الدين الأيوبى بصورة غير مسبوقة ، فى صورة أهرنكوريتز ، ونجد فى كتابه عن صلاح الدين عدة زوايا متحاملة سيتم إيرادها وكذلك الرد عليها :

ويلاحظ أن المستشرق المذكور لايصل إلى مستوى المؤرخ البريطانى البارز هاملتون جب Hamilton Gibb الذى تعد كتاباته من أهم ما ألف عن صلاح الدين الأيوبى وقد أشاد به إشادة واضحة .

أما أهم أفكار كانتروتز فهى كالآتى :

أولاً : تصور أن جهود صلاح الدين فى حركة الجهاد الإسلامى ليست لها قيمة وأن دوره شكل فشلاً لتلك الحركة[٢] ولست فى حاجة لتفنيد تلك المقولة الواهية التى لايقبلها من يعرف ألف باء عصر الحروب الصليبية والصراع الإسلامى - الصليبى، ويكفى للرد عليها تاريخين هما ٤ يوليو ١١٨٧م ، ٢ أكتوبر ١١٨٧م والأمر المؤكد دون أية مبالغة أن ذلك السلطان حقق- ومعه جيشه - مكاسب لتلك الحركة لم يحققها أى قائد من قبل من خلال ظروف

١- من المقرر أن صلاح الدين الأيوبى دفن ومعه سيفه ورأى القاضى الفاضل ما نصه «هذا يتوكأ عليه إلى الجنة» ، عن ذلك انظر: عبد اللطيف حمزه ، أدب الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٤٨م، ص١٤٧ .

وعن سيفه انظر: عبد الرحمن على، البحث عن سيف صلاح الدين» مجلة الجامعة الاسلامية ، العدد (١) محرم- صفر- ربيع الأول عام ١٤٠٠هـ، ص١٨٣- ص١٨٦ .

٢- Ehrenkreutz, Saladin, p. 236 .

إقليمية ودولية متعددة دون إنكار السابقين عليه ودورهم فى ميلاد ونمو أمر الجهاد الإسلامى.

ثانيًا : ردد ذلك المستشرق أن صلاح الدين الأيوبى أنفق أعوامًا عديدة فى صراع مع المسلمين قبل أن يتجه إلى إعلان الجهاد ضد الصليبيين[1]، وهو يريد بذلك تبنى نفس الفكرة التى رددها من قبل المؤرخ الامريكى جون لامونت John la Monte فى بحثه الشهير الحرب الصليبية والجهاد Crusade and Jihad عندما رفض الفكرة أصلاً وتصور أن المكاسب السياسية هى المحركة الحقيقية للقيادات الإسلامية.

ولانغفل أن الصدام مع القوى الاسلامية خاصة الزنكية كان ضروريًا من أجل بناء الجبهة الإسلامية المتحدة التى يمكن أن يواجه بها الغزو الصليبى للمنطقة .

ثالثًا : تصور أن اتجاه صلاح الدين الأيوبى للجهاد ارتبط بالرغبة فى الثأر من رينودى شاتيون[2]، والواقع أن الأخير اثبت بإعتراف المنصفين من المؤرخين الغربيين - مثل كنج King الذى وصفه بأنه لص ، أنه رجل غدر وخيانه وأراد النيل من أقدس مقدسات المسلمين بحملته الفاشلة على الحجاز، كذلك اتجه إلى نهب القوافل الإسلامية على طريق دمشق- القاهرة ومن المستبعد تمامًا أن تكون حرب التحرير الشاملة ضد مملكة بيت المقدس من أجل زاوية الثأر الشخصى من ذلك الفارس الفرنسى الأرعن، وهدف المستشرق المذكور من ذلك إفراغ قضية الجهاد من مضمونها الحقيقى وتصوير الأمر على أنه صراعات شخصية وهو ما لم يحدث .

رابعًا : ذكر أن إنتصارات ذلك القائد المسلم ما حدث إلا من خلال توافر خبرة عسكرية وإدارية كذلك هناك العقاب القاسى لمن عارضه فى عالمى السياسة والحرب، كما أنه رجل انتهازى ولم يتردد فى استخدام المبادئ الدينية لخدمة مطامعه السياسية[3].

أما فيما يتصل بالخبرة العسكرية والإدارية فهى ميزة اعترف بها ذلك المستشرق دون أن يدرى ، وأما العقاب القاسى فهو ضرورى تمامًا فى بعض المواقف ومن أمثلتها :

١- Ehrenkrouitz, Saladin , p. 236 .

٢- Ibid , p. 200 .

٣- Ehrenkreutz , Op. cit , p. 238 .

١- عقاب المشاركين فى المؤامرة الدولية الكبرى ومنهم الشاعر عمارة اليمنى بالقتل عام ١١٧٤م.

٢- الفتك بفرسان الاسبتارية والداوية فى أعقاب معركة حطين ١١٨٧م.

٣- قتل السهروردى الحلبى عام ١١٩١م .

وفى الحالات الثلاث كان لابد من استعمال العقاب القاسى لظروف مبررة ، تم إيرادها فى قلب الدراسة.

خامساً: أشار ذلك المستشرق إلى أن صلاح الدين الأيوبى عمل على إستهلاك طاقة مصر ودمر إقتصادها وأن ما أتبعه من خطط سياسية أدى إلى توجيه الصليبيين لأنظارهم نحوها فوجهوا لها الحملات تلو الأخرى صوبها [١].

والواقع أن ذلك التصور يمكن أن يفند على أيدى المتخصصين فى مجال تاريخ الحروب الصليبية، وإذ أن السبب الرئيسى فى استهلاك طاقة مصر الاقتصادية لم يكن صلاح الدين نفسه، بل الحركة الصليبية ذاتها التى قدمت بأطماع سافرة فى المنطقة وانفق ابناؤها الأموال الطائلة لصد تلك الأطماع، ولانغفل أيضاً أمر الكوارث الطبيعية مثل إنخفاض منسوب النيل كما حدث فى عهد العزيز عثمان بن صلاح الدين.

أما القول بأن خططه أدت إلى توجيه الصليبيين حملاتهم إلى مصر، فذلك قول لاينطوى على الحقيقة فى شئ لأن الحملات اتجهت صوب مصر حتى من قبل صلاح الدين كما لاحظنا فى عهدى بلدوين الأول وعمورى، ومن السذاجة التصور بأن صلاح الدين الأيوبى يتحمل مسئولية الحملة الخامسة ، والسابعة !!! ، إذ أن هناك مشروعاً استعمارياً استخرابياً فى العصور الوسطى كان من قبل وجود ذلك السلطان واستمر فى عهده وكذلك فيما بعد ذلك.

إن استعراض تلك الآراء يكشف لنا عن أن المستشرق المذكور، حركته روح تتسم بعدم الموضوعية ، وعدم فهم طبيعة الصراع الإسلامى، الصليبى، ولم يأت أصلاً بجديد لأن مثل تلك الأفكار نردد بعضها من قبل، ومن الجلى البين أنه حقق شهرة واضحة من خلال مهاجمة ذلك السلطان المجاهد الذى ترك تاريخاً تتحدث عنه الأجيال ، وخرج من الدنيا فقيراً . ويكفى

١- Ehrenkreutz, Saladin, p. 234 .

ذلك السلطان إشادة المصادر الصليبية به، ومؤلفو مادته فى دوائر المعارف فى العالم اجمع دون أن يكون ذلك معناه الوقوع فى كارزميته، بل أن الهدف رد الادعاءات والافتراءات على رمز من رموز الاسلام فى العصور الوسطى .

ذلك عرض عن أحداث الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢م) ودور صلاح الدين الأيوبى فى قيادة المسلمين خلالها ، أما الفصل التالى فيتم تخصيصه لتناول معاصرى ذلك السلطان من المسلمين من خلال أسلوب النماذج المختارة.

الفصل السادس

معاصرو صلاح الدين الأيوبى من المسلمين

- نماذج مختارة -

يتناول هذا الفصل بالدراسة ، معاصرو صلاح الدين الأيوبى من المسلمين من أجل تسليط الضوء عليهم ولمعرفة حجم تأثيرهم عليه وكذلك موقفه من بعضهم تأييداً وإختلافاً .

والواقع أن المتأمل لعصر مؤسس الدولة الأيوبية يدرك وجود كوكبة بارزة من رجال الحرب والسياسة ، وأعلام الفكر من الأدباء والمؤرخين ، وكذلك الأطباء الذين تجمعوا فى ذلك الحين على نحو نادر التكرار، وكان للسلطان الأيوبى علاقات معهم بصور متعددة ولذلك فعلى الباحث أن يدرس أولئك الأعلام كى يعمق رؤية العصر التاريخى ذاته.

تجدر الاشارة ، إلى أن تلك القيادة المسلمة حرصت على تقريب عدد من أعلام الفكر والأدب ، على نحو نعرف من خلاله إدراكها لأهمية «سلاح الكلمة» ، ودور الإعلام فى الجهاد ضد الصليبيين وأتصور أن ذلك الإتجاه كان من أهم ما إتخذه صلاح الدين الأيوبى، لأنه بذلك أحاط دولته بنوعيات بارزة من أهل الفكر ولم يعمل على تجنبهم ويصبح مجرد رجل معارك وسياسة فقط.

ومن المهم ، إدراك أن من أولئك الأعلام الكبار من شاركوا فى تكوين عقليته، أو فى قراراته المصيرية فى عالمى الحرب والسياسة، وكانوا - بصفة عامة- من كبار مستشاريه وهدفنا من هذا الفصل ألا نركز على البطل الفرد ونغفل «الأبطال» الآخرين الذين أفادوه بالرأى والنصيحة أو عاونوه فى إدارة دولته بكفاءة واقتدار من أجل إثبات أن عصر صلاح الدين لم يصنعه فارس واحد فقط، بل مجموعة منتقاه من الرجال الذين برعوا فى مختلف المجالات واستفاد ذلك السلطان من قدراتهم فى تحقيق أهدافه العليا وهى لاتنفصل عن أهداف أمته فى جهاد الصليبيين .

وتجدر الإشارة ، إلى أننا لن نقوم بعمل حصر شامل لكافة أولئك المعاصرين لكثرتهم

العددية من ناحية ، وتنوع المساحة الجغرافية لأولئك المعاصرين بإتساع رقعة عالم الإسلام فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى، وهكذا ، فليس أمامنا إلا إتباع نمط النماذج المختارة ، والإقتصار على أبرز العناصر خاصة فى مجالات السياسة والأدب نثراً وشعراً والفلسفة والتاريخ والرحلات إلى غيرها من المجالات .

من جهة أخرى ، فإن اهتمامنا الأكبر ينصب على الجانب الإسلامى فقط. دون التطرق إلى معاصريه من الصليبيين على أرض بلاد الشام فى مملكة بيت المقدس الصليبية وكذلك فى الغرب الأوربى والشرق البيزنطى خاصة أن الفصول السابقة تعرضت لهم وتناولتهم سواء فى المتن أو فى الحواشى .

وقد عاصرته عدة شخصيات بارزة فى عالم الحرب والسياسة ومن أبرز الشخصيات الإسلامية التى عاصرها صلاح الدين الأيوبى ؛ نور الدين محمود[1] ، ومن الممكن القول أنه

١- عن أهم المصادر والمراجع عن نور الدين محمود أنظر :

ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ، ط. بيروت ١٩٠٨م، الفتح البندارى ، سنا البرق الشامى، تحقيق فتحية النبراوى، ط. القاهرة ١٩٨٩م، ابن الأثير ، التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية بالموصل. تحقيق عبد القادر طليمات، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ابن قاضى شهبة، الكواكب الدرية فى السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد ، ط. بيروت ١٩٧١ م.

William of Tyre , History of deeds done Beyond The Sea, Trans . by Babcock and krey , New York 1943, Anonyous Syriac Chronicle , The First and Second Crusade, Trans . by Tritton, J.R.A.S., vol . 92 , 1933 .

حسن حبشى ، نور الدين والصليبيون ، ط. القاهرة ١٩٤٨م، حسين مؤنس ، نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق، ط. القاهرة ١٩٨١م، عماد الدين خليل، نور الدين محمود وتجربته الإسلامية ، ط. دمشق ١٩٨٧م، بسام العسلى ، نور الدين القائد، ط. بيروت ١٩٨٨م ، محمد مؤنس عوض ، فى الصراع الإسلامى- الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، محمد على العبد، نور الدين محمود بن زنكى بطل الوحدة أيام الصليبيين، ط. الرياض ، ب-ت هاملتون جب ، «سيرة نور الدين» ، ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية تحرير سعيد البيشاوى ومحمد مؤنس عوض، ، ط. عمان ٢٠٠٤م، ص١٦٠- ص١٨٧ . محمد على العبد، نور الدين بن زنكى بطل الوحدة إبان الحروب الصليبية ، ط. الرياض ب-ت.

صاحب الأثر الأكبر في تكوينه كسياسي ورجل عسكري قدير، ويلاحظ أن من أهم صفات نور الدين محمود الحكمة السياسية والتأني في إصدار القرارات خاصة المصيرية ، وقد تعلم صلاح الدين ذلك منه. ولانغفل أن المرحلة التي عمل فيها الأخير في شرطة دمشق هيأت له إبراز دوره كشخص حازم في مواجهة النصوص . ثم أن تلك المرحلة عَمَّقت لدى صلاح الدين الحس الأمني وكان لذلك الأثر الأكبر في مواجهة كافة المؤامرات التي واجهها خاصة في مصر دون إغفال توفيق الله تعالى من قبل ومن بعد .

من ناحية أخرى ، لانغفل أن نور الدين محمود كان بارعًا في إكتشاف الرجال الملائمين للمواقف العصيبة ولذلك وقع اختياره على ذلك الفارس الأيوبي واكتشفه وأعطاه الفرصة لإبراز قدراته وجعله يشارك في الإتجاه صوب مصر ومن ثم حدث التسابق النوري- الصليبي على أرض الكنانة كما أسلفت العرض من قبل.

والأمر المؤكد ، أن صلاح الدين الأيوبي تمتع بصفة على جانب كبير من الأهمية في صورة القدرة على إكتساب الخبرات المتعددة سياسيًا على نحو خاص- خلال مرحلة زمنية محدودة . ولانغفل أن الشعور بالخطر يدفع المرء إلى استنفار كافة قدراته كي يواجه ما يحاك من حوله من مؤامرات ، ودسائس ومن المقرر أن المرحلة المصرية كانت ثرية للغاية في جعل صلاح الدين الأيوبي «ينضج على نحو سريع» بصورة تدهش المؤرخين الذين درسوا تلك الأحداث ،

= عبد القادر أبو صيني، نور الدين موحد الأمة ضد الصليبيين، ط. عمان ٢٠٠٠م.

والمؤلف خبير عسكري ولذلك تفيد دراسته في ذلك الجانب على نحو خاص .

عليه ديب تبريزي ، المخطط الأعظم لتحرير القدس نور الدين محمود ، ط. صيدا ٢٠٠٣م.

Eliseeff, Nur Ad-Din un grand Prince Musulman au Temps des Croisades, 3 vols , Damas 1967 .

وقد تمت ترجمة الجزء الثاني من الكتاب انظر:

نيكيتا اليسيف ، السلطان نور الدين محمود بن زنكي أبي سنقر ٥١١-٥٦٩هـ / ١١١٨-١١٧٤م ، ت. سليم قندلفت ، ط. دمشق ١٩٩٨م.

إلا أن الترجمة المذكورة بلا تعليقات تثرى النص الأصل مع عدم اغفال الجهد الكبير المبذول فيها .

Elisseeff, " la Titualiture de Nur al - Din d'apres ses inscriptions , B.E.O., T. XIV, Année 1952, pp. 155-196 .

محمد العبده ، أيعيد التاريخ نفسه ؟ دراسة لأحوال العالم الإسلامي قبل صلاح الدين مقارنة مع واقعنا المعاصر، ط. الرياض ١٩٩٠م، ص٨٤-٨٧ .

وعلى نحو كان بمثابة مفاجأة لنور الدين محمود نفسه عندما إتضح له أن الشاب اليافع الذى أرسله إلى مصر صار خبيراً فى أمور السياسة وأن طموحه الذى استتر لعدة أعوام يظهر الآن بجلاء ودون مواربة أو مداراة وينضج ، وهذا هو الأخطر .

ولسنا هنا فى مجال المفاضلة بين نور الدين وصلاح الدين فالاثنان قائدان فى قافلة الجهاد ، والأول مهندس حركة الجهاد ، والثانى من قام بالتنفيذ ببراعة ذكرها له التاريخ.

كذلك عاصر الخليفة الناصر لدين الله العباسى (١١٧٩-١٢٢٥م) ، ويلاحظ أنه لم يوضع فى مقدمة معاصريه ، وتعليل ذلك عدم فعالية دوره فى تاريخ الحروب الصليبية ، ومع ذلك يذكر له اهتمامه بإحياء تقاليد الفروسية العربية من خلال الإهتمام بالفتوة [١] ، وكثيراً ما أورد المؤرخون المعاصرون واللاحقون إشارات عن دوره فى ذلك المجال[٢].

من جهة أخرى، تصور أحد المؤرخين المتحاملين على السلطان الأيوبى ، أن الخليفة العباسى

١- عن الفتوة انظر: ابن البقال ، المقترح فى المصطلح فى رمى البندق والصيد، ألفه للخليفة العباسى الناصر لدين الله مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٥٠) .

ابن المعمار الحنبلى ، الفتوة ، تحقيق مصطفى جواد ، والنجار، والهلالى والعيسى، ط. بغداد ١٩٥٨م.

٢- عن ذلك انظر: ابن الأثير ، الكامل، ج١، ص٤٤٠ ، ابن القوطى، تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب ، تحقيق مصطفى جواد ، ج٤ / ق١ ، ط. بغداد ١٩١٢م، ص١٤٨ ، ابن الساعى ، الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير، ط. بغداد ١٩٣٤م، ج٩ ، ص٢٥١ - ص٢٥٢ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، م٥ / ج١ ، تحقيق الشماع، ص١١٢ ، أحمد أمين، الصعلكة ، والفتوة فى الإسلام ، ط. القاهرة ١٩٥٣م، ص٦٦ ، عمر الدسوقى، الفتوة عند العرب، ط. القاهرة ب-ت ، ص٢٣٢ ، واصف بطرس غالى، تقاليد الفروسية عند العرب ، ت. أنور لوقا ، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص٣١ ، جيرارد زلنجر ،« الفتوة هل هى الفروسية الشرقية »، ضمن كتاب دراسات إسلامية ، ت. مجموعة من الباحثين بإشراف نقولا زيادة، ط. بيروت ١٩٦٠م، ص٢٢١ ، محسن صالح محيى الدين ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى الشرق فى عهد الناصر لدين الله العباسى، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م، ص٦٧- ص٦٨ ، فرانزتشنر، «الفتوة والخليفة الناصر» ، بحث ضمن كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين، ت. صلاح الدين المنجد، ط. القاهرة ١٩٥٥م، ص١٨٩- ص٢٠٧ ، محمد مؤنس عوض ، الاسماعيلية النزارية فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، مجلة بحوث الشرق الأوسط العدد (٢٠) مارس ٢٠٠٧م، ص٣٩- ص٤٠ .

المذكور، إمتلك جيشًا بلغ قوامه ۱۲۰,۰۰۰ فارس[١] وأنه كان فى مقدوره المساهمة بفعالية فى جهاد الصليبيين إلا أن السلطان المذكور أعاقه عن ذلك بل بلغ به الأمر حداً اتهمه فيه بالخيانة وذكر أنه ما قام به فى هذا الشأن يستوجب القتل !!!.

ولكن فى ضوء التحقيقات التاريخية الممتازة التى قام بها المؤرخ السورى الكبير شاكر مصطفى تأكد للقاصى والدانى مدى عدم دقة مثل ذلك التصور وقد أوضح أن الرقم المذكور لايجد دعمًا فى النصوص المصرية[٢]، والأمر المؤكد أن الخلافة العباسية كان ظلها شاحبًا فى عصر الحروب الصليبية وأن الأيوبيين خاضوا المعركة من خلال إمكاناتهم الخاصة بالإضافة إلى من قدم لهم العون من أمراء الأطراف المتحالفين معهم مما زاد من صعوبة التحديات التى واجهوها .

هناك شخصية عسكرية بارزة تتمثل فى أسد الدين شيركوه [٣]، وهو المعلم الحربى الأول لصلاح الدين ولاتزاع فى أن طريق دمشق - القاهرة ، والصحراء القاحلة التى مر بها من إرتاده وعناء الاجتياز لكافة الأخطار مرات متعددة كل ذلك جعل صلاح الدين يتعلم من أسد الدين الكثير من الخبرات.

ومن الملفت للإنتباه أن تلك الشخصية التى فتحت لصلاح الدين آفاق مصر بكل إمكاناتها ، لم تنل من المؤرخين إلا أقل القليل من الاهتمام وتم تركيز الأضواء على نحو باهر بالسلطان الأيوبى بفضل وجود كوكبة من «رجال الاسلام» بمصطلح عصرنا الحالى أحاطت به .

من جهة أخرى، من المتصور أن مصر «إكتشفت» قدرات أسد الدين شيركوه وابن أخيه كما أن نور الدين محمود اختار الرجل العسكرى المحنك كى يقود الجيش النورى فى معاركه على أرض النيل وكذلك ابن أخيه المعاون له.

١- المؤرخ المذكور هو حسن الأمين ، انظر الردود عليه لدى شاكر مصطفى، صلاح الدين، ص٣٧٦- ص٣٧٧ .

٢- صلاح الدين، ص٣٧٥- ص٣٧٦ .

٣- عنه أنظر: ابن الأثير ، الكامل، ج١١ ، ص١٢١ ، أبو الفداء، التبر المسبوك فى تواريخ الملوك، تحقيق محمد زينهم، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص٦٥ ، حاشية (١) ، حسن ابراهيم ، الفاطميون فى مصر ، ص٣٠٣ ، أحمد بيلى، حياة صلاح الدين الأيوبى، ص٨٤، محمد مؤنس عوض، فى الصراع الإسلامى- الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية، ص٨٩ وما بعدها .

ومن المفترض أن أسد الدين شيركوه قد أكسب ابن أخيه مهارات وخبرات وطرق متعددة لإدارة الأزمات خاصة أن المرحلة المصرية كانت عبارة عن صراعات مستمرة متدفقة بصورة غير مسبوقة فالصراع على أرض عامرة بالخصوم وفي نفس الحين تتم مواجهة الجيش الصليبي على أرض مصر.

ومن الأعلام في عالم السياسة نذكر شقيقه العادل أبوبكر (ت ١٢١٨م)[١]، وهو رجل سياسي قدير ودبلوماسي خبير ، وكان بمثابة الساعد الأيمن للسلطان الأيوبي يقدم له النصيحة والمشورة الصائبة ويشاركه في كافة خطواته ، وقد أظهر مهارة في المجال الدبلوماسي ولذلك فإن صلح الرملة من المفترض أنه كان نجاحًا مشتركًا لصلاح الدين والعادل معًا وبصفة عامة كان محاربًا الأخير ومفاوضًا متميزًا.

من ناحية أخرى ، يذكر لذلك السلطان إتساع صدره وقبوله المشورة من كافة مستشارية كالعادل وغيره وبالتالي عدم الانفراد بالرأى الذى يورد موارد الهلاك . وهو خطأ قتال وقع فيه الكثيرون من قادة التاريخ إلا أن ذلك القائد يحمد له الأخذ بمشورة الآخرين.

ويتشابه العادل مع أسد الدين شيركوه في عدم تسليط الأضواء عليه من جانب المؤرخين وإن كان بدرجة أقل بطبيعة الحال، وقد ظهر التركيز على دوره التاريخي خاصة في المرحلة التالية على وفاة صلاح الدين عام ١١٩٣م، ودخول أبنائه في صراع مرير مع بعضهم البعض جريًا وراء أبهة الملك دون إدراك منهم لخطورة ذلك مع وجود الغزو الصليبي قائمًا في المنطقة، وبالتالي تشابهوا في الصراعات السياسية في الدولة الفاطمية في عصرها الثاني مع وجود الخطر المذكور يهدد أرض الكنانة.

كذلك نذكر الأفضل نور الدين (١١٨٦-١١٩٦م)[٢] على ابن صلاح الدين الأيوبي، وهو أكبر أبنائه . وقد إستوزر ضياء الدين ابن الأثير الذى كانت تنقصه الخبرة ، والحنكة السياسية

١- أفضل دراسة بالعربية عنه هي: محمود الحويري، العادل الأيوبي صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية ، ط. القاهرة ١٩٨٠م، عباس اسماعيل حلمي، السياسة الداخلية للسلطان الملك العادل الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٤٣م.

٢- عنه أنظر: المقريزي ، السلوك ، ج١، ص١١٥، محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، تاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الاسلامي ، ط. القاهرة ١٩٤٨م، ص٢٣٧ .القلقشندي ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط. بيروت ب-ت ، ج٢، ص٦٢ .

مما أدى إلى إضطراب الأمور فى عهده ، وقد قام بعزل كبار رجال الدولة الذين لجأوا إلى بلاط العزيز عثمان بمصر والظاهر غازى فى حلب.

تجدر الإشارة إلى أن السلطان صلاح الدين عندما قسم دولته فيما قبل وفاته وأعطى لابنه الأفضل نصيب الأسد، غلبت عليه عاطفة الأبوة - وهو أمر لم يكن فى مقدوره تجنبه- وأثبتت الأيام عدم قدرة ذلك الابن على تولى الأمور على نحو محكم ، وتأكد فيما بعد أن العادل أبوبكر شقيق ذلك السلطان صاحب الخبرة السياسية الأكبر والقدرة على قيادة تلك الدولة بعد أن إستشرى الصراع بين الأبناء بعد رحيل المؤسس البارز .

ولانغفل كذلك مُقَدَّم الإسماعيلية النزارية فى بلاد الشام فى صورة راشد الدين سنان بن سلمان[1] (١١٦٣- ١١٩٣م) ويعد أبرز القيادات الإسماعيلية فى عصر الحروب الصليبية وتمكن من أن يسيطر على أتباعه فى بلاد الشام الذين إستقروا فى قلاع الدعوة وما جاورها، وأستطاع أن ينافس القيادة الإسماعيلية الأم فى قلعة ألموت بفارس[2]، بل يقال أنه أوجد

= عمر موسى باشا ، أدب الدول المتتابعة ، ص٨٦ ، محمد حسين الأعلمى الحائرى ، دائرة المعارف الشيعية العامة، ط. بيروت ١٩٩٣م، ج١١ ، ص٢٨٧ ، وهى إشارة عابرة ويلاحظ أن المؤلف تناول صلاح الدين فى خمسة أسطر ونصف ولم يشر إلى إنتصاره فى حطين ومعه المسلمون، مما عكس الرغبة فى تحجيمه وهو أمر مرفوض شكلاً وموضوعًا .

١- عنه أنظر: ابن العديم ، سيرة راشد الدين سنان، تحقيق برنارد لويس ، مجلة الدراسات العربية R.E.A., T. VIII Année 1966، ص٢٦٠- ص٢٦١ ، ثلاثة تراجم من بغية الطلب، تحقيق برنارد لويس، Melange Füad koprulü ، ط. استانبول ١٩٥٣م، ص٢٣٨- ص٢٣٩ ، سبط بن الجوزى، مرآة الزمان ، ص٤١٩، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص١١٧ ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر، ص٢٠٨ ، محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ص١٧٧ ، حاشية (٣٦) ، نعمان الطيب سليمان ، منهاج صلاح الدين الأيوبى فى الحكم والقيادة ، ط. القاهرة ١٩٩١، ص١٧٣ حاشية (٤١) .

٢- وقعت قلعة ألموت (عش العقاب) فى إقليم أذربيجان جنوبى بحر قزوين Caspian Sea ، وشيدت على شعب ضيقة فوق قمة صخرية عالية فى قلب جبال البرز، وتحكمت فى وادٍ ضيق يبلغ مداه ٣٠ ميلاً وعرضه فى أعرض مناطقه نحو ٣ أميال ، وقد وقعت على ارتفاع ٦٠٠ ق.م فوق سطح البحر، عنها انظر:

القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد، ط. بيروت ١٩٦٠م، ص٣٠١ .

Malheson , Persia An Archaeological Guide, London 1972 , p. 56 .

محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية السياسة - المياه- العقيدة ، ص١٣٢- حاشية (٧) .

مذهبًا خاصًا به عرف «بالسنانية»، فلاعجب إذا ما علمنا أن القيادة المركزية فى ألموت سعت إلى الفتك به دون جدوى .

ولدينا إشارات وردت فى المصادر تفيد بأن تلك القيادة الإسماعيلية البارزة تمكنت من السيطرة التامة على اتباعها على نحو أنه فى حالة توجيه الأمر لأحدهم بأن يتردى من شاهقة جبل لفعل [١] وقد وردت تلك الرواية لدى ابن جبير فى رحلته .

والواقع أننا لانستطيع التأكد من ذلك ، فهل الأمر كان مُعبرًا عن حقيقة واقعة ؟ أم أن الخيال الشعبى الجامح صوره بصور متعددة؟ وعندما قدم ذلك الرحالة الأندلسى إلى بلاد الشام وجد ذلك المقدم، وقد تحول فى أذهان أتباعه إلى ما يشبه الأسطورة !.

من جهة أخرى، نلاحظ أن أتباعه إعتقدوا فى غيبته ورجعته من بعد ذلك ، تمامًا مثلما اعتقد الشيعة الاثنى عشرية برجعة الإمام محمد بن الحسن العسكرى بعد أن إختفى فى سامراء ويقرر مصدر تاريخى تالٍ لعصر الحروب الصليبية أنه فى قلعة الكهف- وهى من قلاع الدعوة- يوجد الغار الذى إختفى فيه راشد الدين ويقال أنه مدفون فيه ويزعمون أنه غاب فيه ويظهر منه بزعم طائفة منهم [٢]، ومن المفترض أن بقاءه ثلاثين عامًا كمقدم للاسماعيلية - وهو رقم قياسى على نحو مؤكد- عمق صورته والاعتقاد به خاصة لدى المتطرفين من أتباعه .

ومن معاصريه أيضًا مظفر الدين كوكبورى [٣] (ت ١٢٣٢م) ويلاحظ أن كلمة كوكبورى

١- ابن جبير، الرحلة، ص٢٢٩ .

أيضًا : بنيامين التطيلى، الرحلة ، ت. عزرا حداد، دراسة وتقديم، عبد الرحمن الشيخ، ط. أبوظبى ٢٠٠٢م، ص٤٣٢ .

٢- شيخ الربوة ، نخبة الدهر، ص٢٠٨ .

٣- عنه أنظر : العماد الأصفهانى، البرق الشامى، ج٥، ص٧٧، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس ، ط. بيروت ١٩٧٨م، ج٤ ، ص١١٣- ص١٢١ ، الفتح البندارى ، سنا البرق الشامى، ص٢٥٤- ص٢٥٦ ، أبوشامة ، الروضتين ، ج٢ ، ص١٤٢، الذيل على الروضتين ، ص١٦١ ، الباعث على إنكار البدع والحوادث ، ط. القاهرة ، ص٢٣- ص٢٤ ، ابن العميد، أخبار الأيوبيين، تحقيق كلود كاهن. B.E.O., T. XV , Années 1955-1957 . ، ص١٤٠ ، ابن طولون الصالحى، القلائد الجوهرى، ج١، ص١٥٦ ، المقريزى، السلوك ، ج/١ ق١ ، ص٨٩ ، عباس العزاوى، «آل بكتكين ...مظفر الدين

تعنى الذئب الأزرق ، وقد ولد في الموصل، وهو في ذلك يتشابه مع بهاء الدين بن شداد ، وتذكر له المصادر شجاعته واشتراكه في العمليات الحربية وأنه رافق السلطان الأيوبي في أغلب فتوحاته، كما أنه قد تولى إمارة أربيل واشتهر بعطفه . على الزهاد ، والعباد ، وحرصه على توزيع الصدقات واقامة دار للأرامل، ودار للأيتام الصغار مما عكس إدراكه لبعد التكامل الاجتماعي. كما اشتهر بتشييد دور العبادة للزهاد والعباد وهي التي مارسوا فيها عباداتهم كالخوانق، والربط، والزوايا . ومما يذكر عن ذلك الأمير أنه حرص على اقامة احتفال بالمولد النبوي اشار إليه ابن خلكان إليه في قوله : «فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به» [١].

كذلك نشير إلى أحد أمراء الدولة الأيوبية البارزين في صورة عيسى الهكاري[٢] (ت ١١٨٩م) ، ويلاحظ أنه كان صاحب خبرة سياسية بارزة ، وتعلم أنه كان أصلاً فقيهاً عمل في إحدى مدارس حلب ؛ وهي المدرسة الزجاجية [٣]، وعندما قدم أسد الدين شيركوه إلى مصر كان في صحبته ، وكان له تأثير واضح على صلاح الدين الأيوبي الذي كان يكثر من الاستعانة بمشورته ولم يكن يغادر رأيه وفي عبارة فريدة يقرر ابن خلكان أنه «كان كثير

= كوكبوري»، مجلة المجمع العلمي، ط. دمشق ١٩٤٦م، م (٢) ، ج١ ، ج٢، ص٥٢٩ ، عبد القادر طليمات ، مظفر الدين كوكبوري، ط. القاهرة ١٣٨٣هـ، بدوي فهد، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري، ط. بغداد ١٩٦٧م، ص٢٠٢ ، حاشية (٨٨) ، علي العواجي، موقف نصاري الشام ومصر من الحروب الصليبية في الفترة من ٤٨٨هـ / ١٠٩٥ م إلى ٦٩٠هـ / ١٢٩١م رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٩٩٩م، ص٣٢٧ ، محمد فيصل عبد المنعم»، الملك مظفر الدين كوكبوري الذئب الأزرق»، الحرس الوطني ، العدد (٩)، ابريل ١٩٨٣م. ص١٠٠- ص١٠٣ .

١- ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج٤، ص١١٧ .

٢- عنه أنظر: ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٤٩٧ - ص٤٩٨ ، محسن محمد حسين، «المشطوب الهكاري سيرة مجاهد صفحة مشرقة من حياة أحد القادة الكرد في الحروب الصليبية» ، المجمع العلمي العراقي، عدد (٨) عام ١٩٨١م ، مصطفى الحياري، صلاح الدين القائد وعصره، ص٣٣٩ .

ليلى عبد الجواد «أضواء على الأكراد الهكارية في عصر صلاح الدين الأيوبي» حوليات كلية الآداب- جامعة القاهرة ، العدد (٦١) ، عام ١٩٧٤م، ص١٥٣- ص١٦١ .

٣- ابن خلكان ، المصدر السابق، ص٤٩٣ .

الإدلال عليه»[١] وأنه «يخاطبه بما لايقدر عليه غيره من الكلام»[٢]، مما عكس مكانته الخاصة لدى السلطان .

والأمر المؤكد ، أن دور ذلك الفقيه يدل دلالة وضاحة على أن هناك مستشارين لذلك السلطان استفاد من خلال توجيهاتهم والمهم هنا أنه كان يستمع إلى النصح ويأخذ به دون مغالطة أو مكابرة أو عناد أحمق يورد صاحبه وأمته موارد الهلاك دون أن يدرى.

كذلك نذكر أمر الأمير تاج الملوك بورى (تعنى الذئب) بن أيوب بن شاذى[٣] (ت ١١٨٣م) ، وقد وصف بأنه كان أصغر أولاد أبيه ، وعرف ببراعة فى أمور الحرب حتى وصف بالبطولة ، وقد جذبه الشعر بقوافيه وأوزانه، وهكذا صار صاحب ديوان عاش من بعده .

ويلاحظ أن ذلك الفارس الشاعر قد أصابه جرح خلال حصار صلاح الدين الأيوبى لمدينة حلب حاضرة شمالى بلاد الشام وقد توفى وهو فى ريعان الشباب وهكذا فإن ذلك الشاعر يذكرنا بأسامه بن منقذ الذى كان فارسًا وشاعراً إلا أن الفارق بينهما أن الأخير كان معمراً وعاصر سقوط دول وقيام أخرى.

وهناك أيضًا ، الأمير تورنشاه بن أيوب (ت ١١٨٠م) [٤] ، وهو الذى أرسل من أجل فتح اليمن - كما أسلفت الإشارة من قبل- وقد تمكن من إنجاز تلك المهمة بنجاح ؛ وبالتالى

١- ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ص٤٩٣ .

٢- نفسه، نفس الصفحة.

٣- عنه أنظر: ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٩٠- ص٢٩٢ ، ابن واصل ، مفرج الكروب، ، ج٢، ص١٤٣- ص١٤٦ .

جمال الدين الشيال ، «شاعر من البيت الأيوبى يموت فى سن الشباب» ضمن كتاب دراسات فى التاريخ الإسلامى، ص٥٧- ص٧٢ .

ومن أشعاره :

شربت من الفرات ونيل مصر	أحب إلىَّ من ماء الفرات
ولى فى مصر من أصبو إليه	ومن فى قربه أبداً حياتى
فقلت وقد ذكرت زمان وصل	تمادى بعده روح الحياة
أرى ما اشتهيه يفر منى	وما لا أشتهيه إلى يأتى

جمال الدين الشيال ، المرجع السابق، ص٦٠ .

٤- عنه أنظر : ابن خلكان ، المصدر السابق، ج١، ص٢٩٠- ص٢٩٢ .

غدت اليمن عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر بمثابة العمق الإستراتيجي للوجود الأيوبي في مصر في بواكيره الأولى .

يبقى أن نذكر ، أن ذلك الأمير وصف بالكرم ومثل تلك الأوصاف نجدها بكثرة مرتبط بأمراء البيت الأيوبي ، وترددت في كتب الوفيات والتراجم وكذلك- على نحو أقل- في كتب الحوليات ومن المرجح أنه في تلك الصفة اقتفى أثر والده الذى أشارت إلى سخائه حتى المصادر الصليبية.

كما نذكر الأمير أبو منصور جهاركس (ت ١٢١٢م) و(تعنى أربعة أنفس)، وقد وصف بأنه كان من كبراء أمراء الدولة الأيوبية واشتهر باهتماماته الاقتصادية التجارية حيث شيد في القاهرة قيسارية وصفت «بالقيسارية الكبرى».

كما أن هناك شخصية عسكرية بارزة في صوره حسام الدين لؤلؤ[١] (ت ١٢٠٠م) قائد الأسطول الأيوبي الذى واجه مؤامرة إرناط على الحجاز عام ١١٨٢م، وقد تمكن من القضاء على الهجوم الصليبي بنجاح بمعاونة أفراد الأسطول الأيوبي حينذاك ويلاحظ أن كافة المصادر التاريخية التي تعرضت لتلك الأحداث حرص مؤرخوها على الاشارة والإشادة بذلك القائد البحري.

يبقى أن نذكر أن هناك إشارات تفيد أمر تقوى وصلاح ذلك الفارس وسعيه إلى القيام بأعمال الخير ورعاية الفقراء [٢]. وهكذا فإنه بجهاد الصليبيين بحريًا وبأعمال البر والاحسان لم يكن غريبًا أن نجد شعراءً يمتدحونه في قصائدهم[٣] ويلاحظ أن مثل تلك الصفات كثيراً ما ترددت في مصادر ذلك العصر مما عبر عن ظاهرة انسانية عامة.

١- عنه أنظر: ابن الأثير ، الكامل، ج١١ ، ص-٤٩- ص٤٩١ ، العماد الأصفهاني ، البرق الشامي، ج٥، ص٦٩ ، المقريزي ، السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص٩٣ ، أحمد حطيط ، «تجارة البحر الأحمر في زمن صلاح الدين الأيوبي مساهمة في دراسة التاريخ الاقتصادي الاسلامي الوسيط » دراسات إسلامية ، عدد (٥) عام ١٩٩٤م، ص١١١ ; يوسف غوانمه ، القدس الشريف، ط. عمان ٢٠٠٢م، ص٣٦ ، إمارة الكرك الأيوبية ، ص١٣٢ ، حاشية (١١٢) .

Hamilton , The Leper king, p. 183 .

٢- يوسف غوانمه ، إمارة الكرك الأيوبية ، ص١٣٢ ، حاشية (١١٢) .

٣- من ذلك الشاعر الرضى بن أبي حصينه المصري إذ قال مخاطبًا الصليبيين:

كما نذكر بهاء الدين قراقوش[١] (ت ١٢٠١م) وكان من أبرز قيادات عصر صلاح الدين الأيوبي، وقاد حملة أيوبية على مناطق الموحدين في المغرب[٢] وقد جعله الأخير نائبًا عنه بمصر أثناء غيابه في بلاد الشام. وقد شارك في التحصينات الدفاعية التي أقامها السلطان المذكور في سواحل مصر وفي سيناء، وبلاد الشام .

كما يذكر التاريخ له إقامته لقلعة الجبل فوق جبل المقطم- كما أسلفت الذكر من قبل - كذلك قيادته لمعركة حصار عكا على مدى عامين كاملين.

يبقى أن نذكر أنه من المظلومين في التاريخ حيث اتهم ابن مماتي بأنه طاغية مستبد وناقص العقل واتهمه بالبخل، والأمر المؤكد أن كافة تلك الإتهامات لاتقف على قدميها أمام البحث التاريخي الموضوعي الذي يؤكد الدور الجهادي البارز والعمراني لذلك الفارس.

وهناك أيضًا الأمير العزيز عثمان بن صلاح الدين[٣] (ت ١١٩٨م) وقد كان نائبًا عن والده على مصر عندما كان في بلاد الشام، وقد إمتدح من جانب المؤرخين الذين وصفوه بأنه كان كثير الخيرات واسع الكرم[٤].

= علو لكم لؤلؤ والبحر مسكنه والدر في البحر لايخشى من الغير

فأمر حسامك أن يحظى بنحرهم فالدر من كان منسوب إلى البحر

أبوشامة ، الروضتين ، ج٢، ص٢٤٠ .

١- عنه أنظر: ابن مماتي، الفاشوش حكم قراقوش ، ضمن كتاب عبد اللطيف حمزة ، حكم قراقوش ، ط. القاهرة ١٩٨٢م.

توفيق أحمد عبد الجواد ، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٧٠م، ج٣، ص٤٠ ، وأفضل بحث بالعربية دفاعًا عنه هو :

عفاف صبرة ، «بهاء الدين قراقوش الوزير المفترى عليه» ، الدارة السنة (١٣) ، العدد (٢) أغسطس ١٩٨٧م، ص١٣٦- ص١٨١ .

٢- منذر الحايك ، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ج١ ، ص٣٥٨ .

٣- عبد العزيز عثمان أنظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٥١ .

٤- نفسه ، ج٣، ص٢٥١ .

ويلاحظ أن عهده من بعد والده شهد محنة مجاعة حلت بأرض الكنانة نتيجة إنخفاض منسوب نهر النيل أعادت إلى الأذهان أحداث الشدة المستنصرية فى العصر الفاطمى وقد وصفها بدقة عبد اللطيف البغدادى [١].

مهما يكن من أمر، من المقرر أن صلاح الدين كان يؤثر العزيز عثمان على سائر إخوته كما أشار إلى ذلك ابن خلكان [٢]، ويلاحظ أن ذلك كان من الناحية النفسية غير أنه فى عالم السياسة فضل فى تقسيم دولته كميراث ابنه الأفضل نور الدين .

كما لانغفل الإشارة إلى أحد فرسان الجيش الأيوبى البارزين وهو قايماز الطويل [٣](ت ١١٩١م) وقد وصف بأنه لم يعرف أشجع منه أو أكثر منه شهامه وفق ما قرره ابن الأثير[٤]، وأبلى ذلك الفارس بلاءً حسنًا فى معارك الجيش الأيوبى ، ووصف بالقوة ونجد أن مؤرخًا صليبيًا معاصراً لأحداث الصليبية الثالثة ذكر عنه أنه كان رجلاً بالغ القوة حتى أن أى رجل لم يكن فى مقدور أى رجل إنزاله من صهوة حصانه وأشار إلى أنه كان يحمل رمحًا ثقيلاً فى وزين رمحين من تلك الرماح التى فى أيدى الصليبيين [٥]، وإتصور أن شهادة الأعداء لها دلالة خاصة فى عصر الحروب الصليبية فنادراً ما امتدح الغزاة المسلمين .

يبقى أن نذكر أن ذلك الفارس الصنديد الذى شهد على مقدرته الأعداء أنفسهم، استشهد يوم ٧ سبتمبر ١١٩١م خلال أحداث معركة أرسوف، وقد أسف على رحيله المسلمون وحزنوا حزنًا شديداً [٦]، ولامراء فى أن ذكرى ذلك الفارس الصنديد ظلت تتردد على ألسنة أفراد الجيش الأيوبى لأعوام وأعوام .

١- الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، ت. أحمد غسان سبانو، ط. دمشق ١٩٨٣م، ص٨٥ -ص٩٥ .

٢- وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٥١ .

٣- عنه أنظر: ابن الأثير ، الكامل، ج٩، ص٢١٦ ، سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان، ج٨ / ق١، ص٤٠٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٢، ص٣٦٨ .

٤- المصدر السابق، ج٩، ص٢١٦ ، محمد مؤنس عوض، ، معركة ارسوف ، ص٣١ .

٥- Geoffrey of Vinsauf, p. 231 .

٦- Ibid , p. 231 .

كما تذكر الملك الزاهر[١] (ت ١٢٣٦م) وهو سليمان داود ابن صلاح الدين الأيوبي، وقد وصف بأنه صاحب البيرة [٢]، ومن الطريف أنه كان في ملامحه يشبه والده إلى حد كبير ولذلك ترده عنه قوله : «من أراد أن يبصر صلاح الدين فليبصرني فإننا أشبه أولاده به » ، ويلاحظ إن عاش نحو ستين عامًا وبالتالي لم يكن له نفس مصير تاج الملك بوري عمه الذي مات وهو في ربيع العمر.

١- عنه أنظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢، ص٢٥٧- ص٢٥٨ .

٢- هناك عدة مناطق حملت اسم البيرة ، منها البيرة الواقعة على بعد ١٦ ك . شمالي بيت المقدس وهي التي أقام فيها الصليبيون مستعمرة تابعة لكنيسة الضريح المقدس وحررها المسلمون عقب حطين عام ١١٨٧م، عنها أنظر : ياقوت ، معجم البلدان ، ط. بيروت ١٩٧٩م، ج١، ص٥٢٦ ، رشدي الأشهب ، المعالم الأثرية في فلسطين ، ط. القدس ٢٠٠٢م، ص٨٠ .

Fulcher of Chartres , p. 265 , William of Tyre, vol . II , p. 18 , Abel , " Les deux Mahumerie El . Birah , El, qoubeibeh", R.B., T. XXXV, 1926 , pp. 272-283 , Ellenblum , Franlish Rural Settlement in The latin kingdom of Jerusalem, Cambridge, 1998, p . 92 , Hamilton , The Latin Church in the Latin States, London 1980, p. 91 , p. 142 , Pringle, " Magna Mahumeria (al- Bira) : The Archaeology of New Town in Palestine ", in Edbury (ed.) , Crusade and Settement , Cardiff 1985 , pp. 148-168 , Dussaud, Topographie Historique de Syrie Antique et Medievale , Paris, 1931 , p. 387 .

محمد مؤنس عوض ، «مستعمرة البيرة الصليبية »، ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية بحوث دراسات، ص٥٧ ، ص٨٠ ، حاشية (١٨) .

وهناك البيرة : المطلة على الفرات من أعمال الجزيرة الواقعة إلى الشرق من قلعة الروم عنها أنظر: ابن الأثير ، التاريخ الباهر، ص٧٠ Stevenson, The Crusaders in the east , Beirut 1968, p. 239- note (1).

ويلاحظ أن جي لسترانج أشار إلى وجود قرية في منطقة المفازة بإيران تسمى «بيرة» دون أداة التعريف عن ذلك أنظر: جي لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، ت. كوركيس عواد وبشير فرنسيس ، ط. بيروت

كما نذكر أبو الفتح عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود ابن عماد الدين زنكي[١] (ت ٥٩٤هـ/١٢١٢م) ، وقد إمتدحه ابن خلكان فى ترجمته ، غير أن معاصريه أنكروا عليه تسليمه لحلب للسلطان الأيوبى وسخروا منه وصارحوه بأنه لايصلح لأمور السياسة [٢]، خاصة أنه حصل عوضاً عنها سنجار، ونصيبين، والخابور، والرقة، وسروج ومن الواضح أن كافة تلك المناطق لم تكن توازى البته الأهمية الاقتصادية التجارية وبالتالى السياسية لحاضرة شمالى بلاد الشام وهى حلب.

لانغفل هنا الإشارة ، إلى أن أبو الفتح عماد الدين زنكى بن قطب الدين مودود لم يكن نداً لصلاح الدين عسكرياً أو سياسياً ، ومن خلال رؤية «واقعية» لم يكن يستطيع أمام تنامى قوة ذلك الفارس الأيوبى إلا أن يتنازل له عن حلب لأن البديل، يتمثل فى عدم حصوله على أية منطقة بل خسرانه لكل ما تحت يده .

= ١٩٨٥م، ص٣٦٥ ، وهناك البيرة فى الأندلس على بعد ميل وربع الميل شمال غربى غرناطة عنها أنظر: ياقوت ، المشترك وضعًا والمفترق صقعًا ، تحقيق وستنفيلد ، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٣٦٦ ، تسيبولد ، «البيرة» ، دائرة المعارف الإسلامية ، ت. الشنتناوى وآخرون ، ط. القاهرة ، ب-ت ، ج٤ ، ص١٧٣ ، عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربى الإسلامى فى شمال أفريقيه والأندلس ، ط. بغداد ١٩٨٧م، ص٢١٧- ص٢٣٠ ، محمد إبراهيم أبا الخيل ، الأندلس فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى ٢٧٥- ٣٠٠هـ / ٨٨٨- ٩١٢م ، ط. الرياض ١٩٩٥م، ص٦٣ ، حاشية (٣٩) ، يوسف أحمد بنى ياسين، بلدان الأندلس فى أعمال ياقوت الحموى الجغرافية (٥٧٤- ٦٢٦هـ / ١١٧٨- ١٢٢٩م) ، ط. العين ٢٠٠٤م، ص٢١١- ص٢١٦ . ويلاحظ هناك عدة مناطق تحمل اسم البيرة فى فلسطين غير ما ذكرناها من يحمل فهناك البير ، فى قضاء الخليل ، وخربة البيرة فى قضاء الرملة، وخربة البيرة فى قضاء غزة.

قسطنطندى نقولا أبوحمود ، المواقع الجغرافية فى فلسطين ، جمعية الدراسات العربية القدس، ١٩٨٢م، ص٤٠ ، محمود برهوم ومحمد خروب ، قاموس القرى الفلسطينية إبان الانتداب البريطانى، ط. عمان ١٩٩٠م، ص١٣١ .

١- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٣٣٠- ص٣٣١ .

٢- نفسه ، ص٣٣١ .

ومما قالوه له: «انت لايصلح لك الملك وإنما يطلع لك أن تغسل الثياب». أنظر ، ص٣٣١ .

كذلك نذكر من معاصريه ، عيسى العوام[1]، (توفى فيما بين عامى ١١٨٩-١١٩١م) وهو مسلم من أهل الساحل الشامى، نذر نفسه للجهاد ، وكان ماهراً فى السباحة فعمل كأحد الضفادع البشرية وقد قام بحمل الرسائل والأموال وعام بها حتى وصل إلى القوات المسلمة المحاصرة من جانب الصليبيين، وكل ذلك على نحو سرى، وكثيراً ما قام بتلك المهمة التى أشعرت الحامية المسلمة المحاصرة بالتواصل مع إخوة آخرين يقاتلون الصليبيين صفًا واحداً فى داخل عكا المحاصرة وخارجها .

مهما يكن من أمر، فى إحدى المرات تأخر فى مهمته ، فراودت الشكوك البعض وظنوا به الظنون غير أن الأيام وأمواج البحر أنصفته ؛ إذ طفت جثته بعد أيام حيث فتك به البحر ، ويعلق أحد المؤرخين الردود قائلاً : «مات شهيد الواجب والجهاد وظلت الأمواج تتقاذف حتى ألقته بعد أيام على ساحل عكا، والأموال والرسائل كما هى على وسطه لم يمسها إنسان»[2].

وفى تقديرى أن تلك القصة ظلت تتردد لأعوام وأعوام، وهى تثبت لنا أن المجد الحربى البارز الذى ينسبه المؤرخون إلى صلاح الدين الأيوبى شارك فى صنعه أشخاص ثانويون لم يهتم المؤرخون بالكتابة عنهم إلا نادراً، وهكذا يعطى قيمة كبرى لابن شداد فى كتابه الماتع النوادر السلطانية حيث اهتم بإيراد تلك القصة الإنسانية المؤثرة ، ومن حقنا فى هذا العرض الإشادة بذلك الرجل المجاهد الأمين الذى اشتهر باسم «عيسى العوام» .والأمر المؤكد أن هناك أشخاصًا ثانويين عديدين كانوا مثل عيسى العوام لم يذكرهم المؤرخون ترفعًا واستعلاءً دون إدراك منهم لأهميتهم الكبيرة فى المشاركة فى «صنع التاريخ» .

كذلك عاصر صلاح الدين كوكبة فريدة من رجال الفكر فى صورة المؤرخين والشعراء ، والرحالة والجغرافيين ، ولايمكن كتابة تاريخه دون التعرض- على نحو موجز- لأولئك الاعلام الذين أشارت إليهم كتب الحوليات، والوفيات والطبقات.

١- عنه أنظر: ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص١٣٥- ص١٣٦ ، وفاء محمد على، دراسات فى تاريخ الدولة الأيوبية ، ط. القاهرة ١٩٩٠م، ص٦٣ ، جمال الدين الشيال ، دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص٧٥ ، أحمد مختار العبادى، فى التاريخ الأيوبى والمملوكى، ط. الاسكندرية ١٩٩٢م، ص٦٣ .

٢- جمال الدين الشيال ، دراسات فى التاريخ الإسلامى، ص٧٥ .

ومن الأعـلام الذين أحـاطوا صـلاح الدين نذكـر القـاضى بهـاء الدين بن شـداد (ت١٢٣٤م)(١)، وقد ظل ملازمًا له طوال السنوات العشر الأخيرة من حياة السلطان ، ولم يفترق عنه خلالها إلا فى أقل القليل من الحالات . ومن الممكن - من خلال مطالعة نصوص كتابة النوادر السلطانية- أن تدرك ملامح شخصية بهاء الدين، فقد كان على الأرجح رجلاً عقلانيًا حكيمًا دون أن نغفل العاطفية الواضحة وهو أمر يتكشف لنا دون عناء من خلال عرضه لسيرة صديقه الحميم صلاح الدين .

ولانغفل هنا أن العلاقة الحميمة بين مؤرخنا ابن شداد وفارسنا صلاح الدين تمثل حالة نادرة على مدى عصر الحروب الصليبية ، فلأول مرة - على ما أعلم خاصة خلال أحداث ذلك العصر- يتصادق مؤرخ مع قائد عسكرى وسياسى بارز، ويتوحد الإثنان فى محبة الله تعالى، ولم نجد مثل ذلك الأمر لدى عماد الدين زنكى أو نور الدين محمود أو الظاهر بيبرس أو المنصور قلاوون وابنه الأشرف خليل على الرغم من وجود مؤرخين أرخوا لبعضهم مثل ابن عبد الظاهر (ت ١٢٩٣م) (٢) .

١- عنه أنظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج٧ ، ص٨٤- ص١٠٠ ، جمال محمد سالم، الفقهاء الشام فى مواجهة الغزو الصليبى، ط. القاهرة ٢٠٠٦م، ص٢٩٤- ص٢٩٥ ، جمال فوزى محمد عمار، التاريخ والمؤرخون فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ٥٢١- ٦٠٠هـ / ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٢٧١- ص٢٧٢ ، وأود الإشارة بالمؤلف النابه ويكتابه الجدير بالتقدير محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية ، العلاقات بين الشرق والغرب، ص٣٨١، اسمينوفا ، صلاح الدين والمماليك فى مصر ، ت. حسن بيومى ، المشروع القومى للترجمة ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص١٤ ، ويلاحظ أن هناك من يخلط بينه وبين عز الدين ابن شداد عن ذلك انظر:

عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب، ص٢٧١ ، على أحمد، الأندلسيون والمغاربة فى بلاد الشام، ط. دمشق ١٩٨٩م، ص٣٢٨ ، السعيد الورقى، مصادر التراث العربى، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م، ص١٥٦ .

٢- مؤرخ معاصر للظاهر بيبرس ، وعمل رئيسًا لديوان الإنشاء فى عهده ، وقد توفى عام ١٢٩٣م.

عنه أنظر:

ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، ط. الرياض ١٩٧٦م، ص٩- ص١٥ ، محمد عبدالله عنان، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص٤٦- ص٤٧ .

تجدر الإشارة ، إلى أن صلاح الدين وجد راحته النفسية في التعامل مع مؤرخنا ، ولذلك اقترح عليه ملازمته على نحو دام عشر سنوات خصبة وعامرة بالأحداث ، وكل ذلك أفاده تمامًا عندما كتب النوادر بسلاسة لانظير لها في المدونات التاريخية العربية في مجال السيرة على مدى عصر الحروب الصليبية دونما مبالغة والملاحظ أنه في هذا الكتاب لم يقلد أحدًا على مستوى الأفكار وكذلك الأسلوب .

وجدير بالذكر أن التواضع الذى اشتهر بصلاح الدين كان قادرًا بكفاءة على إلغاء أية معوقات أو حواجز بين السلطان ومؤرخه المحب له في الله تعالى .

من ناحية أخرى، نلاحظ أن المكانة التى نالها ابن شداد لم ينلها مؤرخ آخر- مع إدراكنا لأهمية الآخرين - ودل ذلك كله على أن السلطان أنس له، والمؤكد أنه إستفاد من مشاوراته معه التى طالت على مدى زمنى طويل.

كما أن من الأعلام الذين أحاطوا فارسنا نذكر العماد الكاتب الأصفهانى [1]، (ت ١٢٠١م) الذى نعلم من خلال كتبه إرتباطه بصلاح الدين، ومع ذلك من المفترض من خلال أسلوب مؤلفاته،- إنه كان شخصًا دعائيًا متكلفًا، ومن الملفت للانتباه أن العماد الأصفهانى

١- عنه أنظر : الفتح البندارى، سنا البرق الشامى، ص٢- ص٧ ، ياقوت ، معجم الأدباء، ج١٩ ، ص١١، ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق محمد محيى الدين ، ط. القاهرة ١٩٤٨م، ج٤ ، ص٥٣٢ ، محمد بهجة الأثرى، «كاتب الدولتين النورية والصلاحية »، مجلة المجمع العلمى العراقى م (٤) ، ج (١) ، عام ١٩٥٩ م، ص١٦ ، نظير حسان سعداوى ، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، ط. القاهرة ١٩٦٢م، ص١٩- ص٢٨ ،مسعد بن عبد العطوى، الإتجاهات الفنية فى الشعر إبان الحروب الصليبية، ط. الرياض ١٩٩٥م، ص٦٦ ، فاروق عمر فوزى، التدوين التاريخى عند المسلمين، ط. العين ٢م، ص٣١٩- ص٣٢٠ ، إبراهيم بيضون ، الصراع على الشام فى عصر الأيوبيين والمماليك تحديات الهوية وإنقلابية التاريخ، ط. بيروت ٢٠٠٦م، ص١٣٦- ص١٣٧ .

Richards, " Imad al- Din al- Isfahani administrator , Literateur and Historian" in Shatzmiller (ed.), Crusade and Muslims in the Twelfth - century Syria , Leiden 1933, pp . 133 - 146 .

لم يصل إلى أعماق شخصية صلاح الدين على عكس ما تأتى لابن شداد ومرجع ذلك يعود إلى إختلاف الشخصيتين وتفضيل صلاح الدين لابن شداد على العماد ، كما هو مرجح؛ دون أن يقلل ذلك من قيمة قلمه الذى كان بمثابة سلاح أشاد به السلطان الأيوبى .

تجدر الاشارة إلى أن العماد الكاتب الأصفهانى قدم للمكتبة العربية عدة مؤلفات مثل البرق الشامى والفتح القسى (ويقال الفيح القدسى) فى الفتح القدسى، وكتاب نصرة الفطرة وعصرة القطرة فى أخبار الدولة السلجوقية، وكتاب العتبى والعقبى، ونحلة الرحلة . وخطفة البارق وعطفة الشارق . وخريدة القصر وجريدة[1] العصر .

ويلاحظ أن العماد إتجه إلى تنميق عباراته كما فى حالة الفتح القسى ، وأستعمل الأسلوب المسجوع المبالغ فيه على نحو صار من الصعب معه الإفادة منه إلا بالتعامل مع أحد المعاجم العربية التى تعين على شرح غرامض الكلمات وما أكثرها فى كتابه ومن المفترض أن شخصية «اللغوى» غلبت على شخصية المؤرخ فى الفتح القسى.

يتبقى أن نذكر ضرورة عدم الخلط بين العماد الأصفهانى (الكاتب) الذى نتناوله هنا بالشرح، والعماد الأصفهانى (القاضى) مؤلف كتاب البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان[2].

ومن معاصرى صلاح الدين ، مؤرخه الناقم عليه ابن الأثير [3](ت ١٢٣٢م)، والأمر المؤكد

١- عن مؤلفاته أنظر: كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ت. السيد يعقوب بكر ط. القاهرة ١٩٧٧م، ج٦، ص٥- ص٩ .

٢- تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ، ط. صيدا.

وعنه انظر: محمد مؤنس عوض ، البستان الجامع مصدراً لتاريخ الإسماعيلية النزارية فى بلاد الشام فى القرن ٦هـ / ١٢م ، ط. القاهرة ١٩٨٢م وانظر هذا البحث القيم الذى يعارض رأيى:

نعمان جيران ومحمد طعاني ، «إضافات حول كتاب البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ونسبته للعماد الأصفهانى ٥١٩- ٥٩٧هـ / ١١٢٣- ١٢٠٠م»، المؤرخ المصرى، العدد (١٧) ، يوليو ١٩٩٦م، ص١٣٣- ص٢٦٣ .

٣- عنه أنظر : أبو الفداء ، المختصر فى أخبار البشر ، ج٤ ، ص٣٨٩- ، السبكى، طبقات الشافعية

أن الإرتباط السياسى بالزنكيين كان له دوره الفعّال فى ذلك العداء، كما أن حصار الموصل من جانب السلطان الأيوبى، وتجرع ابن الأثير لويلات الحصار عَمّق لديه ذلك الموقف .

ومع ذلك ، فمن الخطأ البين أن نقلل من قيمة ذلك المؤرخ العراقى البارز نظراً لذلك الموقف. ولاريب فى أنه يعد من أكبر مؤرخى الاسلام فى العصور الوسطى، ويعد كتابه «الكامل فى التاريخ» من أهم المصنفات التاريخية، حقيقة أنه اعتمد على الطبرى فى تاريخ الرسل والملوك وغيره فى الأجزاء التى لم يعاصرها ؛ إلا أنه فى المرحلة التى توافرت له معاصرتها ، ظهر كمؤرخ بارع موهوب له رؤيته الخاصة . ولامراء فى أن الكامل فى التاريخ (١٢ مجلداً) يكفيه ليحتل أبرز مكانة فى تاريخ الكتابة التاريخية الإسلامية.

كما لانغفل الاشارة إلى مؤلفاته الأخرى مثل أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، واللباب فى تهذيب الأنساب حيث هذب فيه كتاب الأنساب للسمعانى والتاريخ الباهر وهو مخصص للزنكيين وفيه الدعاية السياسية واضحة المعالم .

ويلاحظ ، أن ذلك المؤرخ البارز إكتسب قيمته من خلال معارضته للسلطان الأيوبى فى عصر إنبهر فيه الكثيرون من المسلمين وحتى الصليبيين بذلك القائد، ومن هنا تظهر قيمة كتاباته على الرغم من عدم إتصافها بالموضوعية أحياناً ، وترصده لأخطاء المؤسس الأيوبى- من وجهة نظره بطبيعة الحال. تحقيقاً لمشاعر نفسية لم يكن فى مقدوره التغلب عليها كإنسان قبل أن يكون مؤرخاً.

= الكبرى، ج٥ ، ط. القاهرة ب-ت ، ص١٢٧، عبد القادر طليمات، ابن الأثير، المؤرخ ، ط. القاهرة ١٩٦٩م، فيصل السامر، ابن الأثير ، ط. بغداد ١٩٨٦م، هارى إلمر بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية ، ت. محمد عبد الرحمن برج ، مراجعة سعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ص١٣٩ ، وفاء جونى، الحياة الادارية والسياسية فى الإمارات الفرنجية الصليبية فى بلاد الشام ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة دمشق عام ١٩٨٩م، ص٣- ص٤ ، سعيد عاشور ، «دراسة حول كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير»، ضمن كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ط. بيروت ١٩٧٧ ، ص٣٩٣- ص٤١٤ ، محمد عبدالله الحمدان، ابن الأثير الفرسان الثلاثة ، ط. الرياض ١٩٧٤م، ص٦٣- ص٦٧ .

ولانغفل كذلك ، أن ابن الأثير كان ينظر إلى العناصر الكردية نظرة دونية مقارنة بالعناصر التركية ، وقد تصور أن كافة تلك المكانة السامية التى إرتفع إليها صلاح الدين ما كان يستحقها وإنه كان أقل شأناً مما بلغه من سؤدد .

ومع ذلك ، نلاحظ أن ابن الأثير عندما ترفى صلاح الدين لعلة راجع نفسه ، فخط بقلمه عبارات لاتصدر إلا من مؤرخ يعرف أقدار الرجال جيداً ، وكأنه يقول للقارئ أنه بعد تلك العبارات التى نال فيها من الفارس المجاهد ، فإن صدمة الموت التى أصابت المعاصرين على اختلاف مسارهم السياسية- جعلته يضع الأمور فى نصابها على نحو أكثر موضوعية.

بصفة عامة ، كان صلاح الدين محظوظًا - فى تقديرى- أن عاصر مؤرخًا بقامة ابن الأثير- أيا كان الحصاد النهائى لتقويمنا لموقفه من ذلك القائد التاريخى للمسلمين- ولاريب فى أن قسمًا من مكانة صلاح الدين التاريخية تمثل فى معاصرته لعدد من كبار المؤرخين المسلمين ومنهم ابن الأثير ذاته .

يبقى أن نشير هنا إلى أن فى الوقت الذى عاش فيه ابن الأثير فى العراق وبلاد الشام، كان هناك المؤرخ الصليبى البارز وليم الصورى William of Tyre ولاريب فى أنهما يعدان من أبرز أعلام الكتابة التاريخية عصر الصليبيات، وقد أعدت المؤرخة الأردنية المتميزة منى حماد دراسة أكاديمية مهمة عنوانها : الكتابة التاريخية اللاتينية والإسلامية وليم الصورى وابن الأثير دراسة مقارنة من جانب جامعة بنسلفانيا Pennsylvania الولايات المتحدة الامريكية[1] ويلاحظ أن الرابطة بينهما إلى جانب معارصرتها لبعضهما البعض أن كلاً منهما

١- عن ذلك انظر:

Hammad, Latin and Muslim Histiorgraphy of the Crusades: A Comparative Study of William of Tyre and Izz addin Ibn Al A Thir, University of Pennsylvania 1987 .

وهناك فصل مترجم منها إلى اللغة العربية أنظر:

منى جمعه حماد، وليام الصورى والصراع الفرنجى الإسلامى ١٠٩٩-١١٨٤م ضمن كتاب أبحاث ودراسات فى التاريخ العربى مهداه إلى ذكرى مصطفى الحيارى ١٩٣٦- ١٩٩٨م، تحرير صالح الحمارنة، ط. الجامعة الأردنية، عمان ٢٠٠١م، ص٢٥٣- ص٢٧٥ .

تعامل مع المصادر التاريخية العربية التى كان وليم الصورى على معرفة بها، مع عدم إغفالنا فى تقويمنا النهائى لهما، غير أن المؤرخ الصليبى يمتاز بإجادته عدة لغات، كذلك رؤيته المستقبلية على نحو جعله يتوقع سقوط مملكة بيت المقدس الصليبية من قبل حدوث ذلك، وإن تفوق ابن الأثير عليه فى غزارة التأليف التاريخى.

وفى تصورى أنه على أرض بلاد الشام مثلما إلتقت الفرسان الإسلامية والصليبية من خلال وجود صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد، كذلك إلتقت الكتابة التاريخية لدى كل طرف من خلال ابن الأثير ووليم الصورى، مع عدم اغفال المؤرخين الآخرين لكل طرف - ولاشك فى أنهما من أبرز مؤرخى ذلك العصر.

ومن الأعلام الذين عاصروا صلاح الدين الأيوبى، الفيلسوف والمتصوف السهروردى الحلبى الشهير بالمقتول (ت ١١٩٠م) وتحتاج إلى تسليط الضوء عليه، خاصة أن مصيره كان مدخلاً لهجوم بعض الباحثين على السلطان الأيوبى سواءً من العرب أو من المستشرقين مثل سلامة موسى وهنرى كوربان.

وقد ولد يحيى بن حبش الملقب بالسهروردى الحلبى فى مدينة سهرورد[١] من أعمال فارس، وتلقى العلم على أيدى بعض الفقهاء والعلماء الذين عاصرهم مثل الشيخ محيى الدين الجبلى[٢]، وغيره وعمل على دراسة علوم الأوائل وعلم الكلام[٣]، حتى برع فى ذلك إلى حد

١- سهرورد بلدة وقعت فى زنجان بمنطقة الجبال فى فارس عنها انظر : أبو الفدا ، تقويم البلدان، ص٤١٤، القزوينى آثار البلاد، ص٣٩٤ ، محمد البهى، دور السهروردى فى عالميته الثقافة فى القرن السادس هـ «الكتاب التذكارى عن السهروردى ط. القاهرة ١٩٧٨م، ص٢٥٨ ، حاشية (١) .

ويلاحظ أن السهروردى الذى نتناوله هو يحيى بن حبشى ويوجد عدة أشخاص تسموا بالسهروردى عنهم أنظر: الأدفوى، الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، ط. القاهرة ١٩٦٦م، ص٣٣٤ ، عبدالله رازى، تاريخ كامل إيران، ص٢٥٥، قاسم غنى ، تاريخ تصوف در إسلام، ط. تهران ، جلددوم، ص٦٧٠ ، عثمان يحيى، «الصحف اليونانية» أصول غير مباشرة لفكرة الحكيم المتأله عنه «السهروردى» ، ضمن الكتاب التذكارى للسهرورى ، ص٣٢٣ ، حاشية (١) .

٢- ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج٥، ص٣١٢ ، محمد غلاب ، التنسك الإسلامى ، ط. القاهرة ص١١٠ .

٣- ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٥١ ، أنظر أيضًا: حسن أحمد عبدالله يوسف ،

كبير ومن الجلى البين أن ذلك جعله يحقق شهرة على غيره من العلماء خاصة أنه إمتلك مقدرة كبيرة على المجادلة والرد على مخالفيه ، ومن هنا جاءت عبارة ياقوت الحموى بشأنه «أنه لم يناظره مناظر إلا خصمه [١]. ووصل أمره إلى أن صار أبرع من كان فى عصره فى العلوم الفلسفية ، ولم تخف المصادر ما تمتع به من قدرات عقلية متميزة فى تناول خصومه بالحجج القوية . وأن أدرك أستاذه وهو الشيخ فخر الدين المارديني فى ذلك الحين عدم إحتياطه أو تحفظه فى عرض أفكاره [٢]، ولعل هذه الناحية كان لها أسوأ الأثر عليه وعلى تقرير مصيره فى الأحداث التى شهدتها مدينة حلب فى شمالى بلاد الشام فيما بعد.

ويلاحظ أن السهروردى إرتحل عدة أعوام فى منطقة الأناضول حيث قوبل بإستحسان من جانب الأمراء هناك من عناصر سلاجقة الروم[٣].

والواقع أن الحدث المحورى فى حياة ذلك الفيلسوف المتصوف هو إرتحاله إلى مدينة حلب وكان يحكمها حينذاك الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين الأيوبى (ت ١٢١٦م) وقد إلتحق به السهروردى ، ولاريب فى أن إعجاب الظاهر به كان كبيراً وخصه برعايته [٤]، وفى هذه المرحلة ، إتجه الظاهر إلى أن يجرى محاورات بينه وبين الفقهاء وهم الذين قاموا بدور بارز فى التشنيع عليه حتى وصف بالإلحاد والزندقة [٥]. ولدينا إشارات مهمة من خلال المصادر

= صفات نور الدين محمود زنكى وصلاح الدين الأيوبى ونظرة التاريخ لهما ، ط. بيت المقدس ١٩٨٧م، ص٤٦، حاشية (١) .

١- ياقوت ، معجم الأدباء ، ج١٩ ، ص٣١٦ ، سلامة موسى، حرية الفكر، ط. بيروت ١٩٥٩م، ص١١٥ والواقع أنه ليس من العسير معرفة دوافع سلامة موسى من التعرض لذلك الأمر فى كتابه حرية الفكر.

٢- ياقوت ، معجم الأدباء ، ج١٩، ص٣١٦ ، ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء، ج٢ ، ص١٦٧ ، الشهرزورى ، تاريخ الحكماء نزهة الأرواح وروضة الأفراح ، تحقيق عبد الكريم أبوشويرب ، ط. طرابلس ١٩٨٨م، ص٣٨٠ .

٣- عن تلك المرحلة فى حياة السهرورى انظر:

على أصغر حلبى، تاريخ فلاسفة إيران أز أغاز إسلام تاأمروز، ط. تهران ١٩٥١م، ص٤٩٨ وما بعدها.

٤- ابن أبى أصيبعه ، المصدر السابق، ج٢، ص١٦٧ .

٥- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٨ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٦، ص٩ .

التاريخية عن المواجهة التى جرت بين السهروردي وبينهم أوردها لنا أخلص تلاميذه وهو الشهرزورى[١]، وقد أخذوا عليه قوله بأن الله قادر على أن يخلق نبيًا، وجعلوا ذلك أمرًا مستحيلاً ، وعندما سألهم عن وجه الاستحالة فى ذلك ، وأن الله لايستحيل عليه أمر؛ تعصبوا عليه[٢]، وأتهموه بالكفر، وقد وجد من الفقهاء من فاق رفاقه فى التحمس الشديد لقتله، وأغلب التصور أن الفقهاء نصحوا صلاح الدين الأيوبى بالقضاء على السهروردى خوفًا من إفساد عقيدة الظاهر غازى ويلاحظ هنا أن ذلك السلطان كان يكن إحترامًا خاصًا لأولئك الفقهاء ويأخذ بمشورتهم خاصة أن تأثيرهم كان متعاظمًا على عناصر العامة .

ومن الممكن أن نتبين موقف السلطان من خلال عدة اعتبارات دينية وسياسية ، فمن خلال معتقده الدينى كان السهروردى خارجًا عن الإسلام ، كما أن دوافعه الدينية حتمت عليه قتله لحماية المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام من شرور فكر متفلسف يرتبط بالأفكار والعقائد الفارسية القديمة وكذلك بالفكر الشيعى ، ومن ناحية أخرى، إذا ما نظرنا إلى ظروف الصراع الصليبى- الإسلامى حينذاك حول مدينة عكا لوجدنا أن الأيوبيين خلال الحملة الصليبية الثالثة كانوا منهمكين فى مواجهة الصليبيين ولم يكن صلاح الدين الأيوبى يرغب فى تهديد الجبهة الداخلية للمسلمين[٣] لأية أسباب، وقد رأى أن من دواعى السياسة التخلص من السهروردى، كما لانغفل أن موقع مدينة حلب- التى صارت مركزًا لذلك الفيلسوف المتصوف - كان دقيقًا حيث أنها مفتاح شمالى بلاد الشام وتواجه إمارة أنطاكية إلى الغرب منها وبالتالى لم يكن من الممكن التهاون فى تلك القضية.

١- نزهة الأرواح ، ط. القاهرة ، ب-ت ، ص٩٧ وما بعدها .

٢- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١١٦، أبو الوفا التفتازانى، التصوف الإسلامى، ط. القاهرة ١٩٧٨م، ص٢٤٧ ، ويلاحظ أن أخطر مقولات السهروردى ذات الطابع الشيعى قوله : «إنه ولو أن النبوة قد ختمت إلا أن الولاية - بالمعنى الذى يفهمه الشيعة- ما زالت قائمة»، وانظر: سيد حسين نصير، «شيخ الاشراق»، ضمن الكتاب التذكارى عن السهروردى ، ص٢١ .

٣- هنرى كوربان السهروردى الحلبى المقتول، ص١٣١ ، عبد المنعم ماجد، الناصر صلاح الدين ، ص١٩٠- ص١٩١ .

جدير بالإشارة ، اختلف المؤرخون إختلافًا كبيرًا فى شأن الطريقة التى لقى بها السهروردى حتفه ، فالبعض يوضح أنه خنق بأمر السلطان الأيوبى، أو أنه قتل وصلب ، وهناك من يرى أنه - أى السهروردى - طلب أن يترك جائعًا حتى الموت، وليس من اليسير تحديد هذه الناحية بدقة ؛ لإختلاف المصادر حيالها إلى حد كبير [١].

أما بالنسبة لتحديد عام وفاته، فعلى حين إتفقت المصادر التاريخية على تحديد عام ١١٩١م [٢]. إلا أن ابن أبى أصيبعة إنفرد بالقول أن ذلك حدث عام ١١٩٣م [٣]، وإن أدرك ابن خلكان أن التحديد الزمنى الأول هو الأصح وهو ما يتفق مسار تطور الأحداث ذاتها ولذا فإن تحديده الزمنى يعتبر أدق عن تلك القضية ، ومن الملفت للانتباه أن السهروردى مات وقد بلغ من العمر ثمانية وثلاثين عامًا فقط.

ولانزاع فى أن قضية السهروردى الحلبى المقتول كان لها أثرها فى متصوفة بلاد الشام حينذاك، وحتى فى أوساط العامة الذين تناولوا أمره بالقيل والقال، ولاريب فى أن الخيال الشعبى قام بدوره البارز فى إضافة آراء وتصورات بشأن مصير السهروردى وكيفية وفاته . وقد أشار ابن خلكان أن أهل حلب كانوا مختلفين بشأنه أيما إختلاف [٤]، أما المتصوفة

١- عن الخلاف فى أمر موته أنظر: ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٨، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج٥، ص٣١٢ ، ص٣١٦ ، ياقوت ، معجم الأدباء ، ج١٩ ، ص٣١٦، ابن الشحنة، روضة المناظر ، ص٣٥، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٩٠ ، كرد على، خطط الشام ، ج٤، ص٤٢ .

٢- ابن خلكان ، المصدر السابق، ج٥، ص٣١٦، ابن الأثير ، رسائل ابن الأثير ، تحقيق أنيس المقدسى، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ص٢٨٠ ، الأسنوى ، طبقات الشافعية ، تحقيق عبدالله الجبورى، ط. بغداد ١٣٩٠هـ ، ص٤٤٣ ، كرادوفو ، الغزالى، ت. عادل زعيتر ، ط. بيروت ، ١٩٥٩م، ص٢٠٧ .

٣- المصدر السابق، ج٢، ص١٦٧ ، ويلاحظ أن جورج طرابيش حدد يوم وشهر الوفاة وذكر أن ذلك حدث فى ٢٩ يونيو ١١٩١م، دون أن أجد دعمًا فى ذلك من المصادر التاريخية عن ذلك انظر:

جورج طرابيشى ، معجم الفلاسفة الفلاسفة المناطقة المتكلمون اللاهرتيون المتصوفة ، ط. بيروت ١٩٨٧م، ص٣٤٣ .

٤- ابن خلكان ، المصدر السابق، ج٢، ص٣١٦ .

أنفسهم ؛ فقد نظروا إليه نظرة إجلال وتقدير عظيمين فقد لقبوه بالشيخ الشهيد[١]، واعتبره البعض فيما بعد «شيخ أتباع الإشراقيين» [٢].

تجدر الملاحظة، أن ذلك الموقف الذى إتخذه صلاح الدين الأيوبى حيال ذلك الفيلسوف المتصوف لم يكن ليتكرر كثيراً مع المتصوفة الآخرين الذين اختلف الفقهاء فى شأن صلاح عقائدهم من فسادها [٣].

ومن الأهمية بمكان تسليط الأضواء على أفكار السهروردى الحلبى المقتول من أجل فهم القضية من كافة أبعادها ، فيلاحظ أنه تأثر فى أفكاره بأفكار وفلسفات متعددة ونذكر منها أفكار بعض الفلاسفة مثل هرمس [٤]، ويلاحظ هنا أن حكمة الإشراق التى تبناها لاتقوم فقط على الناحية العقلية؛ بل تفسح مجالاً كبيراً للرصد الروحانى والتذوق الصوفى [٥]، وكان شيخ الإشراق قد وصف أولئك الحكماء السابقين عليه بأنهم وإن انتسبوا إلى شعوب مختلفة إلا أنهم جميعًا أبناء الإنسانية[٦].

١- السهروردى ، نزهة الأرواح، ص٩٧، جورج طرابيشى ، معجم الفلاسفة ، ص٣٤٣ .

٢- صدر الدين الشيرازى، كتاب الأسفار الأربعة ، ط. تهران ١٢٨٢هـ، ص٥٨٣ ، محمد مؤنس عوض، الحركة الصوفية فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى)، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص٨٦ .

٣- مثل الشيخ على الحريرى، ويوسف بن آدم أنظر: ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٢٨ ، ابن قاضى شهبة ، الكواكب الدرية ، ص٣٣ .

٤- هرمس ؛ شخصية موضع خلاف بين المؤرخين ، وهناك من يرى أنها اسم لثلاثة أشخاص واحد منهم كان قبل الطوفان وذكر العبرانيون أنه «اخنوخ» ، ثم هناك هرمس من أهل بابل وظهر بعد الطوفان ، ثم هرمس ثالث وكان من الفلاسفة ، عنه أنظر:

ابن النديم ، الفهرست ، ط. القاهرة ١٣٤٨هـ ، ص٤٩٤ الشهرستانى، الملل والنحل، القاهرة ، ج١ ، ص٤٥ ، ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء ، ط. بغداد ١٩٥٨م، ص١٠ ، النابلسى، لمع القوانين المضيئة فى دواوين الديار المصرية، تحقيق كلودكاهن B.E.O., T. XVI, Année 19 ، ص٣٢ ، المبشر بن فاتك ، مختار الحكم ومحاسن الكلم، ، تحقيق عبد الرحمن بدوى، ط. مدريد ١٩٥٨م، ص١١- ص٢٥ .

٥- الطيباوى، التصوف الاسلامى العربى، ط. القاهرة ، ص١٣٧ .

٦- السهروردى، حكمة الإشراق ، ط. القاهرة ، ص٣٥١ .

وقد قامت فلسفته فى أساسها على فكرة النور[١]، وقسّم العالم إلى النور، والظلام، ورمز بهما إلى الخير والشر، وفى ذلك يتفق مع عقائد الفرس القديمة، ورمزا إلى العقل بالأنوار وإلى الذات الإلهية بنور الأنوار، وإلى الأجسام المظلمة بالبرزخ ، ورأى أن نور الأنوار والذى أطلق عليه أحيانًا اسم النور المحيط لأنه يحيط الأنوار جميعها لكماله ، وتعدد إشراقه ، ومع ذلك فقد أوضح السهروردى أن مذهبه الإشراقى لايتأتى إلا للكامل من السالكين فى العلم والعمل[٢]. ورأى فى مذهبه هذا أن تلقى العلم الغيبى أو العلم الإلهى من الملأ الأعلى يتم عن طريق ممارسة رياضيات الصوفية وأساليبهم فى المجاهدة بحيث يعتبر النفس بمثابة المرآة التى تنعكس عليها العلوم الإلهية المنقوشة فى العقول الفلكية، ويتم ذلك عن طريق الإشراق فى القلوب دون إعمال للعقل والفكر وإتباع أساليب البحث والنظر العقلى .

جدير بالذكر ، إتجه بعض الباحثين والمفكرين العرب[٣] وكذلك قطاع من المستشرقين إلى التباكى على ذلك الفيلسوف المتصوف ونظروا إلى مواجهة السلطان الأيوبى لأفكاره على أنه مضاد للحرية الفكرية، ولسنا فى حاجة إلى أن ذلك التوجه مثله قلة قليلة يعرف الجميع مراميها وأهدافها ، وأتصور أن القرار الذى اتخذه ذلك القائد البارز كان محقًا نظرًا لما أحاطه من ظروف سياسية وعسكرية شائكة.

تجدر الإشارة ، إلى أن ذلك الموقف الذى اتخذه السلطان الأيوبى أدى إلى تعرضه لهجوم من مؤرخى الفلسفة الإسلامية لمرحلة العصور الوسطى، حيث اتهم بأن قتل السهروردى أدى إلى الإجهاز على النشاط الفلسفى فى المشرق الإسلامى.

١- عن فكرة النور عند مفكرى الإسلام أنظر : الغزالى، مشكاة الأنوار، تحقيق أبو العلا عفيفى، ط. القاهرة ١٩م، ابن عطاء الله السكندرى، الحكم العطائية ، نشر بولس نويا، ط. بيروت ١٩٧١م، ص١١١ ، ابن سبعين، رسائل ابن سبعين ، ط. القاهرة ب-ت ، ص١٧٤ .

٢- عن فلسفة الإشراق أنظر: السهروردى، حكمة الإشراق، ص٤- ص١٤ ، مجموعة من الحكمة الإلهية، تحقيق هنرى كوربان، ط. استانبول ١٩٤٥م، ص٧٤ ، هياكل النور، ط. القاهرة ١٩٥٧م، ص٤٥- ص٥٩ ، جميل صليب، المعجم الفلسفى، ط. بيروت ١٩٧١م، ص٩٤ .

ومن المهم الرجوع إلى هذا الكتاب. هنرى كوربان وحسين نصر وعثمان يحيى، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ت. نصير مروه وحسن قبيسى ، ط. بيروت ١٩٩٨م. ص٣٠٣- ص٣٢٤ .

٣- من أمثلتهم : سلامة موسى، حرية الفكر، ص١١٥ ، وما بعدها .

والواقع أنه لايتحمل مسئولية ذلك ؛ إذ أن إنحسار المد الفلسفى سابق على عصره، ولانغفل فى هذا المقام التأثير الكبير الذى أحدثه الإمام أبوحامد الغزالى [١] (ت ١١١١م) من خلال كتابه تهافت الفلاسفة ، وكذلك تجربته الروحية الفريدة فى «المنقذ من الضلال» حيث أكد على التوجه نحو الصوفية ودعم بالتالى التصوف على حساب الفلسفة [٢]. وهكذا ، فإن صلاح الدين ينبغى ألا نلصق به مسئولية ذلك الأمر الذى هو نتاج المرحلة التاريخية السلجوقية .

ومن المؤرخين الكبار الذين عاصرهم صلاح الدين الأيوبى ؛ ابن عساكر [٣] (ت ١١٧١م) وهو محدث ومؤرخ بارز طاف العديد من أقاليم المشرق الإسلامى طلبًا للعلم وتتلمذ على أيدى

١- عن الغزالى انظر: السبكى ، طبقات الشافعية الكبرى، ج٤ ، ص١٠١- ص١٨١ ، ابن القنفذ ، كتاب الوفيات ، تحقيق عادل نويهض، ط. بيروت ، ص١٥ ، ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، ج٤، ص١٠- ص١٣ ، عبد الهادى بوطالب، أبوحامد الغزالى وإشكالية العلاقة بين الحكمة والشريعة »، ضمن كتاب حلقة وصل بين الشرق والغرب أبوحامد الغزالى وموسى بن ميمون »، أكاديمية المملكة المغربية، السفر (١٢) ، ط. ١٩٨٢م، ص٣٤٤ ، صبحى الصالح ، «إشكالية العلاقة بين الحكمة والشريعة عند الغزالى» أنظر ، نفس الكتاب، ص٣٤٩ - ص٣٦٥ .

٢- عن أثره : عبد العزيز الدورى ، تاريخ الحضارة العربية ، ج١ ، بغداد ١٩٥٢م، ص١٩٥ . تيسير شيخ الأرض، الغزالى ، ط. بيروت ١٩٦٠م، ص٢٤٩ ، محمد يوسف موسى، ابن تيمية. ط. القاهرة ١٩٦١، ص٤٨ ، عبد القادر محمود، ابن خلدون والتصوف الإسلامى »، مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة، م (٢٦) ، ع(١) ، عام ١٩٦٤م ، ص٩٩ ، أبو العلا عفيفى »، أثر الغزالى فى توجيه الحياة الفكرية والروحية فى الإسلام، ضمن أعمال مهرجان الغزالى، ط. دمشق ١٩٦١م، ص٧٤٦ ، أحمد أمين، يوم الاسلام ، ط. القاهرة ١٩٥٢م، ص١٠١ .

ويلاحظ أن كتاب تهافت الفلاسفة ، رد عليه فيلسوف الأندلس البارز ابن رشد (ت ١١٩٨م) بكتاب تهافت التهافت .

٣- عنه أنظر: ابن أبى العجائز ، تاريخ دمشق، تحقيق عصام هزاية ويوسف بنى ياسين ، ط. اربد ٢٠٠٠م، ص١٤ حاشية (١)، ابن عساكر ، سيرة السيد المسيح ، تحقيق سليمان على مراد، ط. عمان ١٩٩٦م، ص٧- ص٨ ، ياقوت ، إرشاد الأديب تحقيق رفاعى، ، ط. القاهرة ، ج٥ ، ص١٣٩-١٤٠ ، مجموعة من الباحثين ، ابن عساكر فى ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته، ٤٩٩-١٣٩٩هـ ، ط. دمشق١٩٧٩م، وأود الإشادة بذلك المؤتمر الرفيع المستوى، أحمد رمضان ، «المسجد الأموى بدمشق بين الحقيقة

الكثيرين حتى صار عدد أساتذته نحو ١٢٨٢ شيخًا وشيخه ، وعاد أدراجه إلى دمشق من بعد رحلة علمية كبيرة، وقام بتأليف كتابه تاريخ مدينة دمشق الذى أنفق فيه جهداً ووقتًا لايتأتى إلا للبارزين من المؤرخين، وقد وقع الكتاب المذكور فى (٨٠٠) جزء جمعوا فى (٨٠) مجلد ؛ فهو أكبر تاريخ ألف عن مدينة إسلامية . وقد عرض فيه لتراجم الآلاف من الذين استقروا أو زاروا تلك المدينة التى اعتبرت - ولاتزال - عاصمة بلاد الشام التاريخية .

ويلاحظ أنه ألف مؤلفات أخرى من أمثلتها كتاب فى الشيوخ الذين أخذ عنهم العلم، وكتاب عن الجهاد ، وكتاب تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام الإشعرى ، وكتاب الإنذار بوقوع الزلازل [١].

وكتاب الأبدال، وكتاب إتحاف الزائر وكتاب الاجتهاد فى إقامة فرض الجهاد وكتاب أربعون حديثًا فى الحث على الجهاد وكتاب الإشراف على معرفة الأطراف ، وكتاب البيان فى فضل كتابة القرآن [٢].

وهكذا ، فنحن أمام مؤرخ ومحدث يعد أغزر كتاب عصره قاطبة ، وهو بالتالى يذكرنا بعلم مصرى موسوعى أتى من بعده بعدة قرون فى صورة السيوطى (ت ١٥٠٥م) الذى وصف بالفعل بأنه أغزر من ألف فى العصر المملوكى وأن تفوق الأخير عليه فى تعدد موضوعات مؤلفاته .

= والأسطورة كما جاء فى تاريخ ابن عساكر »، الدارة ، العدد (٤) ، السنة (٥) عام ١٩٨٠م، ص٩٣- ص١١٤ ، صلاح الدين المنجد ، أعلام التاريخ والجغرافيين العرب، ط. بيروت ١٩٦٠م، ص٨٨- ص١٥٧ ، مارجليوس ، المؤرخين العرب، ت. حسين نصار ، ط. بيروت ب-ت ، ص١٦٦ ، محمد كرد على، «الشاميون والتاريخ» ، مجلة المجمع العلمى بدمشق م (١٧) . ج(٣) ، ج (٤) ، ص٩٩- ص١٠٠ ، محمد مؤنس عوض ، فى الصراع الإسلامى - الصليبى، السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص٧٣ ، عبد الكريم الحلوانى ، ابن عساكر ودوره فى الجهاد ضد الصليبيين فى عهد الدولتين النورية والصلاحية ، ط. دمشق ١٩٩١م، محمد مطيع الحافظ، ابن عساكر محدث الشام ومؤرخها الكبير ٤٩٩- ٥٧١هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

Elisseff, la Description de Damas d'Ibn Asakir, Damas 1959, pp. XVII - XXVIII.

١- عن الكتاب الأخير أنظر: محمد مؤنس عوض، الزلازل فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص١٤٤ .

٢- عن ذلك انظر : كوركيس عواد ، «مؤلفات ابن عساكر» ، ضمن كتاب ابن عساكر فى ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته ٤٩٩- ١٣٩٩هـ ، ص٤٢١- ص٤٧٤ .

ويكفي هنا الإشارة إلى أن العَلاَّمة العراقي كوركيس عواد أعد بحثًا إستغرق نحو (٥٣) صفحة من أجل إعداد قائمة ببليوغرافية عن مؤلفات ابن عساكر ، وفي هذا الدليل الصادق على التنوع والتعدد ومن الملفت للانتباه قدرة ذلك العَلَم الدمشقي على أن يحقق المعادلة الصعبة في الكم والكيف على نحو جعل مؤلفاته على أرقى مستوى من الإبداع التأليفي بمقاييس عصره بطبيعة الحال وإن ظل كتابه عن مدينة دمشق أبرزها .

كذلك من المؤرخين المعاصرين لصلاح الدين الأيوبي نذكر ابن القلانسي[١] (ت ١١٦٠م) ، وقد عمل رئيسًا لديوان الإنشاء بدمشق ، وألف كتابه «ذيل تاريخ دمشق» وتعرض فيه لتاريخ تلك المدينة وجعله ذيلاً على كتاب ابن هلال الصابي، وتوقف فيه عرضه للأحداث التاريخية حتى عام ١١٦٠م.

يلاحظ أن ابن القلانسي لم يتناول في تاريخه المذكور صلاح الدين الأيوبي ، بل تعرض لنور الدين محمود ، ولانغفل أن الفارس الأيوبي عاصر ذلك المؤرخ عندما كان شابًا حيث عندما توفي ابن القلانسي كان صلاح الدين في الثالثة والعشرين من عمره تقريبًا ، وقد أوردت أمر معاصرته له على اعتبار أن هناك بيئة علمية وثقافية كانت مزدهرة في مدينة دمشق وأن ذلك المؤرخ كان أحد أعلامها ولاريب في أن ذلك كله سيغدو من العناصر التي كونت عصر صلاح الدين .

١- عنه أنظر : ياقوت ، وإرشاد الأريب ، ج٤ ، ص١٤٥ ، أبوشامة ، الذيل على الروضتين ، ط. القاهرة ١٣١١هـ، ص١٣٥ ، الذهبي، العبر، ج٤ ، ص١٥٦ ، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٣٤، المنهل الصافي المستوفى بعد الوافي، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ط. القاهرة ١٩٦٥م، ج١، ص٣٦، لويس شيخو، «تاريخ دمشق لابن القلانسي»، المشرق العدد (٨) لعام ١٩٠٨م، ص٦٩ ، صلاح الدين المنجد، معجم المؤرخين الدمشقين، ط. بيروت ١٩٧٤م، ص٣٤ ، المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة، ص٨٠ ، هاملتون جب، تاريخ دمشق، ضمن كتاب صلاح الدين الأيوبي، ص٤٠ ، روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ت. صالح العلي ط. بيروت ١٩٨٣م، ص٢٠٣ ، محمد علي عسيري، أبو الحسن الخزرجي وآثاره التاريخية رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود بالرياض عام ١٩٨٦م، ص٢٨٥ .

ومن المؤرخين المعاصرين للسلطان الأيوبي، نذكر ابن أبي طئ[1] (ت ق ١٣م) ، وهو مؤرخ حلبي شيعي ، عارض والده نور الدين محمود وعلى أثر ذلك أبعده عن حلب عام ١١٤٨م، وقد ألف ابن أبي طئ عدة مؤلفات متنوعة نذكر ،، منها : معادن الذهب وذيله، وكتاب أسماء رواة الشيعة والمصنفين وكتاب تراجم الأدباء والشعراء وكتاب سير ملوك حلب، وكتاب سلك النظام في تاريخ الشام، وكتاب تاريخ مصر ، وكتاب سيرة ملوك حلب، وكتاب إشتقاق أسماء البلدان، وكتاب مختصر تاريخ المغرب، وكتاب كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين، وعقود الجواهر في سيرة الملك الظاهر (غازي) ، وحوادث الزمان .

ويلاحظ أن ذلك المؤرخ الشيعي فقدت أغلب مؤلفاته ، ولم يصلنا منها إلا نقول وردت لدى ابن الأثير وأبوشامة، وابن الفرات[2]، ولانغفل أنه كان بمثابة المؤرخ الشيعي الوحيد وسط عدد بارز من المؤرخين السنيين .

١- أنظر: ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٤ ، تحقيق إحسان عباس ، ط. بيروت ١٩٧٣م، ص٢٦٩- ص٢٧٠ ، السيد الباز العريني ، مؤرخو الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٢م، ص٢٣٤-٢٣٦، نظير حسان سعداوي ، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، ص٣- ص٦، حسين عاصي ، المؤرخ أبوشامة ، ص١٧٤ ، ص١٧٥ ، حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط. بيروت ب-ت ، ج١، ص٥٥٥ ، حاشية (١) ، شيرين العشماوي ، دراسة تحليلية لكتابات ابن أبي طئ الحلبي في المصادر الإسلامية، رسالة دكتوراه ، كلية البنات - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٤م، رسالة فريدة في موضوعها والجهد المبذول فيها .

Cahen, " Un Chronique chirte au temps des Croisades", R. A. I.B.L . Paris 1935 , pp. 258-269 .

٢- ابن الفرات هو ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن محمد الفرات الحنفي المصري ولد عام ١٣٣٤م ، وقد تتلمذ على أيدي عدد من علماء عصره، وبرع في التاريخ وألف كتابه تاريخ الدول والملوك، وقد توفى عام ١٤٠٥م، عنه أنظر:

السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ط. بيروت ب-ت ، ج١ ، ص٥١ ، السيوطي، حسن المحاضرة ، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ص١٦٣ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، ج٣ / ق١ ، تحقيق حمدي أنور السيد ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة الزقازيق عام ١٩٥٨م، ص١ ، الزركلي ، الاعلام ، ط. بيروت ١٩٨٦م، ج٦ ، ص٢٠٠- ص٢٠١ ، محمد كمال الدين عز الدين، أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ، ط. القاهرة ١٩٩٢م، ص٤٣- ص١٠٢، أحمد الشامي ،

ومع ذلك، فليس كل ما أورده في مؤلفاته يؤخذ به ولابد من الحذر والحيطة والنقد التاريخي للإقتراب - قدر المستطاع من الحقيقة التاريخية .

من جهة أخرى ، عاصر صلاح الدين الأيوبي ثلاثة من الرحالة المسلمين أحدهم الأندلسي ابن جبير[1] (ت ١٢١٧م) وهو صاحب أمتع رحلة عربية من عصر الحروب الصليبية وقد قدم للحج إلى الحجاز وزار خلال رحلته بقاعًا متعددة مثل مصر ، والعراق ، وبلاد الشام، وصقلية وغيرها .

= دراسة مخطوطة الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات الحنفي»، الدارة، العدد (٢) ، السنة (٧) المحرم ١٤٠٥هـ ، سبتمبر ١٩٨٤م ص٦١- ص٦٢ .

١- عنه أنظر: ابن الصابوني ، تكملة إكمال الاكمال، تحقيق مصطفى جواد ، ، ط. بغداد ١٩٥٧م ، ص١٩٩ ، حاشية (٢) ، لسان الدين ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ط. القاهرة ، ص٢٣ ، المقرى، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ط. القاهرة ١٩٤٩م، ج٣ ، ص١٤٣ ، كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ت. صلاح الدين عثمان، ط. القاهرة.١٩٧٦م، ج١، ص٢٩٨ ، عبد القدوس الأنصاري ، مع ابن جبير في رحلته، ط. القاهرة ١٩٧٦م، ص٢١- ض٣٦ ، حمد الجاسر ، أشهر رحلات الحج، ط. الرياض ١٩٨٢م، ص١٩ ، أبو الحسن الندوي، مختارات من أدب العرب، ط. جدة ١٩٧٨م، ج١، ص٣-٨، عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الأندلسي ، ط. بيروت ١٩٧٦م، ص٥٠٣ ، أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون ، ط. جدة ، ب-ت، ص٣٢٣ ، زكى حسن ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٥م، ص٧٠- ص٧٤ ، عبد الفتاح وهيبه، جغرافية العرب في العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص١٨- ص١٩ ، شوقي ضيف ، الرحلات ، ط. القاهرة ١٩٥٦م، ص٧٠- ص٧١ ، إدوارد براون، تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ت. الشواربي، ط. القاهرة ١٩٥٤م، ص٦١٤ ، ابراهيم عوض، رحلة ابن جبير دراسة في الأسلوب، ط. القاهرة ١٩٩٢م، صلاح الدين المنجد، الشرق في نظر المغاربة والأندلسيين، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص١٨- ص١٩ ، سامي الدهان، قدماء ومعاصرون ، ط. القاهرة ١٩٦١م، ص١٢٠- ص١٣١ ، انخيل بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي، ت . حسين مؤنس، ط. القاهرة ١٩٥٥م، ص٣١٦- ٣١٧، شفيق محمد الرقب، بلاد الشام في رحلة ابن جبير »، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية ، م (٢٨) ، العدد (٢) أغسطس ٢٠٠١م، ص٣٤١- ص٣٦٠ ، سامي الدهان، قدماء ومعاصرون ، ط. القاهرة ١٩٦١م، ص١٢٠- ص١٣١ ، حسين فهيم، الرحلة والرحالة (دراسة إنسانية)، ط. دبي ١٩٩٧م، ص٨٠ ، عصام الدين عبد الرءوف ، تاريخ الفكر الاسلامي، ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٢٩٣- ص٢٩٤ .

ألقى ذلك الرحالة الذى يعد أمير الرحالة المسلمين عصر الحروب الصليبية أضواءً كاشفة على مختلف الجوانب الحضارية فى بلاد الشام ومصر خلال عصر صلاح الدين الأيوبى، وأشار إلى العلاقات السلمية بين المسلمين والصليبيين وفى كل ذلك تمتع بقوة الملاحظة وسلاسة الأسلوب والتحدث عن البشر العاديين على نحو أكد لنا بالفعل أن الرحلة هى عين الجغرافيا المبصرة ، وبالتالى عرضنا عما وجدناه فى المصادر الرسمية المعاصرة التى اهتمت بعلية القوم وندر أن تحدث أصحابها عن عامة الناس ، ولاتزال تلك الرحلة الماتعة بعد ٨٠٠ عام على رحيل صاحبها لانجد ما ينافسها فى أدب الرحلات فى عصر الحروب الصليبية.

وهناك أيضًا الرحالة المراكشى المجهول[1] (ق ١٢م) مؤلف كتاب الإستبصار فى عجائب الأمصار، وقد قدم لنا رحلة يغلب على مقاطعها طابع الإيجاز غير أنها إحتوت على إشارات مهمة سياسيًا وحضاريًا ، ويفهم من نصوصها أن مؤلفها عاش فى عصر يعقوب المنصور الموحدى ومن المرجح أنه عاش فى مدن مثل فاس ، ومكناس ، ومراكش، وقدم معلومات مهمة عن وضع اليهود فى بلاد المغرب.

تجدر الإشارة إلى أن ذلك الرحالة أشار إلى أمر السفارة التى أرسلها صلاح الدين الأيوبى خلال حصار عكا أثناء الصليبية الثالثة مستغيثًا بالموحدين - كما أسلفت الاشارة من قبل - غير أن مسعاه لم يكلل بالنجاح .

ومع تقديرنا لرحلة ذلك الرحالة إلا أنه لايصل إلى مستوى الرحالة الموهوب ابن جبير فى رحلته .

كذلك هناك السائح الهروى[2] (ت ١٢١٥م) وهو رحالة من هراة (من أعمال أفغانستان حاليًا) وقد إعتاد أن يطوف أنحاء عديدة وأن يكتب اسمه فى كافة المواقع التى زارها.

١- عنه أنظر : تقديم سعد زغلول عبد الحميد لرحلته، انظر : مجهول ، الاستبصار فى عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، ط. الاسكندرية عام ١٩٥٨م، محمد مؤنس عوض، من رحالة الشرق والغرب، فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، ص٣٧- ص٤٠ ، جمال طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى فى العصر الإسلامى (عصرى المرابطين والموحدين) ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م، ص١٦، كراتشكوفسكى ، تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ت. صلاح الدين هاشم، ط. بيروت ، ص٣٣٥- ص٣٣٦ ، جورجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ق٢ / ج٣ ، ط. بيروت ١٩٨٢م، ص٩٤ .

٢- عنه انظر : الهروى ، الاشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق جاكلين سورديل ، ط. دمشق ١٩٥٣م

وقد ترك لنا رحلته بعنوان الإشارات إلى أماكن الزيارات وأورد فيها أسماء مواقع متعددة جرت فيها وقائع الصراع الاسلامى الصليبى خلال عهد صلاح الدين الأيوبى ، وإلى جانب ذلك ألف عدة مؤلفات أخرى، مثل التذكرة الهروية فى الحيل الحربية، وكتاب الأصول ، ومنازل الأرض ذات الطول والعرض وكتاب الآثار والعجائب [١]. ومع ذلك فإن الهروى كرحالة لايصل إلى المستوى الرفيع الذى بلغه ابن جبير.

كما لانغفل ذكر أحد أفذاذ أبناء الحضارة الإسلامية وهو ياقوت الحموى[٢] (١٢٢٨م) الذى يوصف بأنه من أبرز من ألف المعاجم الجغرافية والأدبية، وقد ألف العديد من المؤلفات مثل معجم البلدان، ومعجم الأدباء، ومعجم الشعراء، والبدء والمآل، والمشترك وضعًا والمفترق صقعًا .

يبقى أن نشير إلي أنه طالع مكتبات مدن المشرق الإسلامى قبل أن تدمر على أيدى المغول فى حملاتهم المتبربرة على تلك المدن التى إزدهرت من خلال العلم والتجارة .

= مقدمة التحقيق ،صلاح الدين المنجد، مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين ، ط. بيروت ١٩٦٧م، ص١٥٥ ، نقولا زيادة ، الرحالة العرب ، ط. القاهرة ١٩٥٦، ص٥٩، شاميات دراسات فى التاريخ والحضارة، ط. لندن ١٩٨٩م، ص١٤٢- ص١٤٣ ، محمد محمد حسن شراب، موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى ، ط. عمان ٢٠٠٣م، ص٤٤٣ ، نواف عبد العزيز الحجة، الأماكن المقدسة فى مدينتى القدس والخليل من خلال كتب الجغرافيا والرحلات المغربية والأندلسية بين القرنين ٥-٨هـ / ١١-١٤م»، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، العدد (٩٠) ، السنة (٢٣) ، عام ٢٠٠٥م، ص٥٩ ، حاشية (٤) ، سعيد أبوصافى ، مدينة الخليل فى العصر المملوكى ، ط. الخليل بفلسطين ٢٠٠٢م، ص «ن» ، على عبدالله الدفاع ، رواد علم الجغرافيا فى الحضارة العربية الإسلامية، ط. جازان ١٩٨٩م، ص١٦٩- ص١٧٠ ، كامل جميل العسلى ، بيت المقدس فى كتاب الرحلات عند العرب والمسلمين ، ط. عمان ١٩٩٢م، ص٥٦ ، ماهر حماده ، المصادر العربية والمعربة ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص٢٩٠ ، محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون ، ص٢٦٥ ، جورجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية م٢ / ج٣ ، ط. بيروت ١٩٨٢م، ص٩١ .

١- على عبدالله الدفاع، المرجع السابق، ص١٧٠ .

٢- عنه أنظر : ابن المستوفى ، تاريخ اربل، تحقيق سامى الصقار، ط. بغداد ١٩٨٠م، ج١، ص٣١٩- ص٣٢٤ ، اليافعى مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ط. حيدر أباد الدكن ١٣٤٨هـ، ج٤، ص٥٩ ، صلاح الدين المنجد ، من أعلام التاريخ والجغرافية عند العرب ، ط. بيروت ١٩٧٨م، ص٦٣ .

مجمل القول عاصر صلاح الدين الأيوبي كوكبة من كبار الرحالة والمؤلفين في مجال الجغرافيا والرحلات وقد ساهموا بمؤلفاتهم في التراث التأليفي لأعلام الحضارة الإسلامية.

من جهة أخرى ، عاصر صلاح الدين الأيوبي عدداً من الأدباء خاصة من الشعراء ، ويلاحظ أن ذلك جاء إمتداداً لظهور عدد من الشعراء الذين كانوا بمثابة مرآة صادقة لعصر الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين ومن أمثلتهم ابن القيسراني [١] (ت ١١٥٤م) وابن منير الطرابلسي[٢] (ت ١١٥٤م) ، أما في عصر صلاح الدين فقد ظهر عدد من الشعراء مثل

= السيد محمد أحمد ديب ، ياقوت الحموي أديبًا وناقدًا ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية اللغة العربية- جامعة الأزهر عام ١٩٨١م، عباس فاضل ، ياقوت الحموي، دراسة في التراث الجغرافي العربي مع التركيز على العراق في معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٩٢م، ص٩ - ص١٧ ،عيد على الخفاق ، ومحمد أحمد عقلة، دراسات في التراث الجغرافي العربي الإسلامي ، ط. عمان ١٩٩٦م، ص٧٤- ص٩٠، محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص٧٣ - ص١١١ ، على عبدالله الدفاع ، رواد علم الجغرافيا في الحضارة الإسلامية ، ص١٧٥- ص١٧٨ .

١- ابن القيسراني ، ولد في عكا وغادرها في حداثة عمره عام ١٠٨٥م إلى قيسارية ونسب إليها وتركها بعد استيلاء الصليبيين عليها ، وارتحل إلى دمشق، وقد نظم أشعاره في إمتداح قادة حركة الجهاد الإسلامي، وقد توفي عام ١١٥٤م.

عنه أنظر : ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٢٢، ياقوت ، إرشاد الأريب، ج١٩ ، ص٢٤ ، الصفدي، الوافي بالوفيات ، ج٥ ، ص١١٢ ، محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي الصليبي ، السياسة الخارجية للدولة النورية، ص٢٧٨ ، فكرة الجهاد الإسلامي ، ص٦٣ ، حاشية (١٥٦) .

٢- ابن منير الطرابلسي ، ولد في طرابلس عام ١١٠٠م وقد حفظ القرآن الكريم وتعلم علوم الدين واللغة في تلك المدينة وغادرها إلى دمشق ثم حلب وشيزر وحماه، وقد توفي عام ١١٥٤م.

عنه أنظر : ابن القلانسي ، المصدر السابق، ص٣٢٢ ، ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدرية ، ص٧٥، حاشية (٢) محمد على الهرقي، شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام، ط. القاهرة ١٩٧٩م ص٢٥٥- ص٢٦٠ ، هادي نهر، معارك نور الدين محمود في شعر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٦٦م، ص١٨٩- ص١٩٣ ، عمر موسى باشا، أدب الدول المتتابعة ، ط. القاهرة ١٩٦٧م، ص١٨٦، عمر عبد السلام تدمري، دار العلم في طرابلس الشام خلال القرن الخامس الهجري، عالم الفكر ، م (١٢) الكويت ١٩٨١م، ص٢٧٩ .

العماد الكاتب الأصفهانى (ت ١٢٠١م) ، وابن عنين (ت ١٢٣٣م) [١].

ويعد الشاعر الأخير من أهم أولئك الشعراء، نظراً لأنه الشاعر الوحيد الذى قام بهجاء السلطان الأيوبى، وقد قال فى ذلك أبياتاً شهيرة هى :

قد أصبح الرزق ماله سبب ... فى الناس إلا البغاء والكذب

سلطاننا أعرج وكاتبه ... ذو عمش والوزير منحدب

وصاحب الأمر خلقه شرس ... وعارض الجيش داؤه عجب

وقد عرف عن ذلك الشاعر سلاطة اللسان ، وهكذا، فإن الهجاء يشغل حيزاً كبيراً من ديوانه . وقد قدم إلى السلطان الأيوبى، وعندما لم يجد لديه حظوه ؛ هجاه ، فما كان من الأخير إلا أنه قام بنفيه فأرسل إلى الهند، وفيما بعد ؛ عاد أدراجه إلي بلاد الشام فى عهد الكامل الأيوبى.

ويلاحظ أن هجاء ذلك الشاعر الهَجَّاء للسلطان الأيوبى لم يكن منطلقًا من بعد سياسى أو توجه فكرى معارض له ، بل من خلال طابع المصلحة والمنفعة المادية فعندما لم يجد لديه مكسباً مادياً وافراً اتجه إلى ذلك العداء بالشعر فكان كما وصفه جمال الدين الشيال «الشاعر الوحيد الذى قام بهجاء البطل صلاح الدين ».

من المهم هنا الإشارة إلى أن ذلك الشاعر ما كان يُعرف دون قيامه بذلك الأمر الإستثنائى فى ذلك العصر . وبذلك حقق شهرة عريضة ومن الممكن القول أن صلاح الدين الأيوبى- دونما مبالغة - هو سبب ما ناله من صيت عريض مع ملاحظة أن هناك شعراء آخرين أبرز منه فى ذلك العصر لم تسلط عليهم الأضواء الكاشفة وكان الاهتمام مرتبطاً بمثل ذلك الشاعر الذى دخل التاريخ من خلال سلاطة اللسان.

١- ابن عنين ، ديوانه، تحقيق خليل مردم ، ط. دمشق ١٩٤٦ ، مقدمة التحقيق ، محمد ياسين الحمرى، شاعر دمشق ابن عنين ، ط. دمشق ١٩٥٢م، جمال الدين الشيال ، ابن عنين الشاعر الوحيد الذى هجا البطل صلاح الدين ٥٤٩- ٦٣٠هـ ، ضمن كتاب دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ص٦٣- ص٧٨ ، محمد زغلول سلام، الأدب فى عصر صلاح الدين الأيوبى ، ص٣٤٠- ص٣٤٩ ، عمر فروخ ، تاريخ الأدب العربى، ج٤، ص٥١٤- ص٥١٧ .

ومن المعاصرين أيضًا ؛ أسامة بن منقذ الشيزري[١] (ت ١١٨٨م) وهو متعدد المواهب، فهو شاعر، ورحالة ، ودبلوماسي ، وفارس إرتبط بمدينة شيزر[٢]، وقد إتصل بنور الدين محمود، وصاحب الخليفة الفاطمي الحافظ (١١٣٢- ١١٤٩م) كما أتصل بعدد من الأمراء الصليبيين ، وألف عدة مؤلفات مثل كتاب الاعتبار، ولباب الألباب وديوان شعر، وكتاب العصا، وكتاب المنازل والديار، والقلاع والحصون، ومختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ومختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وغيرها.

١- عنه أنظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٦٣ ، ياقوت ، إرشاد الأريب ، ج٥، ص١٨٨- ص٢٤٥ ، العماد الحنبلي ، شذرات الذهب، ج٤، ص٢٧٩ ، أحمد أحمد بدوى، الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية، ص١٧١- ص١٨٨ ، عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، ط. دمشق ١٩٨٠م ، ص٣٠٧ ، حجازي عبد المنعم، إمارة شيزر فى عصر بنى منقذ ٤٧٤- ٥٥٢هـ / ١٠٧٤- ١١٥٧م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، عام ٢٠٠٢م ، محمد أحمد حسين ، أسامة بن منقذ، صفحة من تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٤٦م، حسن عباس ، أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١ . الاسكندرية ١٩٧٩م ، نقولا زيادة ، رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٨٦م، ص٨٦ ، أحمد كمال زكى، فارس الفرسان ، ط. القاهرة ب-ت ص٣-٦ ، ص٨٨ ، شوقى ضيف ، الرحلات ، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص٥٦ ، أحمد رمضان ، الرحلة والرحالة المسلمون ، ص٢٥١- ص٢٥٢ ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى، ج٦، ص٢٢ ، محمد مؤنس عوض ، الزلازل فى بلاد الشام ، ص٤٨ -ص٤٩، محمد أحمد حسين، أسامة بن منقذ ، صفحة من تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٤٦م، حسن عباس، أسامة بن منقذ حياته وشعره، ط. الاسكندرية ١٩٧٩م ، جمال الدين الألوسى ، أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية ، ط. بغداد ١٩٦٧م، ص١٣- ص٣٤٨ ، كراتشكوفسكى، «معاصر أول غزوه صليبية أسامة بن منقذ» ، ضمن كتاب مع المخطوطات العربية ، موسكو ١٩٦٣، ص١٦٣- ص١٧٣ .

Ruhricht, Geschichte des Kengreichs Jeusalem, Innsbruck 1889, p. 290 , Ziada, Urban life in Syria Under the early Mamluks, Beirut 1953, p. 61 .

٢- شيزر وقعت على بعد ٦٣ك.م من حماه ، وهى جنوبى حلب بمسافة ٥٢ ك.م وقد أصابها زلزال مدمر عام ١١٥٧م عنها انظر:

William of Tyre, vol . II, p. 266 .

ياقوت ، معجم البلدان ، ط. ليبسك ١٨٨٩م، ج٤ ، ص٥٧٤- ص٥٧٥، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك، ص٤٩ ، مصطفى الشكعة ، سيف الدولة الحمدانى، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ص٨٥ ، لويس شيخو، «من حماه إلى حلب» ، المشرق العدد (٢٠) السنة (٨) عام ١٩٠٥م، ص٩١٨- ص٩١٩ ، هدى الويسى، الزلازل فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ١٣ م. رسالة ماجستير غير منشور ، كلية الآداب - جامعة أسيوط عام ٢٠٠٧م ، السيد عبد العزيز سالم . تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى، ط. بيروت ١٩٧٠م،

ومن الملفت للانتباه أن ذلك العالم عمر طويلاً فعاصر مقدم الصليبيين إلى المنطقة وأدركته منيته بعد معركة حطين ١١٨٧م بعام واحد وبالتالي يكون قد عايش لحظتي الإنكسار والإنتصار، ولانغفل أن عصر الحروب الصليبية شهد معمرين غيره مثل القاضي بهاء الدين بن شداد الذي عمر ٩٣ عاماً.

تجدر الإشارة إلى أن هناك حادثة محورية في حياة أسامة بن منقذ تتمثل في حدوث زلزال مدمر عام ١١٥٧م[١]، دمر شيزر وأفنى أسرته، وأهلك عدداً كبيراً من سكانها ، ولاريب في أن فكرة الموت تعمقت في نفسه منذ تلك الحادثة وجعلته يدرك أن الحياة فيها العديد من المفارقات التي تدعو إلى التأمل وهكذا فإن كتابه الإعتبار تتضح في ثنائية الحياة والموت بجلاء في بعض أجزائه على نحو فاق ما نجده في مؤلفات معاصريه الآخرين ونظراً لأن عمره إمتد، فقد عاصر زلزالاً مدمراً آخر حدث عام ١١٧٠م[٢] وإن كان تأثيره خارج نطاق شيزر إذ

= ص١١١ ، نور الدين محمود وتجربته الإسلامية، ط. دمشق ١٩٨٧م، ص١٨ ، عبد الله يوسف الغنيم، «أسباب الزلازل وأحداثها في التراث العربي» ، مجلة المجمع العلمي العراقي، م (٣٥) ، ج (٤) عام ١٩٨٤م، ص٢٣١- ص٢٣٤ .

١- عن زلزال عام ١١٥٧م أنظر: ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق سهيل زكار، ط. دمشق ١٩٨٣م، ص٥٢٧- ص٥٢٨ ، ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص٨٨ ، الباهر ، ص١١٠ ، ابن واصل ، مفرج الكروب، ج١، ص١٢٨ ، حسين مؤنس ، نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق، ط. القاهرة ١٩٨٤م، ص٢٦٠ ، شاكر أبوبدر، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ، ص٢٨٩ ، عماد الدين خليل ، نور الدين محمود وتجربته الإسلامية ، ط. دمشق ١٩٨٧م، ص١٨ ، محمد محمد الشيخ ، الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين ١١ . ١٢م، ط. الاسكندرية ١٩٨٠م، ص٣٧١- ص٣٧٢ ، عبد الله يوسف الغنيم، «أسباب الزلازل وأحداثها في التراث العربي» ، مجلة المجمع العلمي العراقي، م (٣٥) ، ج (٤) عام ١٩٨٤م ، ص٢٣١- ص٢٣٤ ، محمد مؤنس عوض، الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، ص٨٢- ص٨٥ ، يوسف غوانمه ، الزلازل في بلاد الشام العصر الاسلامي وأثرها على المعالم العمرانية ، ط. عمان، ١٩٩٩م، ص٣٤ .

Kennedy , Crusader Castles, p. 181 .

٢- عن زلزال عام ١١٧٠م أنظر: العماد الأصفهاني، البستان الجامع، ص١٣٨ ، الفتح البنداري ، سنا البرق الشامي، ص٤٧ ، ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص٣٣٠ ، ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك

أصيبت به أنطاكية وطرابلس بشكل كبير ، وبالتالى فإن الزلازل الأول كان الأكثر تأثيراً فى شخصية ذلك العلم الأدبى الذى عانى كثيراً وكانت حياته كلها «إعتبار» !!

من الشعراء المعاصرين لصلاح الدين الأيوبى نذكر هبة الله ابن سناء الملك [١] (ت ١٢١٢م) وقد تلقى العلم على أيدى أساتذته مثل ابن برى الذى قرأ عليه النحو، وكذلك السلفى الذى تعلم منه الحديث.

وقد ألف عدة مؤلفات منها روح الحيوان وهو إختصار كتاب الحيوان للجاحظ [٢] (ت ٨٦٨م) ، وكذلك مختارات من شعراء ابن رشيق القيروانى، وكتاب دار الطراز فى الموشحات وكتاب مساعد الشوارد وفصوص الفصول وعقود العقول [٣]. ذلك الشاعر ساهم من خلال

= والأمم. ط. حيدر أباد الذكن ١٣٥٩هـ، ج٩، ص٢٣٠ ، ابن قاضى شهبه ، الكواكب الدرية، ص١٨٩، أشتور، التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط، ص٢٨١ .

Stevenson, The Crusaders in the east , p. 199 .

Ruhricht, Geschichte des kencqreichs Jerusalem , p. 348 .

١- عنه انظر: ابن سناء الملك، ديوانه، تحقيق محمد إبراهيم نصر، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ج١، ص٤٣-ص٥٥ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج١، ص١١٥، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ، ج٦، ص٥٩ ، ص٢٠٤ ، عبد العزيز الأهوانى ، ابن سناء الملك ومشكلة العقم والإبتكار ، ط. القاهرة ، محمد إبراهيم نصر، ابن سناء الملك، ط. القاهرة ١٩٧١م، محمد مؤنس عوض، فكرة الجهاد الإسلامى ، ص٦٤ ، حاشية (١٧٠) ، فيصل صلاح الدين أصلان، شعر الصراع مع الفرنجة دراسة تاريخية تحليلية معمقة، ط. حمص ٢٠٠٥م، ص٦٨ ، حاشية (٥) وامتدادها، ص٦٩ .

٢- عنه انظر: أحمد محمد الحوفى، الجاحظ ، ط. القاهرة ١٩٨٠م، وديعه طه نجم، الجاحظ والحضارة الإسلامية، ط. بغداد ١٩٦٥م، أحمد عبد الغفار عبيد، أدب الفكاهة عند الجاحظ ، ط. القاهرة ١٩٨٢م، كاظم حطيط ، أعلام ورواد فى الأدب العربى، ط. بيروت ١٩٨٧م، ص٣٩- ص٧٤ ، دى بور، تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، ت . عبد الهادى أبو ريدة ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ص٩٨ ، أحمد كمال زكى، الجاحظ ، ط. القاهرة ١٩٦٧م، جليل أبو الحب، نقول الجاحظ من أرسطو فى الحيوان ، ط. بغداد .

٣- محمد إبراهيم نصر ، المرجع السابق ، ص٨٦- ص٨٨ .

أشعاره فى مدح الجهاد وأبطاله، وبالتالى كان جزءاً من الجهاز الإعلامى النشط فى عصر ذلك السلطان ولانغفل أن هناك نحو (٥٠) شاعراً امتدحوا ذلك القائد[١] مما عكس إتساع نطاق ذلك الجهاز.

ومن الأطباء الذين تألقوا فى عصر صلاح الدين نذكر موفق الدين عبد اللطيف البغدادى[٢] (ت ١٢٣١م) ؛ وهو عالم موسوعى التكوين والتأليف ، وقد ترك مؤلفات فى مجالات الطب، والرحلات والتاريخ ، غير أن شهرته تأتت له من خلال الإسهام الطبى، وقد ألف نحو (٥٤) مؤلفًا طبيًا منها مقالة فى الراوند، وإختصار كتاب الأدوية المفردة لابن وافد، وإختصار كتاب الأدوية المفردة لابن سمجون ، وكتاب الكفاية فى التشريح ، وكتاب شرح لبعض كليات القانون وغيرها .

ويلاحظ أن ذلك الطبيب البارز إرتحل إلى مصر وألف كتابه «الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر »، ومثلما كان بارعاً فى الطب فقد برع فى «تشريح» الحياة فى أرض الكنانة من مختلف جوانبها بصورة تعكس قدرته على الملاحظة ودقة قدرته على التعبير الأدبى الدقيق القوى الدلالة.

١- أحمد أحمد بدوى، صلاح الدين الأيوبى بين شعراء عصره وكتابه، ط. القاهرة ١٩٦٠م، ص٩ .

٢- عنه أنظر: ابن أبى أصيبعه، عيون الأنباء ، ج٢ ، ص٢٠١- ص٢١٣ ، القفطى ، إنباه الرواه، تحقيق أبو الفضل ، ط. القاهرة ١٩٥٢م، ج١ ص١٩٣ ، ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات ، ج٢، ص١٦- ص١٩ ، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص٢٧٩ ، الأسنوى ، طبقات الشافعية، ج١، ص٢٧٣- ص٢٧٤ ، ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب، ج٥، ص١٣٢ ، بول غليونجى، عبد اللطيف البغدادى طبيب القرن السادس، ط. القاهرة ١٩٨٥م، ص١٧- ص٢٠ محمد توفيق بليع ، «عبد اللطيف البغدادى أضواء جديدة على سيرته ومنهجه التاريخى»، عالم الفكر م (١٩) ، العدد (٣) ، الكويت ١٩٨٥م، ص١١٩- ص١٨٠، محمد مؤنس عوض، من إسهامات الطب العربى الإسلامى فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٩٥م، ص٦٩- ص٨٧ ، محمد أمين فرشوخ، موسوعة عباقرة الإسلام، ط. بيروت ١٩٩٥م، ج٥، ص١٩٢-١٩٣ ، على عبدالله الدفاع، أعلام العرب والمسلمين فى الطب، ط. بيروت ١٩٨٣م، ص١٨٨- ص١٩٩ ، عبد الحميد العلوجى، تاريخ الطب العراقى، ط. بغداد ١٩٦٧م، ص٤٠٩- ص٤١٠ ، الفاضل عبيد عمر، الطب الإسلامى عبر القرون، ط. الرياض ١٩٨٩م، ص٣٩٠ ، حسن محمد فهيم ، أدب الرحلات ، ط. الكويت، ١٩٨٩م، ص٩٦- ص٩٧ ، محمد كرد على، كنوز الأحداد، ط. دمشق ١٩٨٤م، ص٣١٠- ص٣١٦ .

Sarton, An Introduction to history of Science, Washington, 1947 , vol . II, Part 11, p. 599.

Brockelmann, Geschichte der Arabischen Literature, Leiden 1943, Band I, pp. 632-633 .

وهناك الأسعد بن مماتى [١](ت ١٢٠٩م) ؛ وهو قبطى من أسيوط بصعيد مصر ، إعتنق الإسلام فى العصر الأيوبى، وقد عمل فى الجهاز الإدارى ووصل إلى منصب ناظر الديوان فى عهد صلاح الدين الأيوبى شأنه فى ذلك شأن عدد كبير من الأقباط ممن عمل فى الادارة الأيوبية. ودل ذلك على طابع التسامح العام الذى سارت عليه تلك الدولة، مع ملاحظة أن الأمر لم يخل من وجود بعض الدعوات التى طالبت بإبعاد عناصر الأقباط من الإدارة الأيوبية خوفًا من وجود بعض منهم يعمل لحساب الصليبيين ، ونجد ذلك واضحًا فى كتاب النابلسى (ت١٢٦١م) تجريد سيف الهمة فى لإستخراج ما فى ذمة أهل الذمة[٢].

تجدر الإشارة إلى أن ابن مماتى ألف عدة مؤلفات منها قوانين الدواوين[٣] الذى إحتوى على تفاصيل الادرة المالية الأيوبية مثل الضرائب ، والرسوم العينية، والنقدية، ولم يبق من الكتاب إلا اختصاره الذى حقق ونشر فى مصر كذلك ألف كتاب الفاشوش فى حكم قراقوش[٤]، وفيه هجوم لاذع على الوزير الأيوبى بهاء الدين قراقوش الذى ظلمه ابن مماتى ، وأنصفه التاريخ كمجاهد قدير وسياسى كبير.

كما لانغفل تأليفه لكتاب آخر فى سيرة صلاح الدين الأيوبى شعراً ، وهو كتاب مفقود. كذلك ألف كتابًا آخر على جانب كبير من الأهمية فى مجال نصيحة الملوك وعنوانه «حجة

١- عنه أنظر: ابن مماتى، قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية، ط. القاهرة ١٩٤٣م، مقدمة التحقيق .

٢- تحقيق كلود كاهن مجلة الدراسات الإسلامية . B.E.O., T. 1958- 1960

وفيما بعد ألف ابن النقاش (ت ٧٧٣هـ / ١٣٧١م) كتابه : المذمة فى استعمال أهل الذمة ، عن ذلك انظر مقدمة تحقيق سعد حسين عثمان ط . أبها ١٤١٠هـ ، نشر أبو الهيثم إبراهيم بن زكريا، ط. الرياض ١٤١٦هـ .

٣- تحقيق عزيز سوريال عطية، ط. القاهرة ١٩٤٣م.

Cooper, Ibn Mammati's Rules for ministers: Translation with commentary of the qawanin al- Dawain Ph.D., dissertation , University of California , Berekely 1973 .

٤- ضمن كتاب عبد اللطيف حمزة ، حكم قراقوش ، ط. القاهرة ١٩٨٢م.

الحق على الخلق»[١] وهناك إشارات تفيد بأن صلاح الدين الأيوبى كان يكثر من مطالعته والاستفادة منه، وقد اعتبر من أهم ما ألف فى مجال نصائح الملوك ورده البعض قول القاضى الفاضل أنه «ما من كتاب يعادل فصلاً واحداً منه» [٢]. مما عكس إدراك المعاصرين لأهميته، ويدل على أن ابن مماتى كان ممن أثر فى الفكر السياسى للمؤسس الأيوبى البارز .

وأود الإقرار هنا ، بأن من المستشرقين من حاول القول بوجود إضطهاد للأقباط فى مصر فى العصر الأيوبى[٣] وهو قول مغلوط ؛ إذ لم تشر المصادر التاريخية إلى ما يوصف بأنه سياسة رسمية أيوبية تتجه نحو ذلك الإتجاه.

كما يلاحظ أن أقباط مصر رفضوا الحج إلى بيت المقدس طالما هى تحت السيادة الصليبية ودل ذلك على أنهم كانوا مع المسلمين فى خندق واحد وفيما بعد سمح لهم السلطان الأيوبى بزيارة المدينة المقدسة وإعفائهم من الضرائب[٤].

١- فاروق عمر فوزى، التدوين التاريخى عند المسلمين، ص٣٤٨ .

٢- نفسه، نفس الصفحة. أيضاً : شاكر مصطفى ، التاريخ العربى والمؤرخون، ج٢ ، ص٤٥٢-ص٤٥٣ .

٣- lev, Saladin in Egypt, Leiden 1999, pp. 187-190 .

والمؤلف متعصب ضد الإسلام وأهله عموماً انظر عرض كتابه: محمد مؤنس عوض ، «دراسات التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية الصادرة فى الخمس والعشرين سنة الأخيرة»، ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية بحوث ودراسات، ط. القاهرة ٢٠٠٥م، ص١٦٩- ص١٧٠ . وأنظر لنفس المؤلف مقالة عن المرحلة السابقة:

Lev, Persecution and Conversion to Islam in Eleventh Century Egypt, A.A.S., vol 22, 1988, pp. 73-93 .

وأنظر أيضاً :

Sivan, " Notes sur la Situation des chretiens à l'epoque ayyubide ", R.H.R., T. CLXII, Année 1967, pp. 117-130 .

٤- شحادة ونقولا خورى ، خلاصة تاريخ أورشليم الأرثوذكسية ، ط. القدس ١٩٥٢م، ص٨٠ ، جاك تاجر، أقباط ومسلمون، ط. القاهرة ١٩٥١م، ص١٦٥ .

من جهة أخرى، قدر الأقباط صلاح الدين الأيوبى الذى أعطاهم ديراً فى بيت المقدس هو دير السلطان[١]- الذى لايزال من أملاك الكنيسة المصرية إلى الآن. ولاتغفل هنا أن الرسامين الاقباط رسموا صورة ذلك السلطان وهى التى لدينا الآن على نحو تمكنا منه من معرفة ملامحه الشخصية ، وقد وضعوها بجوار الأنية المقدسة فى أديرتهم تقديراً له [٢].

ولانغفل أن تحول عناصر من الأقباط إلى الاسلام كما فى حالة ابن مماتى لم تكن لتعنى خصومه ما بين الاقباط والمسلمين حينذاك.

ومن معاصرى صلاح الدين الأيوبى، تذكر الطبيب والفيلسوف اليهودى موسى بن ميمون[٣] Maimonides (ت ١٢٠٤م) الذى قدم له ذلك السلطان فرصة ذهبية من خلال

١- عبد الحميد زايد، القدس الخالدة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص٢٦٠ ، عارف العارف، المسيحية فى القدس ، ط. القدس ١٩٥١م، ص١٣١ .

٢- عبد المنعم ماجد، صلاح الدين الأيوبى، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص١٤٩ .

ويلاحظ أن أحد الشعراء ، وهو حكيم الزمان عبد المنعم الأندلسى الذى نزل مصر فى عهد صلاح الدين الأيوبى نظم قصيدة فى مدحه ومما قاله يفيد أن الاقباط رسموا صورته ووضعوها فى الكنائس والأديرة من ذلك قوله :

فخطـــوا بأرجاء الكنائس صورة ... لك اعتقدوها كاعتقاد الأقانم

يدين لهـا قس ويرقى بوصفـهـا ... ويكتبـه ويشفى به فى التمـائم

عن ذلك انظر :

محمد أمين زكى ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان تاريخ الدول والإمارات الكردية فى العهد الإسلامى ، ج٢ ، مقدمة الكتاب.

٣- عنه أنظر: ابن أبى أصيبعه ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا، ط. بيروت ب-ت، ص٥٨٢- ص٥٨٣ ، ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول ط. بيروت ١٩٩٢م، ص٢٣٩ .

Lewis, Maimonides, Lionheart and Saladin , E.I, vol . VII , 1964 , pp. 70-74 , Goitein , " Moses Maimonides Man of action ; A Revision of the Master's Biography in Light of the Geniza Documents ", Hommage a George vajda, ed. By, G. Nahom and Ch . Touati, Louvain 1980, pp. 156-167 , Levy , Saladin in Egypt, Leiden, 1999, p. 189 .

تسامحه ليصبح فى أعلى مكانة فى عصره، وينبغى أن ندرك الأمر بصورته الإنسانية المتسعة، فذلك السلطان أراد أن يقدم المثال الدال على تسامح الإسلام فمثلما تسامح مع الصليبيين عندما دخل بيت المقدس فاتحًا فى ٢ أكتوبر ١١٨٧م، فإنه قدم لليهود المثال على ذلك عندما قرب ذلك العلم اليهودى الذى احتل مكانة بارزة لديهم ، وكان لذلك أثره فى أن حظى بتقديرهم ، ويكفى أن نذكر أنه سمح لهم بالعودة إلى المدينة المقدسة بعد أن حرمهم الصليبيون من ذلك الأمر.

هكذا ، يتأكد لنا أن ذلك السلطان كان نموذجًا للتعايش بين الأديان- دون فرض أو قهر أو عنف- وبالتالى فإن تاريخه نجد فيه المسلم والمسيحى واليهودى تحت مظلة التسامح الإسلامى فى عصر إشتهر بالتعصب .

تجدر الإشارة إلى أن ذلك الطبيب والفيلسوف اليهودى ألف عدة مؤلفات طبية من أمثلتها: فصول القرطبى، وشرح أسماء العقار، والمختصر لكتاب جالينوس، والرسالة الفاضلية فى السموم، والتحرز من الأدوية القتالة ، ومقالة فى تدبير الصحة ، ومقالة فى الربو ، وأخرى فى البواسير ، وثالثة فى الأعراض[1]، ويلاحظ أن أغلب مؤلفات الطبية كانت إما اختصار كتب الأطباء سابقين أو مقالات موجزة فى موضوعات محددة.

= إسرائيل ولفنسون ، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، ط. القاهرة ١٩٣٦م، كمال السامرائى ، مختصر تاريخ الطب العربى، ط. بغداد ١٩٨٥م، ج٢، ص٥٤- ص٦٠ ، قاسم عبده قاسم ، أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى دراسة وثائقية ، ط. القاهرة ١٩٧٩م، ص٦١- ص٦٢ ، محمد مؤنس عوض ، من اسهامات الطب العربى الإسلامى فى العصور الوسطى، ، ص١٠١، عالم الحروب الصليبية، بحوث ودراسات، ط. القاهرة ٢٠٠٥م، ص١٣٣- حاشية (٨٠) ، عبدالله كنون، النبوغ المغربى فى الأدب العربى، ط. بيروت ١٩٧٥م، ج١، ص١٦٧ ، عبد المنعم الحفنى، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، ط. بيروت، ١٩٨٠م، ص٣٦- ص١٤٠ .

١- عن تلك المؤلفات وتحليلها انظر :

Awad, "Highlights on The Medical contribution of Musa Ibn Maimun (1135-1204 A.D/ 525- 602 A.H.) during the Ayyubid Rule in Egypt.

وهى منشورة فى كتاب عالم الحروب الصليبية ص٢٢٤- ص٢٣٧ .

ويلاحظ أن بعض كتابات المؤرخين الاسرائيليين ، المحدثين تحاول جعل قامته الطبيه تصل إلى مستوى كبار الأطباء المسلمين مثل ابن سينا والرازى وغيرهما وهو أمر فيه مبالغة ظاهرة لاتصمد أمام البحث التاريخى الموضوعى.

أما فى المجال الفلسفى، فقد ألف كتاباً شهيراً هو دلالة الحائرين[١] وقد احتل مكانة بارزة فى الفكر الدينى اليهودى فى العصور الوسطى.

كما لاتغفل شخصية بارزة فى العصر الأيوبى وكان لها تأثيرها على السلطان المؤسس فى صورة القاضى الفاضل البيسانى[٢] (ت ١١٩١م) وقد وصف بأنه عمل وزيراً ومستشاراً لدى صلاح الدين وقد «تمكن منه غاية التمكن» [٣]، ويقرر أحد المؤرخين ما نصه : «كان القاضى

١- انظر : موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، تحقيق إتاى، ط. القاهرة ب-ت .

٢- عن القاضى الفاضل أنظر: القاضى ديوانه تحقيق أحمد أحمد بدوى، ط. القاهرة انشاءات القاضى الفاضل، تحقيق فتحية النبراوى ، ط. القاهرة ١٩٨٠م ، العماد الأصفهانى ، خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء مصر، تحقيق أحمد أمين، وآخرون ، ط. القاهرة ، ص٣٧- ص٥٤ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص١٥٨- ص١٦٣، ديوانه ، تحقيق أحمد أحمد بدوى، ط. القاهرة ١٩٦٦م، مقدمة التحقيق، هاديه دجانى شكيل، القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى العسقلانى (٥٢٦-٥٩٦هـ/ ١١٣١- ١١٩١م) ودوره التخطيطى فى دولة صلاح الدين وفتوحاته ، ط. بيروت ١٩٩٣م، دراسة ممتازة تعتمد على أوثق المصادر والمراجع ، على محمد الصلابى، الصراع بين أهل السنة والرافضة نشر الصفحات المطوية فى تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية، وفق الله صلاح الدين فقضى عليها، ط. بيروت ٢٠٠٧م، ص١٣٧- ص١٤٠ ، أنيس المقدسى، تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى ط. بيروت ١٩٩٨م، ص٢٨٨- ص٣٠١ ، شوقى ضيف، الفن ومذاهبه فى النثر العربى، ط. القاهرة ١٩٧٧م، ص٣٦٦ ، عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفكرية فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول، ط. القاهرة ١٩٦٨م، ص٢٨٠- ص٢٨١ ، يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية ، من العصر الجاهلى إلى عصر النهضة، ط. صيدا ١٩٦١م، ج١، ص٢١٢ ، محمد زغلول سلام ، الأدب فى عصر صلاح الدين الأيوبى، ط. الاسكندرية ب-ت، ص٢٢١- ص٢٤٠ ، أحمد أحمد بدوى، القاضى الفاضل ، دراسة ونماذج ، ط. القاهرة ١٩٥٩م، أسامة نعيرات، إقطاعية بيسان ودورها فى الصراع الإسلامى الفرنجى ٤٩٢هـ - ٦٩٠هـ / ١٠٩٩-١٢٩١م، ط. عكا ٢٠٠٢م، ص٢١٦- ص٢١٧ .
Helbing , Al qadis Al-Fadil der weizer Saladin , eine Bibliographie Berlin, 1909 .

٣- ابن خلكان ، المصدر السابق، ج٦، ص١٥٨ .

الفاضل هو الدولة الصلاحية ، كان كاتبها، ووزيرها ، وصاحبها ، ومشيرها والحاكم فى كلها، والمجهز لبعوثها »[١].

وتجدر الإشارة إلى أن ذلك الرجل عانى طويلاً من المرض ولذلك لم يكن يرافق صلاح الدين وبالتالى ، أناب عنه العماد الكاتب الأصفهانى، وبالتالى تشابه مع السلطان المذكور الذى عانى هو أيضًا طويلاً من المرض.

من الملاحظ أن القاضى الفاضل ترك لنا عدداً وافراً من الرسائل التى صيغت ببراعة من خلال قلم ذلك الأديب البارع ويلاحظ أن العماد الأصفهانى قد وصفه بأنه «رب القلم والبيان، واللسن واللسان، والقريحة والوقادة ، والبصيرة النقادة» [٢]، وعندما يأتى مثل هذا القول من أديب فى قامة العماد فبالتالى يكون أشبه بإحقاق حق وإبراز مكانة جديرة به .

يلاحظ أنه فى أعقاب عصر صلاح الدين، عمل القاضى الفاضل لدى ابنه العزيز عثمان وبالتالى يكون قد عاصر ثلاثة عهود ، حيث عمل لدى الفاطميين ثم رأس الدولة الأيوبية ثم ابنه من بعد ذلك .

والأمر المؤكد أن القاضى الفاضل كان جزءاً من كوكبة متألقة من الأدباء والمؤرخين الذين إلتقوا حول صلاح الدين ومثلوا ظاهرة فريدة يندر تكرارها .

وهناك الشاعر ابن قلاقس[٣] (ت ١١٧١م) السكندرى المولد والنشأة ، وهو أبو الفتح نصر الله وقد عرف عنه تعدد رحلاته وركوبه البحر، وهكذا انتقل إلى اليمن، وكذلك صقلية. ومما تجدر ملاحظته أنه امتدح صلاح الدين الأيوبى عندما كان بالاسكندرية ، وهو فى ذلك الأمر أحد عشرات الشعراء الذين إمتدحوه.

وقد ترك عدة مؤلفات فى صورة ديوانه، وكتاب المزهر الباسم فى أوصاف أبو القاسم ، وديوان ترسله، وخواطر الخواطر، وروضة الأزهار فى طبقات الشعراء[٤].

١- ابن فضل الله العمرى، مسالك الأبصار (مخطوط) نقلاً عن شوقى ضيف، الفن ومذاهبه، ص٣٦٩ .

٢- ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج٦، ص١٥٨ .

٣- عنه انظر: ابن قلاقس ، ديوانه، تحقيق سهام الفريح، ط. الكويت ١٩٨٥م، ص١٥- ص٣١ من مقدمة التحقيق.

٤- ابن قلاقس، المصدر السابق، ص٣٠- ص٣١ .

بصفة عامة ، لم يكن لابن قلاقس ذات الشهرة التى عرفت للعماد الكاتب الأصفهانى، وابن سناء الملك، وعرقله الكلبى وغيرهم من المعاصرين خاصة أولئك الذين لازموا السلطان الأيوبى .

ومن معاصري صلاح الدين ، أبو عبدالله الوهرانى[1] (ت ١١٨٠م) وهو فى الأصل من وهران (بالجزائر حاليًا) ، وقدم إلى مصر خلال عهده وقد اشتهر بالأدب وخفة الظل ، وقد ألف منامات ورسائل حققت شهرة عريضة وعلى حد ما ذكره ابن خلكان «وهى كثيرة الوجود بأيدى الناس»، ومن بعد ذلك إنتقل ليعيش فى دمشق عاصمة بلاد الشام التاريخية وعمل بالخطابه حيث خطب فى داريا ، وبعد حياة متنقلة بين المغرب الأوسط ومصر وبلاد الشام توفى فى دمشق.

بصفة عامة ، من المؤكد أن ذلك الأديب الرَّحَّال حقق شهرة من خلال أسلوبه الأدبى وثراء قاموسه اللغوى على نحو ضمن لمؤلفاته الانتشار ، وهو أمر أكده ابن خلكان فى كتابه .

كما عاصره الشاعر عماره اليمنى[2] (ت ١١٧٤م) وهو فى الأصل من اليمن وبها تعلم واتجه إلى مكة المكرمة حاجًا ، ثم قدم إلى مصر وقد خدم الفاطميين، وظل وفيًا لهم على الرغم من عدم اعتناقه المذهب الإسماعيلى.

وينسب لذلك الشاعر أبيات شهيرة فى رثاء دولة الفواطم ظلت تتردد من جانب محبيهم، وهكذا يرحل الشعراء- فى كل عصر- وتبقى قصائدهم تنبض بالحياة وشاهدة على براعتهم الشعرية[3].

١- عنه أنظر: الوهرانى، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ، تحقيق محمد نغش وإبراهيم شعلان، ط. القاهرة ١٩٦٧م، مقدمة التحقيق، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٨٥- ص٣٨٦ .

يوسف نور عوض، ، فن المقامات بين الشرق والغرب، ط. مكة المكرمة ١٩٨٦م، ص٣١٢ ، محمد محمود نغش ، الوهرانى حياته وأدبه ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب- جامعة القاهرة ب-ت .

٢- عنه أنظر : ابن واصل ، مفرج الكروب، ج١، ص٢٥١- ص٢٥٧ ، أهيف سنو، «الحياة الثقافية والأدبية فى عهد صلاح الدين الأيوبى»، دراسات إسلامية العدد (٥) عام ١٩٩٤- ١٩٩٥م ص٢٠٣- ص٢٠٤ ، نعمان الطيب سليمان، منهاج صلاح الدين الأيوبى فى الحكم والقيادة، ص١٠٩ ، حاشية (٣٧)، عدنان الحارثى، عمران القاهرة وخططها ، ص١٧٧ ، حاشية (١) .

أحمد فؤاد سيد، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بنى أيوب ، ص٦١ .

٣- مطلعها : رميت يا دهر كف المجد بالشلل ... وجيده بعد حسن الحكى بالعطل

مما يذكر عنه تأليفه عدة مؤلفات لعل أشهرها النكت العصرية فى الوزارة المصرية[1] وهو مصدر تاريخى له شأنه خاصة عن أحداث العصر الفاطمى.

لقد تآمر ذلك الشاعر مع الصليبيين فى بلاد الشام والحشاشين هناك والنورمان فى صقلية لإعادة الحكم الفاطمى دون أن يدرك أن شمس الفواطم غربت للأبد ولايمكن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، وقد اكتشفت المؤامرة عام ١١٧٤م وأمر صلاح الدين بإعدام قادتها ومنهم عمارة كما أسلفت الذكر من قبل .

كذلك وجدت بعض الشخصيات النسائية البارزة من أفراد البيت الأيوبى، مثل ست الشام[2] (ت ١٢١٩م) وهى شقيقة صلاح الدين الأيوبى ، وأشارت المصادر التاريخية إلى

ومن أمثلتها قوله:

بالله زر ساحة القصرين وأبكى معى	عليهما لا على صفين والجمل
وقل لأهلهما : والله ما ألتمت	فيكم قروحى ولاجروحى بمندمل
مررت بالقصر والأركان خاوية	من الوفود وكانت قبلة القبل

المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ج٣، ص٣٣٢- ص٣٣٤ .

أحمد فؤاد سيد، المرجع السابق ، ص٦١ .

١- تحقيق ديريج، ط. باريس ١٨٩٧م

٢- عن ست الشام أنظر:

أبوشامة ، الذيل على الروضتين، ص١١٩ ، ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٣، ص٦٣ ، حاشية (١)، ابن نظيف الحموى، التاريخ المنصورى، ص١٤٨ ، عمر رضا كحالة ، أعلام النساء ، ط. دمشق ١٩٤٠م، ص٥٦١ ، صلاح الدين المنجد ، خطط دمشق، ط. بيروت ١٩٤٩م، ص٧٣ ، محمد مؤنس عوض، «الحركة الصوفية فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية» ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) ، تحرير محمد مؤنس عوض، ط. القاهرة ٢٠٠٢م، ص٧٨- ص١١٢ ، رشيد الجميلى، العرب والتحدى الصليبى، ط. بغداد ١٩٩٠م، ص٧٣ .

كرمها وعطفها على عناصر الزهاد، والعباد ، وقد حرصت على تشييد عدد من العمائر الدينية الخاصة بهم مثل الزوايا والخوانق . أنها تزوجت من محمد بن أسد الدين شيركوه ابن عم صلاح الدين الأيوبي وكان يعتقد أنه أحق بالملك منه، وربما كان من أسباب زواجه إتقاء شره من جانب السلطان الأيوبي ، إلا أن ذلك الزواج لم يقض على طموحاته التي انتهت بالفعل بوفاته عام ١١٨٥م وقيل أنه مات مسمومًا[١] .

كما أن هناك ضيفة خاتون [٢] (ت ١٢٤٢م) وهي ابنة العادل أبوبكر شقيق صلاح الدين وقد وصفت بالحنكة السياسية حتى أنها حملت لقب الملكة وتولت حكم حلب في مرحلة عصيبة من تاريخها وقد تحالفت مع الصالح اسماعيل صاحب دمشق والمنصور إبراهيم صاحب حلب ضد عناصر الخوارزمية وتمكن هذا الحلف الثلاثي من هزيمتهم قرب الرها عام ١٢٤١م[٣] .

كما ينسب لها رعاية عناصر الزهاد والعباد. شأنها في ذلك شأن عمتها ست الشام ، والأمر المؤكد أن ضيفة خاتون إمتازت بنشاط وافر في عالمي السياسة والعمل الاجتماعي الخيري على حد سواء .

١- وفاء محمد علي، الزواج السياسي، ص١٣٧ .

٢- عن ضيفة خاتون أنظر : الحنبلي ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، ط. القاهرة ١٩٩٦م، ص٢٨٢- ص٢٨٣ ، ابن العجمي، كنوز الذهب ، ج١ ورقة (١١١)، الغزي ، نهر الذهب، ج٣، ص١١٦ ، محمود الحويري ، العادل الأيوبي ، ص١١٧- ص١١٨ ، عادل نجم عبو، «الرباط في العمائر الأيوبية» ، ضمن الكتاب التذكاري بمناسبة الاحتفال الخمسيني لتأسيس جامعة القاهرة عام ١٩٧٧م، ص٤٠، ياسين الخطيب العمري، الروضة الفيحاء في تواريخ النساء ، تحقيق عماد علي حمزه ، ط. بغداد ١٩٨٧م، ص٣٧٨- ص٣٧٩ ، ثروت عكاشة، تاريخ الفن العين تسمع والأذن ترى ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ط. القاهرة ١٩٩٤م، ص٢٦٠- ص٢٦١ .

El Azhari , Daifa Khatun Ayyubid queen of Aleppo 634-640 A.H. 1236 - 1242 A.D., Cairo 1998 .

٣- فراس السامرائي ، التقاليد والعادات الدمشقية خلال عهود السلجوقيين والزنكيين والأيوبيين ، ط. دمشق ٢٠٠٤م، ص٥١ .

كما تجدر بنا الإشارة إلى عصمت خاتون[1] زوجة السلطان الأيوبى، وهى أرملة نور الدين محمود وابنة معين الدين أنر أتابك ، دمشق - كما أسلفت الذكر من قبل- وتعد أبرز خاتونات البيت الأيوبى.

وهى مثل غيرها من خاتونات أو أميرات ذلك البيت الحاكم عملت على رعاية الصالحين والقيام بأعمال البر والإحسان ، ومما يذكره التاريخ لها أنها شيدت مدرسة للحنفية فى حجر الذهب - وهو موضع بدمشق - كما أقامت تربة لها بجبل قاسيون وبها ودفنت وقد أوقفت أوقافًا عديدة على كافة تلك المنشآت [2].

ومن المفترض أن لها دورها فى نجاح زوجها المجاهد، على الرغم من أن المصادر التاريخية لاتشير إلى ذلك الدور بحكم الطابع المحافظ للمجتمعات الإسلامية عمومًا ، إلا أن تصوره أمر منطقى من خلال وقائع أحداث تاريخ العصر ذاته .

كذلك نشير إلى ربيعة خاتون (ت ق١٣م) ، وهى أخت صلاح الدين الأيوبى، ويلاحظ أن زواجه من عصمت خاتون نتج عنه زواج آخر فى صورة زواج سعد الدين مسعود بن انر أخى عصمت خاتون وهو من كبراء الأمراء ، من ربيعة خاتون[3].

١- عنها أنظر: ابن شاهنشاه الأيوبى، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، ص٢٢٧ ، حاشية (٣) ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٤٨- ص٢٤٩ ، ماجد عرسان الكيلانى، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ، ص٣٠٣ ، وفاء محمد على، الزواج السياسى ، ص١٣٦ . خلف محمد الحسينى، لقاء بطلين صلاح الدين الأيوبى وجمال عبد الناصر، ص-١٠٠ ص١٠١ .

٢- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة ، ج٦، ص٩٩ ، وعن جبل قاسيون المطل على دمشق انظر: الربعى، فضائل الشام، ودمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد ط. دمشق ١٩م، ص٦٢ ، ابن جبير، الرحلة ص٢٦٢ ، الهروى، الإشارات، ص١١، ابن بطوطة ،الرحلة، ص١٠١- ص١٠٢ ، البدرى، نزهة الأنام فى محاسن الشام، ط. القاهرة ١٩٤١م، ص٣٣٩ ، ابن خداويردى ، أرجوزة فى محاسن دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد، مجلة المجمع العلمى بدمشق ، م (٧٢) ، ج(٢) عام ١٩٥٧م، ص٢٢٨ ، صلاح الدين المنجد ، مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين، ط. بيروت ١٩٦٧م، ص٣٠٨ ، محمد أحمد دهمان، جبل قاسيون، ط. دمشق ، فؤاد بدرى، ابن بطوطة، ط. القاهرة ، ص٢٥- ص٢٦ .

٣- عنها انظر: ابن تغرى بردى، النجوم، الزاهرة ، ج٦، ص٩٩ ، وفاء محمد على، المرجع السابق، ص١٣٧ .

ويلاحظ أنه من بعد وفاته عام ١١٨٥م، تزوجت من مظفر الدين كوكبورى؛ صاحب أربيل- السالف الذكر - ولاتغفل الإشارة إلى أن ربيعة خاتون أنجبت من الأخير ابنتين تزوج إحداهما صاحب الموصل الملك القاهر عز الدين مسعود بن ألب أرسلان ، والثانية تزوجها أخوه عماد الدين زنكى.

وكل ذلك يعنى لنا أن الأسرة الأيوبية عقدت عدة زيجات سياسية شملت كبار الأمراء ممن حقق شهرة واسعة فى عالمى الجهاد والسياسة وممن عاصره تذكر ابنته الوحيدة مؤنسة خاتون[١]، ويلاحظ أنها كانت أثيرة إلى قلب والدها ، ولاتقدم لنا المصادر التاريخية مادة وافية عنها، ونعرف أنها اقترنت بابن عمها الملك الكامل بن العادل أبوبكر شقيق صلاح الدين.

تجدر الإشارة إلى أن مؤنسة خاتون تعد أقل أميرات البيت الأيوبى التى وصلت إلينا معلومات عنها مقارنة بعصمت خاتون وست الشام ، وربما كان للموقف العدائى الذى اتخذه أغلب المؤرخين من زوجها لعقده اتفاقية يافا ١٢٢٩م الأثر الأكبر من وراء ذلك دون إمكانية التأكيد بطبيعة الحال لعدم وضوح ذلك الاحتمال إلى درجة اليقين .

والأمر المؤكد ، أن خاتونات[٢] البيت الأيوبى يتبين لنا أن تلك الأسرة الحاكمة وخاصة فى عهد مؤسسها البارز لايمكن أن يكتب تاريخها من منطلق ذكورى صرف ، بل أن الدور النسوى واضح تماماً ، وتشهد الآثار الإسلامية فى بلاد الشام ومصر على تلك الحقيقة على اعتبار أن البشر يرحلون وتبقى الآثار شاهدة عليهم وعلى إنجازاتهم .

= منى سعد الشاعر ، «خاتونات البيت الأيوبى ودورهن فى الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية فى العصر الأيوبى» ، المؤرخ المصرى، العدد (٢٤) ، يناير ٢٠٠١م ، ص٢٠٣ .

١- عنها أنظر : ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٢، ص٤٢٦ .

٢- يقوم حاليًا الطالب عبد التواب محمد عبد التواب بآداب عين شمس بإعداد أطروحته للماجستير بعنوان: خاتونات البيت الأيوبى فى بلاد الشام دراسة سياسية وحضارية ٥٦٧- ٦٤٨هـ / ١١٧١- ١٢٥٠م، تحت إشرافى وأتصور أنها ستكون قيمة خاصة أننى توليت الاشراف عليها فصاحبها باحث واعد يملك كافة مقومات النجاح ويلاحظ أنه مبصر بنور البصيرة.

ويلاحظ ، أن المرأة المسلمة من طبقة العامة كان لها دورها في ذلك العصر فهي الأم والزوجة والأخت وإذا كانت المصادر التاريخية المعاصرة لم تؤرخ إلا للأميرات البارزات فعلى المؤرخ إدراك أن المرأة العادية عن عامة الناس كان لها دورها الحياتي حينذاك وقدمت الأبطال والشهداء وإن لم تنل من المؤرخين الاهتمام الجدير بها

وفي تقديري أن ذلك كله جعلنا نرى قائداً قراراته السياسية والحربية تمت دراستها بعناية واقتدار وتضج ليس فيها اندفاع طائش أو مغامرة غير محسوبة العواقب على نحو يورده هو وجيشه موارد الهلاك ، ولايفهم من ذلك أنه لم يكن بالخبير المحنك ، بل كان كذلك وزاد عليه استشارته للآخرين ممن أحسنوا له النصح.

ومن المفترض أن الصليبيين - في عصر ضعفهم- افتقدوا صنع القرار السياسي الجماعي الصائب ، وهكذا ، فإن مميزاتهم في عصر قوتهم توافرت لدى السلطان الأيوبي على نحو ضمن لهم- بإذن الله تعالى- التوفيق في مواجهتهم.

إن العرض السابق لعشرات الأعلام ممن عاصر صلاح الدين الأيوبي يكشف لنا عن حقيقة مفادها أن العصر الأيوبي شهد نهضة حقيقية كانت بداياتها سابقة منذ عصر نور الدين محمود، وظهر خلالها عدد من الأعلام في كافة المجالات السياسية والحربية والفكرية ، وكان صلاح الدين الأيوبي جزءاً لايتجزء عن أولئك الأعلام ، ومن الخطأ البين دراسته بمعزل عنهم خاصة أولئك الذين تعاملوا معه بصورة مباشرة وأثروا على قراراته .

والأمر المؤكد أن تخصيص فصل مستقل عن أولئك المبرزين في تلك المجالات يؤكد بجلاء على عدم الوقوع في أسر الفردية، وبصفة عامة، امتلك السلطان الأيوبي القدرة على معرفة أقدار الرجال ، ومن خلال تتبع سياساته وصراعاته مع المسلمين والصليبيين على حد سواء، يمكن إدراك أن العناصر التي أحاطته وتعامل معها بصورة مباشرة أصدقته القول ، والنصيحة واستفاد من تصوراتهم، واكتمل الأمر برؤيته الشخصية المدعمة لذلك كله .

الفصل السابع

صلاح الدين الأيوبى .. الأسطورة

يتناول هذا الفصل بالدراسة ؛ أسطورة صلاح الدين الأيوبى، من خلال الأسباب المتعددة التى أدت إلى ظهورها ، وكذلك التطور التاريخى لها.

ويتطلب الأمر، دراسة التعريف اللغوى للكلمة، من أجل معاونتنا على التعرض لصلاح الدين من تلك الزاوية.

ويلاحظ أن الأسطورة ، كما رآها البعض حكايات خارقة للعادة تتناقلها الشعوب[1]، وتصور فريق من الباحثين أنها تعنى كلامًا من تصورات العوام بالإضافة إلى أنها متوارثة يتلقاها الخلف عن السلف وتتناقلها الألسنة ولاتدون أو تسجل [2]، وهى فى أصلها اليونانية من كلمة Muthos وتعنى الشئ المنطوق[3].

وتجدر الإشارة إلى أن هناك من عمل على تقسيم الأساطير إلى طقوسية ، وتعليلية، ورمزية ، وتاريخية[4]، ويعنينا الأخيرة بطبيعة الحال، ويقال أن الناس يصنعون التاريخ من خلال صنعهم للأساطير [5]، وهو أمر يعكس أهمية البعد الشعبى فى دراسته .

وتتناول الأسطورة فى الغالب حادثة قديمة محفوفة بالمبالغات بل وحتى الخرافات أحيانًا[6]، مع ملاحظة أن الأسطورة تختلف عن الخرافة من حيث أن فيها جانب من الحقائق التاريخية أو أنها تعكس قبسًا من الواقع التاريخى .

ويلاحظ أن الأساطير [7] تتواجد فى مخيلة الشعوب، وتتناقلها الأجيال ، ومن الممكن القول أنها تعنى رؤية شعبية شفهية للتاريخ، وعلى المؤرخ إدراك أهميتها فى معالجة قيادات

١- حسين مجيب المصرى، الأسطورة بين العرب والفرس والترك دراسة مقارنة، ط.القاهرة ٢٠٠٠م،ص٨ .

٢- نفسه ، نفس الصفحة.

٣- سعيد غريب ، موسوعة الأساطير والقصص ، ط. عمان، ٢٠٠٠م، ص٩ .

٤- سعيد غريب، موسوعة الأساطير والقصص ، ص٧ .

٥- نفسه، ص١٨ ، حاشية (١) .

٦- حسين الحاج حسن، الأسطورة عند العرب فى الجاهلية ، ط. بيروت ١٩٨٨م، ص١٦ .

٧- حسين الحاج، الأسطورة عند العرب، ص١٧ .

بارزة نسجت من حولها أساطير معينة وعدم الاعتماد فقط على المصادر التقليدية لكتابة التاريخ.

وهكذا ، فإن دراسة تاريخ صلاح الدين الأيوبى لايمكن أن يكون من خلال الوثائق ، والآثار، والنقوش ، والنقود فقط . بل لابد من العناية بالزاوية الأسطورية ورصدها حتى تكتمل الرؤية الموضوعية لذلك القائد وعصره والمفاهيم والقيم والتصورات السائدة حينذاك خاصة لدى الغرب الأوربى الذى منه نبعت الحروب الصليبية.

واقع الأمر، أن وفاة ذلك السلطان عام ١١٩٣م لم تكن تعنى نهاية مطاف تاريخه الحافل بالأحداث وعلاقاته المتعددة الصور والوجوه مع المسلمين والصليبيين بمختلف قواهم السياسية، بل إن ذلك التاريخ جعل منه قائداً مستمراً خاصة لدى الغرب الأوربى الذى حاربه يومًا وتصارع معه من أجل استرداد بيت المقدس خاصة خلال الصليبية الثالثة كما اتضح لنا الأمر فى الصفحات السابقة.

والواقع أن التصدى لتناول أسطورة صلاح الدين الأيوبى تجعل الباحث يواجه مشكلة واضحة المعالم حيث يعانى من نقص إن لم يكن ندرة الإشارات المصدرية والمرجعية ، وهى تقع فى ثنايا مصادر كتبت بلغة سياسية ، وحربية الطابع، كما أن عليه التعامل مع المؤلفات الأدبية الأوربية الحديثة التى تناول أصحابها سيرة ذلك الفارس الذى قدم من الشرق ليعيش فى العقل الجمعى الأوربى على مدى عدة قرون .

والواقع أن هناك عدة عوامل أدت إلى بروز أسطورة صلاح الدين فى الغرب الأوربى يمكن إجمالها على النحو التالى:

أولاً : طابع الكاريزما Charisma الذى تمتع به ذلك القائد وشخصيته بالغة الجاذبية على نحو إنعكس على أعدائه من الصليبيين ، وقد وقعوا فى دائرة الاعجاب به. وهو أمرنادر فى عصر المواجهة بين المسيحية والاسلام على أرض بلاد الشام، ولاريب فى أن ذلك الجانب لايمكن

= وعن الأسطورة بصفة عامة انظر: أحمد كمال زكى، الأساطير دراسة حضارة، ط. القاهرة ١٩٨١م ، شكرى عياد ، البطل فى الأدب والأساطير ، ط. القاهرة ١٩٥٩م، محمد عبد المعين خان، الأساطير العربية قبل الاسلام، ط. القاهرة ١٩٣٧م، ارثر كورتل، قاموس أساطير العالم، ت- سهيل الطريحى ، ط. بيروت ١٩٩٣م، ستروس ، «بنية الأساطير» ، ت. مصطفى كمال ، مجلة بيت الحكمة عدد عام ١٩٨٧م، ص٦٣- ص٩٣ ، تركى على الربيعو، «الاسطورة العالمة فى الاستراتيجية الرشديه ، مضمون الاسطورة فى الخطاب الجابرى»، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، العدد (٥) شتاء ٢٠٠٢م ، ص٢٩٦- ص٣٢٣ .

تجاهله عندما ندرس أسباب بقاء مثل ذلك القائد كظاهرة حية متنعشة حتى من بعد وفاته[١] ليس فقط فى نفوس المسلمين ، بل فى نفوس أعدائه من الصليبيين.

وتجدر الإشارة، إلى أن شخصيته الجذابة المؤثرة فى الآخرين، كان لها دورها فى أن اتجه فريق من الصليبيين إلى القدوم إليه وإعلان اعتناقهم للاسلام [٢]. على يديه، وتلك حقيقة مؤكدة أشارت إليها المصادر التاريخية الصليبية المعاصرة للحملة الثالثة ، وأشارت إليها كتابات المستشرق البريطانى توماس أرنولد Thomas Arnold فى كتابه عن الدعوة إلى الإسلام The Spread of Islam وقد وردت اشارات تفيد أن الفارس الإنجليزى روبرت أوف سانت البانوس Rober of St. Albanus إتجه إلى إعلان إسلامه ويقال أنه تزوج من إحدى حفيدات صلاح الدين وذلك فى عام ١١٨٥م[٣].

من جهة أخرى ، إتجه ستة من الجنود الصليبيين فيما قبل معركة حطين عام ١١٨٧م إلى إعلان اعتناقهم للإسلام وذلك بمحض إرادتهم[٤].

وخلال أحداث الصليبية الثالثة وأثناء حصار عكا أعلن عدد كبير من الصليبيين اعتناقهم ذلك الدين على نحو أقر به مصدر صليبى فى صورة مؤرخ رحلة حج ريتشارد وإن ذكر أن المبرر تمثل فى الرغبة فى تجنب المجاعة التى لحقت بالصليبيين ، وقد أنزل عليهم اللعنات لتحولهم إلى الإسلام[٥]. وهو أمر متوقع من مصادر ذلك العصر .

تجدر الإشارة ، إلى أن إعتناق الإسلام خلال عهد صلاح الدين الأيوبى من جانب عناصر من الصليبيين جاء تكملة لما قد حدث من قبل ؛ إذ أنه فى عام ١١٤٨م، وفى خلال أحداث الصليبية الثانية (١١٤٧-١١٤٨م) ، وأثناء عبور الصليبيين لممرات فريجيا Phrygia، وعند مدينة أطاليا Atalia الساحلية الواقعة جنوب شرقى آسيا الصغرى، عانى أولئك الصليبيين

١- فى هذا الصدد يقرر أمين معلوف أن السلطان الأيوبى إمتلك شخصية ساحرة، انظر: أمين معلوف ، الحروب الصليبية، ص٢٧٤ .

٢- Arnold, The Spread of Islam in the World, A History of Peaceful Preaching , New Delhi 2002, p. 91 .

٣- Arnold, The Spread of Islam , p. 91 ,

أحمد الشرباصى، موسوعة الفداء فى الاسلام، ط. بيروت ١٩٨٢م، ج٤، ص٤٦٧ .

٤- Arnold, The Spread of Islam , p. 91 .

٥- Chronicle of the Third Crusade , A Translation of the Itinerarium Peregrinorium et Gesta Regis Ricardi, p. 132 .

من متاعب سببها لهم البيزنطيون الذين نهبوا أموالهم - وفق ما أقرت به المصادر الصليبية المعادية لبيزنطة- وهكذا احتاجوا الطعام والشراب ولم يجدوا إلا المسلمين يعطفون عليهم !! ونتج عن ذلك أن إعتنق الإسلام أكثر من ٣٠٠٠ من الصليبيين[1] على نحو اعترفت به المصادر الصليبية المعاصرة في صورة أو دو دي ول.

تجدر الإشارة إلى أن الفارق بين حوادث الاعتناق فى عهد صلاح الدين الأيوبى والحوادث السابقة أن شخصية الأخير كان لها أثرها فى أمر اعتناق الإسلام، بينما لم يكن حينذاك قائد فى حجم ذلك السلطان فى آسيا الصغرى عام ١١٤٨م.

ولايفهم من السطور السابقة أن شخصيته الكارزمية وحدها كانت السبب فى اعتناق الإسلام؛ بل إن ما احتواه ذلك الدين من مبادئ وأخلاقيات سامية تجسدت فى سلوك أبنائه حينذاك ، كان من أهم الأسباب الداعية لذلك الأمر.

ولاريب فى أن ذلك كله يعكس لنا كم كانت شخصية ذلك السلطان مؤثرة حتى فى قلوب وعقول أعدائه .

ثانيًا : طابع التسامح الذى أظهره عندما دخل بيت المقدس فاتحًا فى ٢ أكتوبر ١١٨٧م ، وإطلاقه لسراح أعداد كبيرة من الصليبيين فى عصر التعصب الصليبى، كان عاملاً مؤثرًا على نحو صنع مثل تلك الأسطورة .، ويقرر المؤرخ الروسى ميخائيل زابوروف أن تلك المعاملة الرحيمة التى عامل بها كافة عناصر المسيحيين كانت سببًا فى دخوله عالم الأساطير التى تمجد شهامته الغير معتادة [2]. وحتى ندرك قيمة تلك السياسة المتسامحة للسلطان المذكور علينا أن ندرك أن عام ١١٨٧م هو بمثابة مرحلة وسطى بين كارثتين، الأولى دخول الصليبيين بيت

١- عن ذلك انظر: Odo of Deul , De Profectione Ludovici VII in Orientem, p. 141 .

= Arnold, The Spread of Islam , p. 89 .

محمد مؤنس عوض ، المسيحية والإسلام بين الاعتناق والارتداد عصر الحروب الصليبية، ضمن كتاب الحروب الصليبية قضايا السياسة ، المياه ، العقيدة ، ط. القاهرة ٢٠٠١م، ص٥-١٠٥ ، على عوده الغامدى ، أنطاكية فى عصر الحروب الصليبية ، ط. مكة المكرمة ١٩٩٧م، ص٢٠- ٢١ ، عبد السلام زيدان ، الحملة الصليبية الثانية، ص١٨١ .

ويقرر اسحق عبيد ما نصه تعليقًا على الواقعة :« لقد جاء عطف الترك هذا بأكبر الأثر وأعمقه على نفس الفرنجة ولذا فإن ثلاثة آلاف منهم اعتنقوا الإسلام ومن الثابت أن الترك لم يجبروا واحداً منهم على هجر مسيحيته » أنظر: اسحق عبيد، روما وبيزنطة، ص٢٠٤ .

٢- الصليبيون فى الشرق ، ص١٩٢ .

المقدس عام ١٠٩٩م والثانية دخول الصليبيين القسطنطينية عام ١٢٠٤م ليقتلوا وينهبوا وبالتالى تعمقت صورة التسامح النبيل بين التعصب السابق واللاحق.

ولامراء فى أن ذلك الأسلوب الأخلاقى الرفيع المستوى فى عصر تلك كانت طبيعته؛ جعلت أعداءه ينبهرون به، وهو أمر عكس خصوصية تاريخية قاصرة على ذلك القائد دون غيره وذلك بموضوعية علمية دونما قولبة أو إعتساف فى الأحكام وفى تقديرى أنه فى حالة إحداثة لمذبحة فى بيت المقدس وعدم دخوله سلميًا لتلك المدينة ما وجدت أصلاً مثل تلك الأسطورة[١]

وتتجه كارول هيلنبراند إلى التساؤل عن السبب فى أن صلاح الدين الأيوبى نسجت بشأنه أسطورة وهو ما لم يحدث بالنسبة لعماد الدين زنكى وإبنه من بعده نور الدين محمود، وقد استبعدت الأول بسبب كونه رجلاً بالغ القسوة»[٢] على حد قولها، أما نور الدين فعلى الرغم من وصف وليم الصورى له على نحو عكس تقديره الشخصى له، إلا أنها اكتفت بالقول أنه كان سلفًا صالحًا لصلاح الدين [٣]، وتصورت أن الأخير كان له أصدقاء من الصليبيين وأنه حظى باحترام من جانب ريتشارد قلب الأسد.

وفى تصورى أن السبب الرئيسى أن عماد الدين زنكى ونور الدين محمود لم يصلا فى توسعاتهم الجهادية إلى نقطة التماس بين الأديان فى صورة بيت المقدس التى وجدت فى أعماق العقل الجمعى الأوربى الوسيط لإرتباطها بذكريات المسيحية الباكرة وقضية الحج المسيحى.

من جهة أخرى، فإن عماد الدين ونور الدين لم يدخلا فى علاقات حربية وسياسية ودبلوماسية مع كبار ملوك أوربا كما فى حالة صلاح الدين الأيوبى بمعنى آخر أن علاقاتهما كانت ذات طابع محلى فى نطاق بلاد الشام وذلك إذا استثنينا العلاقات النورية- البيزنطية- وقد جرى قسم منها أيضًا على أرض بلاد الشام خاصة اتفاق ١١٥٩م .

١- عن تلك الأسطورة أنظر :

Richard, " La Chanson de Syracon et la Legende de Saladin ", T.A., T. 237, Année 1949, pp. 155-158.

قدرى قلعجى ، صلاح الدين الأيوبى، ص٤٥٣، ومن المفيد الرجوع إلى: كلود كاهن ، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ص١٨٥ .

٢- صلاح الدين تطور أسطورة غربية ، ص١٠٩ .

٣- نفسه، نفس الصفحة.

وبالتالى تكون السطور السابقة محاولة الاجابة عن التساؤل الذى طرحته المستشرقة السابقة ولم تتمكن من إجابته إجابة شافية وافية ويبقى لها فضل إثارة التساؤل المهم فى حد ذاته .

أما موريس بيشوب ، فنجده يحاول الإقتراب من القضية ، ويذكر أن الشعوب التى تكون فى حالة حرب عادة ما يكون لها خصم نبيل ويستشهد على ذلك بأحداث الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨م) حيث كان هناك الكونت ڤون لوكنر Count von Luckner ، أما الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩- ١٩٤٥م) فظهر فيها الجنرال روميل General Rommel الملقب بثعلب الصحراء ويضيف ما نصه: «أما بالنسبة للصليبيين فقد كان صلاح الدين هو العدو النبيل»[١].

والواقع أن ذلك المؤرخ لم يقدم تعليلاً للسؤال الذى طرحته من قبل كارول هيلنبراند لماذا صلاح الدين الأيوبى على نحو خاص؟ وليس فى الأمر بطبيعة الحال تعود أو عادة خاصة أن تشبيه صلاح الدين بالقائدين المذكورين أمر غير وارد أصلاً لاتصافهما بالطابع العسكرى الصرف دون توافر الجانب الإنسانى على نفس القدر الذى توافر للسلطان الأيوبى.

ثالثًا : الإشباع النفسى ومحاولة البحث عن «البطل الرمز» وعمق التجربة الاسطورية ، فيلاحظ فى هذا الشأن أن الشعوب دومًا تبحث عن البطل الرمز حتى فى حالة كونه من ديانة أخرى لأنه فى حالة صلاح الدين يمكن أن يوصف بالبطولة على المستوى الانسانى العام وليس على المستوى الإسلامى فقط، خاصة أن إنتصاره كان إنتصاراً أخلاقيًا ووجه به ضربة فى الصميم للصورة المغلوطة عن الإسلام والمسلمين التى إتسمت بالوحشية والتعصب والتى تكونت فى الغرب الأوربى على مدى عدة قرون وبالتحديد من القرن السابع حتى القرن الثانى عشر الميلاديين[٢]، وفى هذا دليل عميق على أن الانتصار فى التاريخ ليس بالضرورة- كما

١- تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ت. على السيد على، ط. القاهرة ٢٠٠٤م، ص١١٣ .

٢- عن ذلك انظر:

Southern, Western Views of Islam in the Middle Ages, Cambridge 1978 .

وهى أهم دراسة فى موضوعها ، محمد الدعمى، «تاريخ التأريخ الأوربى للإسلام والعرب من العصر الوسيط حتى عصر الثورة الصناعية »، الكلمة ، العدد (١٦) السنة (٤) عام ١٩٩٧م ، ص٩٧ .

يتصوره الكثيرون- بعد إنتصاراً عسكرياً بل على المستوى الأخلاقي لأنه أبقى وأدوم وأتصور أن سيرته تقضي على مقولة واهية نرى أنه لا أخلاقيات في السياسة !

من جهة أخرى، من المهم إدراك أن أوربا العصور الوسطى كانت لها تجربة تاريخية خاصة بالأساطير، فقد نسجت أسطورة بشأن حج شارلمان Carolus Magnus (ت ٨١٣م) مؤسس الامبراطورية الكارولنجية[١] والذى توجه البابا ليو الثالث Leo III (٧٩٥- ٨١٦م) إمبراطوراً في كنيسة القديس بطرس في روما[٢]، وعلى الرغم من أنه لم يزر فلسطين البتة، إلا أنه نسجت بشأنه أسطورة[٣] تراه قد حج إلى هناك وحصل على مفاتيح كنيسة القيامة.

ولاتخلو الأسطورة المذكورة من دلالة واضحة ، فهي تعكس رغبة العقل الجمعي في الغرب الأوربي في الاحتفاظ بتلك الأماكن المقدسة تحت السيادة المسيحية لا الاسلامية .

ولاريب في أن أعمال شارلمان - من وجهة نظر مسيحية صرفة- هيأته كي يكون محط تلك الأسطورة على الرغم من أن التاريخ الموضوعي يثبت إستخدامه الأسلوب الدموي من أجل

= اليكس جورافسكي ، الإسلام والمسيحية ، ت. خلف محمد الجراد، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت، ١٩٩٦م، ص٦٧- ص٨١ .

ومن المفيد مطالعة هذا البحث : محمد عمارة ، «صورة الإسلام في الخطاب العربي»، المسلم المعاصر، العدد (١٠٨) ، السنة (٣٧) ابريل، مايو، يونيو ٢٠٠٣م، ص١٩- ص٥٦ .

١- عنه أنظر:

Annales Regni Francorum , in Loyn and Percival, The Reign of Charlemagne, Documents on Carolingian government and administration , London 1975 .

ديفز شارلمان ، ت. السيد الباز العريني، ط. القاهرة ١٩٥٩ م.

٢- عن تتويجه أنظر:

Einhard, Vita Caroli Magni, Trans. by lewis thorpe in Two lives of Charlemagne by Einhard and Notker The Strammerer, London 1969, pp. 80-81 .

Becher, Charlemagne, Trans. by David S. Balchrach , London 2003, pp. 7-17 .

ديفز، المرجع السابق، ص١٧٢- ص١٨٧ .

٣- عن أسطورة شارلمان انظر: حسن عبد الوهاب، دراسة تحليلية لخطاب البابا إربان ، ص١٣٨، حاشية (١) .

فرض المسيحية علي عناصر السكسون خلال حربه المريرة معهم[١]، ومذبحة فردان Verdun عام ٧٨٢م[٢] خير برهان على صحة ذلك.

من ناحية أخرى، هناك أسطورة الإمبراطور الأخير The Last Emperos ، وهناك من يقرر أن البسطاء من المسيحيين فى أوربا خلال العصور الوسطى توقعوا من هذا الامبراطور عندما يأتى أن يقوم بتوحيد الشرق والغرب معًا ويقضى على أعداء السيد المسيح ويقوم بالزحف صوب الشرق من أجل أن يتم تتويجه فى بيت المقدس ويستعجل ظهور «المسيح الدجال» وبذلك يؤذن بقرب قيام الساعة ويمهد للعهد الجديد وهو عهد المجئ الثانى للسيد المسيح[٣].

وتوضح كارين آرمسترونج أن أميكو[٤] الذى قام بمهاجمة عناصر اليهود عام ١٠٩٥م فى حوض الراين بألمانيا خلال أحداث الحملة الشعبية، كان يعتقد أنه الإمبراطور الأخير الأسطورى

١- Notker , The Stammerer, p. 136-137 .

رأفت عبد الحميد ، «الملكية الألمانية بين الوراثة والإنتخاب فى العصور الوسطى» ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط عام ١٩٨٣م، م (٢) ، ص٩٨ ، حاشية (٢٧) انظر أيضًا إشارة مفيدة لدى : حنفى المحلاوى ، ملامح التسامح والعنف والإرهاب فى الأديان السماوية ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٤٧ .

٢- عن مذبحة فردان أنظر:

Becher , Charlemagne, p. 67 .

سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٨١م، ص٢٠٣ ، محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ أوربا العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٩٤م، ص٢٥٦ .

٣- كارين آرمسترونج ، الحرب المقدسة الحملات الصليبية، وأثرها على العالم اليوم، ت. سامى الكعكى، ط. بيروت ٢٠٠٤م، ص٦٧٨ .

٤- عنه أنظر :

Albert d'Aix , in Peters, The First Crusade, p. 102 , The Narrative of the Old Persecution or Mainz Anonymous , in Eidelberg , The Jews and The Crusaders , the Hebrew Chronicles of the First and Second Crusades, Wisconson 1977, p. 107 , The Chronicle of Solomon bar Simson , in Eidelberg , The Jews and The Crusaders, p. 30 .

الذى أشارت إليه النبوءات القديمة فهو بالتالى من سيقوم بقتال المسيح الدجال فى بيت المقدس ويتم تتويجه هناك ويدوم حكمه الف عام[١].

وتري ذات المؤرخة أن أسطورة الامبراطور الأخير صاغت موقفه من اليهود خاصة أن القديس بولس قال أن اليهود جميعًا سوف يعتنقون المسيحية قبل المجيئ الثانى للسيد المسيح وقد تصور اميكو أنه بذلك يقوم بتحقيق نبوءة القديس بولس [٢].

وهكذا، فإن البواكير الأولى للحركة الصليبية شهدت وجود تلك الأسطورة التى كان لها سيطرتها على أذهان المعاصرين .

أما إذا دخلنا بوابة عصر الحروب الصليبية على نحو أعمق ؛ وجدنا ذلك العصر العامر بأحداث المواجهة بين الشرق والغرب فى شرقى البحر المتوسط ، نجده تتصارع فيه الأفكار، والقيم ، والمثل لشعوب وأقوام وعناصر مختلفة.

ويلاحظ هنا أن هناك عدة أساطير نسجت عن شخصيات فى ذلك الحين، ومن المحتمل أن ذلك يعود إلى تجربة الساجا[٣] Saga التاريخية وهى الملاحم التى نسجت فى شبه جزيرة

= Duncalf, " The First Crusade Clermont to Constantinople", in Setton, A History of the Crusades, vol. I, Wisconson 1969, p. 264, Oldenberg, The Crusader, Trans. by Anne Cordern, New York 1960, p. 82. Pernoud, The Crusades, p. 27.

ميخائيل زابوروف ، الصليبيون فى الشرق، ص٥٥، السيد الباز العرينى، الشرق الأوسط ، ص١٧٣ .

١- الحرب المقدسة الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم، ص١١١ .

٢- نفسه، ص١١٢ .

٣- عن الساجا أنظر:

The Oxford reference dictionary, London 1962, p. 726.

The Oxford English dictionary, vol. IX, Oxford 1973, p. 82.

Anderson, dictionary of the Middle Ages, New York 1989, p. 616.

Wright, The Geographical Lore of the time of the Crusades, p. 346.

اسكندينافه ، وهناك من يقرر أن المرحلة من ٩٣٠م إلى ١٠٣٠م تعد بمثابة عصر انشاء الملاحم النثرية ، ولدينا عدد كبير للغاية من الساجات خاصة بكبار القادة والملوك النرويجيين ، ويرى بعض الباحثين أن الساجا إرتبط بها جانب أسطورى.

وقد ظهرت اسطورة خاصة ببطرس الناسك Peter The Hermit [١] أبرز دعاة المشروع الصليبى فى بواكيره الأولى ، وتذكر تلك الأسطورة؛ أن بطرس الناسك حاول القيام برحلة للحج بيت المقدس، وأثناء نومه فى كنيسة بيت المقدس رأى السيد المسيح يطلب منه التوجه إلى كبار القيادات السياسية والدينية فى الغرب الأوربى، من أجل العمل على إسترداد المدينة المقدسة من أيدى المسلمين ويلفت البعض النظر أن المصادر اللاتينية المعاصرة لأحداث الأعوام من ١٠٩٥م إلى ١٠٩٩م لاتتناول بطرس الناسك إلا قليلاً كما لم تذكر رحلته إلى هناك [٢].

ويلاحظ أنه بينما صمت المؤرخ المجهول مؤلف الجستا Gesta ، وروبرت الراهب Robert The Monk وبولدريك الدولى Baldric of Dol ، عن تلك القصة إلا أن البرت داكس Albert d'Aix ووليم الصورى William of Tyre عملا على استكمال نسج خيولها [٣].

وبصفة عامة ، كان بطرس الناسك محور تلك الأسطورة التى ألهمت خيال الكتاب على مدى عدة أجيال ، مع ملاحظة أن ذلك إتضح زيفه من خلال أبحاث المؤرخ الألمانى هنريك

١- عن بطرس الناسك انظر:

Raymond d'Aquilers , Historia Francorum qui Ceperunt Iherusalem, Trans. by John Hugh Hill and laurita L. Hill, Philadelphia 1968 , p. 60 , Anna Comnena, The Alexiad, in Peters, the First Crusade, pp. 112-114 , Louise and Riley - Smith , The Crusades Idea and reality , 1095 - 1274, London 1981, p. 10 , Hagenmeyer, Peter der Ermit, Leipzig 1879 .

٢- قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص١٦٥ .

٣- نفسه ، نفس الصفحة .

فون سيبل Henrich von Sybel عام ١٨٤١م[١]، وعلى الرغم من ذلك ؛ فإنه لايزال يحظى باهتمام المؤرخين نظراً لما احتوته تصرفاته من تناقض مبكر بين المثال والواقع ؛ إذ أنه لاذ بالفرار أثناء معاناة الصليبيين فى حصار أنطاكية خلال عام ١٠٩٨م[٢]. وتم إلقاء القبض عليه وأعيد إلى معسكر الصليبيين على نحو مهين.

كذلك نسجت أسطورة أخرى حول جودفرى دى بويون [٣] أول حاكم للكيان الصليبى الناشئ (١٠٩٩-١١٠٠م) ، وقد تم إظهاره على أنه نموذج للفارس الصليبى بل تم التأكيد على أنه رفض لقب ملك Rex فى بيت المقدس ، وهى المدينة التى عانى فيها السيد المسيح كما يعتقد المسيحيون .

وأستمر أمر الأساطير حيث وجدنا أسطورة تنسج حول الإمبراطور الألمانى فردريك بارباروسا Frederick Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م) ونعلم أن تلك الأسطورة إرتبطت

١- قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص١١٦ .

٢- عن حصار الصليبيين لأنطاكية وسقوطها أنظر:

ابن الأثير ، الكامل، ط. بيروت ١٩٦٦م، ج١٠ ، ص٢٧٥ ، ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، ط. بيروت ١٩٥٨م، ص١٩٧ .

حسن حبشى، الحرب الصليبية الأولى، ط. القاهرة ١٩٥١م، ص١١٠- ص١٣٣ ، جمال محمد الزنكى ، مؤيد الدين باغى سيان صاحب أنطاكية والحملة الصليبية الأولى ٤٤٧-٤٩١هـ / ١٠٨٥-١٠٩٨م ، حوليات كلية الآداب- جامعة الكويت، الحولية (١٨)، الرسالة (١٢٦) ، عام ١٩٩٧، ١٩٩٨م، ص٤٣- ص١٥٦ ، يوسف غسان مزاحم ، «تاريخ الحروب الصليبية فى الشرق» تاريخ العرب والعالم، السنة (٢٤)، العدد (٢٠٩) مايو- يونيو ٢٠٠٤م، ص٧٠ .

Cahen , la Syrie du nord, pp. 257-260 , Prawer , The Latin kingdom , p. 14 , Gabrieli, Arab, Historians of the Crusades, Trans. by Costello, London 1969, p.

٣- عن أسطورته انظر: قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ط. الكويت، ١٩٩٣م، ص١٦٦ ، محمد مؤنس عوض، «نقد بعض اتجاهات الباحثين الغربيين فى دراسة الحروب الصليبية »، ضمن كتاب الحروب الصليبية دراسات تاريخية، ونقدية، ط. رام الله ١٩٩٩م، ص١٧٠ .

بجبل كيفهاوزر Kyffhauser Mountain [١]، ونجد فيها الربط بين فردريك بارباروسا والإمبراطور الألماني فردريك الثاني وهو الذى وصفه متى الباريسي Matlhiew of Paris على أنه أعجوبة العالم Stuper Mundi ، وخلالها نجد التأكيد على أن فردريك سوف يعود ويسترد الإمبراطورية نظراً لنجاحه فى بنائها .

ومن المرجح أن النهاية التى إنتهت بها حياة ذلك الإمبراطور الألمانى الكبير غريقًا فى نهر سالف كان لها الأثر البارز فى أن نسجت بشأنه تلك الأسطورة التى تعكس رفض معاصريه ، تلك الحقيقة التاريخية ، وبالتالى فالأسطورة هنا محاولة شعبية ألمانية تعبر عن رغبة جماعية لإشباع نفسى بقدم الأمل فى عودة البطل- من وجهة نظر بنى جلدته بطبيعة الحال- كى تقدم الأسطورة حلاً لآلام أمة منكوبة برحيل فارسها .وتفتح الآفاق نحو المستقبل.

والأمر المؤكد ؛ أن خلال مراحل الحروب بما تشهده عادة من أهوال ومآس يتم استنفار المخيلة الشعبية فتتعلق برموز بطولية وتنسج من حولها أساطيرها بما يحقق أهدافها السالفة الذكر.

وليس معنى ذلك أن الأسطورة عرفتها أوربا العصور الوسطى واختصت بالقيادات السياسية والعسكرية بل أن هناك أساطير أخرى نسجت حول قديسين ومنذ وقت مبكر نسبيًا فى تاريخ المسيحية، كما فى القرنين ٣ ، ٤ م ونجد مثالاً دالاً علي ذلك فى صورة القديس جورج St. Georg ؛ وهو القديس الحامى Patron Saint لإنجلترا ، ويلاحظ أن أسطورته وجدت فى أشكال متعددة، حتى أن الباحثين لم يتمكنوا من التوصل إلى الصيغة المتفق عليها وصارت قصته أكثر شعبية من حلال كتاب الأسطورة الذهبية The Golden Legend فى أواخر العصور الوسطى، حيث وجدت فكرة قتل ذلك القديس للتنين ولاتغفل أنه تم تصويره على أنه فارس من كبادوكياCappadocia[٢] .

١- عن تلك الأسطورة انظر:

Munz, Frederick Barbarossa, Astudy in Medieval Politics, London 1969 , pp. 3-22 .

حيث خصص المؤلف فصلاً ممتازاً لتناولها ، كمال الدسوقى ، تاريخ ألمانيا، ط. القاهرة ١٩٦٩م، ص٣٩ ، عبد الله الربيعى، الدوافع الدينية للحركة الصليبية، ص١٠٣ .

٢- محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية، ص٩٥ ، حاشية (٣).

وكل ذلك يعكس لنا تعمق فكرة الاسطورة فى تاريخ العصور الوسطى الأوربية ، إلا أنه مع حدوث الحروب الصليبية وهى التى شكلت المواجهة الكبرى بين الغرب والشرق كان لحدوثها أثره فى تعلق الخيال الشعبى بالأبطال سواءً من المحاربين أو القديسين ولاشك فى أن أسطورة القديس جورج تعكس التمسك بفكرة الفارس القديس.

ومن ناحية أخرى، لانغفل أن طبيعة العصور الوسطى ذاتها شهدت تعاظم الظاهرة الدينية وما أحتوته من التدين العاطفى ، بل والمتعصب والاعتقاد فى الرؤى والأحلام ؛ وهى أمور كانت لها سطوتها على المعاصرين من البسطاء وغزت مخيلتهم إلى حد كبير ولا أدل على ذلك من حملة صليبية فى صورة حملة الأطفال عام ١٢١٢م التى قامت أصلاً على رؤية منامية لطفل فرنسى يدعى ستيفن Stephen من مدينة كلويس Clyes وتجمع على أثر ذلك آلاف الأطفال المشاركين فى الرغبة للاتجاه إلى بلاد الشام[١].

= Attwater , Penguin dictionary of Saints, p. 148 .

وعن القديس المذكور انظر ما سبق ذكره .

وفيما يتعلق بأسطورته انظر:

George of Lydda. The Patron Saint of England , A Study of The Cults of St. George in Ethiophia , Trans. by Sir Wallis Budge, London 1930 .

١- عن صليبية الأطفال أنظر:

Munro , " The childern's Crusade" A.H.R., vol . XIX , 1913-1914 , pp. 516-524 , Raedis , " Le Croisade des enfants a-t. elle evliev? ", H. T. XLVII, Année 1982, pp. 30-37 , Zacour , " The Children's Crusade" in Setton, A History of the Crusades, vol. II, Madison 1969 , pp. 325-342 .

عبد الغنى محمود عبد العاطى، «صليبية الأطفال ١٢١٢م» ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، تحرير رأفت عبد الحميد وقاسم عبده قاسم م٢، عام ١٩٨٥م، ص٢٨٢- ص٢٨٩ .

محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص٢٧٩- ص٢٨٠ .

وتجدر الإشارة هنا ، إلى أن أسطورة صلاح الدين الأيوبى فى الفكر الأوربى فى العصور الوسطى، لايمكن النظر إليها بمعزل عن ظاهرة التمشرق[1] التى واجهت الصليبيين بعد أن إنتصروا على المسلمين بقوة السلاح وانتصر عليهم الأخيرون بسلاح الحضارة ! وتلك هى المفارقة الكبرى فى عصر الحروب الصليبية.

فالملاحظ أنه بعد إستقرار الغزاه فى المنطقة بدأوا يتأثرون بالمسلمين فى العديد من العادات والتقاليد، كما فى حالات الطعام، والملبس ، وغيرها، ووصل الأمر بالمؤرخ الصليبى فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres حداً جعله يقرر أننا الذين كنا غربيين صرنا شرقيين [2]؛ ولاشك فى أن ذلك يؤكد أن المغلوب ليس بالضرورة يكون مولعًا بتقليد الغالب كما قرر العلامة ابن خلدون (ت ١٤٠٥م)، فها هو الغالب يتأثر بالمغلوب ، وتكون المقولة الخلدونية حقيقة عندما يكون المنتصر أرقى حضارة وهو أمر لم يحدث فى ذلك العصر.

ويلاحظ أنه فى حالة صلاح الدين الأيوبى، نجد أن الغرب الأوربى- ولأول مرة فى القرون الوسطى دون مبالغة- يتعلق بعدو تاريخى حرم المسيحيين من إستعادة بيت المقدس وانتزاعها من أيدى المسلمين على الرغم من ضخامة الحشود الصليبية التى قدمت لإسترجاعها .

ومن المهم هنا ملاحظة ، أن بدايات تلك الأسطورة نجدها فى تقدير المعاصرين من الصليبيين للسلطان الأيوبى ، فوليم الصورى من المرجح أنه تأرجح - على الرغم من أنه المؤرخ الخبير- بين المديح النادر لصلاح الدين وبين الهجوم عليه، وبصفة عامة انتزع منه الأخير عبارات نادرة فى عصر الحروب الصليبية حيث وصفه بأنه فارس شجاع كريم إلى درجة

١- عن تلك الظاهرة ومظاهرها انظر:

Jacques de Vitry , p. 65 .

أسامة بن منقذ ، كتاب الاعتبار، ص١٨٠ ، زكى نقاش ، العلاقات، ص١٤٨ ، عبد الحفيظ محمد على، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين بالشرق الأدنى فى القرنين ١٢ ، ١٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م، ص١٩٠- ص١٩١ ، محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٢٤، فى الصراع الإسلامى - الصليبى السياسة الخارجية للدولة النورية ، ص٢٦٨- ص٢٦٩ ، عمر كمال توفيق، مملكة بيت المقدس الصليبية، ص١٣٠ .

٢- Fulcher of Chartras, in Peters, The First Crusade, p. 220 .

السخاء، ويملك روح المبادرة . وقد وصفه بأنه رجل رائع ، وصاحب نشاط ولايعرف الكلل وأنه قام بدور قائد قوى فى كل شئ [(١)].

أما الفارس إرنول Ernoul المعاصر له، فقد امتدح صلاح الدين نظراً لتسامحه عندما دخل بيت المقدس فاتحًا .

بل إن الأمر امتد ليشمل المؤرخين البيزنطيين أنفسهم الذين وصلت إليهم أخبار تلك الحادثة التاريخية فنجد أن المؤرخ البيزنطى نيكتاس خونياتس Nicetas Choniates أشاد بذلك السلطان وقارن بين ما فعله من تسامح نبيل [(٢)]، وما أقدم عليه الصليبيون خلال أحداث غزو القسطنطينية عام ١٢٠٤م[(٣)]، وذلك لايخلو من دلالة، وهى أن السلوك المتحضر «تعمق تاريخيًا » مع حدوث أفعال صليبية متبربرة تالية عليه، ولذلك صار صلاح الدين بالتالى رمزاً للتسامح والتحضر حتى خارج النطاق الجغرافى التقليدى للصراع فى صورة بلاد الشام ذاتها .

١- وليم الصورى ، تاريخ الحروب الصليبية ت . سهيل ذكار ، ط. دمشق ١٩٩٠م، ج٢، ص٩٨١ ، ص١٠٥٧ .

٢- Nicetas Choniates, p.318.

ونيكتاس خونياتس مؤرخ بيزنطى ولد فى خوناى فى آسيا الصغرى وعاش فيما بين عامى ١١٥٠-١٢١٥م ، درس فى القسطنطينية والتحق بخدمة الامبراطور الكسيوس الثانى (١١٨٠-١١٨٣م) ، واسحق الثانى (١١٨٥-١١٩٥م) ، وعندما حدثت الحملة الصليبية الرابعة ضد العاصمة البيزنطية عام ١٢٠٤م فقد كافة ممتلكاته ولذلك بادر بالفرار إلى نيقية حيث عمل لدى الامبراطور تيودور الأول لاسكاريس ، عنه أنظر:
Nicol, Biographical Dictionary, p. 22-23 .

محمد مؤنس عوض ، الامبراطورية البيزنطية ، ص٥٨ ، حاشية (١) ، فايز نجيب اسكندر، نيكتاس خونياتس واعترافه بتسامح المسلمين وبربرية الصليبيين قراءة نقدية لتجاوزات الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م / ٦٨٠هـ ، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. المنصورة ب-ت، ص٦٣ .

٣- عن أحداث السلب والنهب التى اقترفها الصليبيون فى العاصمة البيزنطية أنظر: ،
Nicatas Choniates, p. 314 , Mcneal , The Fourth Crusade, p. 185 .

حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ط. القاهرة ص٢٥٦ ، اسمت غنيم، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص١٥٨ .

من ناحية أخرى، من المرجح أن عناصر الصليبيين ظلوا يتحدثون عن ذلك الفارس المسلم النبيل، وحتى بعد أن غادروا بلاد الشام عام ١٢٩١م ؛ ظلوا يتحدثون عنه، ويقرر المؤرخ إلياهو أشتور E. Ashtor أنه فى الليالى المظلمة الباردة فى الغرب الأوربى وفى القرن الرابع عشر م - أى بعد انتهاء الصليبيات فى الشرق- كان الناس فى إنجلترا وفرنسا يتجمعون عند المدفئة ويتحدثون عن صلاح الدين[١]؛ مما يدل على أنه ارتبط بالذهنية الأوربية حتى بعد عودتهم إلى أوطانهم .

ويلاحظ أن من أهم الأعمال الأدبية المتصلة بصلاح الدين فى فرنسا فى العصور الوسطى تلك القصص الرومانسية المعروفة باسم «حكايات منشد مدينة ريمس أو -Recits dun menes trel de Reims» [٢]؛ وهى توصف بأنها مجموعة من الحكايات ترجع إلى منتصف القرن الثالث عشر م وهو القرن التالى مباشرة للقرن الذى عاصر ذلك السلطان ويوصف أسلوبها بأنه أسلوب شعرى من أجل أن يتم ترديدها من المنشدين الجوالين وهذا الشكل من الحكايات إزدهر فيما عرف باسم شعر التروبادور Troubadors فى جنوبى فرنسا ، وانتقل من بعد ذلك إلى شماليها ليحمل منشدوه من بعد ذلك اسم التروفير Troveres [٣] وأهمية حكايات منشد ريمس أنها حكايات ذات طابع شعبى تناقلتها الألسنة على مدى قرن من الزمان مما عكس سعة إنتشارها على نطاق جماهيرى متسع ، وكذلك على نطاق زمنى يوصف بذات الصفة، ومع ملاحظة أن الخيال الشعبى يقوم بدور بارز فى «إضافة» جوانب أخرى لأصل تلك الحكايات ؛ فبالتالى ندرك كيف تعمقت صورة صلاح الدين الأيوبى من خلال ذلك النمط من التعبير الأدبى الشعبى.

مهما يكن من أمر ، فإن الحكاية الأولى من تلك الحكايات ؛ تظهر فيها شخصية نسائية هى اليانور أوف أكويتاين Eleanor of Aquitaine[٤] زوجة الملك لويس السابع Louis VII

١- Saladin and The Jews, p. 305 .

٢- مفيد الزيدى، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية ، ط. عمان ٢٠٠٤م، ص١٨٨ .

٣- نفسه ، ص١٨٨ ، ويلاحظ أن أول ظهور لشعر التروبادور حدث فى القرن الحادى عشر م فى شمالى أسبانيا وكذلك إقليم بروفانس فى جنوبى فرنسا، وحيث أنه أزدهر فى ذلك الاقليم لذلك سمى بالشعر البروفانسى، وفيما بعد انتشر فى كافة أنحاء أوربا، عنه أنظر: عبدالله الربيعى، أثر الشرق الإسلامى فى الفكر الأوربى، ص٦٠ .

٤- مفيد الزيدى، المرجع السابق، ص١٨٨ .

(١١٢٦- ١١٨٠م)، وهى من أكثر نساء عصرها شهرة وذيوعًا فى الصيت ، وكذلك حبًا فى المغامرة ؛ والقصص الرومانسيةَ وشعر التروبادور [١]، ويلاحظ أنها من بعد زواجها من ذلك الملك، تزوجت من الملك هنرى الثانى Henry II ملك انجلترا (١١٥٤-١١٨٩م) والد ريتشارد قلب الأسد Richard Lionhearted - كما أسلفت الذكر من قبل.

وقد قدمت إلى الشرق اللاتينى مع زوجها لويس السابع خلال الصليبية الثانية، وحدثت مشاحنات بين الطرفين . ويقال أنها تآمرت عليه مع حاكم أنطاكية خالها.

وفى ثنايا تلك الأسطورة نجد أن صلاح الدين كان فى الحادية عشرة من عمره فى مدينة دمشق عندما قدمت إليها اليانور وهى فى الثلاثين من عمرها، لكن فارق السن بينهما إختفى، وتقرر هاديه دجانى أن قصة مغامرة صلاح الدين واليانور جمعت بين الرومانسية، والسياسة والبطولة.

= واليانور هى حفيدة وليم التاسع William IX أحد مشاهير شعراء التروبادور فى القرن ١٢م، وقد تزوجت لويس السابع ابن لويس السادس وانفصل عنها بعد خمس عشرة سنة نظرًا لعدم التوافق بينهما حيث كان هادئ الطباع، بينما هى كانت محبة للمغامرة والشعر الغنائى الرومانسى ، وتزوجها فيما بعد هنرى الثانى وبالتالى صارت ممتلكات ملك انجلترا تمتد فى قلب القارة الأوربية مما جعل الصدام بين ملكى انجلترا، وفرنسا أمراً محتمًا عنها أنظر:

Kelly , Eleanor of Aquitaine and the Four kings, Cambridge , London, 1950, Meade, Eleanor of Aquitaine Abiography , London 1978 .

نعيم فرح، تاريخ أوروبا السياسى فى العصور الوسطى ، ط. دمشق ١٩٩٥م، ص٨٧ ، إسماعيل نورى، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، ط. عمان ٢٠٠٢م، ص٨١ ، محمد ترصينى، معالم التاريخ الأوربى الوسيط، ط. بيروت ١٩٩٢م، ص٩٣ ، موريس بيشوب ، تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، ص٦٩ ، سعيد عاشور ، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٩٠م، ص٢١٣ .

١- Berton de Born , The Poems of the Troubadour, California 1986 , Paterson, The World of the Troubadours: Medieval occitan Society 1100- 1300, Cambridge 1993 , Smythe , Trobador Poets, London 1911 .

مريم البغدادى ، شعراء التروبادور ، ط. جدة، ١٩٨١م، ص٩- ص١٢٩ . ويعد الكتاب المذكور الوحيد المتخصص باللغة العربية فى موضوعه ، عبدالله الربيعى، أثر الشرق الإسلامى فى الفكر الأوربى خلال الحروب الصليبية، ط. الرياض ١٩٩٤م، ص٥٩ .

ووقعت الأحداث بين صور وعسقلان حيث إستقر زوجها في صور خلال شتاء ١١٤٨-١١٤٩م وعاش حياة الرفاهية والتكاسل، ففكرت في صلاح الدين الأيوبي الذي إتصف بالفروسية وحب النشاط ووقعت في شباك حبه، كما تقرر الأسطورة التي نسجت معالمها في العصور الوسطى، وراسلته معبرة له عما يجيش في جنبات قلبها، ويقال أنه سعد بذلك الهوى الوليد[١]، وقد أرسل لها مركبًا من عسقلان[٢] ووصل ذلك المركب إلى صور ليلاً وقام رسول صلاح الدين بإبلاغ اليانور برسالته ، وأسرعت إلى الميناء للفرار إلا أن زوجها- الذي أخبرته إحدى الوصيفات بالأمر منعها من الفرار إلى الفارس المسلم[٣].

مهما يكن من أمر - عندما عاتب الملك زوجته على ما كانت تريد الإقدام عليه ؛ أخبرته بحبها لصلاح الدين وأنها تحبه أكثر منه[٤].

والواقع أن وجود اليانور في تلك الأسطورة أمر لايخلو من دلالة خاصة أنها كانت عاشقة للشعر التروبادور وهو الشعر الغزلي الفرنسي حينذاك. ولاشك في أن الأسطورة تعبر عن الإعجاب بالفروسية الشرقية في صورة مثلها صلاح الدين[٥].

وهناك من يرى أن أسطورة صلاح الدين الأيوبي بدأت تتشكل بصورة فعلية في عصر أديب إيطاليا البارزدانتي الليجيري Dante Allighieri (١٢٦٥-١٣٢١م) في صورة كتابه الشهير الكوميديا الإلهية The divine Comedy- والذي تأثر فيه برسالة الغفران لأبي

١- هادية دجاني- شكيل ، «صلاح الدين بين التاريخ والملحمة والاسطورة »، ضمن كتاب الصراع الاسلامي - الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى ، تحرير هاديه دجاني، شكيل وبرهان الدجاني ، ط. بيروت ١٩٩٤م، ص٣٣٢ .

٢- ردد البعض أنها كانت الوحيدة الخاضعة للمسلمين حينذاك وهو أمر خاطئ؛ لأنها خضعت للصليبيين عام ١١٥٣ في عهد بلدوين الثالث ، انظر مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، ص١٨٩ .

٣- هاديه دجاني شكيل ، المرجع السابق. ص٣٣٣ .

٤- Lane Poole, Saladin , pp. 380- 382 .

نقلاً عن المرجع السابق، ص٣٣٢ .

٥- كارول هيلنبراند «صلاح الدين تطور أسطورة غربية »، ضمن كتاب ٨٠٠ عام حطين صلاح الدين والعمل العربي الموحد، ط. القاهرة ١٩٨٩م، ص١٠٦ ، دانتي Dante Allighieri (١٢٦٥-١٣٢١م)

العلاء المعرى كما تؤكد أبحاث الأدب المقارن[١] Comparative Literature- والذى تناول فيه الجنة، وعالم النسيان، والجحيم، ومن الملفت للانتباه أن دانتى وضع صلاح الدين فى الفئة الثانية من عالم النسيان بين الأبطال الأطهار إلا خلال العصور القديمة أو ما عرف

= ولد فى فلورنسا Flomece فى مايو عام ١٢٦٥م من أسرة نبيلة وقد درس فى حداثة عمره فى جامعتى بدوا وبولونيا ودرس الفلك والرياضيات واللغة اللاتينية ، ويوصف دانتى بأنه أحد أوائل الشعراء والأدباء الكبار وهو كبير شعراء إيطاليا ومن رواد اللغة الايطالية التى ألف بها أغلب انتاجه الأدبى ، وقد قسم اللغة الايطالية إلى لغة عامية وفصحى واعتبر الأخيرة لغة الثقافة من أجل أن تواكب التقدم الفكرى ومظاهر النهضة الحديثة الأخرى (١٣٠٨-١٣٢٠م) ، ويعد أشهر مؤلفاته ومن دعائم الأدب العالمى وهو عبارة عن زيارة خيالية للعالم الآخر ، ويلاحظ أن له مؤلفات أخرى مثل الوليمة » والملكية، عنه انظر : دانتى الليجيرى ، الكوميديا الإلهية ، ت. حسن عثمان، ط. القاهرة ١٩٥٥م، ميلاد المقرحى ، تاريخ أوربا الحديث ١٤٥٣-١٨٤٨ ، ط. بنى غازى ١٩٩٦م، ص٢٩ ، عبد العزيز نوار ومحمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربى الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط. القاهرة ١٩٩٩م، ص١٢ ، شوقى الجمل وعبد الله عبد الرازق، تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، ص١٥ ، زينب راشد، تاريخ أوربا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، ص٧٤ ، فرغلى على تسن، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م، ص١٦ ، مفيد الزيدى ، موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ط. عمان ، ٢٠٠٤م، ص٤٦٢ ويسميه خطأ الليجيرى دانتى !!!

١- عن رسالة الغفران انظر : حسن بيوض ، «التوظيف القرآنى فى رسالة الغفران»، ضمن كتاب ندوة أبى العلاء المعرى ، ج٢، ط. معرة النعمان، ١٩٩٧م، ص٥٤١- ص٥٦٦ ، أحمد زياد ، جماليات المكان فى رسالة الغفران» فى الكتاب المذكور، ص٦٢٥- ص٦٤٦ ، عبد الوكيل دركزلى ، «تأملات فى فلسفة المعرى» ، الكتاب المذكور، ص٦٨٩- ص٧٠٤ .

وعن تأثير رسالة الغفران فى الكوميديا الإلهية أنظر هذه الدراسة القديمة الجديدة لآسين بلاثيوس:

Palacios , La Escatologia musulmana en la divina Comedia, Madrid 1919 .

وهناك ترجمة إنجليزية مختصرة ادهاسوندلاند:

Sunderland , Islam and the divine Comedy , London, 1926 .

وعن أبى العلاء المعرى انظر: عبده الحلو، الوافى فى تاريخ الفلسفة العربية ، ط. بيروت ١٩٩٥م، ص٢٥٩- ص٢٥٨ ، ميخائيل مسعود ، أدباء فلاسفة بحث فى الأدب والفلسفة خلال العصور الجاهلى الأموى العباسى، ط. بيروت ١٩٩٩م، ص١٧٧- ص٢٤٢ .

باللمبو Limbo وهو أعتاب الجحيم شأنه فى ذلك شأن الحكماء الكبار الذى وجدوا من قبل عصر السيد المسيح عليه السلام[١].

ويعلق البعض على ذلك قائلاً : «يحق أن نقترض أن صلاح الدين دخل بهذا النحو إلى نسيج الفولكلور الأوربى»[٢].

ويعنى ذلك كله أنه خرج من حدود كتب الحوليات التاريخية الضيقة مثل ما ألفه امبراوز، وجودفرى أوف فينزوف إلى ما هو أعمق وأرحب ، وكأن الغرب الأوربى أعاد تصوراته عنه بعد أن تعامل معه وأدرك ما عليه من نبل وتسامح.

وقد امتد الأمر إلى القرن الثامن عشر الميلادى حيث اكتسبت أسطورة صلاح الدين حياة جديدة» [٣]، فنجد أن الكاتب الألمانى لسينج Lessing[٤] ألف مسرحية عنوانها Nathan der Weise وتعنى ناثان الحكيم وفيها يظهر صلاح الدين الأيوبى فى مكانة بارزة مقارنة بمن يمثل المسيحية وهو فارس من فرسان المعبد Templars، وهناك من يقر أن تلك المسرحية هدفها الدعوة إلى التسامح الدينى وتم تصوير صلاح الدين على أنه نموذج للمسلم صاحب الأخلاق الطيبة[٥].

ويلاحظ هنا أن تفوق صلاح الدين على فارس الداوية أمر لايخلو من دلالة خاصة أن تلك الهيئة الصليبية إتضح بعد عدة قرون أنها اتهمت بتبنى أفكار مهرطقة - من وجهة نظر الكنيسة بطبيعة الحال - وعمل أصحابها فى النشاط المالى وصاروا من كبار أصحاب البنوك سواءً فى عصر الحروب الصليبية حتى أنهم أقرضوا الملوك- كما أسلفت الذكر من قبل- وحتى فيما بعد ذلك العصر، ولذلك قامت البابوية بمحاكمتهم ، وقام الملك الفرنسى فيليب

١- كارول هيلنبرانه، صلاح الدين تطور أسطورة غربية، ص١٠٦ ، عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية فى تاريخ مصر الإسلامية، ص١٠٩ .

Minoresky, Prehistory of Saladin , p. 107 .

٢- كارول هيلنبرانه، صلاح الدين تطور أسطورة غربية، ص١٠٦ .

٣- نفسه، نفس الصفحة.

٤- نفسه، نفس الصفحة ، ستانلى لين بول ، صلاح الدين وسقوط مملكة القدس ، ص٣٠١ .

٥- كارول هيلنبراند، المرجع السابق، ص١٠٦ . إرنست باركر، الحروب الصليبية ، ص١٥٠ .

الرابع Philip IV (١٢٨٥-١٣١٤م) بإحراق عناصرهم عام ١٣١٠م حتى يقال أنه أحرق ٥٤ من فرسانهم ، كما أنه أصدر عام ١٣١٢م، أمراً بمصادرة أملاكهم ، وفى عام ١٣١٤م أقدم على إحراق مقدمهم جاك دى مولاى Jacques de Molai [١]، وكان ذلك يعنى نهاية لنفوذ تلك الهيئة التى كان لها شأن بارز فى بلاد الشام عصر الصليبيات .

وتعلق إحدى المؤرخات على ذلك الموقف قائلة : «والأهم من كل شئ هو أنه مما له مغزى أن لسنج اختار صلاح الدين بوصفه المسلم المثالى، فهذا البعث لبطل مسلم عظيم فى صالونات ألمانيا بعد أكثر من خمسمائة عام أعقبت وفاته ، يعد من بين عجائب التاريخ»[٢].

والأمر المؤكد أن الأمر لايرتبط بمقدرة ذلك الأديب الألمانى البارز فقط، بل بقدرة صلاح الدين نفسه من خلال تاريخه المتحضر على أن يبقى بعد تلك القرون كفكرة منتعشة فى العقول حتى لدى أولئك الذين يوصفوا بأنهم أحفاد الصليبيين.

وفى القرن التالى وهو القرن التاسع عشر ألف سير والترسكوت Sir Walter Scott [٣] قصته الشهيرة الطلسم Talsm وقد خصصها للحديث عن صلاح الدين الأيوبى وفيها يقدم العناصر الرومانسية لأسطورة ذلك الفارس المسلم، وفى تلك القصة نجد مسيحيًا ومسلمًا يتقاتلان ثم يعقدان هدنة ويصليان معًا، وفى ختام الكتاب يتم الكشف عن هويتهما فالأول أمير اسكتلندى والثانى هو صلاح الدين الأيوبى والذى يعد البطل الحقيقى لقصة الطلسم[٤]

١- عن ذلك انظر: سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٨١م، ص٢٨٤- ص٢٨٥ ، محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م، ص٢٢٤ .

وعن محاكمتهم انظر:

Barber , The Trial of Templars, Cambridge, 1982 .

٢- كارول هيلنبراند، صلاح الدين ، تطور أسطورة غربية ، ص١٠٧ .

٣- تجدر الإشارة إلى أن السير والترسكوت (١٧٧١-١٨٣٢م) قد بدأ حياته الأدبية بكتابة الأغانى الشعبية التى سريعًا ما صارت تتردد على كل لسان وكان يسوق فى تلك الأغانى طرفًا من القصص التاريخى القديم مشيداً بذكر الأبطال القدامى ، ويلاحظ أنه أطلق لخياله العنان ، أحياناً وبالتالى ذكر أحداثًا لم تقع فى التاريخ أصلاً ، ويقال أن أحب مراحل التاريخ إلى نفسه تمثلت فى العصور الوسطى، انظر: والتر سكوت، الطلسم ، ت. محمود محمود محمد ، ط. القاهرة ١٩٣٨م، ص١ .

٤- والترسكوت، الطلسم ، ت. محمود محمود محمد، ط. القاهرة ١٩٣٨م.

مع ملاحظة أنه صور ريتشارد قلب الأسد على أنه رجل غليظ الطبع، سريع الغضب (١).

أما الحكاية الثانية فهى تتناول أمر صلاح الدين الأيوبى الذى تنكر فى زى حاج نصرانى ونزل فى مستشفى خيرى أقامه أحد المحاربين الصليبيين فى مدينة عكا، وكان منهك الصحة، وقد نصحه الأطباء بتناول الطعام إلا أنه امتنع عن ذلك ثلاثة أيام على نحو أدى إلى زيادة تدهور صحته، ويلاحظ أن القصة تروى إقدامه على إنهاء إمتناعه عن الطعام فى حالة إعداد طعام له من لحم حصان أحد كبراء الصليبيين، وتؤكد الرواية على أنه فعل ذلك؛ إختباراً لكرم الصليبيين وعندما هم الرجل بذبح الحصان لإطعامه، رفض ذلك وأخبرهم أنه أراد مجرد إختبار كرمهم وتقضى الحكاية قائلة : أنه عندما عاد صلاح الدين إلى دمشق أمر بأن يتم تخصيص ألف دينار من الذهب سنويًا لدفع نفقات تلك المستشفى وهو نفس قيمة الحصان المذكور وحيث أنه عرف عنه الصدق فقد استمر دفع ذلك المبلغ سنويًا (٢).

والأمر المؤكد أن القصة الأولى والثانية ليس لها سند من الواقع التاريخى إلا أن الأسطورة ليس بالضرورة تعبر عن الواقع المذكور بنوع من المطابقة، بل تستلهمه من أجل الوصول إلى أبعاد أرحب ؛ إشباعًا لاحتياجات نفسية خاصة لدى الشعوب فى عصور معينة، فالأسطورة هى بالتأكيد نتاج عصرها ولاتتجاوزه ومن المحتمل أن تكون الحكاية الثانية متصلة إتصالاً وثيقًا بإحدى المستشفيات المرتبطة؛ بالرهبان الفرسان The Fighting Monks مثل الاسبتارية والتيوتون (٣)، وغيرهم ، وربما كان الهدف من ورائها إعطاء قيمة أكبر وطابع دعائى لإحدى المستشفيات الصليبية التى وجدت فى عكا الصليبية دون إمكانية التأكد من ذلك بطبيعة الحال.

= كارول هيلنبراند ، صلاح الدين ، تطور أسطورة غربية، ص١٠٧ . عبد اللطيف حمزة، صلاح الدين بطل حطين، ص١٥٨ .

١- والتر سكوت، الطلسم، ص٢ .

٢- مفيد الزيدى، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية ، ص١٩٠- ص١٩١ ، لويس يوزيه ، «السلطان صلاح الدين الأيوبى فى التراث الفرنسى من العصور حتى اليوم»، دراسات إسلامية، عدد (٥) تمام ١٩٩٤- ١٩٩٥ ، ص٢٩٥ .

٣- عنهم انظر: حسن عبد الوهاب، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون فى الأراضى المقدسة حوالى ١١٩٠- ١٢٩١م / ٥٨٦- ٦٩٠هـ ، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م.

أما الحكاية الثالثة فهى عبارة عن أن صلاح الدين أرسل أحد خدمه ليطوف فى كل مدن مملكته وهو يحمل فى يده رمحًا علق عليه قطعة كتان طولها ثلاثة أذرع وكان المنادى ينادى بأن صلاح الدين لم يأخذ لنفسه من كل كنوز مملكة سوى قطعة قماش هى كفنه[١] .

ومرة أخرى، لايوجد واقع تاريخى يؤكد تلك الواقعة غير أن الحكاية لاتنفصل تمامًا عن التاريخ لأنها تبرز زهد ذلك السلطان الذى كان الحال يتساوى لديه مع التراب كما أورد ذلك لابن شداد .

وهناك عشرات من القصص التى أوردها منشد ريمس على نحو عكس أن ذلك السلطان كان محوراً تجمعت من حوله إبداعات شعبية لاتخلو من دلالة تاريخية وتأقلمت بالطبع مع طبيعة الفرنسيين فى عصر ازدهر فيه شعر الشعراء الجوالين .

أما إذا اتجهنا إلى القصة الرومانسية الشعرية الخاصة بالملك ريتشارد قلب الأسد وقد وقعت فى ٧٠٠٠ بيت لشاعر مجهول وظهرت نحو منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، لانجد فيها التعاطف مع صلاح الدين بل غلب عليه الشعور الوطنى والدينى المتطرف [٢]، مما دل على أن أسطورة صلاح الدين هى بالفعل صنيعة فرنسية فى الأساس على ما هو مرجح ومنها انتقل تأثيرها إلى باقى أنحاء الغرب الأوربى بصور مختلفة وفق عمق «التجربة» الاسطورية لكل شعب من الشعوب من جهة أخرى ، من المرجح أن الصراع الفرنسى- الإنجليزى

١- مفيد الزيدى، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، ص١٩١ .

٢- نفسه، ص١٩٢ .

ومن المهم الإطلاع على نحو مفصل على هذا المقال المهم:

ناصر عبد الرزاق الملا جاسم، «صلاح الدين فى القصص الرومانسية الفرنسية والانكليزية»، مجلة الوثائق والإنسانيات، جامعة قطر، العدد (٦) ، ص٢٧١- ص٢٧٩ .

وقد وردت ذات الفكرة لدى مرجع آخر إذ أن معجم العالم الإسلامى يقرر ما نصه : «... أما فى الآداب الانكليزية فإن صورته أكثر سواداً وأقل جلاءً ، وقد يكون السبب فى ذلك تقديم شخصية ريكاردوس قلب الأسد».

كلوس كريزر فارترديم، معجم العالم الإسلامى، ص٣٨٦ .

إنعكس بدوره على أسطورة صلاح الدين الأيوبى. ويلاحظ أنه خلال أحداث الصليبية الثالثة عاد ملك فرنسا فيليب أغسطس Philip Augustus (١١٨٠- ١٢٢٣م) إلى بلاده بعد أن ظهر فيها تفوق الملك الإنجليزى ريتشارد قلب الأسد، وهكذا - إتجه الخيال الشعبى الفرنسى إلى تصوير صلاح الدين الذى اشتهر بالكرم والسخاء وحوله إلى أحد الفرسان الصليبيين المثاليين، وتم استغلال شخصيته من أجل تصوير حلم الانتصار على انجلترا، وصوروه على أنه بطل أسطورى وقام بزيارة باريس بل وقاد حملة ضد إنجلترا ذاتها[١].

ولانغفل أن هناك من الباحثين من تصور أن اسطورة صلاح الدين صيغت لكى تحقق أهدافًا أخرى منها نقد البابوية ذاتها، إذ تم تصوير ذلك الفارس على أنه قام بالتجول فى أنحاء رومـا[٢]- معقل الكاثوليكية- من أجل مشاهدة رجال الاكليروس بصفة عامة، والبابا على نحو خاص لكى يطالع بصورة شخصية تصرفات مسيئة ترى الأسطورة أنها صرفته عن إعتناق الدين المسيحى على الرغم من ميله الشخصى له[٣] على حد قول صاحب ذلك الرأى!!!

ولست فى حاجة إلى التأكيد على ما فى ذلك التصور من خيال جامح، فقد كان ذلك السلطان المتسامح يحترم المسيحية كدين، والدليل على ذلك موقفه من دور العبادة المسيحية فى صورة الكنائس والأديرة حيث لم يهدمها وهو فى قمة إنتصاره العسكرى فى حطين وعقب دخوله بيت المقدس إلا أنه كان يدرك أن الصليبيين أنفسهم أسوأ سفراء للمسيحية التى من المفترض أن تدعوا، إلى المحبة والسلام ولكن تم تخريبها على أيدى آباء الكنيسة[٤] وصارت

١- أشار عبد العزيز العمرى إلى أن ملك فرنسا فيليب أغسطس مات خلال أحداث الصليبية الثالثة. وقال ما نصه: «وصل الصليبيون قرب بيت المقدس بتزعمهم ريتشارد قلب الأسد بعد أن مات فيليب أغسطس ملك فرنسا»، وهو قول جانبه الصواب لأنه استمر فى حكم فرنسا بعد عودته من بلاد الشام وتوفى عام ١٢٢٣م أنظر رأيه: عبد العزيز العمرى، الفتوح الاسلامية عبر العصور، ط. الرياض، ١٩٩٧م، ص٢٩٨، عصام محمد شبارو، السلاطين فى الشرق العربى، ص.١٧٠.

٢- Gaston Parir, " La Legend de Saladin " J.A., Année 1893, p. 294.

٣- عصام محمد شبارو، السلاطين فى المشرق، ص.١٧٠.

٤- خاصة من خلال دور القديس أوغسطين St. Augustine، عن ذلك انظر:

Brundage, " Holy war and the Medieval Lawyer", in Brundge, The Holy war, Ohio 1977, p. 182.

فيها فكرة الحرب المقدسة Bellum Sacrum على نحو أدى إلى أحداث الصليبيات كما نعرفها[1].

أما زاوية أن تلك الأسطورة احترت على ما ينقد البابوية ، فهو أمر غير مستبعد خاصة أن معارضة البابوية ظهرت منذ القرن الثانى عشر م فى صورة حركات معارضة مثل الولدنسين أتباع بيتر والدو Peter Waldo والكتاريين Cathars أو الأطهار وهى حركات ستتصاعد حتى ظهور الحركة البروتستانتية بزعامة مارتن لوثر مع مطلع العصر الحديث.

من جهة أخرى ، نلاحظ أن أسطورة صلاح الدين الأيوبى إنعكست على الأدب الايطالى ، حتى نجد ما يعرف بـIL Novellin وهى ١٠٠ قصة وقد جمعها فى أخريات القرن ١٣م رجل مجهول من فلورنسا وأحتوت عناصرها على عناصر قصصية ، وكتابات عن القديسين وشعر من شعراء التروبادور وأشعار من عصور مختلفة من البيئة الفلورنسية ، أو البولونية[2] كما يرى البعض من الذين تخصصوا فى دراسة الأدب فى العصر الوسيط .

وفى تلك القصص تظهر شخصية صلاح الدين الأيوبى كرجل له أخلاق رفيعة ويوصف بالكرم ، والعطف ، والود ، والتسامح ، بل تم تصويره على أنه كان يدين بالمسيحية سراً حيث أن أمه مسيحية – وفق رؤية الأسطورة بالطبع– وأن ذلك هو السبب فى حسن معاملته للأسرى الصليبيين [3] ، ولست فى حاجة إلى نفى ذلك القول من وقائع التاريخ ذاتها .

تجدر الإشارة إلى أن تلك القصص ظلت شائعة على مدى ثلاثة قرون وقد إكتسبت شهرة أكبر عندما طبعت عام ١٥٢٥م فى بولونيا ، ومن بعدها طبعت عام ١٨٣٦م فى ميلانو وقد ظهرت تحت عنوان المائة حكاية القديمة Le Cento novellae antike .

وهكذا ، يتضح لنا أن أسطورة صلاح الدين الأيوبى انعكست على الآداب الأوربية فى العصور الوسطى الفرنسية ، والإنجليزية ، والإيطالية.

١- قاسم عبده قاسم ، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٨٣م، ص١٧ ، محمد مؤنس عوض، تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية الحربية فى مملكة بيت المقدس اللاتينية القرنين ٦-٧هـ / ١٢-١٣م، ص٢٨، ص٦١ حاشية، (٥)، (٦) .

٢- سعاد حسين الأصفر ، «صلاح الدين الأيوبى، كما جاء فى ال Novellino ، حوليات كلية الآداب - جامعة عين شمس ، العدد (١٩) ، عام ١٩٩٢- ١٩٩٣م، ص٧ .

على أية حال ، هناك من يقرر أن الأسطورة المذكورة بدأت تتوارى نسبيًا خاصة فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى، دون أن يحول ذلك دون وجود أسرات نبيلة فرنسية تسمى بصلاح الدين فى صيغته الفرنسية Saladin ، ويضرب أصحاب ذلك الاتجاه المثال الدال على ذلك باسم : مارى برنارد راولف مركيز دى مونتموريلو Marie Beruard Rauulph Saladin Marquis de Mout morillo .[٣]

وواقع الأمر، ليس من اليسير قبول فكرة توارى أسطورة صلاح الدين بتلك الصورة التى قيلت فى الرأى السابق؛ إذ أن بقاياها وآثارها لاتزال باقية ، ويكفى للتدليل على الأمر، أن أديبة فرنسية عاشقة للتاريخ وتاريخ صلاح الدين على نحو خاص هى جنڤياف شوڤيل Gene-vieve Chauvel ؛ ألفت كتابًا بعنوان Saladin rassembleur de L'Islam تقمصت فيه شخصيته- كما أسلفت من قبل- وروت تاريخه على لسانه فكان ذلك دليلاً على نظرتها المحبة له على إعتبار أنه فارس الإسلام Le Chevalier de l' Islam ، وبالتالى أكدت أن الاعجاب بذلك الفارس امتد فى رحلة طويلة عبر القرون وعبر ضفتى المتوسط من القرن الثانى عشر وصولاً إلى القرن العشرين .

وبصفة عامة ، من المتصور أن القائد الأكثر فعالية وبقاءً من غيره فى التاريخ هو الذى يفقد خصمه مبرر محاربته بل ويجعله يقدره تقديرًا خاصًا وهذا ما حدث بالنسبة لذلك السلطان .

هكذا ، ندرك بجلاء أن صلاح الدين الأيوبى توفى فى ٤ مارس ١١٩٣م، لكى يحيا من بعد ذلك فى عالم الأساطير الأكثر بقاءً فى العقول مهما توالت القرون.

ذلك عرض عن أسطورة صلاح الدين الأيوبى أما الصفحات التالية فيتم تخصيصها لتناول أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة.

١- سعاد حسين الأصفر، صلاح الدين الأيوبى ، كما جاء فى الـ Novellino ، ص٥ .

٢- عن ذلك انظر:

لويس برزيه ، «السلطان صلاح الدين الأيوبى فى التراث الفرنسى من العصور الوسطى حتى اليوم»، ص٢٩٥ ، عصام شبارو ، السلاطين فى الشرق ، ص١٠٧ ، حاشية (١) .

الخاتمـــة

نتج عن الفصول السابقة عدة نتائج يمكن إجمالها على النحو التالى :

أولاً : إن هناك عدة مشكلات تواجه الباحث فى تاريخ صلاح الدين الأيوبى منها إمتلاكه لشخصية كارزمية أثرت فى معاصريه من المسلمين والصليبيين على حد سواء ، وكذلك الطبيعة الرسمية للمصادر التاريخية وأحياناً وجود جانب دعائى فيها ، كذلك هناك مشكلة تحليل دوافع توسعاته لاسيما فى مناطق خصومه من المسلمين وعلى نحو خاص الزنكيين وفى كل ذلك اختلفت المصادر المعاصرة بين محب مؤيد مثل القاضى بهاء الدين بن شداد وكاره مثل ابن الأثير .

ثانيًا : أكدت الدراسة على أن صلاح الدين الأيوبى لايمكن النظر إليه بمعزل عن عصره بكافة تصوراته وقيمه ومُثُله ، خاصة ما اتصل بزاوية الجهاد الإسلامى من أجل القدس وهى المدينة التى قامت كافة جهود ذلك العصر من أجل تحريرها من قبضة الاستعمار (أى الاستدمار) الصليبى، وهكذا، فإن الدراسة ركزت على أن التاريخ يصنعه البطل الفرد ومعه البطل الشعب الذى أفرز الأول، وإن الإنحياز لأى طرف دون الأخذ بعين الاعتبار أهمية الطرف الآخر يفرغ تاريخ تلك المرحلة من مضمونها الحقيقى ، ولذلك تم الإقرار بأن أصغر جندى فى جيش صلاح الدين الأيوبى شارك بدوره مع زملائه قادة وأفراداً فى صنع إنتصار حطين الحاسم فى ٤ يوليو ١١٨٧م .

ثالثًا : تم رفض وتنفيد إتجاه البعض إلى الهجوم على السلطان الأيوبى إشباعًا لرغبات المخالفة من أجل الشهرة دون سند علمى حقيقى، وأود هنا الإشارة بالدراسة الممتازة التى قدمها المؤرخ السورى المتميز الراحل أ.د. شاكر مصطفى والتى أصدرها عام ١٩٩٧م وفيها كان الرد الحاسم على إدعاءات البعض وافتراءاتهم على قائد بارز فى العصور الوسطى وخاصة عصر الحروب الصليبية قدره وليم الصورى نفسه، والآن نجد مؤرخًا عربيًا غير متخصص يحاول النيل منه وكأن الأمر ثأر شخصى دون جدوى.

ولايعنى ذلك أننا نجعل السلطان الأيوبى بلا أخطاء ، فذلك أبعد ما يكون عن التصور الموضوعى لوقائع التاريخ ، بل تم رصد بعض الأخطاء التى ارتكبها وهو أمر يوجد دومًا فى كافة تصرفات البشر قادة أو عامة دون أن يكون ذلك تبريراً لما حدث فعلاً .

رابعًا : أكدت الدراسة أن الصراع بين المسلمين والصليبيين اشتد خلال المرحلة من ١١٨٧ إلى ١١٩٢م ولانغفل أن الغزاه أرادوا المياه والأرض، ولذلك تم الاقرار بأن من أهم نتائج معركة حطين عودة السيادة السياسية الإسلامية على خريطة الأنهار فى بلاد الشام خاصة المنابع والمسارات والمصبات فى أغلب الأحيان ، ولانغفل أن سلاح المياه نفسه تم استعماله حتى من قبل نشوب تلك المعركة الحاسمة فى تاريخ الصراع الإسلامي- الصليبي.

خامسًا : تأكد لنا ؛ أن عصر الحروب الصليبية شهد تحديًا كبيراً من الغرب الأوربى فى صورة غزو بلاد الشام ومصر فكانت الاستجابة الاسلامية على نفس مستوى ذلك التحدى ، وفى عصر صلاح الدين الأيوبى ظهرت كوكبة من رجال السياسة والأدب والتاريخ بصورة غير مسبوقة ، وأحاطت به مجموعة من كبار وأخلص المستشارين وهؤلاء أفادوه تمامًا فى كافة قراراته، ويذكر التاريخ له استماعه لنصائحهم وعدم انفراده برأيه الشخصى دون وعى، ولذلك لم نجد فى أغلب القرارات اندفاعًا أو رعونه أو عدم إدراك واعٍ لعواقب الأمور ولايقلل ذلك البته من خبرة وحنكة وذكاء ذلك السلطان وهو أمر أدركته المصادر الصليبية ذاتها من قبل الإسلامية.

سادسًا : أدرك صلاح الدين الأيوبى أهمية سلاح الإعلام فى معركته مع الصليبيين، ولذلك قرب إليه الأدباء من الشعراء ، والكتاب ، ويكفى أن نذكر هنا أن (٥٠) شاعراً قد إمتدحوه خاصة بعد أن انتصر المسلمون بقيادته فى حطين وتمكنوا من دخول بيت المقدس فاتحين فى ٢ أكتوبر ١١٨٧م . ورحل الرجل ومعه الشعراء ، وبقيت تحت أيدينا الحطينيات والقدسيات شاهدة على لحظات فارقة فى تاريخ الإسلام فى العصور الوسطى.

وقد توهم بعض المستشرقين أن ذلك الجهاز الإعلامى الكبير الذى كان تحت تصرف ذلك السلطان ضخم صورته ، وجعله على ذلك النحو الذى وصل إلينا في نصوص المصادر التاريخية المعاصرة.

والواقع أن الشعراء والأدباء المعاصرين له ما استطاعوا إلا التعبير عن واقع تاريخى معاش، ولم يكن فى مقدورهم أن يجعلوا من القزم عملاقًا ، والرد يكون أكثر منطقيًا عندما نطالع ما ألفه وليم الصورى William of Tyre ، والفارس ارنول Ernoul ونيكيتاس خونياتس Nicetas Choniatesوغيرهم من المعاصرين من الصليبيين والبيزنطيين اللذى اشادوا بذلك الفارس على المستوى الأخلاقى ومعنى ذلك أنه شكل «ظاهرة» اعترف بها الأعداء قبل الاصدقاء ولم يكن صلاح الدين الأيوبى صنيعة أقلام كتاب شعراء وكتاب ومؤرخى عصره من المسلمين .

سابعًا : هناك من المؤرخين من تعامل مع طموح صلاح الدين ورغبته فى توسع أملاكه على حساب الزنكيين على اعتبار أن ذلك يمثل الدليل على عدم وفائه وإخلاصه لسيده نور الدين محمود ، ورأوا فيه قائدًا «ميكيافيليًا» يضع مصلحته الشخصية فوق كل إعتبار، والواقع أن تدخله فى بلاد الشام عام ١١٧٤م كان أمرًا ضروريًا من أجل تدعيم وجوده السياسى الوليد فى مصر، ولانغفل أنه أدرك الرابطة الجغرافية والتاريخية بين أرض الكنانة وبلاد الشام ، ثم أن ذلك التدخل حمى الأخيرة من فراغ سياسى مدمر كان من الممكن للصليبيين إستغلاله لتحقيق مصالحهم السياسية العليا على حساب المسلمين وأثبتت وقائع الأحداث فيما بعد أنه كان القوة الإسلامية الوحيدة في المنطقة التى كان من الممكن أن تواصل دور نور الدين محمود بكفاءة غير مسبوقة.

من زاوية أخرى، لايوجد فى التاريخ قائد سياسى بلا طموح خاصة أن طموح صلاح الدين الأيوبى تم تفجيره في ساحة الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين كما لانغفل أن نور الدين ترك من بعده صبيًا لايصلح لتحديات السياسة فى صورة الصالح إسماعيل (١١ عامًا) ولم يكن يصلح للأمر سوى ذلك الفارس الخبير سياسيًا وعسكريًا .

ثامنًا : تأكد أن السقوط فى التاريخ يكون من الداخل قبل الخارج ، وهكذا فإن دولة الفواطم سقطت من قبل عام ١١٧١م، من خلال الضعف والهوان الشديدين وتدهور أوضاعها السياسية والاقتصادية وجاء التحدى الصليبى ليكمل الصورة، وتساقطت الأملاك الفاطمية فى بلاد الشام الواحدة تلو الأخرى حتى عام ١١٥٣م حيث سقطت عسقلان فى عهد الملك الصليبى بلدوين الثالث .

ويلاحظ أن نفس الأمر يتشابه فيما بعد مع مملكة بيت المقدس الصليبية ذاتها عندما سقطت هى الأخرى من قبل حطين ، وجاءت الأخيرة فى ٤ يوليو ١١٨٧م من أجل أن تكمل الضعف الداخلى بمعركة من قوة خارجية هى التى صارت متسيدة الموقف خاصة بعد الضعف السياسى الذى أحدثه وفاة الملك الصليبى عمورى (١١٦٣-١١٧٤م) .

تاسعًا : تأكد لنا من خلال العرض السابق ، الصلة الوثيقة بين كافة توسعات صلاح الدين الأيوبى ، إذ أنه استخدم أموال مصر من أجل فتح الشام ، واستخدم أموال الأخيرة لفتح الجزيرة ، وأستفاد من أموال كافة تلك المناطق من أجل إلحاق الهزيمة بالصليبيين ، وكل ذلك على مدى واحد وعشرين عامًا على نحو عكس غزارة الأحداث خلال ما زاد قليلاً على عقدين

فقط من عمر الزمان، وأيضًا دل على تسلسلها المنطقى، ووجود تخطيط مسبق للسياسة الخارجية لذلك السلطان، فلم تكن هناك مصادفة أو عشوائية أو إندفاع ، بل إعداد جيد وتنفيذ محكم، ويلاحظ هنا أن أعداءه لم يكونوا ندًا لقوة سياسية وعسكرية كبيرة : امتلكها خاصة أنه تمكن من تكوين جيش أعتبر أكبر قوة ضاربة فى الشرق، وإن زادت التحديات - بصورة واضحة- أمام ذلك الجيش مع مقدم التدخل الأوربى السافر الإنجليزى والفرنسى لدعم المملكة الصليبية المنهارة.

عاشراً : إتضح من الفصول السابقة، أن صلاح الدين لم يكن فقط رجل حرب محترفًا كما صورته لنا المصادر التاريخية المعاصرة الإسلامية والصليبية على حد سواء، بل إنه رجل سلام فى المقام الأول، وكان يفضل دومًا الحلول الدبلوماسية قبل الإقدام على القتال، وجاء صلح الرملة فى ٢ سبتمبر ١١٩٢م ليكون الزاوية السلمية فى سياسته، أما المؤرخون الذين تستهويهم الروح العسكرية، ويعجبون بالانتصارات الكبيرة، فلم يجدوا فى ذلك الإتفاق إلا دليلاً على تهاون وتفريط دون إدراك حقيقى للظروف السياسية والعسكرية التى واكبت عقده، فقد كان الجيش الأيوبى مجهداً ، خاصة أنه واصل المعارك على مدى الأعوام من ١١٨٧ إلى ١١٩٢م والاستمرار فى تلك المعارك يعنى نوعًا من الإنتحار دون جدوى. وكان صلاح الدين ومستشاروه يملكون بالفعل رؤية واقعية للأمر، خاصة أنه صلح مشرف لم يؤد إلى التفريط فى بيت المقدس، وهكذا تمكن ذلك السلطان المهزوم عسكريًا فى معركة عكا الطويلة والمريرة وكذلك فى أرسوف من تحقيق انتصار سياسى على غريمه ريتشارد قلب الأسد، وهنا تتضح لنا معالم تفرده.

حادى عشر : من الملفت للإنتباه فى تاريخ صلاح الدين الأيوبى أنه تمكن من غزو الصليبيين فى عقر دارهم من خلال ما عرف بتلك الأسطورة التى نسجوها من حوله من خلال إنبهارهم بأخلاقياته وهو ما لم يحدث لأى قائد مسلم آخر من عصر الحروب الصليبية دونما أى مبالغة أو شبهة التعصب . ودل ذلك على أن وفاته فى ٤ مارس ١١٩٣م لم تكن نهاية المطاف، بل بداية لتألق رؤية شعبية فى العقل الجمعى الأوربى فى العصر الوسيط من القرن الثانى عشر م فصاعداً .

ولامراء فى أن الدخول السلمى للمسلمين لبيت المقدس عقب حطين عمق تلك الأسطورة فى الغرب الأوربى لأنه ظهر من خلال ذلك كفارس إرتفع على تعصب ذلك العصر الذى ظهر من

قبل عندما اقتحم الصليبيون تلك المدينة فى ١٥ يوليو ١٠٩٩ م وعندما إرتكبوا مذبحتهم المروعة بها .

ثانى عشر : قد يتساءل من طالع الفصول السابقة أين صلاح الدين الإنسان ؟ والواقع أن ذلك السلطان الذى انهمك فى عالم السياسة والجهاد لم يهنأ بحياته هادئة كتلك التى عاشها عامة الناس فى ربوع دولته المترامية الأطراف ، كما لانغفل أمر مرض الذى لازمه، وفى عبارة فريده للمؤرخ السورى الكبير أ.د. شاكر مصطفى أشار إلى أن حياته يمكن إجمالها فى أنه كان يعانى من المرض وفى نفس الحين كان «مهروسًا» بالجهاد الذى انساه مرضه .

الأمر المؤكد أن الصحة كانت الثمن وإن دخول التاريخ من أوسع أبوابه لم يكن بالأمر اليسير، فلم يعش صلاح الدين الأيوبى حياة هادئة ، بل فى صراع دائم من أجل محاربة خصومه السياسيين وكذلك جهاد الصليبيين كما لانغفل أن المصادر المعاصرة تناولت تاريخه من خلال تلك الزوايا وندرت فيها الاشارات عنه «كإنسان» ولعل ذلك يكون الاجابة عن التساؤل الذى يطرحه البعض.

ثالث عشر: من الجلى البين أن شخصية صلاح الدين الأيوبى الفرد ، وكذلك شخصية العصر التاريخى ذاته كانت ثرية إلى حد بعيد، وهكذا ، فإن كل دراسة تناولته حاول صاحبها أن يلقى الأضواء، لتجلية جانب من جوانب ذلك التاريخ الحافل ، وكتابى هذا مجرد محاولة ، وأتمنى أن يأتى من بعدى من الباحثين الجادين أصحاب الخبرة بعصر الحروب الصليبية من يحاول الكشف عن جوانب أخرى جديدة عن الرجل وعصره ليكون ذلك حافزاً للمسلمين لمواصلة صفحات المجد التى سطروها فى عالم العصور الوسطى.

الملاحــق

ملحق رقم (١)

تسنين بأهم الأحداث التاريخية

٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م	البابا أوربان الثانى يدعو إلى الحروب الصليبية فى كليرمونت .
١٥ يوليو ١٠٩٩م	سقوط بيت المقدس فى قبضة الصليبيين.
١١٣٧م	ميلاد صلاح الدين الأيوبى .
١١٤٤م	عماد الدين زنكى يقود إسقاط الرها .
١١٤٧-١١٤٩م	الحملة الصليبية الثانية وفشل حصار دمشق .
١١٦٣م	شاور يطلب تدخل نور الدين محمود فى مصر الفاطمية .
١١٦٤م	معركة حارم وانتصار نور الدين محمود على التحالف الصليبى- البيزنطى- الأرمينى.
١٨ أبريل ١١٦٧م	معركة البابين وانتصار قوات نور الدين محمود بقيادة شيركوه وصلاح الدين الأيوبى.
١١٦٨م	الصليبيون يحدثون مذبحة فى بلبيس .
٢٣ مارس ١١٦٩م	وفاة أسد الدين شيركوه .
١١٦٩م	تولى صلاح الدين الوزارة للعاضد الفاطمى .
١١٧٠م	استيلاء صلاح الدين الأيوبى على أيلة (العقبة) .
١٠ سبتمبر ١١٧١م	سقوط الدولة الفاطمية .
١٢ سبتمبر ١١٧١م	وفاة العاضد الفاطمى .
١١٧٤م	وفاة نور الدين محمود .
١١ يوليو ١١٧٤م	وفاة الملك الصليبى عمورى .
١١٧٤م	إخضاع صلاح الدين الأيوبى لدمشق .
١١٧٤م	اكتشاف المؤامرة الدولية الكبرى ومصرع عمارة اليمنى وزملائه.

١١٧٤م محاولة الاسماعيلية النزارية اغتيال صلاح الدين عند حلب.

١٢ أبريل ١١٧٥م معركة قرون حماه .

١١٧٥م معركة تل السلطان .

١١٧٥ م محاولة النزاريه إغتيال صلاح الدين عند إعزاز .

١١٧٦م زواج صلاح الدين الأيوبى من عصمت خاتون.

٢٥ يونيو ١١٧٦م حصار صلاح الدين الأيوبى لحلب.

١١٧٦م صلاح الدين الأيوبى يقوم بعدد من الانشاءات فى مصر.

١١٧٦م صلاح الدين يحاصر مراكز الاسماعيلية النزارية .

١١٧٦م إطلاق سراح الفارس الصليبى رينودى شاتيون (إرناط) .

١١٧٧م معركة تل الصافية وهزيمة صلاح الدين الأيوبى .

١١٨٣م حملة إرناط على الحجاز .

١١٨٣م صلاح الدين يستولى على حلب .

١١٨٥م عقد الإتفاقية مع الموصل.

٤ يوليو ١١٨٧م إنتصار حطين الحاسم وإعدام ارناط .

٢ أكتوبر ١١٨٧م صلاح الدين الأيوبى يدخل بيت المقدس فاتحًا .

٢٥ أغسطس ١١٨٩م بداية حصار عكا من جانب الصليبيين.

١٠ يوليو ١١٩٠م وفاة فردريك بارباروسا غريقًا فى نهر سالف فى آسيا الصغرى .

١٢ يوليو ١١٩١ سقوط عكا فى قبضة الصليبيين .

٥ سبتمبر ١١٩١م مفاوضات دير الراهب وإخفاقها .

٧ سبتمبر ١١٩١م معركة أرسوف وهزيمة صلاح الدين الأيوبى.

١١٩١م قتل السهروردى الحلبى .

٢٨ أبريل ١١٩٢ م إغتيال كونراد دى مونتفرت

٢ سبتمبر ١١٩٢م توقيع صلح الرملة ونهاية الحملة الصليبية الثالثة.

٤ مارس ١١٩٣م وفاة صلاح الدين الأيوبى وميلاد الأسطورة.

ملحق رقم (٢)

وصية صلاح الدين الأيوبى لابنه الظاهر غازى

«أوصيك بتقوى الله تعالى فإنها رأس كل خير، وآمرك بما أمر الله به فإنه سبب نجاتك، وأحذرك من الدماء والدخول فيها والتقلد بها فإن الدم لاينام، وأوصيك بحفظ قلوب الرعية، والنظر فى أحوالهم فأنت أمينى وأمين الله عليهم، وأوصيك بحفظ قلوب الأمراء، وأرباب الدولة، والأكابر فما بلغت ما بلغت إلا بمداراة الناس، ولاتحقد على أحد فإن الموت لايبقى على أحد، وأحذر ما بينك وبين الناس فإن لايغفر إلا برضاهم، وما بينك وبين الله يغفره الله بتوبتك إليه فإنه كريم»[١].

١- ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٣٩٦، سعيد عاشور، الناصر صلاح الدين، ص٢٧٧- ص٢٧٨.

ملحق رقم (٣)

ابن شداد يصف فكرة الجهاد
عند صلاح الدين الأيوبى

«لقد كان رحمه الله شديد المواظبة عليه (الجهاد) عظيم الإهتمام به، ولو حلف حالف أنه ما أنفق بعد خروجه إلى الجهاد ديناراً ولادرهمًا إلا فى الجهاد أو فى الإرفاد لصدق وبر فى يمينه، ولقد كان الجهاد وحبه والشغف به قد إستولى على قلبه وسائر جوانحه إستيلاءً عظيمًا ، بحيث ما كان له حديث إلا فيه ولانظر إلا فى آلته، ولا كان له إهتمام إلا برجاله، ، ولاميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه، ولقد هجر فى محبة الجهاد فى سبيل الله أهله وأولاده ووطنه وسكنه وسائر ملاذه، وقنع من الدنيا بالسكون فى ظل خيمة تهب بها الرياح يمنة ويسرة»[١].

١- النوادر السلطانية، ص٢١ .

ملحق رقم (٤) [١]

رأى الامبراطور الألمانى ولهلم الثانى
فى صلاح الدين الأيوبى عندما زار دمشق عام ١٨٩٨م

«مما يزيد فى سرورى أنى موجود فى بلد عاش بها من كان أعظم رجال عصره ، وفريد دهره شجاعة وبسالة ، من كان قدوة للشهادة ، الذى كانت شهرته متجلية فى الآفاق ألا وهو القهرمان صلاح الدين الأيوبى» .

ويلاحظ أن أمير الشعراء، أحمد شوقى خلّد تلك الزيارة بقصيدة قال فيها :

عظيم الناس من يبكى العظاما
ويندبهم ولو كانوا عظامًا

فهل من مبلغ غليوم عنى
مقالاً مُرضيًا ذاك المقاما

رعاك الله من ملك همام
تعهد فى الثرى ملكًا هماما

١- أحمد بيلى ، حياة صلاح الدين الأيوبى، ص١٩٠- ص١٩١ .

وتجدر الاشارة إلى أن ذلك الإمبراطور أهدى ضريح صلاح الدين بدمشق هدية عبارة عن اكليل من الغار مصنوع من البرونز وكتب على ذلك التاج عبارة : «مقدم من طرف صاحب الحشمة والعظمة إمبراطور ألمانيا حضرت ولهلم الثانى تذكاراً لزيارة قيصر المشار إليه تربة حضرت صلاح الدين أيوبى رحمه الله عليه رحمة واسعة سنة ١٣١٥ الموافق سنة ١٨٩٨ ، عن ذلك انظر: ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق أحمد أبيش ، ط. دمشق ٢٠٠٣م، ص٤٤٨ .

أرى النسيان أظماه فلما

وقفت بقبره كنت الغماما

أتدرى أي سلطان تجبى

وأى مُملِكٍ تهدى السلاما

دعوت أجل أهل الأرض حربًا

وأشرفهم إذا سكنوا سلامًا(١).

١- أحمد عبد الجواد الدومى، صلاح الدين الأيوبى الناصر لدين الله، ط. بيروت ٢٠٠٤م.

ملحق رقم (٥)

رؤية إدوار جيبون لصلاح الدين الأيوبى

«كان متواضعًا لايعرف البذخ أو الترف ولايرتدى إلا عباءته المصنوعة من الصوف الخشن ولم يكن يعرف إلا الماء شرابًا، وكان متدينًا قولاً وفعلاً يشعر بالحزن لعدم تمكنه من أداء فريضة الحج لأنه كان منهمكًا فى الدفاع عن دين الإسلام وكان يحافظ على تأدية الصلوات الخمس فى أوقاتها فيقف فى خشوع بين أيدى رفقائه، وإذا ما فطر فإنه كان يؤدى الزكاة بسخاء بالغ ومن شدة تقواه وورعه إنه كان يقرأ القرآن الكريم وهو على صهوة جواده خلال المعارك ووسط الجيوش المتأهبة للقتال».

١- نقلاً عن ضياء الجبورى، «صلاح الدين والأدباء الانكليز»، آفاق عربية، العدد (٣) عام ١٩٧٦م، ص١٤٦ .

ملحق رقم (٦)

تعليق أمين معلوف على فتح صلاح الدين الأيوبى لبيت المقدس[١]

«إذا كان صلاح الدين قد فتح القدس فما ذاك لأجل المال ولاحتى للإنتقام ، لقد سعى على الأخص كما يقول إلى القيام بما يفرضه عليه ربه ودينه، وإنتصاره أنه حرر المدينة المقدسة من نير الغزاة من غير حمام دم، ولاتدمير ولاحقد وسعادته هى أنه يستطيع السجود فى هذه الأمكنة التى لولاه لما استطاع مسلم أن يصلى فيها».

١-أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب ، ت. عفيف دمشقية، ط. بيروت ١٩٨٩م، ص٢٠-ص٢١ والمؤلف مسيحى مارونى من لبنان .
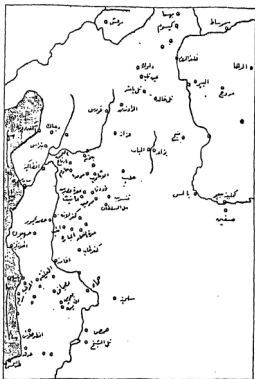
شمال الشام نقلاً عن العرينى، الشرق الأوسط والحروب الصليبية.
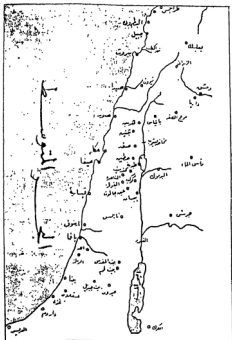
فلسطين نقلاً عن العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية.
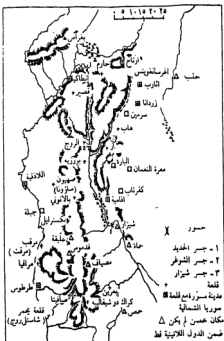
القلاع الصليبية فى إمارتى أنطاكية وطرابلس

نقــلاً عن سـمايل، الحـروب الصـليبيـة.
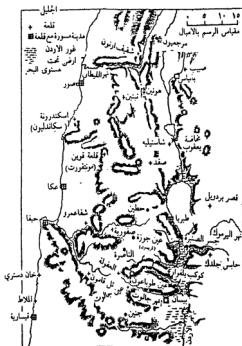
القلاع الصليبية فى شمال فلسطين

نقلاً عن سمايل، الحروب الصليبية.
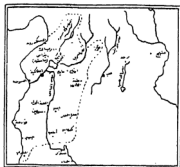
إمارة أنطاكية، نقلاً عن عمران، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية
فى عهد الامبراطور مانويل الأول

إمارة الرها، نقلاً عن نفس المرجع.

حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ط. القاهرة ١٩٨٧م، ص٣٠٤
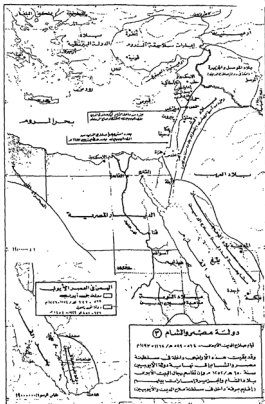
قائمة المختصرات

A. : Antiquity.

A.A.S. : Asian and African Studies.

A.H.R. : American Historical Review.

A.O.L. : Arshive de L'Orient latin.

B. : Byzantion.

B.E.O. : Bulletin d'Etudes Orientales.

B. F. A. A. U. : Bulletin of the Faculty of Arts Alexandria University.

B. J. R. L. : Bulletin of the John Rylands Library.

B. I. A. C. C. : Bulletin of Israeli academic center in Cairo.

B.S.O. A.S. : Bulletin of School of Oriental and African Studies

Chamb. Ency. : Chamber's Encyclopedia.

E. H. R. : Egyptian Historical Review.

Ency. Amer : Encyclopedia Americana.

Ency. Brit : Enclopedia Britannica.

E. I. : Eretz Israel.

Ency. Jud. : Encyclopedia Judaica.

H. : L'Histoire.

H.U.C.A.: Hebrew Union College Annual.

J.A. : Journal Asiatique.

J. A. O.S. : Journal of Amercian Oriental Society.

J.A.R.C.E. : Journal of the American Reserch Center in Egypt.

J.E.H. : Journal of Economic History.

J. I.H : Journal of Indian History.

J.J.S. : Journal of Jewish Studies.

J.R.A.S. : Journal of Royal Asiatic Society.

M. H . : Medical History .

M. S. : Medieval Studies .

M. W. : Muslim World .

O.D. B. : Oxford dictionary of Byzantium.

P.P.T.S. : Palestine Pilgrims Text Society .

R. A.I . B. L . : Revue de l'academie des Inscriptions et Belles Lettres .

R. B. : Revue Biblique .

R. H. C. Hist . Occ. : Recueil des Historiens des Croisades Historiens Occidentauy .

R. E. A. : Revue des Etudes Arabes .

R. E . J . : Revue des Etudes Juifes .

R. H. G. F . : Recueil des Historiens des Gaules et de France .

R. H. R . : Revue de l'Histoire des religions.

R.O.L. : Revue de l'Orient Latin .

S. : Speculum .

S. C. H . : Studies in Church History .

S.M. : Studia Medievalia .

S.O. L. : Studia Orientalia Lundensia .

S.P. : Studia Palestina .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية والمخطوطة :

ابن البقال (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م) ، المقترح فى المصطلح فى تعلم رمى البندق والصيد (ألفه للخليفة العباسى الناصر لدين الله) ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٠٥٠٦ج) .

الحنبلى (أحمد بن إبراهيم ت ٨٧٦هـ / ١٤٧١م) ، شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٣١ .

الخالدى (بهاء الدين محمد بن لطف الله ت ٩٢٧هـ/ ١٢٧١م) ، المقصد الرفيع المنشأ الهادى لديوان الانشاء ، مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٥ .

السلامى (شهاب الدين أحمد (غير معروف تاريخ الوفاة) ، مختصر التواريخ ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٣٥ تاريخ .

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) ، المقفى، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣٧٢ تاريخ .

ثانيًا : المصادر العربية والمعربة المطبوعة :

القرآن الكريم

ابن أبى أصيبعه (موفق الدين أبو العباس ت ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ط. القاهرة ، تحقيق نزار رضا، ط. بيروت ب-ت .

ابن أبى دينار (محمد بن أبى القاسم ت ق ١١هـ / ١٧م) ، المؤنس فى تاريخ افريقية وتونس ، تحقيق محمد شمام ، ط. تونس ب-ت .

ابن أبى العجائز (ت ق ٤هـ / ١٠م) ، تاريخ دمشق ، تحقيق عصام هزايمة ويوسف أحمد بنى ياسين، ط. اربد ٢٠٠٠م.

ابن الأثير (ضياء الدين ت ٦٣٣هـ / ١٢٣٩م) ، رسائل ابن الأثير، تحقيق أنيس المقدسى، ط. القاهرة ١٩٥٩م.

ابن الأثير (عز الدين محمد ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ، الكامل فى التاريخ ، ط . بيروت ١٩٦٦م ، ط. بيروت ١٩٦٧م ، ط. بيروت ١٩٧٩م ، ط. القاهرة ١٢٩٠هـ ، ط. القاهرة ١٣٤١هـ، ط. القاهرة ب-ت ؛ التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل تحقيق عبد القادر طليمات ، ط. القاهرة ١٩٦٣م.

ابن الإمام (شمس الدين أحمد ت ١٠١٥هـ / ١٦٠٦م) ، تحفة الأنام فى فضائل الشام ، تحقيق عبد العزيز حرفوش ، ط. دمشق ١٩٩٨م.

ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفى ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ط. القاهرة ب-ت .

ابن أيبك الدوادارى (أبوبكر بن عبدالله ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) الدر المطلوب فى تاريخ بنى أيوب، تحقيق سعيد عاشور ، ط. القاهرة ١٩٧٢م.

ابن بسام (محمد بن أحمد أواخر ق ٦هـ / ١٢م) ، أنيس الجليس فى أخبار تنيس ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، عدد (١٤) ، عام ١٩٦٧م .

ابن بطوطة (أبو عبدالله محمد ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) ، الرحلة المسماه تحفة النظار فى عجائب الأمصار ، ط. بيروت ١٩٦١م ، ط. بيروت ١٩٦٤م.

ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف ت ٨٧١هـ / ١٤٦٩م) ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ط . القاهرة ١٩٣٥م .

المنهل الصافى المستوفى بعد الوافى ، تحقيق أحمد يوسف نجاتى ، ط. القاهرة ١٩٦٥م.

ابن تيمية (تقى الدين أحمد ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) ، الحسبة فى الاسلام ، ط. القاهرة ١٤٠٠هـ .

ابن جبير (محمد بن أحمد الكنانى ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م)، الرحلة المسماه تذكرة بالأخبار فى اتفاقيات الأسفار ، ط. بيروت ١٩٨٠م، ط. بيروت ١٩٨٤م.

ابن جلجل (أبو داود سليمان ق٤هـ / ١٠م) ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، ط. القاهرة ١٩٥٥م.

ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) ، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، ط. حيدر أباد الدكن ١٣٥٩هـ ، تاريخ بيت المقدس ، تحقيق محمد زينهم عزب، ط . القاهرة ١٩٨٩م.

ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م) ، مراتب الإجماع فى العبادات والمعاملات والاعتقادات ، ط. القاهرة ب-ت .

ابن حماد (أبو عبدالله محمد بن على ت ٦٢٨هـ / ١٢٣١م)، أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم ، تحقيق فندرهيدن ، ط. الجزائر ١٩٢٧م، وتحقيق التهامى نقرة وعبد الحليم عويس ، ط. القاهرة ١٤٠١هـ .

ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) ، صورة الأرض ، تحقيق دى جويه ، ط. ليدن ١٩٣٨م، ط. ليدن ١٩٦٧م.

ابن خداو بردى ، أرجوزة فى محاسن دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد، مجلة المجمع العلمى بدمشق، م (٧٢) ، ط. (٣) عام ١٩٥٧م.

ابن الخطيب (لسان الدين ت ٧٧٦هـ / ١٢٧٤م) ، الإحاطة فى أخبارغرناطة ، ط. القاهرة ب-ت .

ابن خلدون (عبد الله بن خلدون ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ط. القاهرة ب-ت ، ط. بيروت ب-ت .

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط. القاهرة ١٩٤٨م ، تحقيق إحسان عباس ، ط. بيروت ١٩٧٨م .

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد العلائى ت ٨٠٩هـ / ١٤١٠م) ، الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور ومراجعة أحمد دراج ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٢م.

ابن زولاق (أبو محمد الحسن بن إبراهيم ت ٣٨٧هـ/ ١٩٩٧م)، فضائل مصر وأخبارها ، تحقيق على محمد عمر، ط. القاهرة ١٩٩٩م.

ابن الساعى (تاج الدين أبوطالب ت ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م) ، الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير ، ج٩ ، ط. بغداد ١٩٣٤م.

ابن سبعين (عبد الحق ابراهيم ت ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م) ، رسائل ابن سبعين ، ط. القاهرة .

ابن سعيد المغربي (علي بن موسى ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٥م) ، بسط الأرض في الطول والعرض ، تحقيق خوان خنيس معهد مولاى الحسن ، ط. تطوان ١٩٥٨م.

ابن سناء الملك (عز الدين أبو القاسم ت ١٢١٢م) ، ديوان ابن سناء الملك ، تحقيق محمد إبراهيم نصر، ط. القاهرة ١٩٦٨م.

ابن شاكر الكتبي (محمد بن أحمد ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) ، فوات الوفيات ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ج٢، ط. القاهرة ١٩٥١م، تحقيق إحسان عباس، ط. بيروت ١٩٧٣م.

ابن شاهنشاه الأيوبي (محمد بن تقى الدين عمر ت ٦١٧هـ / ١٢٢٣م)، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشى ، ط. القاهرة ١٩٦٨م ، كتاب التاريخ منتخبات منه منشورة في ختام كتاب النوادر السلطانية ، ط. بيروت ب-ت .

ابن شاهين (غرس الدين خليل ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بولس راڤيس ، ط. باريس ١٨٩٤م ؛ نزهة الأساطير فيمن ولى مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين ، ط. القاهرة ١٩٨٧م.

ابن الشحنة (أبو الفضل محمد ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م) ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تحقيق إلياس سركيس، ط. بيروت ١٩٠٩م ؛ روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر بهامش الكامل لابن الأثير ، ط. القاهرة ١٢٩٠هـ.

ابن شداد (القاضى بهاء الدين ت ٦٣٢هـ / ١٢٢٤م) ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط. القاهرة ١٩٦٤م، ط. القاهرة ١٣١٧هـ ، ط. بيروت ب -ت ، وتحقيق أحمد أيبش ، ط. دمشق ٢٠٠٣م.

ابن شداد (عز الدين أبو عبدالله ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، ج٢ ، تحقيق سامى الدهان ، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ط. دمشق ١٩٥٦م ؛ تاريخ الملك الظاهر باعتناء أحمد حطيط ، ط. فسبادن ١٩٨٣م.

ابن الصابونى (أبو حامد محمد بن على ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م) ، تكملة إكمال الإكمال، تحقيق مصطفى جواد ، ط. بغداد ١٩٥٧م.

ابن الطقطقى (أبو جعفر محمد ت القرن ٨هـ / ١٤)، الفخرى فى الآداب السلطانية ، تحقيق ديرنبرج ، ط . شالون ١٨٩٤، ط. بيروت ١٩٦٦م.

ابن طولون الصالحى (شمس الدين ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م)، القلائد الجوهرية فى تاريخ الصالحية ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، ط. دمشق ١٩٤٩م؛ قرة العيون فى أخبار جيرون، تحقيق صلاح الدين المنجد، ، ط. دمشق ١٩٦٤م.

ابن الطوير (أبو محمد المرتضى القيسرانى ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م) ، نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، ط. بيروت ١٩٩٢م.

ابن ظافر الأزدى (جمال الدين أبو الحسن ت ٦١٢هـ / ١٢١٦) ،أخبار الدول المنقطعة، تحقيق اندريه فرييه ، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، ط. القاهرة ١٩٧٢م.

ابن عبد الحق البغدادى (صفى الدين عبد المؤمن ت ٧٣٩هـ / ١٢٣٨م) ، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق محمد البجاوى ، ط. القاهرة ١٩٥٤م.

ابن عبد الرازق الدمشقى ، حدائق الأنعام فى فضائل الشام ، تحقيق يوسف بديوى ، ط. دمشق ١٩٩٩م.

ابن عبد الظاهر (محيى الدين ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م) ، تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل، ط . القاهرة ١٩٦١م، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، ط. الرياض ١٩٧٦م.

ابن العبرى (غريغوريوس بن الفرج ت ٦٨٥هـ / ١٢٥٦م) ، تاريخ مختصر الدول ، ط . بيروت ب-ت ، ط . بيروت ١٩٩٢م.

ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج٢ ، تحقيق سامى الدهان ، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، ط. دمشق ١٩٥٤م. ج٣ ، تحقيق سامى الدهان المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، ط. دمشق ١٩٦٨م ، سيرة راشد الدين سنان ، تحقيق برنارد لويس R.E.A.T. VIII, Année 1966 بغية الطلب فى تاريخ حلب القسم الخاص بتراجم الأمراء السلاجقة، تحقيق على سويم، الجمعية التاريخية التركية، ط. انقرة ١٩٧٦م ، ثلاثة تراجم من بغية الطلب ، تحقيق برنارد لويس ، الكتاب التذكارى لفؤاد

كويرولو Melanges Fuad Koprulu ، ط. استانبول ١٩٥٣م ؛ الدرارى فى ذكر الذرارى ، تحقيق علاء عبد الوهاب محمد، ط. القاهرة ١٩٨٤م.

ابن عساكر (أبو القاسم ت ٥٧١هـ / ١١٧٦) ، ولاة دمشق فى العصر السلجوقى ، تحقيق صلاح الدين المنجد، مجلة المجمع العلمي بدمشق ، م (٢٤) ، ج (٤) عام ١٩٤٩م ؛ تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، م (١) ، ط. دمشق ١٩٥١م ، ترجمة محمود بن زنكي، تحقيق نيكيتا اليسيف مجلة الدراسات الشرقية، م (٢٥) عام ١٩٧٢م، B.E.O., T. XXV, Année 1972. ، سيرة السيد المسيح، تحقيق سليمان على مراد ، ط. عمان ١٩٩٦م.

ابن عطاء الله السكندرى ، الحكم العطائية ، تحقيق بولس نويا ، ط. بيروت ١٩٧١ .

ابن عنين (أبو المحاسن محمد ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) ، ديوان ابن عنين ، تحقيق خليل مردم ، ط. دمشق ١٩٤٦م .

ابن العميد (جرجس بن العميد ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م) ، تاريخ الأيوبيين نشر كلود كاهن مجلة الدراسات الشرقية ، (١٥) عام ١٩٥٥ - ١٩٥٧م .

B.E.O., T. XV , Année 1955-1957 .

ابن الفرات (ناصر الدين محمد، ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) ، تاريخ الدول والملوك م ٢، ج١ ، تحقيق الشماع ، ط. بغداد ١٩٦٩م ، م٥ / ج ، تحقيق الشماع ، ط. البصرة ١٩٧٠م، تاريخ الدول والملوك ، نشر مالكوم ليونز ط. كمبردج ١٩٧١م، ج٣ / ق١، تحقيق حمدى أنور السيد، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الزقازيق عام ١٩٨٦م.

ابن الفقيه (أبوبكر أحمد ت ٢٩٠هـ / ٩٠٣م) ، مختصر كتاب البلدان ، ط. ليدن ١٨٨٢م.

ابن قلاقس (أبو الفتح نصر الله ت ٥٦٧هـ / ١١٧١م) ، ديوانه ، تحقيق سهام فريح، ط. الكويت ١٩٨٥ م.

ابن القنفذ ، كتاب الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، ط . بيروت .

ابن القوطى (كمال الدين أبو الفضل ت ٧٢٣هـ / ١٣٣٢م) ، تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب ج٤ / ق١ ، تحقيق مصطفى جواد ، ط. بغداد ١٩١٢م.

ابن قاضي شهبة (محمد أبي بكر ت ٨٧٤هـ / ١٤٤٨م) ، الكواكب الدرية في السيرة النورية . تحقيق محمود زايد ، ط . بيروت ١٩٧١م .

ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق أميدروز ، ط. بيروت ١٩٠٨م ، تحقيق سهيل زكار ، ط . دمشق ١٩٨٣م.

ابن كثير : (الحافظ عماد الدين إسماعيل ت ٧٤٤هـ / ١٣٧٣م) ، البداية والنهاية ، ط. القاهرة ١٩٣٥م ؛ الاجتهاد في طلب الجهاد ، ط. القاهرة ١٣٤٧هـ .

ابن المستوفى (المبارك بن أحمد ت ق ٧هـ / ١٣م) ، تاريخ اربل ، تحقيق سامي الصقار، ط. بغداد ١٩٨٠م.

ابن المعمار (ابن المعمار الحنبلي ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٤م) ، الفتوة ، تحقيق مصطفى جواد والنجار ، والهلالي والعيسى ، ط. بغداد ١٩٥٨م.

ابن مماتي (الأسعد بن مماتي ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) ، قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطيه، ط. القاهرة ١٩٤٣م ، الفاشوش في حكم قراقوش ، تحقيق عبد اللطيف حمزة ، ضمن كتاب حكم قراقوش ، ط. القاهرة ١٩٨٢م.

ابن منظور : (محمد بن مكرم الأنصاري ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ، لسان العرب المحيط ، ط. بيروت ب-ت .

ابن منكلي (محمد بن منكلي ت ٧٧٥هـ / ١٣٧٦م) ، الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر ، تحقيق عبد العزيز عبد الدايم، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م .

ابن النديم (أبو الفرج إسحق ت ٢٨٥هـ / ٩٩٥م) ، الفهرست ، ط. القاهرة ١٣٤٨هـ .

ابن نظيف الحموي (أبو الفضائل محمد ت ق٧هـ / ١٣م) ، التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان تحقيق أبو العيد دودو ، ط. دمشق ١٩٨٢م.

ابن النقاش (محمد بن علي (ت ٧٦٣هـ / ١٣٧٠م) ، المذمة في إستعمال أهل الذمة ، تحقيق سعد حسين عثمان ، ط. أبها ١٤١٠هـ ونشر أبو الهيثم ابراهيم ، ط. الرياض ١٤١٦هـ .

ابن واصل (جمال الدين محمد ت ٦٩١هـ / ١٢٩٢م) ، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، الأجزاء من ١ إلى ٣ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط. القاهرة ١٩٥٣- ١٩٦٠م.

ابن الوردى (أبو حفص زين الدين ت ٧٤٢هـ / ١٣٤٩م) ، تتمة المختصر فى أخبار البشر، ط. بيروت ١٩٧٠م.

أبو شامة المقدسى (شهاب الدين أبو محمد ت ٦٥٥هـ / ١٢٦٧م) ، الروضتين فى تاريخ الدولتين النورية والصلاحية ، ج١ / ق١ ، تحقيق محمد حلمى محمد ، ط. القاهرة ١٩٥٦م، ج١ / ق٢ ، تحقيق محمد حلمى محمد ، ط. القاهرة ١٩٦٢م، ط. القاهرة ب-ت ، الذيل على الروضتين ، نشر الكوثرى، ط . القاهرة ١٣٦٦هـ ، الباعث على إنكار البدع والحوادث ، ط. القاهرة .

أبو الفداء (إسماعيل بن على ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) ، تقويم البلدان، تحقيق رينو ودى سلان ، ط. باريس ١٨٤٠م ؛ المختصر فى أخبار البشر ، ط . استانبول ١٢٨٦هـ ، ط . بيروت ١٩٦٠م، التبر المسبوك فى تواريخ الملوك، تحقيق محمد زينهم ، ط. القاهرة ١٩٩٥م.

الإدريسى (أبو عبد الله محمد ت ٥٦١هـ / ١١٦٦م) ، نزهة المشتاق فى إختراق الآفاق ، تحقيق جابريللى وديلافيلا ، ط . نابولى ١٩٧٥م.

الأدفوى ، الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ، تحقيق سعد محمد حسن ط . القاهرة ١٩٦٦م.

الأزدى (ابن ظافر ت ٦١٣هـ/ ١٢١٦م) ، أخبار الدول المنقطعة ،تحقيق أندريه هنريبه ، ط. القاهرة ١٩٧٢م ، تحقيق عصام هزايمه ومحمد محافظه وعلى عبابنه، ط. اربد ١٩٩٩م.

أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة ت ٥٨٤هـ / ١١٨٥م) ، كتاب الإعتبار ، تحقيق فيليب حتى، ط. برنستون ١٩٣٠م ، ط. بيروت ١٩٨١م.

إسحق بن الحسين (ق٤ هـ / ١٠م) ، آكام المرجان فى ذكر المدائن المشهورة فى كل مكان ، ط. بيروت ١٩٨٨م.

الأسنوى (جمال الدين بن عبد الرحيم ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م) طبقات الشافعية ، تحقيق عبدالله الجبورى، ط. بغداد ١٣٩٠هـ .

بدر الدين بن محمد ، السمط العالى الشمن فى أخبار الغز ملوك اليمن، تحقيق محمد عبدالعال ، مجلة معهد المخطوطات العربية، م (١٠) ، ج١، مايو ١٩٦٤م، وتحقيق ركس سميث ، ط. كمبردج ١٩٧٤م.

البدرى ، نزهة الأنام فى محاسن الشام، ط. القاهرة ١٩٤١م .

البلاذرى ، فتوح البلدان ، ط. بيروت ١٩٥٨م.

الترمذى (محمد بن عيسى ت حوالى ٢٧٦ هـ / ١٩٢-٨٩٣م) ، سنن الدارمى، تحقيق أحمد شاكر ومصطفى الحلبى ، ط. القاهرة.

الحنبلى (ابن العماد ت ١٠٨٩ هـ/ ١٦٩٤م) ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ط. القاهرة ١٣٥١هـ .

الحنبلى (مجير الدين ت ق ١٠هـ / ١٧م) ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق محمد بحر العلوم ، ط. النجف ١٣٨٧هـ / ط. عمان ١٩٧٣م ، تحقيق عدنان أبوتبانه ، ط. الخليل ١٩٩٩م .

الحنبلى (أحمد بن إبراهيم الحنبلى ت ٨٧٦هـ / ١٤٧١م) ، شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوى، ط . القاهرة ١٩٩٦م.

الخزندارى (قرطاى الغزى ت بعد عام ٧٠٨هـ / ١٣٠٩م) ، تاريخ مجموع النوادر مما جرى للأوائل والأواخر (٦١٦- ٦٩٣هـ) ، ج٤ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، ط. صيدا ٢٠٠٥م.

الديار بكرى (حسين بن محمد بن الحسن ت ٩٨٢هـ / ١٥٨٢م) ، الخميس فى أحوال أنفس نفيس ، ط. القاهرة ١٢٨٣هـ (ت ١٣٢١م) .

دانتى الليجيرى ، الكوميديا الإلهية، ت . حسن عثمان ، ط. القاهرة ١٩٥٥هـ .

الذهبى (شمس الدين ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) ، دول الإسلام ، تحقيق شلتوت ومصطفى إبراهيم ، ط. القاهرة ١٩٧٤م.

الربعى ، فضائل الشام، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط. دمشق .

الزبيدى ، ترويح القلوب فى ذكر الملوك ببنى أيوب ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط. بيروت ١٩٨٣م.

الزركشى ، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق المراغى ، ط. القاهرة ١٩٨٢ م.

سبط بن الجوزى (أبو المظفر يوسف ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) ، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ق١ / ج٨ ، ط. حيدر أباد الدكن، ١٩٥١م.

السبكى (تقى الدين عبد الوهاب ت ٧٧١هـ / ١٣٧٢م) ، طبقات الشافعية الكبرى، ط . القاهرة ب-ت .

السخاوى (شمس الدين ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط. بيروت ب-ت .

السجلات المستنصرية ، تحقيق عبد المنعم ماجد ، ط. القاهرة ١٩٥٤م .

السلمى (عبد الرحمن السلمى ت /٤٩٩ ١١٠٦م)، رسالة الجهاد ، نشر سيڤان الجريدة الآسيوية ١٩٦٦م J.A. , 1966 ونشرها كلود كاهن ، ضمن كتابه الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ت. أحمد الشيخ ، ط. القاهرة ١٩٩٥م.

السهروردى (يحيى بن حبشى ت ٥٨٩هـ/ ١١٩١م) ، حكمة الإشراق ، ط. القاهرة، مجموعة من الحكمة الالهية ، تحقيق هنرى كوربا ، ط. استانبول ١٩٤٥م، هياكل النور ، ط. القاهرة ١٩٥٧م.

السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، تاريخ الخلفاء ، ط. القاهرة ب-ت ، ط. القاهرة ١٩٨٢م ، حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، ط. القاهرة ب-ت ، ط. بيروت ١٩٦٧م .

السيوطى (المنهاجى ت ٨٨٠هـ / ١٤٨٥م) ، إتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق أحمد رمضان ، ط . القاهرة ١٩٨٢م.

الشهرزورى (كان حياً حتى عام ١٢٨٨م) ، تاريخ الحكماء نزهة الأرواح وروضة الأفراح ، تحقيق عبد الكريم أبو شويرب ، ط. طرابلس ١٩٨٨ ، ط . القاهرة ب-ت .

الشهرستانى (أبو الفتح الشهرستانى ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) ، الملل والنحل ، ط. القاهرة ب-ت .

شيخ الربوة الدمشقى (أبو طالب الأنصارى ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م) ، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، تحقيق مهرن ، ط. بطرسبرج ١٩٣٥م.

صدر الدين أبو الفوارس (ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) ، أخبار الدولة السلجوقية ، تصحيح إقبال ، ط. لاهور ١٩٣٣م.

صدر الدين الشيرازى ، كتاب الأسفار الأربعة ، ط . تهران ١٢٨٢هـ (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) .

الصفاعى (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) تالى كتاب وفيات الأعيان ، تحقيق جاكلين سويله ، ط. دمشق ١٩٧٤م.

الطرسوسى (مرضى بن على ت ٥٨٩هـ / ١١٩٣م) ، تذكرة أرباب الألباب ، تحقيق كلود كاهن ، مجلة الدراسات الشرقية ، العدد (١٢) عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨م B.E.O., T. XII, Année 1947.

العامرى (أبو الحسن محمد يوسف ت ٣٨١هـ / ٩٩٢م) ، الإعلام بمناقب الإسلام ، تحقيق أحمد عبد الحميد غراب ، ط. القاهرة ١٩٦٧م .

العثمانى (صدر الدين محمد ت ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م) ، تاريخ صفد ، تحقيق برنارد لويس، مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية ، ق (١٥)، لعام ١٩٥٣ م B.S.O.A. S., vol XV , 1953.

العدوى (القاضى العدوى ت ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢م)، الزيارات ، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط. دمشق ١٩٥٦م.

العظيمى (محمد بن على ت ٥٥٦هـ / ١١٦١م) ، تاريخه ، تحقيق على سويم، الجمعية التاريخية التركية، ط. انقرة ١٩٨٨م .

العماد الأصفهانى (القاضى ت بعد عام ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) ، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، تحقيق كلود كاهن ، مجلة الدراسات الشرقية ، العدد (٧) ، (٨) لعـــــام ١٩٣٧- ١٩٣٨م B.E.O., vol . VII- VIII Année 1937-1938 ، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى ط. صيدا .

العماد الأصفهانى (الكاتب ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) ، الفتح القسى فى الفتح القدسى تحقيق محمد صبيح ، ط. القاهرة ١٩٦٥م، ط. القاهرة ب-ت ؛ خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر) ، تحقيق أحمد أمين وآخرون، ط . القاهرة ؛

تاريخ دولة آل سلجوق ، ط . بيروت ١٩٨٧م ؛ البرق الشامى ، ج٥ ، تحقيق فالح صالح حسن ، ط. عمان ١٩٨٧م.

عمارة اليمنى (أبو محمد ت ٥٦٩هـ / ١١٧٤م) ، النكت العصرية فى الوزارة المصرية ، تحقيق ديرنبرج ، ط. باريس ١٨٩٧م.

العمرى (شهاب الدين أحمد ت ٧٤٢هـ / ١٣٤٢م) ، التعريف بالمصطلح الشريف ط. القاهرة ١٣١٢هـ.

الغزالى (أبو حامد ت ٥٠٥هـ / ١١١١م) ، مشكاة الأنوار ، تحقيق أبو العلا عفيفى، ط. القاهرة .

الفتح البندارى (الفتح بن على بن محمد ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م)، سنا البرق الشامى، تحقيق فتحية النبراوى ، ط. القاهرة ١٩٧٩م.

القاضى الفاضل (ت٥٨٧هـ/ ١١٩١م) ، ديوان القاضى الفاضل.، تحقيق أحمد أحمد بدوى ، ط. القاهرة، إنشاءات القاضى الفاضل ، تحقيق فتحية النبراوى، ط. القاهرة ١٩٨٠م.

القزوينى (زكريا بن محمد ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) ، آثار البلاد وأخبار العباد. ط. بيروت ١٩٦٠م.

القفطى (جمال الدين أبو الحسن ت ٦٤٦هـ / ١٢٥١م) ، إنباه الرواه ، تحقيق أبو الفضل، ط. القاهرة ١٩٥٢م.

القلقشندى (أبو العباس أحمد ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، صبح الأعشى فى صناعة الانشاء، ط. القاهرة مآثر الانافة فى معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط. بيروت ب-ت .

الكتاب المقدس ، ط . القاهرة ب-ت .

الماوردى (أبو الحسن على ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية ، ط. القاهرة ب-ت.

المبشر بن فاتك ، مختار الحكم ومحاسن الكلم ، تحقيق عبد الرحمن بدوى ، ط. بيروت ١٩٥٨م ، ط . القاهرة ب-ت.

مجموعة الوثائق الفاطمية ، م (١) ، نشر جمال الدين الشيال ، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

مجهول (ت بعد عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) ، تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق زترشتين ، ط. ليدن ١٩١٩م.

مجهول (رحالة مراكشي يرجع إلى ق ٦هـ / ١٢م) ، الإستبصار فى عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، ط. الاسكندرية ١٩٥٨م .

مجهول ، حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، ت. عن الفارسية وتحقيق يوسف الهادى ، ط . القاهرة ٢٠٠٢م.

مسلم (أبو الحسين مسلم ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م) ، صحيح مسلم ، ط. القاهرة ب-ت .

المقرى ، نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب، ط. القاهرة ١٩٤٩م.

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق محمد حلمى محمد، ط. القاهرة ١٩٧١م، ط. القاهرة ١٩٩٦م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ط. بولاق ١٢٧٠هـ ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ق١ / ج١ ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، ط. القاهرة ١٩٣٦م ؛ إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، ط. القاهرة .

النابلسى (أبو عثمان الصفدى ت ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) ، لمع القوانين المضيئة فى دواوين الديار المصرية ، تحقيق كلود كاهن مجلة الدراسات الشرقية ، العدد (١٦)، لعام ١٩٥٨- ١٩٦٠م . . B.E.O., T. XVI, Année 1958- 1960 ، تجريد سيف الهمة لإستخراج ما فى ذمة أهل الذمة ، تحقيق كلود كاهن ، مجلة الدراسات الشرقية ، لعام ١٩٥٨-١٩٦٠م.
B.E.O., T. Année 1958-1960 .

ناصر خسرو (ناصر خسرو علوى ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م)، سفر نامه ، ت. يحيى الخشاب ، ط. القاهرة ١٩٤٥م، ط. بيروت ١٩٨٣م.

النعمان بن حيون (القاضى أبو حنيفة ت ٣٩٣هـ / ٩٧٢- ٩٧٣م) ، دعائم الاسلام تحقيق فيظى ، ط. القاهرة ١٩٥١م، تأويل الدعائم ، تحقيق فيظى ، ط . القاهرة ، كتاب الاقتصاد ، تحقيق وحيد ميرزا ، ط. دمشق ١٩٥٣م.

النعيمي (محيي الدين ت ٩٢٧هـ / ١٥٥٠م) ، الدارس فى تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسنى، ط. دمشق ١٩٤٨م .

الواسطي المقدسي (أبوبكر محمد بن أحمد ت ق٥ هـ / ١١م) ، فضائل البيت المقدسي تحقيق إسحق حسون ، معهد الدراسات الآسيوية والافريقية - الجامعة العبرية بالقدس ، ط. القدس ١٩٧٩م .

وليم الصورى ، (رئيس أساقفة صور ت ١١٨٦م، تاريخ الحروب الصليبية ت- سهيل زكار، ط. دمشق ١٩٩٠م، ت. حسن حبشى ٤ أجزاء ، ط. القاهرة ١٩٩١-١٩٩٥م.

الوهرانى (ركن الدين محمد ت ٥٧٥هـ / ١١٧٩م) ، منامات الوهرانى ومقاماته ورسائله تحقيق محمد نغش وإبراهيم شعلان ، ط. القاهرة ١٩٦٧م .

الهروى (أبو الحسن على بن أبى بكر ت ٦٢١هـ / ١٢١٥م) ، مقتطفات من رحلته نشر تشارلز شيفر Charles Schefer A.O.L.T.I, Année 1881، الاشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق جاكلين سورديل ، ط. دمشق ١٩٥٣م.

اليافعي (أبو محمد عبدالله ت ٧٦٨هـ/ ١٣٠٨م) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ط. حيدر آباد الدكن ١٣٤٨هـ .

ياقوت الحموى (شهاب الدين بن أبى عبدالله ت ٦٧٦هـ/ ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، تحقيق ستنفيلد ،ط. ليبزج ١٨٨٩م ، ط. بيروت ب-ت . ط. بيروت ١٩٥٥م،، ط. بيروت ١٩٧٩م، ط. بيروت ١٩٩٧م ؛ المشترك وضعًا والمفترق صقعًا، ط. بيروت ؛ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب أو معجم الأدباء ، تحقيق فريد رفاعى ، ط. القاهرة ١٩٣٦-١٩٣٨م .

اليزدى (محمد بن أحمد ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) ، العراضة فى الحكاية السلجوقية ، ت. عبد المنعم محمود، ط. بغداد ١٩٧٩م.

اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م) ، كتاب البلدان، تحقيق دى جويه ، ط. ليدن ١٩٦٧م.

اليونينى البعلبكى (قطب الدين موسى ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) ، ذيل مرآة الزمان ، ط. حيدر آباد الدكن، ١٩٥٤م.

ثالثا : المصادر الفارسية

ميرخوند ، تاريخ روضة الصفا ، جلد دوم ، ط. تهران ١٣٣٣هـ .

رابعًا : المصادر الأجنبية

- Albert d'Aix, in R. H.C., Hist Occ., T. IV, Paris 1879 .
- Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion, trans .by Hubert , New York 1943 .
- Anna Comnena, The Alexiad , in peters, The First Crusade , the Chronicles of Fulcher of Chartres and other source materials , Philadelphia 1971.
- Anonymous Syriac Chronicle , The First and Second Crusade, Trans. by Tritton , and H. Gibb, J.R.A.S., vol .92, 1933 .
- Anonymous, The Deeds of the Franks and other pilgrims to Jerusalem, Trans. by R. Hill, London 1962 .
- Annales Regni Francorum , in loyn and percival, The Reign of Charlemagne Documents on Carolingian goverment and administration, London 1975 .
- Arculf, The Pilgrimage of Arculf in the Holy Land, Trans. by J.R. Macepherson, P.P.T.S., vol III, London 1895 .
- Baldric of Dol, in Peters, The First Crusade chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials , Philadelphia 1971 .
- Bernard of Clairvaux, The Letters of St. Bernard of Clairvaux Trans. by Bruno Scott. James, Institute of Cistercian Studies, Western Michegan University 1988 .
- Bernard The Wise , How The City of Jerusalem is Situated, Trans . by J.H. Bernard, P.P.T.S., vol III, London 1893 .
- Bertran de Born , The Poems of The Troubadour Bertran de Bon, California 1986.
- Burchard of Montsion, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., vol . VII, Lon-

don 1896 .
- Chronicle of the Third Crusade , A Translation of itenerarium Peregrinorum et Gesta Regis Ricardi, Trans. by Helen Nicholson , London 1997 .
- Daniel , Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land , Trans. by Wilson P.P.T.S., vol .IV , London 1895 .
- Einhard, vita Caroli Magni, Trans. by Lewis Thrope in Two Lives of Charlemagne by Eingard and Notker The Stammerer, London 1969 .
- Ernoul, Ernoul's Account of Palestine , Trans . by C.R. Conder , P.P.T.S., vol VI, London 1896 ; Chronique d'Ernoul et Bernard le Tresorier , ed. Mas Latcrie, Paris 1971 .
- Fetellus, Description of the Holy land, Trans , by J.R. Macpherson, P.P.T.S., vol .V , London 1897 .
- Fulcher of Chartres, A History of the expedition to Jerusalm, Trans. by Rita Rian , Tenness, 1967 , in Peters, The First Crusade , Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials , Philadelphia 1971 .
- Geoffrey of Vinsauf, Crusade of Richard Coeur de Lion in Chronicles of The Crusades , London 1908 .
- George of Lydda, The Patron Saint of England , Astudy of the cult of St George in Ethiophia, Trans. by Sir Wallis Budge, London 1930 .
- Guide Book to Jerusalem , Trans. by . J.H. Bernard, P.P.T.S., vol . VI , London 1894 .
- Guilbert of Nogent , in Peters, The First Crusade, Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials , Philadelphia 1971 .
Guillaume de Nangis, les Gestes de Philippe Auguste , Extrait des Grandes Chroniques de Frans, R.H.G., F.T. XVII .
- Jacques de Verone , le pelerinage du Moine Augustin Jacques de Verone , ed.par Rohricht , R.O.L., T.III, Année 1895 .

- Jean de Joinville, in chronicle of the Crusades, Trans. by M.R.B. Shaw, Lodon 1976.
- Joannes Phocas, A Brief Description of the Holy land Trans. byAubrey Stewart, P.P.T.S, vol V, London 1896.
- Ludolph von Suchem, Description of the Holy Laud , Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., vol XII, London 1895.
- Marino Sanuto, Secrets for True Crusaders to help them to recover the Holy land Trans. by Aubrey Stewart P.P.T.S., vol. VII, London 1896.
- Nicetas Choniates City of Byzantium Annales of Nicetas Chonitas, Trans. by Harry Magolias, Wayne State University Detroit 1984.
- Odo of Deul, De Profectione Ludoviti VII in Orientem, Trans by V.G. Berry, Colombia MCMXLVIII.
- Oliver of Padenborn, The Capture of Damietta, Trans. by John Cavigan, Philadelphia 1948.
- Otto of Freising, The Deeds of Frederick Barbarossa, Trans. by Charles Christopher Microw, Toronto 1966.
- Otto of St. Blasion, The Third Crusade from the Chronicle of Otto of St. Blasion, in Thatcher, Source Book of Medieval Historym, New York 1905.
- Petachia of Ratisbon , Tour du Monde, Ou voyage de Rabbi Petachia ", J.A., T.VIII Année 1831.
- Philip of Navarra," The Crusade of Frederick II from Philip of Navarra", in peters, (ed.) Christian Society and the Crusade 1198-1229, Sources in Translation including the Capture of Domietta by Oliver of Paderborn Pennsylvania 1971.
- Psellus, Chronographia, in Ashour and Rabie, Fifty documents in Medieval History, Cairo 1971.
- Prima, Chronique de Prima, R.H.G.F., T.XXIII.

- Raymond d' Aguilers , Historia Francorum qui cepetunt Iherusalem, Trans . by John, Hugh Hilland Laurita Hill, Philadelphia 1968 .
- Robert Clari, The Conquest of Constantinople , Trans by E.H. McNeal, New York 1936 .
- Robert The Monk , in Peters. The First Crusade, The Chronicle of Fulcher of Chartres and other Source materials , Philadelphia 1971 .
- The Chronicle of Solomon Bar Simson , Trans and ed. by Eidelberg, The Jews and the Crusaders , Wisconson 1977 .
- The Chronicle of Rabbi Eliezer Bar Nathan, Trans. and ed. by Eidelberg, The Jews and the Crusaders, Wisconson 1977 .
- The Narrative of the Old Persecution , Trans. and ed. by Eidelberg, The Jews and the Crusaders , Wisconson 1977 .
- The Old French Continuation of William of Tyre 1194-1197 , in The Conquest of Jerusalem and The Third Crusade , Sources in Translation , ed. by P.W. Edbury , Hampshire 1996 .
- The City of Jerusalem , Trans. by CR. Conder , P.P.T.S., vol VI , London 1894 .
- The Saga of Sigurd The Crusader in Wright , Early Travels in Palestine , London 1848 .
- Villeharduin, The Conquest of Constantinople in Chronicles of the Crusades, Trans. by M.R.B.Shaw, London 1963 .
-William of Tyre, A History of deeds done beyond The Sea, Trans . by E.A. Babcock and B. Krey, New York 1943 .
- William of Poitiers, Deeds of Duke William , in Houts, The Normans in Europe, Manchester 2000.
- William Rutebeuf , in Masson, Medieval France From the reign of Hugues Capet to The Beginning of the Sixteenth Century ,London 1888 .

خامساً ، المراجع العربية والمعربة

آدم سميث ، الجغرافيا التاريخية للأرض المقدسة ، ط. بيروت ب-ت .

آمال هاشم (د.) ، بانياس الداخلية ودورها في الصراع الإسلامي - الصليبي عصر الحروب الصليبية ١٠٩٥- ١٢٩١م / ٤٥٧- ٦٩٠هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٣م، المرقب وقلعتها ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر الحروب الصليبية ١٠٩٥ - ١٢٩١م / ٤٨٧- ٦٩٠هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٧م .

إبراهيم بيضون (د.) ، الصراع على الشام في عصر الأيوبيين والمماليك تحديات الهوية وانقلابية التاريخ ، ط. بيروت ٢٠٠٦م .

إبراهيم خليل (د.) ، «كربوغا صاحب الموصل ودوره في مقاومة الصليبيين»، المؤرخ العربي، العدد (٥)، عام ١٩٧٩م .

إبراهيم خميس (د.) ، جماعة الفرسان الداوية وعلاقاتهم السياسية بالمسلمين في الشرق الأدنى حتى نهاية حكم صلاح الدين ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٠م، العلاقات السياسية بين جماع فرسان الداوية والمسلمين في مصر والشام ١١٩٣- ١٢٩١م / ٥٨٩- ٦٩٠هـ ، رسالة دكتوراه غير منشور ، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م ، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية جماعة الفرسان الداوية ، ط . الاسكندرية ٢٠٠٢م.

إبتسام مرعي خلف الله (د.) ، العلاقات بين الخلافة الموحدية والشرق الإسلامي ٥٢٤- ٩٣٦هـ / ١١٣٠ - ١٥٢٩م ، ط. الاسكندرية ١٩٨٥م.

إبراهيم أيوب (د.) ، التاريخ الفاطمي الإجتماعي ، ط . بيروت ١٩٩٧م.

إبراهيم الجندي (د.) ، «فلسطين في عيون الرحالة الأوربيين» ، المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية ، م (١) ، العدد (٣) ، كانون الثاني ٢٠٠٣م.

إبراهيم سعيد فهيم (د.) ، «جي دي لوزينيان وصلاح الدين الأيوبي بين الحرب والسلام»، ضمن كتاب بحوث في تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكاري للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م .

ابراهيم طرخان (د.) ، صلاح الدين وتحرير القدس ، ط. القاهرة ١٩٦٨م.

إبراهيم عوض (د.) ، رحلة ابن جبير دراسة فى الأسلوب ، ط. القاهر ١٩٩٢م.

إبراهيم قرغلى (د.) ، الحركة التاريخية فى مصر وسوريا خلال القرن السابع الهجرى ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

إبراهيم القادرى بوتشيش (د.) ، تاريخ الغرب الإسلامى قراءات جديدة فى بعض قضايا المجتمع والحضارة ، ط. بيروت ١٩٩٤م.

إبراهيم ياسين الخطيب ، القدس بين أطماع الصليبيين وتفريط الملك الكامل الأيوبى ، ط. عمان ٢٠٠١م.

أبو الحسن الندوى ، مختارات من أدب العرب ، ج١، ط.جدة ١٩٧٨م .

أبو العلا عفيفى (د.) ، «أثر الغزالى فى توجيه الحياة الفكرية والروحية فى الإسلام» ، ضمن أعمال مهرجان الغزالى، ط. دمشق ١٩٦١م.

أبو الفرج العش ، آثارنا فى الإقليم السورى ، ط. دمشق ١٩٦٠م.

أبو الوفا التفتازانى (د.) ، التصوف الإسلامى ، ط. القاهر ١٩٧٨م.

أجفان الصغير ، القلاع فى فترة الحروب الصليبية ودورها الاقتصادى والاجتماعى والإدارى عند المسلمين فى بلاد الشام. رسالة ماجستير ، كلية الآداب - جامعة دمشق عام ١٩٩٥م .

إحسان عباس ونجم (د.) ، ليبيا فى كتب الجغرافيا والرحلات ، ط. بنى غازى ١٩٦٨م.

أحمد أحمد بدوى (د.) ، القاضى الفاضل دراسة ونماذج ، ط. القاهرة ١٩٥٩م، الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية فى مصر والشام ، ط. القاهرة ب-ت ، الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، ط. القاهرة ١٩٦٠م ، صلاح الدين الأيوبى بين شعراء عصره وكتابه، ط. القاهرة ١٩٦٠م.

أحمد بدر (د.) ، «الأندلسيون والمغاربة فى الأندلس» ، مجلة أوراق المعهد الأسبانى العربى، العدد (٤) ، مدريد ١٩٨١م .

أحمد بيلى (د.) ، حياة صلاح الدين الأيوبى ، ط. القاهرة ١٩٢٠م، ط. القاهرة ١٩٤٦م.

أحمد أمين ، الصعلكة والفترة فى الإسلام ، ط . القاهرة ١٩٥٣م .

أحمد حطيط (د.) ، «تجارة البحر الأحمر فى زمن صلاح الدين الأيوبى ، مساهمة فى دراسة التاريخ الاقتصادى الاسلامى الوسيط» ، دراسات إسلامية ، عدد (٥) ، عام ١٩٩٤-١٩٩٥م .

أحمد محمد أحمد (د.) ، «فقه التاريخ وإنتصارات صلاح الدين» ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد (٥٩) ، السنة (٥) صيف ١٩٩٧م.

أحمد الحوفى (د.) ، الجاحظ ، ط. القاهرة ١٩٨٠م .

أحمد الخشاب (د.) ، التفكير الاجتماعى، ط. بيروت ١٩٨١م.

أحمد رمضان (د.) ، شبه جزيرة سيناء فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٧م، المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٧٧م، الرحلة والرحالة المسلمون ، ط. جدةب-ت ، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى - الحروب الصليبية، ط. القاهرة ب-ت ، «المسجد الأموى بدمشق بين الحقيقة والأسطورة- كما جاء فى تاريخ ابن عساكر» الدارة، العدد (٤) ، السنة (٥) ، عام ١٩٨٠م .

أحمد زياد ، جماليات المكان فى رسالة أبى العلاء المعرى، ندوة أبى العلاء المعرى ، ج٢ ، ط. معرة النعمان ١٩٩٧م.

أحمد سويلم ، «مصرية تقود ثورة النساء والرجال من أجل الخبز» ، ضمن كتاب عظماء أغفلهم التاريخ ، ط. القاهرة ١٩٩٦م .

أحمد الشامى (د.) ، «دراسة مخطوط الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن القرات الحنفى» ، الدارة، العدد (٢) ، السنة (٧) ، المحرم ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

أحمد شلبى (د.) ، الجهاد والنظم العسكرية ط. القاهرة ١٩٧٧م ، تاريخ التربية الإسلامية ط. القاهرة ١٩٧٧م.

أحمد عارف الزين ، تاريخ صيدا ، ط. صيدا ١٣٣١هـ .

أحمد عبد الجواد الدومى ، صلاح الدين الأيوبى الناصر لدين الله، ط. صيدا، ب-ت ، ط. بيروت ٢٠٠٤م.

أحمد عبد الرازق (د.) ، «عقد مراجعة من العصر الفاطمى» ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط م (٢) ، عام ١٩٨٣م ، مصر الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٨٤م .

أحمد عبد الغفار ، أدب الفكاهة عند الجاحظ ، ط. القاهرة ١٩٨٢م.

أحمد عبد الكريم الحلوانى ، ابن عساكر ودوره فى الجهاد ضد الصليبيين فى عهد الدولتين النورية والصلاحية ، ط . دمشق ١٩٩١م .

أحمد عبدالله أحمد ، التجارة في الساحل الشامي في القرنين ٦ ، ٧ هـ / ١٢ ، ١٣م رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٥م.

أحمد عطية الله ، صلاح الدين الأيوبى ط. القاهرة ب-ت .

أحمد فؤاد سيد (د.) ، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بنى أيوب ٥٦٧-٦٤٨هـ ، ط. ٢٠٠٢م .

أحمد فاروق رضوان (د.) ، الاسكندر الأكبر ، دراسة تحليلية لمؤثراته الحضارية ، ط. المنصورة ٢٠٠٦م.

أحمد فكرى (د.) ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج٢ ، العصر الأيوبى، ط. القاهرة ١٩٦٩م.

أحمد قدرى الكيلانى ، الملك العالم أبو الفداء والملوك الأيوبيين فى مملكة حماه ، ط. حماه ٢٠٠٠م.

أحمد كمال زكى ، الجاحظ، ط. القاهرة ١٩٦٧م ، فارس الفرسان ، ط. القاهرة ب-ت ، الأساطير دراسة حضارية، ط. القاهرة ١٩٨١م.

أحمد محمد عدوان ، العسكرية الاسلامية فى العصر المملوكى ، ط. الرياض١٩٨٥م.

أحمد محمود الحسن ، الجولان تاريخ وجذور دراسة جغرافية سياسية ثقافية ، ط. دمشق ٢٠٠٦م .

أحمد محمود الأحمد ، السنوات الأخيرة من حياة صلاح الدين، ط. دمشق ١٩٧٩م .

أحمد مختار العبادى (د.) ، قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام ، ط. بيروت ١٩٦٩م، «البحرية المصرية زمن الأيوبيين والمماليك» ، ضمن كتاب تاريخ البحرية المصرية، ط. الاسكندرية ١٩٧٢م، فى التاريخ الأيوبى والمملوكى ط. الاسكندرية ١٩٩٢م .

أحمد نشاطى العقباوى، البحرية الإسلامية فى مصر والشام فى العصر الأيوبى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩م.

إدوارد براون ، تاريخ الأدب فى إيران من الفردوس إلى السعدى ، ت. الشواربى، ط. القاهرة ١٩٥٤م.

أديب سليمان باغ ، الجولان دراسة فى الجغرافية الإقليمية، ط. دمشق ١٩٨٣م .

أرثركورتل ، قاموس أساطير العالم، ت. سهل الطريحى، ط. بيروت ١٩٩٣م.

أرشاك بولاديان ، الأكراد من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادى وفق المصادر العربية، ط. دمشق ٢٠٠٤م، مسألة أصل الأكراد فى المصادر العربية ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط. أبوظبى ٢٠٠٤م.

أرشيد يوسف (د.) ، سلاجقة الشام والجزيرة فى الفترة ما بين ٤٣٥- ٥٧٠هـ ، ط. الرياض ١٩٨٨م.

إرنست باركر ، الحروب الصليبية ، ت. السيد الباز العرينى ، ط . القاهرة ١٩٦٠م، ط. بيروت ١٩٦٧م.

أسامة زكى زيد (د.) ، الصليبيون وإسماعيلية الشام فى عصر الحروب الصليبية (القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى ، ط. الاسكندرية ١٩٨٠م، صيدا ودورها فى الصراع الصليبى الاسلامى، ط. الاسكندرية ١٩٨١م.

أسامة سيد على (د.) ، الساحل الشامى فى القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب - جامعة عين شمس ، عام ١٩٩٢م.

أسامة طلعت عبد النعيم ، أسوار صلاح الدين وأثرها فى إمتداد القاهرة حتى عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآثار- جامعة القاهرة ، عام ١٩٩٢م.

أسامة نعيرات (د.) ، إقطاعية بيسان ودورها فى الصراع الإسلامى الفرنجى ٤٩٢-٦٩٠هـ / ١٠٩٩-١٢٩١م ، ط . القاهرة ٢٠٠٢م.

إسحق عبيد (د.) ، روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتينى لمدينة قسطنطين، ط . القاهرة ١٩٧٠م ، الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، ط. القاهرة ١٩٧٢م، الفرسان والأقنان فى مجتمع الإقطاع ، ط. بنى غازى ١٩٧٥م.

أسد رستم (د.) ، الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، ج٢ ، ط. بيروت ١٩٥٦م.

إسرائيل ولفنسون ، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته ، ط. القاهرة ١٩٣٦م.

إسماعيل سرور ، «الطب العربى فى نظر العلماء والمؤرخين»، مجلة العرب والعالم السنة (١٥) ، العدد (٥٩) ، (٦٠) ، أكتوبر ١٩٨٣م.

إسماعيل نورى الربيعى (د.) ، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، ط. عمان ٢٠٠٢م .

اسمت غنيم (د.) ، «معركة مانزكرت فى ضوء وثائق بسللوس» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية ، عدد عام ١٩٨١م، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ٣٢٤- ١٤٥٣، ط. الاسكندرية ١٩٨٧م.

إلياس ديب ، العقود الدرية فى تاريخ المملكة السورية ، ط. بيروت ١٨٧٤م.

إلياهو أشتور ، التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ت. عبد الهادى أبوعبلة ، ط. دمشق ١٩٨٥م.

اليكس جورافسكى ، الإسلام والمسيحية ، ت. خلف محمد الجراد ، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٩٦م.

أمين توفيق الطيبى (د.) ، «وقعتا حطين والأرك نصران متوازيان ضد الغزاه الصليبيين فى الشرق والغرب»، مجلة البحوث التاريخية السنة، (١٠) ، العدد (١) يناير ١٩٨٨م .

أمين معلوف ، الحروب الصليبية كما رآها العرب ، ت. عفيف دمشقية ، ط. بيروت ١٩٨٩م.

أمينة الشوربجى (د.) ، رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى ٣٥٨- ٥٦٧هـ / ٩٦٩- ١١٧١م، ط. القاهرة ١٩٨٦م.

أنتونى بردج ، الحروب الصليبية ، ت. محمد غسان سبانو ، ط. دمشق ١٩٨٥م .

أنخيل بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ت. حسين مؤنس ، ط. القاهر ١٩٥٥م.

أنور عبد العليم (د.) ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، سلسلة عالم المعرفة ١٩٧٩م.

أنيس المقدسى (د.) ، تطور الأساليب النثرية فى الأدب العربى، ط. بيروت ١٩٩٨م.

أهيف سنو ، «الحياة الثقافية والأدبية فى عهد صلاح الدين» ، دراسات إسلامية ، عدد (٥) ، عام ١٩٩٤- ١٩٩٥م.

أيمن فؤاد سيد (د.) ، الدولة الفاطمية تفسير جديد ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

أيمن نور الدين عمر ، الأطماع الاسرائيلية المعاصرة فى الحياة العربية ١٩١٨- ٢٠٠٠م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الامام الأوزاعى ببيروت عام ٢٠٠٤م.

بدوى فهمى (د.) ، العامة ببغداد فى القرن الخامس هـ ، ط. بغداد ١٩٦٧م.

برنار لازار (د.) ، مناهضة السامية تاريخها وأسبابها ، ت. مارى شهرستانى، ط. دمشق ٢٠٠٤م.

برنارد لويس ، الدعوة الإسماعيلية الجديدة أو الحشيشية ، ت. سهيل زكار ، ط. بيروت ١٩٧١م.

برهان العابد ، «إرناط الفارس اللص» ، مجلة تاريخ العرب والعالم . العدد (١١٩) ، (١٢٠) ، سبتمبر - أكتوبر ١٩٨٨م.

بسام العسلى ، صلاح الدين الأيوبى ، ط. بيروت ١٩٧٨م، نور الدين القائد ، ط. بيروت ١٩٨٨م، فن الحرب الإسلامى أيام الحروب الصليبى ، ط. بيروت ١٩٩٨م.

بول غليونجى (د.) ، عبد اللطيف البغدادى طبيب القرن السادس، ط. القاهرة ١٩٨٥م.

بيتر إدبيورى ، قبرص والحروب الصليبية ، ط. قبرص ١٩٩٧م.

تركى على الربيو «الأسطورة العالمية فى الاستراتيجية الرشدية ، مضمون الأسطورة فى الخطاب الجابرى» ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد (٥) ، شتاء ٢٠٠٢م.

توفيق أحمد عبد الجواد ، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية ، ج٣، ط. القاهرة ١٩٧٠م.

توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ت. حسن إبراهيم وعابدين ، ط. القاهرة ١٩٧٠م.

توماس بوا ، تاريخ الأكراد، ت. محمد تيسير ميرخان ، ط. دمشق ٢٠٠١م.

تيسير بن موسى ، نظرة عربية على غزوات الافرنج من بداية الحروب الصليبية حتى وفاة نور الدين محمود ، ط. ليبيا ب-ت .

تيسير خلف ، الجولان فى مصادر التاريخ العربى حوليات وتراجم، ط. دمشق ٢٠٠٥م .

تيسير شيخ الأرض ، الغزالى ، ط. بيروت ١٩٦٠م.

ثابت عبد الرحمن إدريس (د.) ، التفاوض مهارات واستراتيجيات ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م.

ثروت عكاشة (د.) ، تاريخ الفن العين تسمع والأذن ترى القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٩٤م.

جارسان ، إزدهار وانهيار حاضرة مصرية قوصل ، ت. بشير السباعى ط. القاهرة ١٩٩٧م.

جاسم يونس الحريرى (د.) ، دور القيادة الكارزمية ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط. أبوظبى ٢٠٠٣م.

جاك تاجر ، أقباط ومسلمون ، ط. القاهرة ١٩٥١م.

جان سوفاجيه وكلودكاهن ، مصادر دراسة التاريخ الإسلامى ، ت. عبد الستار حلوجى وعبد الوهاب عزام المشروع القومى للترجمة ، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

جان فلورى ، الحرب المقدسة الجهاد الحرب المقدسة العنف والدين فى المسيحية والاسلام ، ت. غسان مايسو ، مراجعة جلال شحاده ، ط. بيروت ٢٠٠٤م.

جرار ديجورج ، دمشق من عصور ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية، ت . محمد رفعت عواد، ط. القاهرة ٢٠٠٦م.

جزيل عبد الجبار الجومر (د.) ، وناصر عبد الرازق الملا جاسم (د.) ، «سيرة صلاح الدين الأيوبى فى الدراسات الاستشراقية الناطقة بالانجليزية »، مؤتة للبحوث والدراسات ، م(١٣) ، عدد (٧) ، عام ١٩٩٨م.

جلال حسنى سلامة (د.) ، عكا أثناء الحملة الصليبية الثالثة، ط . نابلس ١٩٩٨م.

جلوب ، الفتوحات العربية ، ت. خيرى حماد ، ط. بيروت ب-ت.

جليل أبو الحب ، نقول الجاحظ، من أرسطو فى الحيوان، ط. بغداد .

جمال الدين الألوسى (د.) ، أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية، ط. بغداد ١٩٦٧م.

جمال الدين الرمادى (د.) ، صلاح الدين الأيوبى ، ط. القاهرة ١٩٥٨م، الأمن والسلام

فى الإسلام ، ط. القاهرة ١٩٦٣م ، صلاح الدين الأيوبى، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

جمال الدين سرور (د.) ، دولة الظاهر بيبرس ، ط. القاهرة ١٩٦٠م.

جمال الدين الشيال (د.) ، مجمل تاريخ دمياط ، ط. القاهرة ١٩٤٩م، «الجاسوسية فى حروب بنى أيوب» ، ضمن كتاب دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ط. بيروت ١٩٦٤م، تاريخ مصر الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٦٧م، «ابن عنين الشاعر الوحيد الذى هجا البطل صلاح الدين ٥٤٩-٦٣٠هـ» ، ضمن كتاب دراسات فى التاريخ الإسلامى، ط. بيروت ١٩٦٤م ، «شاعر من البيت الأيوبى يموت فى سن الشباب» ، ضمن كتاب دراسات فى التاريخ الاسلامى ، ط. بيروت ١٩٦٤م.

جمال الدين محمود (د.) ، الإسلام وقضية السلام والحرب ، ط. القاهرة ١٩٨٠م .

جمال محمد الزنكى (د.) ، مؤيد الدين ياغى سيان صاحب أنطاكية والحملة الصليبية الأولى ٤٤٧-٤٩١هـ / ١٠٨٥-١٠٩٨م، حوليات كلية الآداب- جامعة الكويت، الحولية (١٨) ، الرسالة (١٢٦) ، عام ١٩٩٧-١٩٩٨م، «المؤرخ وليم الصورى فى ميزان النقد التاريخى» ، المجلة العربية للعلوم الانسانية العدد (٨٥)، السنة (٢٢) ، شتاء ٢٠٠٤م.

جمال طه (د.) ، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى فى العصر الإسلامى (عصرى المرابطين والموحدين) ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م .

جمال فوزى محمد عمار (د.) ، التاريخ والمؤرخون فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ٥٢١- ٦٦٠هـ، ط. القاهرة ٢٠٠١م.

جمال محمد سالم ، فقهاء الشام فى مواجهة الغزو الصليبى ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م.

جمعه الجندى (د.) ، حياة الفرنج ونظمهم فى الشام خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر، دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٥م، الاستيطان الصليبى فى فلسطين ، ط. القاهرة ٢٠٠٦م .

جميل جمول (د.) ، حلب والحروب الصليبية ٤٩١هـ / ١٠٩٨- ٥٧٩هـ / ١١٨٣م ، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة دمشق عام ٢٠٠٠م.

جميل حرب محمود ، الحجاز واليمن فى العصر الأيوبى، ط. جدة ١٩٨٥م .

جميل صليبيا (د.) ، المعجم الفلسفى ، ط. بيروت ١٩٧١م.

جميل العسلى (د.) ، مخطوطات فضائل بيت المقدس دراسة وببليوغرافيا ، ط. عمان ١٩٨٤م.

جنثياف شوڤيل ، صلاح الدين بطل الإسلام ، ت. جورج أبى صالح ، ط. دمشق ١٩٩٢م.

جواهر لال نهرو ، لمحات من تاريخ العالم ، ت. مجموعة من الباحثين ، ط. بيروت ١٩٩٧م.

جورج طرابيش (د.) ، معجم الفلاسفة المناطقة المتكلمون اللاهوتيون المتصوفة ، ط. بيروت ١٩٨٧م.

جورجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية، م٢ / ج٣ ، ط. بيروت ١٩٨٢م.

جوستاف لوبون ، سيكولوجية الجماهير ، ت. هاشم صالح ، ط. بيروت ١٩٩٧م.

جوزيف نسيم يوسف (د.) ، الدافع الشخصى فى قيام الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، م (٢٦) ، عام ١٩٦٣م ، الوحدة وحركات اليقظة العربية، ط. بيروت ١٩٨١م، فى تاريخ الحركة الصليبية، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م، هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل ، ط. القاهرة ب-ت ، العدوان الصليبى على مصر، ط. الاسكندرية ١٩٦٧م، «معركة حطين خلفياتها ودلالاتها عالم الفكر، م (٢٠)، العدد (١) ، أبريل - مايو - يونيو عام ١٩٨٩م.

جوناثان رايلى سميث ، الإسبتارية فرسان القديس يوحنا فى بيت المقدس وقبرص ١٠٥٠-١٣١٠ ، ت. صبحى الجابى، ط . دمشق ١٩٨٤م .

جى لسترانج ، بلدان الخلافة ويشير فرنسيس ، ط. بيروت ١٩٨٥م.

جيمس دورثى، الماجنا كارتا (المعهد الأعظم) ، ت. مصطفى طه ، ط. القاهرة ١٩٦٥م .

جيرارد ديرنبرج ، أسس التفاوض ، ت. حازم عبد الرحمن، ط. القاهرة ١٩٩٨م .

جيرارد زلنجر ، «الفتوة هل هى الفروسية الشرقية» ، ضمن كتاب دراسات إسلامية، ت . مجموعة من الباحثين بإشراف نقولا زيادة ، ط. بيروت ١٩٦٠م.

جيمس رستون (الابن) ، مقاتلون فى سبيل الله صلاح الدين الأيوبى وريتشارد قلب الأسد والحملة الصليبية الثالثة، ت. رضوان السيد ، ط . الرياض ٢٠٠٢م.

حاتم الطحاوى (د.) ، «الصليبيون يدخلون القدس» ، العربى، العدد (٤٩٥) فبراير ٢٠٠٠م.

حامد زيان (د.) ، العلاقات بين صقلية ومصر والشام إبان الحروب الصليبية ، رسالة دكتوراه منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٣م، الإمبراطور فردريك بارباروسا والحملة الصليبية الثالثة ، ط. القاهرة ١٩٧٧م ، دراسات فى تاريخ العالم الإسلامى فى العصور الوسطى ، ط . القاهرة ٢٠٠٦م.

حامد غنيم (د.) ، الجبهة الإسلامية فى عصر الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٧٢ .

حامد محمد عيسى (د.) ، المشكلة الكردية فى الشرق الأوسط ، ط. القاهرة ١٩٩٢م.

حبيب جاماتى ، تاريخ ما أهمله التاريخ الناصر صلاح الدين، ط. القاهرة ١٩٦٣م.

حسن إبراهيم (د.)، تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ط. بيروت ب-ت ، الفاطميون فى مصر ، ط. القاهرة ١٩٣٢م.

حسن الباشا (د.) ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، ط . القاهرة ب-ت ، الألقاب الإسلامية، ط. القاهرة ١٩٧٥م.

حسن الأمين (د.) ، «صلاح الدين الأيوبى نظرة مختلفة» ، العربى ، العدد (٤٤٢) ، سبتمبر ١٩٩٥م، صلاح الدين بين العباسيين والفاطميين والصليبيين، ط. بيروت ١٩٩٥م.

حسن بيوض ، التوظيف القرآنى فى رسالة الغفران ، ضمن كتاب ندوة أبى العلاء المعرى، ج٢، معرة النعمان ١٩٩٧م ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.

حسن حبشى (د.) ، نور الدين والصليبيون ، ط. القاهرة ١٩٤٨م، الشرق الأوسط بين شقى الرحى ، ط. القاهرة ١٩٤٩م، الحرب الصليبية الأولى، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

حسن خالد ، الشهيد فى الإسلام ، ط. بيروت ١٩٨٥م.

حسن شميسانى ، مدارس دمشق فى العصر الأيوبى ، ط. بيروت ١٩٨٣م .

حسن صبحي بكري (د.) ، الاغريق والرومان والشرق الاغريقي الروماني ، ط. الرياض ١٩٨٥م.

حسن عباس ، أسامة بن منقذ ، حياته وشعره ، ط. الاسكندرية ١٩٧٩م .

حسن عباس حسن (د.) ، الصياغة المنطقية للفكر السياسي الإسلامي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة عام ١٩٨٠م.

حسن عبد الوهاب (د.) ، تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة حوالي ١١٩٠-١٢٩١م / ٥٨٦- ٦٩٠هـ ، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م، قيسارية الشام في التاريخ الإسلامي ، ط. الاسكندرية ١٩٩٩م ، «الرشوة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام منذ الحملة الصليبية الأولى حتى سقوط بيت المقدس ١٠٩٥-١١٨٧م / ٤٥٨- ٥٨٣هـ ، ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م، «مصر وأمن البحر الأحمر في عصر الحروب الصليبية» ، ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٧م ، «المحاولات التبشيرية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية ، م (٣٨) ، عام ١٩٩٠م، «الجريمة والعقوبة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام» ، ضمن دراسات في تاريخ الحضارة الأوربية في العصور الوسطى (المجتمع الصليبي في بلاد الشام) ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م، ص٥- ص٦١ ، «دراسة تحليلية لخطاب البابا أوربان الثاني في كليرمون» ، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، العدد (٥١) ، عام ٢٠٠١- ٢٠٠٢م.

حسن على حسن (د.) ، العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين» ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، م (١٢) ، عام ١٩٧٨م .

حسن محمد فهيم (د.) ، أدب الرحلات ، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت ١٩٨٩م .

حسن محمود (د.) ومنى حسن محمود (د.) ، تاريخ المغرب والأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة ، ط. القاهرة ١٩٩٩م.

حسن المسحال ، عسقلان في فترة الحروب الصليبية ٤٩٢- ٦٩٠هـ/ ١٠٩٩-١٢٩١م،

رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية الحكومية- غزة عام ١٩٩٩م.

حسن الميمى (د.) ، أهل الذمة فى الحضارة الإسلامية ، ط. بيروت ١٩٩٨م .

حسنين ربيع (د.) ، «البحر الأحمر فى العصر الأيوبى»، ندوة البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة إشراف أ.د. أحمد عزت عبد الكريم، ط. القاهرة ١٩٨٠م. دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ط. القاهرة ١٩٨٧م، ط. القاهرة ١٩٩٥م .

حسن أحمد أمين (د.) ، الحروب الصليبية فى كتابات المؤرخين المعاصرين لها، ط . القاهرة ١٩٨٣م .

حسين الحاج حسن (د.) ، الأسطورة عند العرب فى الجاهلية ، ط. بيروت ١٩٨٨م.

حسين سليمان ، «نبذة تاريخية عن معركة حطين الرمز والعظة ومدخل التحرير»، مجلة لواء الاسلام، العدد (٣) ، سبتمبر ١٩٧٩م.

حسن شعيب ، صلاح الدين الأيوبى قاهر الصليبيين، ط. بيروت ٢٠٠٥م .

حسين عاصى (د.) ، المؤرخ أبوشامة وكتابه الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ط. بيروت ١٩٩١م .

حسين عطية (د.) ، إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول الإسلامية المجاورة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، عام ١٩٨٣م ، إمارة أنطاكية والمسلمون (١١٧١-١٢٦٨م / ٥٦٧-٦٦٦هـ)، ط. الاسكندرية ١٩٨٩م ، «قومون صور» (١١٨٧-١١٨٩م) نشأته وأهدافه ونهايته» ، دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م، «عشر صلاح الدين وأصوله فى غرب أوربا ومملكة بيت المقدس الصليبية» ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية، ط . الاسكندرية ٢٠٠٠م، «المسلمون فى الإمارات الصليبية فى بلاد الشام» ، ضمن أعمال مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى، الفرنجى ، جامعة اليرموك، ط. اربد ٢٠٠٠م.

حسين فهيم (د.) ، الرحلة والرحالة (دراسة إنسانية) ، ط. دبى ١٩٩٧م.

حسين مجيب المصرى (د.)، الأسطورة بين العرب والفرس والترك، دراسة مقارنة، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

حسين مؤنس (د.)، صور من البطولة، ط. القاهرة ١٩٤٨م، نور الدين محمود سيرة مجاهد صادق، ط. القاهرة ١٩٥٩م، ط. القاهرة ١٩٨١م، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط. القاهرة ١٩٩٩م، أطلس التاريخ الإسلامى، ط. القاهرة ١٩٨٧م.

حكمت بك شريف، تاريخ طرابلس الشام من أقدم أزمانها إلى هذه الأيام، ط. طرابلس ١٩٨٧م.

حمد أحمد عبدالله يوسف، صفات نور الدين محمود زنكى وصلاح الدين الأيوبى ونظرة التاريخ لهما، ط. بيروت، المقدس ١٩٨٧م.

حمدى عبد المنعم حسين (د.)، دراسات فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط. الاسكندرية ١٩٩٨م.

حنفى المحلاوى، ملامح التسامح والعنف والارهاب فى الأديان السماوية، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

حياة ناصر الحجى (د.)، السياسة الصليبية للملك الفرنسى لويس التاسع، ط. الكويت ١٩٨٣م

خالد عزب، الفسطاط، النشأة - الإزدهار - الإنحسار، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

خاشع المعاضيدى (د.) الحياة السياسية فى بلاد الشام خلال العصر الفاطمى، ط. بغداد ١٩٧٦م.

خاشع المعاضيدى (د.) وسوادى عبد محمد (د.) ودريد نورى (د.)، الوطن العربى والغزو الصليبى، ط. بغداد ١٩٨٢م.

دائرة المعارف الاسلامية، الترجمة العربية، ط. القاهرة.

دافيد صموئيل مارجليوث، القاهرة وبيت المقدس ودمشق، ت. خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، ط. دمشق ٢٠٠٠م.

دى بور، تاريخ الفلسفة فى الإسلام ت. عبد الهادى أبوريدة، ط. بيروت ١٩٨٠م.

خلف محمد الحسينى، لقاء بطلين صلاح الدين الأيوبى وجمال عبد الناصر، ط. أسيوط ١٩٥٨م.

دافيد نيكول ، اليرموك والفتح الإسلامى للقدس ، ت . سهيل زكار ، ط. دمشق ٢٠٠٢م.

درويش نخيلى (د.) ، السفن الإسلامية على حروف المعجم ، ط. الاسكندرية ١٩٧٤م.

ديفز ، شارلمان ، ت. السيد الباز العرينى ، ط. القاهرة ١٩٥٩م .

ذكرى عزيز محمد صالح الصائغ ، عصر الملك الكامل الأيوبى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- - جامعة الموصل عام ١٩٨٨م .

رأفت عبد الحميد (د.) ، «الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب فى العصور الوسطى»، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م ، «الملك الكامل بين الإفراط والتفريط فى مواجهة الصليبيين»، ضمن كتاب قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٨م.

راجيه عبد الوهاب (د.) ، الأيوبيون والاسماعيلية فى بلاد الشام ، ط. القاهرة ١٩٨٢م، «الاستراتيجية العسكرية لصلاح الدين» ، سلسلة دراسات عن الشرق الأوسط - مركز بحوث الشرق الأوسط- جامعة عين شمس عام ١٩٨٦م.

راشد البراوى (د.) ، حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، ط. القاهرة ١٩٤٨م.

رشدى الأشهب (د.) ، المعالم الأثرية فى فلسطين ، ط. القدس ٢٠٠٢م.

رشيد الجميلى (د.) ، «الأمير مودود صاحب الموصل والحروب الصليبية ٥٠٢- ٥٠٧هـ» ، مجلة كلية الآداب- - جامعة بغداد، العدد (١٤) ، م (٨) ، عام ١٩٧٠- ١٩٧١م ، العرب والتحدى الصليبى، ط. بغداد ١٩٩٠م.

رفاه شحاده قصير (د.) ، «أهمية الأبنية التاريخية فى مدينة صور القديمة»، ضمن كتاب صور من العهد الفينيقى إلى القرن العشرين، ط. صور ١٩٩٦م .

رفيق التميمى ، الحروب الصليبية ، ط. القدس ١٩٤٥م.

روبار برونشفيك ، تاريخ أفريقية فى العهد الحفصى من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥ ، ت . حمادى الساحلى ، ط. بيروت ١٩٨٨م.

روبرتس ، موجز تاريخ العالم ، ت. فارس قطان، ط. دمشق ٢٠٠٤م.

روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ت . صالح العلى ، ط. بيروت ١٩٨٣م .

رياض شاهين (د.) ، قلعة جزيرة فرعون ، ساحة للصدام الصليبى الإسلامى، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، م (٣١) ، العدد (٣) ، عام ٢٠٠٤م.
«هدنة الرملة والظروف المحيطة بها» ، مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى الفرنجى ٤٩١- ٦٩٠هـ ، اربد ٢٠٠٠م .

رينيه جروسيه ، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ت. أحمد أيبش ، ط. دمشق ٢٠٠٤م.

زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى ، ت . حسن محمود وزكى حسن وآخرون ، ط. القاهرة ١٩٥١م.

زاهية الدجانى (د.) ، الناصر صلاح الدين الأيوبى قاهر الصليبيين فى حطين ، ط. بيروت ٢٠٠٣م. الظاهر بيبرس بين المغول والصليبين، ط. بيروت ٢٠٠٣م.

زبيدة عطا (د.) ، الشرق الإسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، ط. القاهرة ١٩٩٤م.

بلاد الترك فى العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ، ط. القاهرة ١٩٧٧م.

الزركلى ، الاعلام ، ط. بيروت ١٩٨٦م .

زكى حسن (د.) ، كنوز الفاطمين ، ط. القاهرة ١٩٣٧م، الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٥م، «قلعة الجبل»، مجلة الكتاب أكتوبر ١٩٤٦م ، فنون الإسلام ، ط. القاهرة ب-ت .

زكى نقاش (د.) السياسة والاجتماع، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ١٩٥٠م، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية ، ط. بيروت ١٩٥٨م.

زينب راشد (د.) ، تاريخ أوربا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر ، ط. القاهرة ١٩٩٨م .

زينب عبد القوى (د.) ، الإنجليز والحروب الصليبية فى الفترة من ١١٨٩- ١٢٩١، ط. القاهرة ١٩٩٦م ، اليهود فى انجلترا العصور الوسطى ١٠٦٦-١٢٩٠م، ط . القاهرة ٢٠٠٦م.

سالم الهدروسى (د.) ، «صورة الفرنج العسكرية فى النثر الفنى العربي زمن الحروب الصليبية فى المشرق العربى»، مجلة أبحاث اليرموك م، (١) ، العدد (١١) عام ١٩٩٣م.

سامر مخيمر و خالد حجازى (د.) ، أزمة المياه فى المنطقة العربية ، سلسلة عالم المعرفة ط.الكويت ١٩٩٦م.

سامى الدهان (د.) ، «بغية الطلب» ، الحوليات الأثرية السورية ، م(١)، ج١ عام ١٩٥١م ، قدماء ومعاصرون ، ط. القاهرة ١٩٦١م ، كنوز الأجداد ، ط. دمشق ١٩٦٢م.

سامى سلطان سعد (د.) ، الإسبتارية فى رودس ١٣١٠- ١٥٢٢م ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م.

سامية عامر (د.)، الصليبيون فى شمال أفريقيا حملة لويس التاسع على تونس ١٢٧٠م / ٦٦٨-٦٦٩هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠٢م.

ستانلى لين بول ، تاريخ الدول الإسلامية ، ت. أحمد السيد سليمان ، ط. القاهرة ١٩٧٢م.

ستروس ، بنية الأساطير ، ت. مصطفى كمال، مجلة بيت الحكمة ، عدد عام ١٩٨٧م.

ستيفن رنسيمان ، المسيحيون العرب فى فلسطين ، ط . إسكس ١٩٦٨م ، تاريخ الحروب الصليبية ، ت. السيد الباز العرينى ط. بيروت ١٩٩٣م.

سر الختم عثمان (د.) ، مدينة صور فى القرنين ١٢ ، ١٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م.

سرور عبد المنعم (د.) ، «الدور السياسى لحصن شقيف أرنون فى عصر الحروب الصليبية»، رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة طنطا عام ١٩٩٧م ، السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس فى عهد الملك فولك الأنجوى ١١٣١-١١٤٣م /٥٢٦- ٥٣٨هـ ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية البنات ، جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م ، «جودفرى دى بويون حاكمًا للكيان الصليبى فى الشام ١٠٩٩-١١٠٠م» ، مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط عدد (١٤) ، مارس ٢٠٠٤م ، «رؤية المؤرخ الصليبى وليم الصورى لصلاح الدين الأيوبى ،

خلال المرحلة ١١٧١- ١١٨٤م / ٥٦٧- ٥٨٠هـ » ، مجلة بحوث الشرق الأوسط عدد (١٦) عام ٢٠٠٥م.

سعاد حسين الأصفر (د.) ، «صلاح الدين الأيوبى كما جاء فى ال "Novellino" ، حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ، م (١٩) ، عام ١٩٩٢-١٩٩٣م .

سعاد ماهر (د.) ، البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ط. القاهرة ١٩٦٧م .

سعد إسماعيل على (د.)، معاهد التربية الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٨٦م .

سعد زغلول عبد الحميد (د.) ، «العلاقة بين صلاح الدين وأبى يوسف يعقوب المنصور يوسف بن عبد المؤمن الموحدى» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية، م (٦) ، (٧) ، عام ١٩٥٢- ١٩٥٣م ، «سياسة نامة لنظام الملك» مجلة تراث الإنسانية ، م(٩) ، ج٢ ، ط. القاهرة ١٩٧١م .

سعد محمد المؤمنى (د.) ، القلاع الإسلامية فى الأردن الفترة الأيوبية والمملوكية ، ط. عمان ١٩٨٨م.

سعود أبو محفوظ ، منهجية صلاح الدين فى تحرير القدس وإنقاذ الأقصى، ط. عمان ٢٠٠٤م.

سعيد أبوصافى ، مدينة الخليل فى العصر المملوكى ، ط. الخليل ٢٠٠٢م.

سعيد برجاوى ، الحروب الصليبية فى الشرق، ط. بيروت ١٩٨٤م.

سعيد البيشاوى (د.) نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية فى عصر الحروب الصليبية ٤٩٢- ٦٩٠هـ / ١٠١٩- ١٢٩١م، ط. عمان ١٩٩٠م، المقاومة الشعبية الفلسطينية ضد الفرنجة الصليبيين ٤٩٢- ٥٨٣هـ/ ١٠٩٩-١١٨٧م مجلة جامعة النجاح للعلوم الإنسانية ، م (١٥) حزيران ٢٠٠١م، وأيضا ضمن كتاب مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى الفرنجى - جامعة اليرموك ، ط. اربد ٢٠٠٠م.

سعيد حاوى، بطلا الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب، يوسف بن تاشفين- صلاح الدين الأيوبى، ط. حماه ، ب-ت.

سعيد الديوجى ، الموصل فى العهد الأتابكى ، ط. بغداد ١٩٥٨م .

سعيد السيد فرغلى (د.) ، إضمحلال حكم الأنجلوسكسون فى إنجلترا ٩٧٩- ١٠٦٦م / ٣٦٨-٤٥٨هـ ، بحوث ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م .

سعيد طيان ، «موقعة حطين دراسة عسكرية» ، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد (١٠٥) ، (١٠٦) ، يوليو أغسطس ١٩٨٧م .

سعيد غريب ، موسوعة الأساطير والقصص، ط. عمان ٢٠٠٠م .

سعيد عاشور (د.) ، قبرص والحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٥٧م، «الظاهر بيبرس ، ط. القاهرة ١٩٦٣م ، الإمبراطور فردريك الثانى والمشرق العربى» ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد عام ١٩٦٣م ، الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٦٣م، ط. القاهرة ١٩٨٢م، أضواء جديدة على الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٦٤م ، الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ط. القاهرة ١٩٦٥م ، المدنية الإسلامية وأثرها فى النهضة الأوربية ، ط. القاهرة ١٩٦٧م، «شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية»، المجلة التاريخية المصرية ، م (١٦) ، عام ١٩٦٩م ، «كتاب صبح الأعشى مصدراً لدراسة تاريخ مصر فى العصور الوسطى» ، ضمن كتاب القلقشندى صبح الأعشى إشراف أ.د. أحمد عزت عبد الكريم ، ط. القاهرة ١٩٧٣م ، «دراسة حول كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير»، ضمن كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٧٧م، أوربا العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٨١م ، «المجتمع الإسلامى فى بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية» ، ضمن كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ الإسلام وحضارته، ط. القاهرة ١٩٨٧م، «ملامح المجتمع الصليبى فى بلاد الشام» ، المستقبل العربى ، العدد (٨)، عام ١٩٨٧م ، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ط. بيروت ١٩٩٠م ، «البنية البشرية لجيوش صلاح الدين» ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، العدد (٣٧)، عام ١٩٩٠م ، «قالوا طريق الحرير ونقول طريق التوابل محور التجارة العالمية فى العصور الوسطى» ، ندوة التجارة العالمية عبر العالم العربى على مر عصور التاريخ، إتحاد المؤرخين العرب، ط. القاهرة ٢٠٠٠م، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ٢٠٠٣م ، مصر والشام فى عصر الأيوبيين والمماليك، ط. بيروت ب-ت .

السعيد الورقى (د.) ، مصادر التراث العربى ، ط. الاسكندرية ١٩٩٠م.

سلامه موسى ، حرية الفكر، ط. بيروت ١٩٥٩م .

سلامة البلوى (د.) ، صور من تسامح الحضارة الإسلامية مع غير المسلمين، ط. الشارقة ٢٠٠٣م .

سليمان الخرابشة (د.) ، «فلسطين فى العصر السلجوقى» ، دراسات ، م (٢٤) ، ملحق كانون الأول ١٩٩٧م .

سليمان صائغ ، تاريخ الموصل، ط. القاهرة ١٩٢٣م .

سليمان مظهر ، «قلعة شقيف أرنون» القاهرة مجلة المجمع العلمى بدمشق ، عدد عام ١٩٤٤م.

سمايلى ، المؤرخون فى العصور الوسطى ، ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ١٩٨٠م .

سمر زاهد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الدولة البورية ٤٩٨- ٥٤٩هـ / ١١٠٣-١١٥٤م ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة دمشق عام ١٩٩٠م .

سمير صالحية (د.) ، «مياه إسرائيل فى العلاقات المائية العربية التركية» ، مجلة مستقبل العالم الإسلامى ، مركز دراسات العالم الإسلامى بمالطة، العدد (١٥) عام ١٩٩٥م.

سميرة الليثى (د.) ، جهاد الشيعة ، ط. بيروت ١٩٧٦م .

سميل (ر.سى) ، الحروب الصليبية ت. سامى هاشم ، ط. بيروت ١٩٨٢م.

السنهورى (د.) ، الإسلام والجهاد ، ط. القاهرة ب-ت .

سهام مصطفى أبوزيد (د.) ، الدعوة الاسماعيلية ومدى نجاحها فى مصر الإسلامية ، رسالة دكتوراه ، كلية البنات ، جامعة عين شمس عام ١٩٧٧م .

سهيل زكار (د.) ، المدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، ط. دمشق ١٩٨١م ، حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس ، ط. دمشق ١٩٨٤م، «وقائع معركة حطين» مجلة تاريخ العرب والعالم ،العدد (١٠٥) ، (١٠٦) يوليو - أغسطس ١٩٨٧م ، أربعة كتب فى الجهاد من عصر الحروب الصليبية ، ط. دمشق ٢٠٠٧م.

سهيل زكار (د.) ووفاء جونى (د.) وإكتمال إسماعيل (د.)، حروب الفرنجة الصليبية، ط. دمشق ٢٠٠٤-٢٠٠٥م.

سوسن محمد نصر (د.)، «منطقة الجزيرة الفراتية والوحدة فى القرن السادس الهجرى»، مجلة الشرق الأوسط - مركز بحوث الشرق الأوسط - جامعة عين شمس، العدد (٧)، عام ١٩٩٠م، القاضى الفاضل وصلاح الدين والوحدة الإسلامية، ط. القاهرة ١٩٩٠م.

سونيا هاو، فى طلب التوابل، ت. محمد عزيز رفعت، ط. القاهرة ١٩٥٧م.

سيار الجميل (د.)، النسر الأحمر صلاح الدين الأيوبى التجربة والتكوين، ط. بيروت ١٩٩٧م.

سيد الحريرى، الأخبار السنية فى الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٣١٧هـ.

سيد حسين نصير، «شيخ الإشراق»، ضمن الكتاب التذكارى عن السهرورى، ط. القاهرة ١٩٧١م.

السيد الباز العرينى (د.)، مصر فى عصر الأيوبيين، ط. القاهرة ١٩٦٠م، مؤرخو الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٦٢م، الشرق الأوسط والحروب الصليبية»، ج١، ط. بيروت ١٩٦٧م، الشرق الأدنى فى العصور الوسطى أولا الأيوبيون، ط. بيروت ١٩٦٧ م.

السيد أحمد أبو العينين (د.)، دراسات فى جغرافية لبنان، ط. بيروت ١٩٦٨م.

السيد عبد العزيز سالم (د.)، تاريخ الاسكندرية وحضارتها، ط. الاسكندرية ١٩٦١م، طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى، ط. الاسكندرية ١٩٦٧ م، تاريخ مدينة صيدا فى العصر الإسلامى، ط. بيروت ١٩٧٠م، ط. الاسكندرية ١٩٨٦م.

السيد عبد العزيز سالم (د.) وأحمد مختار العبادى (د.)، تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام، ط. بيروت ١٩٧٢م.

سيدة اسماعيل، صلاح الدين الأيوبى بطل وحدة الصف العربى الإسلامى وبطل الجهاد فى سبيل الله، ط. بيروت ١٩٨٦م.

السيد غلاب (د.)، «سكان فلسطين ودراسة تاريخهم الجنسى»، المجلة التاريخية المصرية، م (٥)، عام ١٩٥٦م.

السيد غلاب (د.) وصبحى عبد الحكيم (د.) ، السكان ديموغرافياً وجغرافيا، ط. القاهرة ١٩٧٨م.

سيد فرج (د.) ، «القدس عربية إسلامية» الدارة، السنة (١٨) ، العدد (١) ، يناير ١٩٨٤م.

سيد قطب ، معالم فى الطريق ، ط. القاهرة ١٩٨٢م، نحو مجتمع إسلامى، ط. القاهرة ١٩٨٢م.

السيد محمد أحمد (د.) ، ياقوت الحموى أديباً وناقداً ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر عام ١٩٨١م .

سيغال ، الرها المدينة الفاضلة ، ت. يوسف إبراهيم جبرا ، ط. حلب ١٩٨٨م.

سيف السيف (د.)، التفاوض فن الممكن ، ط. الرياض ١٩٩٦م.

سيمون للويد ، «حملنا القديس لويس الصليبيتان»، ت. عادل زيتون ، الثقافة العالمية، العدد (٨٧) ، مارس - أبريل ١٩٩٨م.

شارل جنيبر ، المسيحية نشأتها وتطورها ، ت. عبد الحليم محمود ، ط. القاهرة ١٩٨٥م.

شارلز أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ت. مصطفى طه بدر ، ط. القاهرة ١٩٥٣م .

الشاطر بصيلى ، الكارمية ، المجلة التاريخية المصرية ، م (١٣) ، عام ١٩٧٥م .

شاكر أبوبدر ، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ، ط. بيروت ب-ت .

شاكر مصطفى (د.) ، طغتكين رأس الأسرة البورية» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الكويت ، العدد (١) يونيو ، عام ١٩٧٢م ، التاريخ العربى والمؤرخون ج٢، ط. بيروت ١٩٧٩م «حطين والفرص الضائعة» ، مجلة العربى، العدد (٣٤٤) ، عام ١٩٨٧م ، تاريخنا وبقايا صور كتاب العربى، ط. الكويت ١٩٨٩م ، صلاح الدين الفارس المجاهد والملك الزاهد المفترى عليه ، ط. دمشق ٢٠٠٣م.

شحاته عيسى إبراهيم ، القاهرة ، ط. القاهرة ١٩٩٩م.

شحاده ونقولا قورى ، خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية ، ط. القدس ١٩٥٢م .

شرين عشماوى (د.) ، دراسة تحليلية لكتابات ابن أبى طئ الحلبى فى المصادر الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات- جامعة عين شمس ، عام ٢٠٠٤ م.

شفيق جاسر (د.) ، تاريخ القدس والعلاقات بين المسلمين والمسيحيين فيها حتى الحروب الصليبية ، ط. عمان ١٩٨٩م ، القدس تحت الحكم الصليبى ودور صلاح الدين فى تحريرها ، ط. عمان ١٩٨٩م.

شفيق محمد الرقب (د.) ، شعر الجهاد فى عصر الموحدين ، ط. عمان ١٩٨٤م، «صور من الحياة الاجتماعية للفرنجة فى النثر الفنى زمن الحروب الصليبية»، دراسات ، م (٢٣) ، عدد (٢) ، أغسطس ١٩٩٦م ، «بلاد الشام فى رحلة ابن جبير» ، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، م (٢٨) ، العدد (٢) أغسطس٢٠٠١م .

شكرى عياد (د.) ، البطل فى الأدب والأسطورة ، ط. القاهرة ١٩٥٩م.

شكرى مقبل ، الأحوال السياسية والحضارية فى فلسطين خلال عصر دولة المماليك الأولى، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة الملك سعود عام ١٤٠٢هـ .

شلبى إبراهيم الجعيدى (د.) ، طبقة العامة فى مصر فى العصر الأيوبى ٥٦٧- ٦٤٨ هـ / ١١٧١- ١٢٥٠م، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

شوقى الجمل (د.) وعبدالله عبد الرازق (د.) ، تاريخ أوربا من النهضة حتى الحرب الباردة، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

شوقى شعث ، القدس العربية الإسلامية الماضى- الحاضر- المستقبل، ط. الشارقة ٢٠٠١م.

شوقى ضيف (د.) ، الرحلات ، ط. القاهرة ١٩٥٦م، الفن ومذاهبه فى النثر العربى، ط. القاهرة ١٩٧٧م.

الشيخ الركابى ، الجهاد فى الإسلام دراسة موضوعية تحليلية تبحث بالدليل العلمى الفقهى عن الجهاد وعناصره فى التنزيل والسنة، ط. دمشق ١٩٩٧م.

صابر دياب (د.) ، سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر المتوسط، ط. القاهرة ١٩٧١م.

صالح الأشتر (د.) ، أعلام خالدون الظاهر بيبرس ، ط. بيروت ب-ت .

صالح لمعى مصطفى (د.) ، التراث المعمارى الإسلامى ، ط. بيروت ١٩٨٤م .

صالح مفتاح ، برقة وطرابلس من الفتح العربى حتى إنتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م .

صباح محمود محمد (د.) ، «التنين فى المصادر العربية» ، ضمن دراسات فى التراث الجغرافى، ط. بغداد ١٩٨١م.

صبحى الصالح ،«إشكالية العلاقة بين الحكمة والشريعة عند الغزالى» ، ضمن كتاب حلقة وصل بين الشرق والغرب أبوحامد الغزالى وموسى بن ميمون الاكاديمية المصرية ، السنة (١٢)، عام ١٩٨٢م.

صبحى لبيب (د.) ، «التجارة الكارمية فى تجارة مصر فى العصور الوسطى» ، المجلة التاريخية المصرية ، م(٤) ، العدد (٢) ، عام ١٩٥٤م ، «سياسة مصر التجارية فى عهد الأيوبيين والمماليك» ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٨) ، (٢٩) عام ١٩٨١- ١٩٨٢م .

صفاء خلوصى ، «حطين هل ستتكرر المعجزة التاريخية»، ندوة حطين بمناسبة مرور ثمانية قرون، ط. دمشق ١٩٨٧م .

صفاء عبد الفتاح (د.) ، الموانئ والثغور المصرية من الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى ، ط. القاهرة ١٩٨٦م.

صفاء عثمان ، مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد الملك بلدوين الثانى (١١١٨-١١٣١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٥م.

صفى الدين أبو العز (د.)، معركة حطين الاطار والنتائج» ، ضمن كتاب ٨٠٠ عام حطين صلاح الدين والعمل العربى الموحد، ط. القاهرة ١٩٨٩م.

صلاح البحيرى (د.) ، «ديوان الجيش فى الدولة الأيوبية» ، الموسم الثقافى للجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٧٦- ١٩٧٧م ، ط. القاهرة ١٩٧٨م، عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها فى الفتون، حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت حولية ، رقم (٧) ، عام ١٩٨٢م ، «المخابرات الإسلامية فى مواجهة الصليبيين»، مجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة العدد ،(٣) ، عام ١٩٨٩م.

صلاح الدين عبد المنعم (د.) ، قلاع مملكة بيت المقدس الصليبية فى الفترة ١٠٩٩-١١٩٣م ٤٩٢-٥٨٨هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية البنات- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٠م.

صلاح الدين المنجد (د.) خطط دمشق دمشق ، ط. بيروت ١٩٤٩م، معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة» ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، م (٢) ، ج(١) ، مايو ١٩٥٦م، أعلام التاريخ والجغرافية عند العرب، ط. بيروت ١٩٦٠م، المشرق فى نظر المغاربة والأندلسيين، ط. القاهرة ١٩٦٠م، معجم المؤرخين الدمشقيين ، ط. بيروت ١٩٧٤م، ط. بيروت ١٩٧٨م ، من أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ،ط . بيروت ١٩٧٨م، مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين، ط. بيروت ١٩٦٧م.

صلاح الدين نوار (د.) ، العدوان الصليبى على العالم الإسلامى ٤٩٠-٥١٥هـ / ١٠٩٧- ١١٢١م، أضواء جديدة على الحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٣م.

طه أحمد، «معركة حطين» ، المجلة العسكرية ، العدد (٣٢) ، عام ١٩٥٥م، ص١٦٥- ص١٨٢ .

الطيباوى ، التصوف الإسلامى العربى، ب-ت .

ظافر القاسمى ، الجهاد والحقوق الدولية العامة ، ط. بيروت ١٩٨٢م .

عائشة بنت عبدالله ، البحر الأحمر فى العصر الأيوبى ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٠م.

عادل الألوسى (د.) ، تجارة العراق مع أندونيسيا ، ط. بغداد ١٩٨٤م.

عادل عبد الحافظ (د.) ، العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامى ١١٥٢- ١٢٥٠م / ٥٤٧- ٦٤٨هـ ، ط. القاهرة ١٩٨٩م ، «موقف المانيا من هزيمة الصليبيية فى حطين» ، التاريخ والمستقبل ، م (١) ، العدد (١) ، عام ١٩٩١م.

عادل نجم (د.) ، «الرباط فى العمائر الأيوبية» ، ضمن الكتاب التذكارى للاحتفال الخمسينى لكلية الآثار - جامعة القاهرة عام ١٩٧٨م.

عارف تامر ، سنان وصلاح الدين ، ط. بيروت ١٩٥٦م ، الخليفة الثامن المستنصر بالله، ط. بيروت ١٩٨٠م .

عارف عبد الغنى ، نظم التعليم عند المسلمين ، ط. دمشق ١٩٩٣م .

عارف العارف ، المسيحية فى القدس، ط. القدس ١٩٥١م ، عاطف مرقص (د.) ، قبرص والحروب الصليبية ، فى القرنين ١٢ ، ١٣ م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٩١م .

عباس عزاوى ، التعريف بالمؤرخين ، ط. بغداد ١٩٨٧م ، «آل بكتكين، مظفر الدين كوكبورى» ، مجلة : المجمع العلمى، م (٢١) ، ج(١١) ، (١٢) دمشق، ١٩٤٦م .

عباس إسماعيل حلمى (د.) ، السياسة الداخلية للسلطان الملك العادل الأيوبى، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٤٣م .

عباس العقاد ، «صلاح الدين» ، العربى، عدد (١) ، ديسمبر ١٩٥٨م.

عباس فاضل (د.) ، ياقوت الحموى دراسة فى التراث الجغرافى مع التركيز على العراق فى معجم البلدان، ط. بيروت ١٩٩٢م.

عبد الجبار السامرائى (د.) ، «بحرية صلاح الدين الأيوبى فى البحر الأبيض المتوسط إبان الحروب الصليبية »، آفاق جامعية، عدد (٤) ، عام ١٩٧٩م.

عبد الجليل حسن عبد المهدى (د.) الحركة الفكرية فى ظل المسجد الأقصى فى العصرين الأيوبى والمملوكى ، ط . عمان ١٩٨٠م.

عبد الجليل عبد المهدى (د.) ، «المؤسسات التعليمية فى بلاد الشام فى العصرين الأيوبى والمملوكى »، ضمن كتاب التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات المجمع الملكى للحضارة الإسلامية، ج٢ ، مؤسسة آل البيت ، عمان ١٩٨٩م.

عبد الحفيظ محمد على (د.) ، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين فى الشرق الأدنى فى القرنين ١٢ ، ١٣م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م .

عبد الحليم محمود (د.) ، الجهاد فى الإسلام ، ط. القاهرة ١٩٨٨م .

عبد الحميد زايد ، القدس الخالدة ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

عبد الحميد السائح ، مكانة القدس فى الإسلام ، ط. عمان ١٩٦٨م.

عبد الحميد العلوجى (د.) ، تاريخ الطب العراقى ، ط. بغداد ١٩٦٧م.

عبد الرحمن الحجى (د.) ، التاريخ الأندلسى ، ط. بيروت ١٩٧٦م.

عبد الرحمن حميدة (د.) ، «بين ابن بطوطة وماركو بولو» ، مجلة دراسات تاريخية- جامعة دمشق، السنة (١٢) ، العددان (٣٩)، (٤٠) ، كانون الأول عام ١٩٩١م، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم . ط. دمشق ١٩٩٥م.

عبد الرحمن زكى (د.) ، ومحمود عيسى ، الحروب الصليبية بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. القاهر ١٩٤٧م .

عبد الرحمن زكى (د.)، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية أخرى، ط. القاهرة ، الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع ، ط. القاهرة ٩٦٦ .

الجيش المصرى فى العصر الإسلامى من الفتح العربى إلى معركة المنصورة، ط. القاهرة ١٩٧٠م، «قلاع العالم العربى فى العصر الوسيط» ، الدارة ، السنة (٢) ، العدد (١) ، مارس ١٩٧٦م، قلعة صلاح الدين الأيوبى وما حولها من آثار ، ط. القاهرة ١٩٧١م.

عبد الرحمن سامى ، القول الحق فى بيروت ودمشق ، ط. بيروت ١٩٨١م

عبد الرحمن سيد الأهل ، أيام صلاح الدين ، ط. بيروت ١٩٦١م.

عبد الرحمن الشرقاوى ، وحدة الوطن تعلو على وحدة العنصر درس من حطين» ، ضمن كتاب ٨٠٠ عام حطين صلاح الدين والعمل العربى الموحد، ط. القاهرة ١٩٨٩م.

عبد الرحمن الشرنوبى (د.) ، «فلسطين» ، ضمن الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامى، م (٤)، الهلال الخصيب ، ط. الرياض ١٤١٩هـ .

عبد السلام زيدان (د.) ، الحملة الصليبية الثانية ١١٤٧-١١٤٩م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة جنوب الوادى عام ٢٠٠٠م.

عبد العزيز الأهوانى ، ابن سناء الملك بين العقم والابتكار ، ط. القاهرة.

عبد العزيز الخويطر (د.) ، الملك الظاهر بيبرس ، ط. الرياض ١٩٨٩م.

عبد العزيز الدورى (د.) ، تاريخ الحضارة العربية ، ط. بغداد ١٩٥٢م.

عبد العزيز الشناوى (د.) ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ط. القاهرة ١٩٨٠م .

عبد العزيز عبد الدايم (د.) ، إمارة طرابلس الصليبية فى القرن الثانى عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، بيت المقدس فى العصر الأيوبى، ط. القاهرة ١٩٨٩م.

عبد العزيز العمرى (د.) ، الفتوح الإسلامية عبر العصور ، ط. الرياض ١٩٩٧م.

عبد العزيز نوار (د.) ومحمود محمد جمال الدين (د.) ، التاريخ الأوربى الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ط. القاهرة ١٩٩٩م.

عبد الغنى رمضان (د.) ، «شرف الدين مودود » ، مجلة كلية الآداب- جامعة الرياض، م(٤) ، السنة (٤) عام ١٩٧٦- ١٩٧٧م .

عبد الغنى سعودى (د.) ، الجغرافية والمشكلات الدولية ،ط . القاهرة ١٩٧٤م.

عبد الغنى عبد العاطى (د.) ، التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك، ط. القاهرة ١٩٨٤م ، «صليبية الأطفال ١٢١٢م»، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، تحرير رأفت عبد الحميد وقاسم عبده قاسم ، م(٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٥م.

عبد الفتاح وهبة (د.) ، جغرافية العرب فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٦٠م.

عبد القادر أبوصينى ، نور الدين موحد الأمة ضد الصليبيين ، ط. عمان ٢٠٠٠م.

عبد القادر حمزة (د.) ، مظفر الدين كوكبورى، ط . القاهرة ١٣٨٣هـ .

عبد القادر الراوى ، الجيش العربى الإسلامى ، ت. صدر الإسلام ، ط . بغداد ١٩٩٨م .

عبد القادر الريحاوى ، دمشق تراثها ومعالمها التاريخية ، ط. دمشق ١٩٩٦م.

عبد القادر طليمات (د.)، ابن الأثير الجزرى ، المؤرخ ، ط. القاهرة ١٩٦٩م.

عبد القادر محمود (د.)، «ابن خلدون والتصوف الإسلامى» ، مجلة كلية الآداب- جامعة القاهر ، م (٢٦) ، ج١ عام ١٩٦٤م.

عبد القدوس الأنصارى ، مع ابن جبير فى رحلته ، ط. القاهرة ١٩٧٦م.

عبد الكريم حتاملة (د.) ، «صلاح الدين وموقفه من القوى المناوئة» ، الدارة ، العدد (٢) السنة (١٢) ، سبتمبر ١٩٨٦م.

عبد الكريم حلوانى (د.) ، ابن عساكر ودوره فى الجهاد ضد الصليبين، فى عهد الدولتين النورية والصلاحية، ط. دمشق ١٩٩١م.

عبد اللطيف حمزة (د.)، صلاح الدين بطل حطين ط. القاهرة ب-ت ، أدب الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٤٨م ، الحركة الفكرية فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول، ط. القاهرة ١٩٦٨م، حكم قراقوش ، ط. القاهرة ١٩٨٢م .

عبد اللطيف عبد الهادى السيد (د.) ، السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد بلدوين الثالث ١١٤٦-١١٦٣م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٠م.

عبدالله الحارثى (د.) ، رؤية أسامة بن منقذ الشيزرى لبعض طبائع الصليبيين وأخلاقهم كما ورد فى كتاب الاعتبار» ، ضمن أعمال مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى- الفرنجى ٤٩١- ٦٩٠هـ ، ط. جامعة اليرموك عام ٢٠٠٠م.

عبدالله الدروبى (د.) ، المياه فى الاستراتيجية الاسرائيلية وآليات ووسائل تحقيقها ، مستقبل العالم الإسلامى، مركز دراسات العالم الإسلامى بمالطة ، العدد (١٥) عام ١٩٩٥م.

عبدالله سعيد الغامدى (د.) ، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى ، ط. مكة المكرمة ١٤١٠هـ ، مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود ، ط. مكة المكرمة ١٩٩٣م، ت. شقيف أرنون فى عصر الحروب الصليبية» مجلة الانسانيات ، العدد (٧) ، عام ٢٠٠١م.

عبدالله عبد الرحمن الربيعى (د.) ، أثر الشرق الإسلامى فى الفكر الأوربى خلال الحروب الصليبية ، ط. الرياض ١٩٩٤م، «الدوافع الدينية للحركة الصليبية» ، ضمن ندوة الإطار التاريخى للحركة الصليبية، اتحاد المؤرخين العرب ط. القاهرة ١٩٩٦م.

عبدالله كنون ، النبوغ المغربى فى الأدب العربى، ج١ ، ط. بيروت ١٩٧٥م .

عبدالله محمد عبد الرحمن (د.) ، علم إجتماع التنظيم ، ط. الاسكندرية ١٩٨٨م.

عبدالله يوسف الغنيم (د.) ، «أسباب الزلازل وأحداثها فى التراث العربى» ، مجلة المجمع العلمى العراقى، م (٣٥) ، ج٤ ، عام ١٩٨٤م.

عبد المنعم حفنى (د.) ، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، ط. بيروت ١٩٨٠م.

عبد المنعم حجازى (د.) ، إمارة شيزر فى عصر بنى منقذ ٤٧٤ - ٥٥٢هـ / ١٠٧٤- ١١٥٧م ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب- جامعة المنوفية عام ٢٠٠٢م.

عبد المنعم ماجد (د.) ، العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٦١م، الإمام المستنصر بالله الفاطمى، ط. القاهرة ١٩٦١م ، الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبى ، ط. بيروت ١٩٦٢م ، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر ، ط. القاهرة ١٩٩٤م، الدولة الأيوبية فى تاريخ مصر الإسلامية ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.

عبد الهادى بوطالب (د.) ، «أبوحامد الغزالى وإشكالية العلاقة بين الحكمة والشريعة»، الدولة ضمن حلقة وصل بين الشرق والغرب أبوحامد الغزالى وموسى بن ميمون، اكاديمية المملكة المغربية السفر (١٢) ، عام ١٩٨٢م.

عبد الهادى التازى (د.) ، «بلاد الشام فى الوثائق الدبلوماسية المغربية» ، المؤتمر الأول لتاريخ بلاد الشام، ط. عمان ١٩٧٤م .

عبد الواحد ذنون طه (د.) ، الفتح والاستقرار العربى الإسلامى فى شمال أفريقيا والأندلس، ط. بغداد ١٩٨٧م.

عبد الوكيل دركزى ، «تأملات فى فلسفة المعرى» ، ضمن كتاب ندوة أبى العلاء المعرى، ج٢، ط. معرة النعمان ١٩٩٧م.

عبد الوهاب حسن القرش ، قبرص والصراع البيزنطى الإسلامى فى الفترة من ٢١ - ٣٥٤هـ / ٦٤١- ٩٦٥م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية البنات- جامعة عين شمس ، عام ١٩٩٦م.

عبده الحلو (د.) ، الوافى فى تاريخ الفلسفة العربية ، ط. بيروت ١٩٩٥م .

عبلة المهندى الزبدة (د.) ، صلاح الدين وتحرير القدس ، ط. عمان ١٩٩٤م، القدس تاريخ وحضارة ، ط. عمان ٢٠٠٠م.

عثمان عشرى (د.) ، الإسماعيليون فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ١٣ م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م.

عثمان يحيى (د.) ، «الصحف اليونانية أصول غير مباشرة لفكرة الحكيم المتأله عند السهروردى» ، ضمن كتاب التذكارى عن السهروردى ، ط. القاهرة ١٩٧٨م.

عدنان الحارثى (د.) ، عمران القاهرة وخططها فى عهد صلاح الدين الأيوبى ٥٦٤-٥٨٩هـ / ١١٦٨-١١٩١م، ط. القاهرة ١٩٩٩م.

عزيز سوريال عطية (د.) ، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ت. فيليب صابر ، ط. القاهرة ١٩٧٧م.

عصام الدين عبد الرءوف (د.) ، بلاد الجزيرة فى أواخر العصر العباسى، ط. القاهرة ب-ت، معالم التاريخ الإسلامى ، ط . القاهرة ب-ت ، «الأيام الأخيرة فى حياة مصر الفاطمية» ، الكتاب الذهبى للاحتفال الخمسينى لكلية الآثار - جامعة القاهرة عام ١٩٧٨م ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ط. القاهرة ١٩٩٩م ، تاريخ الفكر الإسلامى ، ط. القاهرة ٢٠٠١م .

عطيه القوصى (د.) ، معركة حطين ووحدة الصف العربى، ط. القاهرة ١٩٦٢م، «سيراف وكيش (قيش) وعدن من القرن الثالث الهجرى حتى السادس»، المجلة التاريخية المصرية م (٢٣) ، عام ١٩٧٦م، «صلاح الدين واليهود»، المجلة التاريخية المصرية م (٢٣) ، عام ١٩٧٦م ، «من أخبار المدن الإسلامية المندثرة «تنيس» المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، عدد (٢) ، عام ١٩٨١م ، «مصر الفاطمية وعالم حوض البحر المتوسط» ، ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد رءوف عباس ، ط. القاهرة ١٩٨٦م.

عفاف صبرة (د.) ، ديوان الإنشاء وتطوره فى عصر الأيوبيين والمماليك مع تحقيق مخطوط البرد الموشى فى صناعة الانشا للموصلى، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧١م، العلاقات بين الشرق

والغرب علاقة البندقية بمصر والشام فى الفترة ١١٠٠-١٤٠٠م ، ط. القاهرة ١٩٨٣م، «بهاء الدين قراقوش الوزير المفترى عليه» ، الدارة ، العدد (٢)، أغسطس ١٩٨٧م. «الأمير مودود بن التونتكين» ، الدارة ، العدد (٢) ، السنة (١٢) ، عام ١٩٨٩م ، «المدارس فى العصر الأيوبى» ، ضمن ندوة تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية ، سلسلة تاريخ المصريين إعداد عبد العظيم رمضان، ط. القاهرة ١٩٩٢م .

على إبراهيم حسن (د.) ، إستخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ الإسلامى، ط. القاهرة.

على إبراهيم النملة (د.) ، التنصير فى الأدبيات العربية ، ط. الرياض ١٩٩٤م ، التنصير فى المراجع العربية دراسة ورصد وراقى للمطبوع ، ط. الرياض ١٩٩٤م.

على أحمد (د.) ، الأندلسيون والمغاربة فى بلاد الشام ، ط. دمشق ١٩٨٩م ، «دور الأندلسيين والمغاربة فى الحروب الصليبية على مسرح الشام ومصر» ، ندوة الإطار التاريخى للحركة الصليبية - إتحاد المؤرخين العرب، ط. القاهرة ١٩٩٦م.

على أحمد السيد (د.) ، الخليل والحرم الإبراهيمى عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩-١١٨٧م / ٤٩٢- ٥٨٣هـ ، ط. القاهرة ١٩٩٨م ، إستسرداد صلاح الدين الأيوبى أيلة من الصليبيين عام ١١٧٠ م / ٥٦٦هـ ، ضمن كتاب بحوث فى تاريخ العصور الوسطى، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، تحرير على أحمد السيد وإبراهيم خميس ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.

على السيد على (د.) ، القدس فى العصر المملوكى ، ط. القاهرة ١٩٨٦م ، أضواء جديدة على العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والفرنج فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية (بلاد المناصفات) الدارة ، العدد (١) ، السنة (١٨) شوال - ذو القعدة، ذو الحجة ١٤١٢هـ ، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، «الإسهام العسكرى المصرى فى موقعة عين جالوت» ، ضمن كتاب أثر الاسلام فى مصر وأثر مصر فى الحضارة العربية الإسلامية إشراف أ.د. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ١٩٩٩م .

على عبدالله الدفاع (د.) ، أعلام العرب والمسلمين فى الطب ، ط. بيروت ١٩٨٣م رواد علم الجغرافيا فى الحضارة الإسلامية ، ط. جازان ١٩٨٩م .

على العواجى (د.) ، موقف نصارى الشام ومصر من الحروب الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الامام محمد بن سعود عام ١٩٩٩م .

علاء الدين مكى فن الحرب عند العرب ، دراسة فى الفتوحات الكبرى فى العصر الراشدى، ط. بغداد ١٩٩٩م .

على أبوعساف (د.) ، «طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم»، مجلة الدراسات التاريخية جامعة دمشق ، السنة (١٢) ، العددان (٣٩) ، (٤٠) كانون الأول ١٩٩١م .

على بهجت والبير جبرائيل ، حفريات الفسطاط، ت. على بهجت ومحمود عكوش، ط. القاهرة ١٩٢٨م .

على البيلى ، حياة صلاح الدين الأيوبى، ط. القاهرة ١٩٢٠م.

على صالح المحيميد (د.) ، الدانشمنديون وجهادهم فى بلاد الأناضول ، ط. الاسكندرية ١٩٩٤م.

على الصلابى (د.) ، إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين سقوط الأندلس ومحاكم التفتيش البربرية ، ط. القاهرة ٢٠٠١م ، دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامى لمقاومة التغلغل الباطنى والغزو الصليبى، ط. بيروت ٢٠٠٦م ، الصراع بين أهل السنة والرافضة نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية وفق الله صلاح الدين فقضى عليها ، ط. بيروت ٢٠٠٧م.

على عبد الحليم محمود (د.) ، الغزو الصليبى والعالم الإسلامى ، ط. الرياض ١٩٨٢م ، ركن الجهاد أو الركن الذى لاتحيا الدعوة إلا به ، ط. القاهرة ١٩٩٥م .

على عوده الغامدى (د.) ، «معركة مرياكيفالون ١١٧٦م» ، مجلة كلية الشريعة - جامعة أم القرى العدد الأول عام ١٤٠٩هـ ، أنطاكية فى عصر الحروب الصليبية، ط. مكة المكرمة ١٩٩٧م .

على محمود فهمى (د.) ، التنظيم البحرى الإسلامى فى شرق البحر المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادى ، ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ١٩٩٧م.

عليه الجنزورى (د.) ، إمارة الرها الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٧٤م ، هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٩٩م ، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية) ، ط. القاهرة ١٩٩٩م .

عليه ديب تبريزى ، المخطط الأعظم لتحرير القدس ، نور الدين محمود ، ط. صيدا ٢٠٠٣م.

عماد الدين خليل (د.) ، عماد الدين زنكى ، ط. بيروت ١٩٧١م ، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبى عصر ولاة السلاجقة فى الموصل ٤٨٩- ٥٢١هـ / ١٠٩٥- ١١٢٧م، ط. الرياض ١٩٨١م ، نور الدين محمود وتجربته الإنسانية، ط. دمشق ١٩٨٧م.

عماد عبد السلام رؤوف ، معركة عين جالوت ، ط. بغداد ١٩٨٦م.

عمر أحمد عمر ، الجهاد فى سبيل الله ، ط .دمشق ١٩٩٩م.

عمر الدسوقى (د.) ، الفترة عند العرب ، ط. القاهرة ب-ت .

عمر رضا كحالة ، أعلام النساء ، ط. دمشق ١٩٤٠م.

عمر الساريس (د.) ، نصوص من أدب عصر الحروب الصليبية، ط. جدة ١٩٨٥م.

عمر عبد السلام تدمرى (د.) ، «دار العلم فى طرابلس الشام خلال القرن الخامس الهجرى» ، عالم الفكر، م (١٢) ، الكويت ١٩٨١م ، لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٣٥٨- ٥١٨هـ / ٩٦٩- ١١٢٤م ، ط. طرابلس ١٩٩٤م، «صُور فى كتابات المؤرخين والرحالة من الفتح الإسلامى حتى التحرير من الصليبيين»، ضمن كتاب صور من العهد الفينيقى إلى القرن العشرين، مؤتمر منتدى صور الثقافى، ط . صور ١٩٩٦م.

عمر فروخ (د.) ، تاريخ الأدب العربى، ج٤، ط. بيروت ١٩٨٤م.

عمر كمال توفيق (د.) ، مملكة بيت المقدس الصليبية، ط. الاسكندرية ١٩٥٨م ، مقدمات العدوان الصليبى، ط. الاسكندرية ١٩٦٦م، «المؤرخ وليم الصورى» ، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، م (٢١) عام ١٩٦٧م ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين دراسات تحليلية وثائقية فى التاريخ الدبلوماسى ، ط.

الاسكندرية ١٩٨٦م ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ط. الاسكندرية ١٩٩٥م .

عمر موسى باشا (د.) ، أدب الدول المتتابعة ، ط. القاهرة ١٩٦٧م.

عبد على الخفاف ومحمد أحمد عقلة (د.)، دراسات فى التراث الجغرافى العربى الإسلامى، ط. عمان ١٩٩٦م.

الغزى ، نهر الذهب فى تاريخ حلب ، ط. حلب ١٩٤٢م.

غسان دمشقية ، أزمة المياه والصراع فى المنطقة العربية، ط. دمشق ١٩٩٤م.

فاروق جرار (د.) ، «أسطول صلاح الدين الأيوبى» ، مجلة الأبحاث - الجامعة الامريكية بيروت ، السنة (١٣) ، ج١١ ، عام ١٩٦٠م.

فاروق عمر فوزى (د.) ، التدوين التاريخى عند المسلمين ، ط. العين .

فاروق عمر فوزى (د.) ومحسن محمد حسين (د.) ، تاريخ فلسطين فى العصور الإسلامية الوسيطة ، ط. بغداد ١٩٨٧م.

الفاضل عيد عمر ، الطب الإسلامى عبر العصور ، ط. الرياض ١٩٨٩م.

فاطمة الشناوى (د.) ، فيليب أغسطس ملك فرنسا ١١٨٠-١٢٢٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة حلوان، عام ٢٠٠٣م.

فاطمة مصطفى عامر (د.) ، تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى، ج١ ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م .

فايد حماد عاشور (د.) ، الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين فى العصر الأيوبى، ط. القاهرة ١٩٧٧م

فايز نجيب إسكندر(د.) ، نيكتاس خونياتس واعترافه بتسامح المسلمين وبربريا الصليبيين قراءة نقدية لتجاوزات الحملة الصليبية الرابعة ١٢٠٤م / ٦٠٠هـ ، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. المنصورة ب-ت ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة ملازجرد فى مصنف برينيوس دراسة نقدية للمصادر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٤م ، «تسامح صلاح الدين مع الصليبيين أثناء حرب تحرير القدس» ، ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى، ط. المنصورة ب-ت، رسائل

بيير دي كونديه عن العدوان الصليبي على تونس دراسة تحليلية نقدية مقارنة للمصادر ،ضمن كتاب صفحة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ط. المنصورة ب-ت . المقاومة الإسلامية فى مواجهة العدوان الصليبى على تونس ، ط. القاهرة ١٩٨٧م، العدوان الصليبى على تونس ، ط. القاهرة ١٩٨٧م.

فايزة كلاس (د.) ، «العلاقات الأيوبية الموحدية أيام صلاح الدين»، مجلة دراسات تاريخية، السنة (٢٥) ، العدد (٨٩) ، (٩٠) ، آذار - حزيران ٢٠٠٥م.

فتحى عبد العزيز عبدالله (د.) ، دور الكنيسة فى مملكة بيت المقدس اللاتينية حتى عام ١١٨٧م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب- جامعة الزقازيق عام ١٩٨٨م .

فؤاد عبد المعطى الصياد (د.) ، المغول فى التاريخ ، ط. بيروت ١٩٨٠م.

فتحى أبوسيف (د.) ، المصاهرات السياسية فى العصرين الغزنوى والسلجوقى، ط. القاهرة ١٩٨٦م.

فتحى فياض (د.) ، «فلسطين الموقع والموضع دراسة جيولوتيكية» ، ضمن أعمال ندوة فلسطين عبر عصور التاريخ، إشراف أ.د. حامد زيان ، ط . القاهرة ١٩٩٦م.

فتحى عثمان (د.)، الحدود الإسلامية البيزنطية ،ج١ ، ط. القاهرة ١٩٦٦م.

فراس السامرائى (د.) ، التقاليد والعادات الدمشقية خلال عهود السلجوقيين والزنكيين والأيوبيين، ط. دمشق ٢٠٠٤م.

فرانزتيشنر ، «الفتوة والخليفة الناصر» ، ضمن كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين ، ت. صلاح الدين المنجد، ط. القاهرة ١٩٥٥م.

فردريك بيك ، تاريخ شرق الأردن وقبائلها ، ت. بهاء الدين طوقان، ط. عمان ١٩٩٨م .

فرغلى على تسن ، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر ، ط. الاسكندرية ٢٠٠١م.

فرهارد دُفترى ، خرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيلية ، ت. سيف الدين القصير، ط. بيروت ١٩٩٦م.

فوزى نجيب حسن ، صلاح الدين وتوحيد الجبهة الإسلامية زمن الصليبيين ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٥٩م .

فيصل السامر ، ابن الأثير ، ط. بغداد ١٩٨٦م.

فيصل صلاح الدين أصلان (د.) ، شعر الصراع مع الفرنجة دراسة تاريخية تحليلية معمقة، ط. حمص ٢٠٠٥م.

فيلكس بك كريتك، التفاوض من موقعين غير متكافئين ، ت. بشرى مليكه، ط. الرياض ٢٠٠١م.

فيليب حتى (د.)، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج٢، ت. اليازجي ، ط. بيروت ١٩٥٩م.

قاسم عبده قاسم (د.) ، أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٧٩م، «الاضطهادات الصليبية ليهود أوربا من خلال حولية يهودية الظاهرة ومغزاها»، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد، م (١) ، ج١ ، القاهرة ١٩٨٢م ، رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية – مركز بحوث الشرق الأوسط جامعة عين شمس، ط. القاهرة ١٩٨٣م، «الدوافع الاجتماعية فى الحركة الصليبية» ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، م(٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م، الخلفية الأيدلوجية للحرب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٨٣م، «الحروب الصليبية فى ألف ليلة وليلة » ، ضمن كتاب بين الأدب والتاريخ، ط. القاهرة ١٩٨٨م ، ماهية الحروب الصليبية ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٠م، «الحروب الصليبية فى ألف ليلة وليلة » ، ضمن كتاب بين الأدب والتاريخ، ط. القاهرة ١٩٨٨م ، ماهية الحروب الصليبية ، سلسلة عالم المعرفة ، ط. الكويت، ١٩٩٠م، ط. الكويت ١٩٩٣م، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسى والاجتماعى ، ط. القاهرة ١٩٩٨م ، فى تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ط. القاهرة ٢٠٠١م ، القراءة الصهيونية لتاريخ الحروب الصليبية نموذجًا ، ط. القاهرة ٢٠٠٥م.

قتيبة الشهابى ، صمود دمشق أمام الحملات الصليبية ، ط. دمشق ١٩٩٨م ، معجم المواقع الأثرية السورية ، ط. دمشق ٢٠٠٦م .

قدرى قلعجى ، صلاح الدين الأيوبى قصة الصراع بين الشرق والغرب فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، ط. بيروت١٩٧٩م، ط. بيروت ١٩٩٤م .

كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ج٦، ت. عبد الحليم النجار ، ط. القاهرة ١٩٧٧م.

كارول هيلنبراند ، «صلاح الدين تطور أسطورة غربية» ، ضمن كتاب ٨٠٠ عام ، حطين صلاح الدين والعمل العربى الموحد ، ط. القاهرة ١٩٨٩م.

كارين أرمسترونج ، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث ، ت. فاطمة نصر ومحمد عنانى ، ط. القاهرة ١٩٩٨م ، الحرب المقدسة الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم، ت. سامى الكعكى، ط. بيروت ٢٠٠٤م .

كازانوفا ، تاريخ ووصف قلعة الجبل ، ت. أحمد دراج ، ومراجعة جمال محرز ، ط. القاهرة ١٩٧١م .

كاظم حطيط ، أعلام ورواد فى الأدب العربى، ط. بيروت ١٩٨٧م .

كامل جميل العسلى (د.) ، بيت المقدس فى كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، ط. عمان ١٩٩٢م ، معاهد العلم فى بيت المقدس ، عمان ١٩٨١م .

كامل زهيرى ، النيل فى خطر ، ط. القاهرة ١٩٩٩م .

كراتشوفسكى ، تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، ت. صلاح الدين هاشم ، ط. القاهرة ١٩٦٣م ، «معاصر أول غزوة صليبية ، أسامة بن منقذ» ، ضمن كتاب مع المخطوطات العربية، ط. موسكو ١٩٦٣م.

كرادوفو ، الغزالى، ت . عادل زعيتر ، ط. بيروت ١٩٥٩م.

كريزويل ، وصف قلعة الجبل ، ت. جمال محرز ، ط. القاهرة ١٩٧٤م.

كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، ت. بدر الدين قاسم، ط. بيروت ١٩٧٣م، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ت. أحمد الشيخ ، ط. القاهرة ١٩٩٥م.

كشاف البلدان الفلسطينية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ط. القاهرة ١٩٧٣م.

كلوس كريزر مازترديم ، معجم العالم الإسلامى ، ت . ح . كنوره، ط. بيروت ١٩٩١م.

كليفورد بوزورث ، الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى دراسة فى التاريخ والأنساب ، ت. حسين على اللبودى ، مراجعة سليمان إبراهيم العسكرى، ط . القاهرة ١٩٩٥م.

كمال أمين محمد حسب الله ، إمارة أنطاكية الصليبية ١٠٩٨-١٢٦٨م، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٩٠م .

كمال بن مارس (د.) ، العلاقة بين الموصل وحلب وأثرها على الحروب الصليبية، رسالة ماجستير كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩١م، ونشرت تحت عنوان ، العلاقات الاقليمية والحروب الصليبية من ٤٦٤- ٥٨٣هـ / ١٠٧١-١١٨٧م، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.

كمال الدسوقى (د.) ، تاريخ ألمانيا ، ط. القاهرة ١٩٦٩م.

كمال السامرائى (د.) ، مختصر تاريخ الطب العربى ، ج٢، ط. بغداد ١٩٨٥م.

كوبلاند وفينوجرادوف ، الإقطاع فى العصور الوسطى بغرب أوربا ، ت. محمد مصطفى زيادة ، ط. القاهرة ١٩٤٥م، «مؤلفات ابن عساكر»، ضمن كتاب ابن عساكر فى ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته ٤٩٩-١٣٩٩هـ، دمشق ١٩٧٩م.

كيڤن كين ، المفاوض المثالى ، ت. حسن وجيه ، ط. الرياض ٢٠٠٢م .

لويس بوزيه ، «السلطان صلاح الدين الأيوبى فى التراث الفرنسى من العصور الوسطى حتى اليوم»، دراسات إسلامية ، العدد (٥) ، عام ١٩٩٤-١٩٩٥م.

لويس شيخو ، «من حماه إلى حلب» ، الشرق، العدد (٢٠) ، السنة (٨) ، عام ١٩٠٥م.

لويس مخلوف ، الأردن تاريخ وحضارة وآثار ، ط. عمان ١٩٨٣م .

ليلى طرشوبى (د.) ، إقليم الجليل فترة الحروب الصليبية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة القاهرة ، عام ١٩٨٧م.

ليلى عبد الجواد (د.) ، «أضواء على الأكراد الهكارية فى عهد صلاح الدين الأيوبى ،مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة ، عدد (٦١) ، عام ١٩٧٤م.

ماجد عرسان الكيلانى (د.) ، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، ط. مكة المكرمة ١٩٩٩م .

مارشال بلدوين ، «إضمحلال وسقوط بيت المقدس ١١٧٤-١١٨٩م»، ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية ، تحرير سعيد البيشاوى ومحمد مؤنس عوض ، ط. رام الله ٢٠٠٤م.

مازن صلاح مطبقانى ، الاستشراق والاتجاهات الفكرية فى التاريخ الإسلامى دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس ، ط. الرياض ١٩٩٥م.

ماهر أبو السعيد ، الحروب الصليبية وتأثرها بالعوامل الجغرافية فى الشرق الأدنى الإسلامى فيما بين (١٠٩٥- ١٢٩١م / ٤٨٩-٦٩٠هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية فرع دمنهور عام ٢٠٠٣م.

ماهر أحمد مصطفى ، عصر الخليفة الفاطمى العاضد لدين الله ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب سوهاج - جامعة أسيوط عام ١٩٩٠م.

ماهر حمادة (د.) ، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولى ، ط. القاهرة ١٩٧٩م، المصادر العربية والمعربة ، ط. بيروت ١٩٨٠م، الوثائق السياسية والإدارية فى العهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية ، ط. بيروت ١٩٨٤م.

مجدى غنيم ، الحرير، ط. القاهرة ١٩٩٣م.

مجموعة من الباحثين ، صلاح الدين قاهر الصليبيين ، ط. بيروت ١٩٨٩م.

مجموعة من الباحثين ، ابن عساكر فى ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته ٤٩٩-١٣٩٩هـ، ط. دمشق ١٩٧٩م.

محسن صالح محيى الدين (د.) ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى الشرق فى عهد الناصر لدين الله العباسى رسالة دكتوراه - غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م .

محسن محمد حسين (د.) ، المشطوب الهكارى سيرة مجاهد صفحة مشرقة من حياة أحد القادة الكرد فى الحروب الصليبية»، المجمع العلمى العراقى ، عدد (٨)، عام ١٩٨١م ، الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين ، ط. بيروت ١٩٨٦ .

محمد إبراهيم أبا الخيل (د.)، الأندلس فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى ٢٧٥-٣٠٠هـ / ٨٨٨-٩١٢م، ط. الرياض ١٩٩٥م .

محمد إبراهيم نصر ، ابن سناء الملك، ط. القاهرة ١٩٧١م ، نظرية الحرب فى الإسلام ، ط. القاهرة ١٩٦١م.

محمد البشير ، مناهج البحث فى الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ٢٠٠٢م.

محمد الحاج عبد ربه (د.) ، أحوال الشعب فى بلاد الشام فى عهد الحملات الصليبية ٤٩٢-٦٩٠هـ/ ١٠٩٨-١٢٩١م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب

والعلوم الانسانية جامعة القديس ، يوسف بيروت عام ١٩٩٦م.

محمد أحمد حسين (د.) ، أسامة بن منقذ صفحة من تاريخ الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٤٦م.

محمد أحمد دهمان ، جبل قاسيون، ط. دمشق .

محمد أحمد محمد (د.) ، الأحداث السياسية فى مصر الإسلامية منذ الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية ٢٠هـ / ٥٦٧هـ ، ط. القاهرة ١٩٩٥م، فى تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ط. الرياض ٢٠٠٤م.

محمد أمين زكى ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان تاريخ الدول والإمارات الكردية فى العهد الإسلامى ، ج٢، ط. القاهرة ١٩٤٨م.

محمد أمين فرشوخ ، موسوعة عباقرة الإسلام ، ج٥، ط. بيروت ١٩٩٥م.

محمد بحر عبد المجيد (د.) ، اليهود فى الأندلس، ط. القاهرة ١٩٧٠م.

محمد بهجة الأثرى ، «كاتب الدولتين النورية والصلاحية »، مجلة المجمع العلمى العراقى، م(٤) ، ج١ ، عام ١٩٥٩م .

محمد ترحينى (د.) ، معالم التاريخ الأوربى الوسيط ، ط. بيروت ١٩٩٢م.

محمد توفيق بلبع (د.) ، عبد اللطيف البغدادى أضواء جديدة على سيرته ومنهجه التاريخى»، عالم الفكر ، م (١٩) ، العدد (٣) ، الكويت ١٩٨٥م.

محمد الحاج فلفل ، علاقة الأيوبيين فى مصر والشام بالخلافة العباسية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٧٧م.

محمد حرب فرزات ، «حوار الحضارات على طريق الحرير بن الصين والشام» ،مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، السنة (١٢) العددان ، (٣٩) ، (٤) ، كانون الأول ١٩٩١م.

محمد حسين الأعلمى الحائرى ، دائرة المعارف الشيعية، ج١١، ط. بيروت ١٩٩٣م.

محمد حسين محاسنة (د.) ، «الشدة العظمى وأثرها فى مصر فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى» ، مجلة مؤته للبحوث والدراسات والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، م (١٢) ، العدد (١) تشرين الأول عام ١٩٩٧م.

محمد حلمى محمد (د.) ، مصر والشام والصليبيون ، ط. القاهرة ١٩٧٩م .

محمد دسوقى محمد حسن ، العلاقات السياسية الفرنسية والانجليزية وأثرها فى الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب الإسلاميين ١١٣٧-١٢٢٣م / ٥٣١-٦٢٠هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية فرع دمنهور عام ٢٠٠٦م.

محمد الدعمى ، «تاريخ التأريخ الأوربى للإسلام والعرب من العصر الوسيط حتى عصر الثورة الصناعية»، الكلمة، العدد (١٦) السنة ، (٤) ، عام ١٩٩٧ .

محمد رجب البيومى (د.) ، صلاح الدين الأيوبى قاهر العدوان الصليبى ، ط. دمشق ١٩٩٨م.

محمد رشيد رضا ، «ذكرى صلاح الدين ومعركة حطين»، المنار، العدد (٨) ، سبتمبر ١٩٣٢م.

محمد زغلول سلام (د.) ، الأدب فى عصر صلاح الدين الأيوبى، ط. الاسكندرية ب-ت .

محمد سهيل طقوش (د.) ، تاريخ الأيوبيين فى مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة ، ط. بيروت ١٩٩٩م، تاريخ الفاطميين فى شمال أفريقية وبلاد الشام ، ط. بيروت ٢٠٠١م، تاريخ السلاجقة فى بلاد الشام، ط. بيروت ٢٠٠٢م ، التاريخ الإسلامى الوجيز، ط. بيروت ٢٠٠٢م.

محمد شديد ، الجهاد فى الإسلام، ط. القاهرة ب-ت .

محمد شلتوت، الإسلام دين وشريعة ، ط. القاهرة ب-ت .

محمد صالح منصور (د.) ، أثر العامل الدينى فى توجيه الحركة الصليبية، ط. بنى غازى ١٩٩٦م.

محمد عبد الرحيم غنيمة ، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ، معهد مولاى الحسن ، تطوان ١٩٥٣م، دراسة فى التاريخ السياسى .

محمد عبد الشافى المغربى (د.) ،آسيا الصغرى فى العصور الوسطى دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى (القرن ١١-١٣م) ، ط . الاسكندرية ٢٠٠٣م، العصور الوسطى الأوربية رؤية فى المصادر والنصوص التاريخية وعمليات التعليق والترجمة ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.

محمد عبد العال (د.) ، «الأيوبيون فى اليمن وتاريخهم السياسى» ، آداب الرافدين، العدد (١٢) ، عام ١٩٨٤م.

محمد عبد العظيم أبو النصر (د.) ، السلاجقة تاريخهم السياسى والحضارى، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

محمد عبدالله الحمدان ، ابن الأثير الفرسان الثلاثة ، ط. الرياض ١٩٧٤م.

محمد عبد المعين خان ، الأساطير العربية قبل الإسلام ، ط. القاهرة ١٩٣٧م.

محمد العروسى المطوى ، الحروب الصليبية فى الشرق والغرب ، ط. تونس ١٩٥٤م.

محمد عبدالله عنان ، موقعة حطين واسترداد بيت المقدس ، ضمن كتاب مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، ط. القاهرة ١٩٣٢م.

محمد عبد الغنى الأشقر (د.)، تجارة الكارم والكارمية فى مصر زمن سلاطين المماليك ٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م، رسالة دكتوراه - كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٩٧م.

محمد عبد القادر أبو فارس (د.) ، دروس وتأملات فى الحروب الصليبية، ط. عمان ٢٠٠٢م.

محمد عبدالله عنان ، الخطط المصرية ، ط. القاهرة ١٩٦٩م.

محمد عبد المعين خان ، الأساطير العربية قبل الإسلام، ط. القاهرة ١٩٣٧م.

محمد العبده ، أبعيد التاريخ ، نفسه دراسة لأحوال العالم الإسلامى قبل صلاح الدين مقارنة بواقعنا المعاصر. ط. الرياض ١٩٩٠م .

محمد عبد الهادى شعيرة (د.) ، «الرملة ورباطاتها السبعة» ، المجلة التاريخية المصرية، العدد (٥) عام ١٩٦٩م.

محمد العروسى المطوى (د.) الحروب الصليبية فى الشرق والغرب، ط. تونس ١٩٥٤م، السلطنة الحفصية تاريخها السياسى ودورها فى الغرب الإسلامى ، ط. بيروت ١٩٨٦م.

محمد على العبد ، نور الدين محمود بن زنكى بطل الوحدة إبان الحروب الصليبية ، ط. الرياض ب-ت .

محمد على عسيرى (د.) ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى اليمن فى العصر الأيوبى ٥٦٩-٦٢٦هـ، ط. جدة ١٩٨٥م.

محمد على الهرفى (د.) ، شعر الجهاد فى الحروب الصليبية فى بلاد الشام ، ط. القاهرة ١٩٧٩م .

محمد عمارة (د.) ، «صورة الإسلام فى الخطاب الغربى» ، المسلم المعاصر ، العدد (١٨)، السنة (٣٧) ، أبريل - مايو - يونيو ٢٠٠٣م.

محمد غلاب ، التنسك الإسلامى ، ط. القاهرة .

محمد فتحى أمين (د.) ، الغزو المغولى لديار الإسلام ، ط. دمشق ٢٠٠٥م.

محمد فتحى الشاعر (د.) ، إقليم الشرقية فى عصر الأيوبيين والمماليك ، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ١٩٧٦م، أحوال المسلمين فى مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١١٨٧م، ط. القاهرة ١٩٩٠م، الأكراد فى عهد عماد الدين زنكى ٥٢١- ٥٤١هـ / ١١٢٧-١١٤٦م ، ط. القاهرة ١٩٩١م .

محمد فريد أبوحديد ، صلاح الدين الأيوبى وعصره ، ط. القاهرة ، صلاح الدين الأيوبى البطل الذى انتصر على الغرب، ط. القاهرة ١٩٥٨م.

محمد فيصل عبد المنعم ، «الملك مظفر الدين كوكبورى الذئب الأزرق» ، الحرس الوطنى، العدد (٩) ، أبريل ١٩٨٣م.

محمد كامل حسين (د.) ، «الطب والآقربازين»، ضمن كتاب أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية ، ط. القاهرة ١٩٧٠م.

محمد كامل مراد (د.) ، «القتال فى الإسلام» مجلة كلية اللغة العربية بالرياض ، ج٢، عام ١٩٧٢م.

محمد كرد على ، «تأليف ابن العديم» ، مجلة المجمع العلمى العربى، عدد عام ١٩٤١م، «الشاميون والتاريخ» ، مجلة المجمع العلمى بدمشق ، م (١٧) ، ج٣، ج٤ ، خطط الشام، ط. دمشق ١٩٢٥-١٩٢٨م دمشق مدينة السحر والشعر ، ط. دمشق ١٩٨٤م، كنوز الأجداد، ط. دمشق ١٩٨٤م.

محمد كمال الدين عز الدين (د.) ، أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة، ط. القاهرة ١٩٩٢م.

محمد محمد عبد الحميد فرحات ، «الخلافات بين الصليبيين وأثرها على الوجود الصليبي في الشرق فيما بين الحملتين الأولى والثانية» ، مجلة كلية الآداب- جامعة الاسكندرية ، العدد (٥١)، عام ٢٠٠١ / ٢٠٠٢م .

محمد محمد مرسى الشيخ (د.) ، الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ١٠٩٧- ١١٤٤م ، ط. الاسكندرية ١٩٧٢م، الإمارات العربية فى بلاد الشام فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر ، ط. الاسكندرية ١٩٨٠م ، «الفتح النورمانى لإنجلترا- ملحمة فريدة فى تاريخ إنجلترا ونورمندبا فى العصور الوسطى» ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط ، تحرير قاسم عبده قاسم ورأفت عبد الحميد ، م (٢) ، ط. القاهرة ١٩٨٣م، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٩٤م.

محمد مؤنس عوض (د.) ، البستان الجامع مصدراً لتاريخ الاسماعيلية النزارية فى بلاد الشام فى القرن السادس هـ الثانى عشر م، ط. القاهرة ١٩٨٢م، التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس ، عام ١٩٨٤م، الدارة، العدد (٣) ، السنة (١٦) ، ربيع الآخر- جمادى الأولى- جمادى الآخرة، عام ١٤١١هـ، الأسواق التجارية فى عهد الدولة النورية ٥٤١- ٥٦٩هـ / ١١٤٦- ١١٧٤م»، الرحالة الأوربيون فى مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١١٨٧ميلادية، ط. القاهرة ١٩٩٢م، الحملة الصليبية النرويجية الملك، الحروب الصليبية ، دراسات وبحوث تاريخية ونقدية ، ط. رام الله ١٩٩٩م، الزلازل فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٦م، وليم الصورى مؤرخًا للقلاع الصليبية لمملكة بيت المقدس فى المرحلة من ١١٣٧-١١٥٠م/ ٥٣٢-٥٤٥هـ ، سلسلة دراسات شرق أوسطية ، مركز بحوث الشرق الأوسط- جامعة عين شمس عام ١٩٩٥م، أضواء على الطب فى المناطق الصليبية فى المرحلة من (١٠٩٨-١١٧٤م/ ٤٩١-٥٧٠هـ)، دراسات شرق أوسطية مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس عام ١٩٩٥م، الزلازل فى بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٦م،فصول ببليوغرافية فى تاريخ الحروب الصليبية، ط. القاهرة ١٩٩٦م، من إسهامات

الطب العربي الإسلامي في العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٩٧م ، في الصراع الإسلامي الصليبي معركة أرسوف ١١٩١م / ٥٨٩هـ ، ط . القاهرة ١٩٩٧م، في الصراع الإسلامي - الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية ، ط. القاهرة ١٩٩٨م، «الحملة الصليبية النرويجية الملك ، الحروب الصليبية ، دراسات تاريخية ونقدية ، ط. رام الله ١٩٩٩م، «نقد بعض اتجاهات الباحثين الغربيين في دراسة الحروب الصليبية »، ضمن كتاب الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية ، ط. رام الله ١٩٩٩م، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب ، ط. القاهرة ١٩٩٩-٢٠٠٠م، «من مشكلات دراسة تاريخ الحروب الصليبية»، ضمن كتاب الحروب الصليبية السياسة - المياه- العقيدة ، ط. القاهرة ٢٠٠١م،«الشام ومصر مدخل لدراسة الاستجابة الاسلامية للتحدى الصليبي»، ضمن كتاب الحروب الصليبية السياسة - المياه - العقيدة ، ط. القاهرة ٢٠٠١ م، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب (العصور الوسطى) ، تحرير محمد مؤنس عوض، ط. القاهرة ٢٠٠٢م،«أضواء على إشكالية دراسة تاريخ الحروب الصليبية في القرنين ١٢ ، ١٣م /٦، ٧هـ»، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، م (٣) ، عام ٢٠٠٣م ،الرحالة الأوربيون في العصور الوسطى- نماذج مختارة ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م،تاريخ الحروب الصليبية التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية القرنين ٦ ، ٧ هـ / ١٢-١٣م، ط. رام الله، ٢٠٠٤م، «دراسات التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية الصادرة في الخمس والعشرين سنة الأخيرة»، ضمن كتاب عالم الحروب الصليب - حوث ودراسات ، ط. القاهرة ٢٠٠٥م ، «مستعمرة البيرة الصليبية » ضمن كتاب عالم الحروب الصليبية بحوث ودراسات ، ط. القاهرة ٢٠٠٥م ، عالم الحروب الصليبية بحوث ودراسات ، ط. القاهرة ٢٠٠٥م، الإمبراطورية البيزنطية دراسات في تاريخ الأسر الحاكمة ، ط. القاهرة ٢٠٠٧م، « ٨٢٠عامًا على معركة حطين » مجلة المنبر الجامعي، العدد (٤٨) ، السنة (٧) ، مايو ٢٠٠٧م، رواد تاريخ العصور الوسطى في مصر ، ط. القاهرة ٢٠٠٧م ، من رحالة الشرق والغرب في العصر الوسطى، ط. القاهرة ٢٠٠٧م ، تاريخ القلاع الصليبية في بلاد الشام ، ط. القاهرة ٢٠٠٧م ، الظاهر بيبرس مؤسس دولة المماليك البحرية ، ط. القاهرة ٢٠٠٧م .

محمد محمد حسن شراب ، موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى ، ط. عمان ٢٠٠٣م.

محمد محمود نفش (د.) ، الوهرانى حياته وأدبه ، رسالة ماجستير كلية الآداب- جامعة القاهرة ، ب-ت .

محمد مجدى حسن عبد الفتاح ، الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية ١٢٠٤م / ٦٠٠هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة المنيا عام ١٩٨٨م.

محمد محمود المناخلى ، الاغتيالات السياسية فى مصر فى عصر الدولة الفاطمية، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة الاسكندرية عام ٢٠٠١م.

محمد محمود النشار (د.) ، البابوية وفرنسا فى مشروع الحروب الصليبية فى الأندلس (القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى) ، ندوة الإطار التاريخى للحركة الصليبية ، إتحاد المؤرخين العرب، ط. القاهرة ١٩٩٦م.

محمد مصطفى زيادة (د.) مصر والحروب الصليبية، رسائل الثقافة الحربية ، منشورات وزارة الدفاع الوطنى، ط. القاهرة ١٩٥٤م، حملة لويس التاسع وهزيمته فى المنصورة ، ط. القاهرة ١٩٦١م ، «يوم حطين» ، العربى، العدد (٥٩) أكتوبر ١٩٦٣م.

محمد مطيع الحافظ ، الحافظ ابن عساكر محدث الشام ومؤرخها الكبير ٤٩٩-٥٧١هـ ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

محمد المقدم ، الاغتيالات فى بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة المنصورة عام ٢٠٠٥م.

محمد منير سعد الدين (د.) ، دراسات فى تاريخ التربية عند المسلمين، ط. بيروت ١٩٩٥م.

محمد نجيب زكى (د.) ، علاقة سلطنة الروم بالدولة البيزنطية فى عصر أسرة كومنين ١٠٨١-١١٨٥م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٨٨م.

محمد ياسين الحموى ، شاعر دمشق ابن عنين ، ط.دمشق ١٩٥٢م.

محمد يوسف موسى ، ابن تيمية ، ط. القاهرة ١٩٦١م.

محمود إبراهيم (د.) ، فضائل بيت المقدس فى مخطوطات عربية قديمة دراسة تحليلية ونصوص مختارة محققة، ط. الكويت ١٩٨٥م، حطين بين أخبار مؤرخيها وشعر معاصريها ط. عمان ١٩٨٧م ، «عوامل النجاح فى سيرة صلاح الدين» ، ضمن كتاب بحوث ودراسات مهداة إلى عبد العزيز الدورى ،ط. عمان ١٩٩٥م.

محمود برهوم ومحمد حروب ، قاموس القرى الفلسطينية إبان الإنتداب البريطانى ، ط. عمان ١٩٩٠م.

محمود الحويرى (د.) ، الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الميلاد ، ط. القاهرة ١٩٧٩م، العادل الأيوبى صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية ، ط. القاهرة ١٩٨٠م، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها فى الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٩٢م، مصر فى العصور الوسطى ، ط. القاهرة ١٩٩٦م.

محمود رزق محمود (د.) ، العلاقة بين إرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبى حتى موقعة حطين عام ٥٨٣هـ /١١٨٧م، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ١٩٧٧م

محمود رفعت زنجير ، الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى، ط. جدة ١٩٩٧م.

محمود السرساوى ، يوم حطين من روائع التاريخ العسكرى العربى، ط. القاهرة ب-ت.

محمود سعيد عمران (د.) ، معركة حارم قصة التحالف البيزنطى الصليبى الأرمينى ضد نور الدين محمود» ، المؤرخ العربى ، العدد (٨) ، عام ١٩٧٧م، الحملة الصليبية الخامسة، حملة حنا دى برين على مصر ١٢١٨-١٢٢١م / ٦١٥-٦١٨هـ، ط. الاسكندرية ١٩٧٨م ، معالم تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، ط. بيروت ١٩٨٠م، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى عهد مانويل كومنين ط. الاسكندرية ١٩٨٥م ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٠م، «الهدن بين المسلمين والصليبيين فى عصر الدولة الأيوبية»، ضمن كتاب دراسات وبحوث فى تاريخ العصور الوسطى، ط. الاسكندرية ١٩٩٦م.

محمود السيد (د.) ، تاريخ الحروب الصليبية ، ط. الاسكندرية ٢٠٠٢م .

محمود شاكر ، الجهاد فى سبيل الله ، ط. الرياض ١٩٩٩م .

محمود شلبى ، حياة صلاح الدين، ط. بيروت ١٩٨٩م .

محمد فايز، معاصرو صلاح الدين ، فى الأدب العربى فى عصر الحروب الصليبية، ط. عمان ١٩٩٥م .

محمود قاسم ، موسوعة الأفلام الروائية فى مصر والعالم العربى ، ج٢، ط. القاهرة ٢٠٠٦م.

مريزن عسيرى (د.) ، الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى ، ط. مكة المكرمة ١٩٨٧م .

مريم البغدادى (د.) ، شعراء التزويادور ، ط. جدة ١٩٨١م.

مسعد بن عبد العطوى (د.) ، الإتجاهات الفنية فى الشعر إبان الحروب الصليبية، ط. الرياض ١٩٩٥م.

مصطفى الحناوى ، جماعة الاسبتارية ودورها فى الصراع الصليبى- الإسلامى فى عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩-١٢٩١م / ٤٩٣- ٦٩٠هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة المنيا عام ١٩٨٠م.

مصطفى الحيارى (د.) ، «حصن بيت الأحزان جانب من العلاقات بين المسلمين والفرنجة الصليبيين»، مجلة دراسات ، م (١٣) ، العدد (٤) ، عمان ١٩٨٦م ، القدس زمن الفاطميين والفرنجة ، ط. عمان ١٩م ، القدس تحت حكم الصليبيين ١٠٩٩-١١٨٧ ، ضمن كتاب القدس فى التاريخ ، تحرير وترجمة كامل العسلى ، ط . عمان ١٩٩٢م ، صلاح الدين القائد وعصره، ط. بيروت ١٩٩٤م.

مصطفى الشكعة (د.) ، سيف الدولة الحمدانى، ط. القاهرة ١٩٥٩م.

مصطفى طلاسى ووليد الجلاد ، قلعة الحصن حصن الأكراد ، ط. دمشق ١٩٩٠م.

مصطفى عبد العزيز العسقلانى ، عسقلان ودورها فى الصراع الإسلامى- الصليبى، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٢م .

مصطفى الكنانى (د.) ، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى ١١٧١-١٢٩١م /

٥٦٧- ٥٩٠هـ ، ط. الاسكندرية ١٩٨١م، حملة بلدوين الأول عام ١١١١م أول حملة صليبية على مصر، ط. القاهرة حملة لويس التاسع الصليبية على تونس ٦٦٨-٦٦٩هـ / ١٢٧٠م ط. الاسكندرية ١٩٨٥م، «المؤرخ الجنوى كـفـارو الكاسيكلفونى سيرته وأعماله وقيمتها التاريخية» ، ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط .م (٣) عام ١٩٨٥م.

مفلح على ، أبطال الوحدة السورية المصرية فى الحروب الصليبية ، ط. دمشق ب-ت .

مفيد الزيدى (د.) ، العصر المملوكى موسوعة التاريخ الإسلامى ، ط. عمان ٢٠٠٣م، موسوعة الحروب الصليبية الأسباب - الحملات - الآثار ، ط. عمان ٢٠٠٤م، موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر ، ط. عمان ٢٠٠٤م.

المقرى الفيومى ، المصباح المنير، ط. القاهرة ١٩٢٦م.

مكسيموس مونروند ، تاريخ الحرب المقدسة المدعوة بحرب الصليب ، ت. كيريوكيدبو ط.أورشليم ١٨٦٥م.

ممدوحة محمد سلامة ، «الكارزمية - القدرة على التأثير على الآخرين» ، مجلة علم النفس ، العدد (١٤) ، أبريل - مايو- يونيو ١٩٩٠ م.

منذر الحايك (د.) ، العلاقات الدولية فى عصر الحروب الصليبية ، ط. دمشق ٢٠٠٦م.

منى حماد (د.) ، «صورة المسلمين فى المصادر اللاتينية للحملة الصليبية الأولى» ، مجلة أبحاث اليرموك، م (١٣) ، العدد (١) عام ١٩٩٧م ، «وليام الصورى والصراع الفرنجى الإسلامى ١٠٩٩-١١٨٤م»، ضمن كتاب أبحاث ودراسات فى التاريخ العربى مهداه إلى ذكرى مصطفى الحيارى ١٩٣٦-١٩٩٨م ، تحرير صالح الحمارنة، الجامعة الأردنية عمان ٢٠٠١م.

منى سعد الشاعر ، «خانونات البيت الأيوبى ودورهن فى الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية فى العصر الأيوبى»، المؤرخ المصرى ، العدد (٢٤) يناير ٢٠٠١م، جامعة الأزهر ، عدد عام ٢٠٠١م

منير الغضبان ، التربية الجهادية ، ط. المنصورة ٢٠٠٢م.

مهجة السيد عبد العال (د.) ، حارم ودورها فى الصراع الصليبى الإسلامى فى بلاد الشام ٤٨٧-٦٩٠هـ / ١٠٩٥-١٢٩١م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب،

جامعة الاسكندرية عام ١٩٩٥م.

موريس بيشوب ، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، ت. على السيد على ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.

موريس كين ، حضارة أوروبا العصور الوسطى ، ت. قاسم عبده قاسم ، ط. القاهرة ٢٠٠٠م.

موريس لومبار ، الإسلام فى مجده الأول ، ت. إسماعيل العربى ، ط. الدار البيضاء ١٩٩٠م

مولر ، القلاع أيام الحروب الصليبية ، ت. محمد وليد الجلاد ، ط. دمشق ١٩٨٤م.

ميخائيل إسكندر، القدس عبر التاريخ ، ط. القاهرة ١٩٧٢م .

ميخائيل زابوروف ، الصليبيون فى الشرق ، ت. إلياس شاهين، ط. موسكو ١٩٨٦م.

ميخائيل مسعود ، أدباء فلاسفة بحث فى الأدب والفلسفة خلال العصور : الجاهلى الأموى العباسى ، ط. بيروت ١٩٩٩م.

ميشيل بالار ، الحملات الصليبية والشرق اللاتينى من القرن الحادى عشر، ت. بشير السباعى ، ط. القاهرة ٢٠٠٣م.

ميشيل جحا (د.) ، الدراسات العربية والإسلامية فى أوروبا ، ط. بيروت ١٩٨٢م.

ميشيل مان ، موسوعة العلوم الاجتماعية ، ت. عادل الهوارى وسعيد عبد العزيز مصلوح، ط. الكويت ١٩٩٤م.

ميلاد المقرحى ، تاريخ أوربا الحديث ١٤٥٣- ١٨٤٨، ط. بنى غازى ١٩٩٦م.

ناجى حبيب نحول ، عكا وقراها ، جزآن ، ط. عكا ١٩٧٩م.

ناصر عبد الرزاق جاسم (د.) ، «صلاح الدين فى القصص الرومانسية الفرنسية والانكليزية ، مجلة الوثائق والانسانيات - جامعة قطر ، العدد (٦) ، «تحرير صلاح الدين الأيوبى للقدس الشريف فى دراسات المستشرقين الناطقين بالانجليزية» ، مؤتمر بلاد الشام فى فترة الصراع الإسلامى الفرنجى ، ط. اربد ٢٠٠٠م.

ناصر نافع العبود (د.) ، الدولة الخوارزمية ، ط. بغداد ١٩٧٨م .

نبيلة مقامى (د.) ، فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ١٣م ، رسالة ماجستير كلية الآداب ، جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م، وقد طبعت بالقاهرة عام ١٩٩٩م .

نجوى كيرة ، حياة العامة فى مصر فى العصر الفاطمى ٣٥٨- ٥٦٧هـ ٩٦٩/-١١٧١م ، ط. القاهرة ٢٠٠٤م.

نجيب العقيقى (د.) ، المستشرقون، ط. القاهرة ١٩٨٠م ط. ، القاهرة ١٩٨١م.

نزيه شحادة (د.) ، «بيروت تحت وطأة المواجهات الصليبية - الإسلامية ١٠٩٧- ١٢٩١م/ ٤٩٠-٦٩٠هـ، ضمن كتاب بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، كتاب تذكارى للأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران، ط. الاسكندرية ٢٠٠٤م.

نصار عبد الرزاق الملا جاسم (د.) ، المستشرق هاملتون كب جاسم دراسة نقدية ، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الموصل عام ١٩٩٨م.

نصارى فهمى (د.) ، الأهمية العسكرية لليمن فى العصر الأيوبى» ، ندوة التاريخ الإسلامى، م (٦) ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة عام ١٩٨٧م.

نظير حسان سعداى (د.)، التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، ط. القاهرة ١٩٥٨م، جيش مصر فى أيام صلاح الدين ، ط. القاهرة ١٩٥٩م، المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، ط. القاهرة ١٩٦٢م الحرب والسلام زمن العدوان الصليبى، ط. القاهرة ١٩٦١م، تاريخ إنجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والوسطى ،ط. القاهرة ١٩٦٨م.

نعمان جبران (د.) ، «محاولات المغول السيطرة على طريق الحرير أسباب ونتائج» ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، السنة (١٢)، العددان (٣٩) ، (٤٠) ، عام ١٩٩١م، دراسات فى تاريخ الأيوبيين والمماليك، ط. اربد ٢٠٠٠م .

نعمان جبران (د.) ومحمد طعانى (د.) ، «إضافات حول كتاب البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ونسبته للعماد الأصفهانى ٥١٩- ٥٩٧هـ / ١١٢٣-١٢٠٠م»، المؤرخ المصرى، العدد (١٧) ، يوليو ١٩٩٦م.

نعمان جبران (د.) وروضة آل ثانى (د.)، تاريخ الجزيرة العربية فى العصور الوسطى الإسلامية، ط. اربد١٩٩٩م.

نعمان الطيب سليمانى (د.)، منهاج صلاح الدين الأيوبى فى الحكم والإدارة، ط. القاهرة ١٩٩١م.

نعوم شقير، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها، ط. القاهرة ١٩١٦م.

نعيم فرح (د.)، تاريخ أوربا السياسى فى العصور الوسطى، ط. دمشق ١٩٩٥م.

نعيمه محمد إبراهيم، آسيا الصغرى والحروب الصليبية فى القرن الثانى عشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ٢٠٠١م.

نفيس أحمد، الفكر الجغرافى فى التراث الإسلامى، ت. فتحى عثمان، ط. الكويت ١٩٧٨م.

نقولا زيادة (د.)، صور من التاريخ العربى، ط. القاهرة ١٩٤٦م، الرحالة العرب، ط. القاهرة ١٩٥٦م، رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى، ط. القاهرة ١٩٤٨م، ط. بيروت ١٩٨٦م، شاميات دراسات فى التاريخ والحضارة، ط. لندن ١٩٨٩م.

نقولا يوسف، تاريخ دمياط من أقدم العصور، ط. القاهرة ١٩٥٩م.

نور الدين حاطوم (د.)، تاريخ العصر الوسيط فى أوربا، ط.دمشق ١٩٨٢م.

نهى الجوهرى، إمارة طرابلس الصليبية فى القرن الثالث عشر م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب- جامعة عين شمس عام ٢٠٠٧م.

نواف عبد العزيز الحجمة (د.)، «الأماكن المقدسة فى مدينتى القدس والخليل من خلال كتب الجغرافيا والرحلات المغربية والأندلسية بين القرنين ٥-٨ هـ / ١١-١٤م»، المجلة العربية للعلوم الانسانية، العدد (٩)، السنة (٢٣) عام٢٠٠٥م.

نيكتيا اليسيف، السلطان نور الدين محمود بن زنكى أمد سنقر ٥١١-٥٦٩هـ / ١١١٨-١١٧٤م، ت. سليم قندلفت، ط. دمشق ١٩٩٨م.

هادى نهر (د.)، معارك نور الدين محمود فى شعر الحروب الصليبية، رسالة ماجستير كلية الآداب- جامعة القاهرة عام ١٩٦٦م.

هادية دجانى شكيل (د.) ، القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى (٥٢٦-٥٩٦هـ ١١٣١-١١٩١م) ودوره التخطيطى فى دولة صلاح الدين وفتوحاته ، ط. بيروت ١٩٩٣م، «صلاح الدين بين التاريخ والملحمة والأسطورة» ، ضمن كتاب الصراع الإسلامى- الفرنجى على فلسطين فى القرون الوسطى، تحرير هادية دجانى شكيل وبرهان الدجانى، ط. بيروت ١٩٩٤م .

هارتمان وباراكلاف ، الدولة والإمبراطورية فى العصور الوسطى ، ت . جوزيف نسيم يوسف ، ط. الاسكندرية .

هارى ألمر بارنز ، تاريخ الكتابة التاريخية ، ت. محمد عبد الرحمن برج ، مراجعة سعيد عاشور، ط. القاهرة ١٩٨٤م .

هاملتون جب ، صلاح الدين دراسات فى التاريخ الإسلامى ، ت. يوسف أيبش ، ط. بيروت ١٩٧٣م ، «سيرة نور الدين»، ضمن كتاب تاريخ الحروب الصليبية، تحرير سعيد عاشور ومحمد مؤنس عوض، ط. عمان ٢٠٠٤م.

هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ج١، ت. أحمد محمد رضا، ط. القاهرة ١٩٨٥م.

هدى الويسى ، الزلازل فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ١٣ / ٦ ، ٧هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب- جامعة أسيوط عام ٢٠٠٧م.

هشام أبورميله ، الموحدين والدول الإسلامية فى الأندلس ، ط . عمان ٢٠٠٤م.

هنادى السيد محمود ، مملكة بيت المقدس الصليبية فى عهد بلدوين الأول (٤٩٤-٥١٢هـ ١١٠٠/-١١١٨م) ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦م.

هنرى كوربان ، «السهروردى الحلبى المقتول»، ضمن الكتاب التذكارى عن السهروردى ، ط. القاهرة ١٩٧٧م.

هنرى كوربان وحسين نصر وعثمان يحيى ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ت. نصير مروة وحسن قبيعى مراجعة موسى الصدر وعارف تامر، ط. بيروت ١٩٩٨م .

هولت ، عصر الحروب الصليبية، تاريخ الشرق الأدنى من القرن الحادى عشر حتى عام ١٥١٧م، ت. عادل اسماعيل هلال، ط . دمنهور ٢٠٠١م.

هيثم الكيلانى ، «معركة حطين ١١٨٧م» ، الموسوعة العسكرية ، ط. بيروت ١٩٧٧م .

هيكل نعمة الله والياس مليحة ، موسوعة علماء الطب مع إعتناء خاص بالأطباء العرب، ط. بيروت ١٩٩١م .

واصف بطرس غالى ، تقاليد الفروسية عند العرب ، ت . أنور لوقا ، ط. القاهرة ١٩٦٠م

وديعة طه نجم ، الجاحظ والحضارة العباسية ، ط. بغداد ١٩٦٥م .

وفاء جونى (د.) ، الحياة الإدارية والسياسية فى الإمارات الفرنجية الصليبية فى بلاد الشام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة دمشق عام ١٩٨٩م .

وفاء محمد على (د.) ، الدولة البورية ودورها فى عصر الحروب الصليبية ، ط. القاهرة ١٩٨٤م، قيام الدولة الأيوبية فى مصر والشام، ط. القاهرة ١٩٨٧م ، الزواج السياسى فى عهد الدولة العباسية ، ط. القاهرة ١٩٨٨م ،دراسات فى تاريخ الدولة الأيوبية ، ط . القاهرة ١٩٩٠م ، جهود المماليك الحربية ضد الصليبيين، ط. القاهرة ١٩٩١م .

وفيق بركات ، «صفحة مشرفة من تراثنا البحرى الأسطول البحرى فى الفكر العسكرى للناصر صلاح الدين الأيوبى» ، مجلة التراث العربى ، العدد (٣٥)، (٣٦) إبريل - يوليو ١٩٨٩م.

ولترسكوت ، الطلسم ، ت. محمود محمود محمد ، ط. القاهرة ١٩٣٨م .

وولتر فيشيل ، يهود فى الحياة الإقتصادية والسياسية للدولة الإسلامية العباسية- الفاطمية- الإلخانية ، ت. سهيل زكار ، ط. دمشق ٢٠٠٥م.

ول ديورانت ، «الحروب الصليبية» ، ضمن موسوعة قصة الحضارة ج٤ / ق٤ ، ت. محمد بدران، ط. القاهرة ١٩٧٦م .

وليد نويهض (د.) ، صلاح الدين الأيوبى سقوط القدس وتحريرها قراءة معاصرة ، ط. بيروت ١٩٩٧م.

ياسين التكريتى (د.) ، الأيوبيون فى شمال الشام والجزيرة ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عام ١٩٨١م .

ياسين الخطيب العمرى ، الروضة الفيحاء فى تواريخ النساء ، تحقيق عماد على حمزة ، ط. بغداد ١٩٨٧م.

ياسين سويد ، «صلاح الدين واستراتيجية التوحيد للتحرير» ، شؤون عربيه ، العدد (٨٣) ، سبتمبر ١٩٩٥م.

يسرى الجوهرى (د.) ، مبادئ جغرافية السكان ، ط. بيروت ١٩٦٩م.

يسرى عبد الغنى ، معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثانى عشر الهجرى ، ط. بيروت ١٩٩١م.

يوسف أحمد بنى ياسين (د.) ، بلدان الأندلس فى أعمال ياقوت الحموى الجغرافية (٥٧٤-٦٢٦هـ / ١١٧٨-١٢٢٩م)، ط. العين ٢٠٠٤م.

يوسف أسعد داغر ، مصادر الدراسة الأدبية ، ط. صيدا ١٩٦١م.

يوسف الدبس ، تاريخ سوريا ج٦، ط. بيروت ١٩٠٠م.

يوسف سامى اليوسف ، حطين ، ط. دمشق ١٩٨٨م.

يوسف سمارة ، جولة فى الإقليم الشمالى ، ط. القاهرة ١٩٦٠م.

يوسف الشدياق ، أخبار الأعيان فى جبل لبنان ، ط. بيروت ١٩٥٤م.

يوسف غسان مزاحم ، «تاريخ الحروب الصليبية فى الشرق » ، تاريخ العرب والعالم ، السنة (٢٤) ، العدد (٢٠٩) مايو - يونيو ٢٠٠٤م.

يوسف غوانمه (د.)، التاريخ السياسى لشرق الأردن فى العصر المملوكى المماليك البحرية ، ط. عمان ١٩٨٢م. «الأفضل بن بدر الجمالى وموقفه من الحملة الصليبية الأولى»، مجلة كلية الآداب- جامعة الملك سعود ، م (١٠) ، عام ١٩٨٣م ، دراسات فى تاريخ الأردن وفلسطين فى العصر الإسلامى، ط. عمان ١٩٨٣م إمارة الكرك الأيوبية ط. عمان ١٩٨٤م، معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج خطاب جديد فى الحجز الإسلامى والعربى والمشروع النهضوى العربى الوحدوى، ط. عمان ١٩٩٥م ، الزلازل فى بلاد الشام فى العصر الإسلامى وأثرها على المعالم العمرانية ، ط. عمان ١٩٩٠م، القدس فى العصرين الأيوبى والمملوكى» ، ضمن كتاب القدس عبر العصور ، تحرير على محافظة ط. اربد ٢٠٠١م. القدس الشريف ، ط. عمان ٢٠٠٢م.

يوسف نور عوض (د.) ، فن المقامات بين الشرق والغرب، ط. مكة المكرمة ١٩٨٦م .

يوشع براور ، عالم الصليبيين ، ت. قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة ط. القاهرة ١٩٨١م، ط. القاهرة ١٩٩٩م ، الاستيطان الصليبى فى فلسطين مملكة بيت المقدس ،ت. عبد الحافظ البنا ، ط. القاهرة ٢٠٠١م .

يوليوس فلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ، ت. عبد الهادى أبوريدة ، ط . القاهرة ١٩٥٨م.

سادساً : المراجع الفارسية

عبدالله رازى ، تاريخ كامل إيران ، ط. تهران .

على أصغر حلبى ، تاريخ فلاسفة إيران أزاغان إسلام تاأمروز ، ط. تهران ١٩٥١م.

قاسم غنى ، تاريخ تصوف در إسلام ، ط. تهران .

سابعًا ، المراجع الأجنبية :

- Abel (F.M.), " Les deux Mahumerie El- Birah, El qoubeibeh" R.B, T. XXXV, 1926.

Adler, Jewish Travellers in The Middle Ages, London 1930.

- Alpetikin (C.) , The Reign of Zangi (521-541 / 1124-1146), Ataturk University , Erzurum 1978 ., Dimask ATahegligi (Tog. Teginliler), Istanbul 1985.

- Al- Zanki (J.) , The Emirate of Damascus (488-549/ 1095-1154), ph . D. Thesis, St. Andrew University 1989.

- Anderson , Dictionary of the Middle Ages, New York 1989 .

- Appleby (J), John King of England, New York 1959 .

- Arnold (T.), The Spread of Islam in The World , A History of Peaceful Preaching , New Delhi 2002.

- A Tiya (A.) , Crusade Commerce and Culture, London 1962 , The Crusade Historiography and Bibliography, London 1962 .

Aubé (p.) , Bauduin IV de Jerusalem, Le roi Le Preux, Paris 1981 .

- Baldwin (M.), The Decline and Fall of Jerusalem (1174-1189) ", in Setton , A History of The Crusades , vol. I, Pennsylvania 1958 , "The Latin States under Baldwin III and Amalric I" in Setton, A History of the Crusades , vol . I, Pensylvania 1958 , " Mission to the East in The Thirteenth and Fourteenth Centuries", in Setton , A History of the Crusades, vol. V, Philadelphia 1985 .

- Baldwing (J.) , The Government of Philip Augustus, California 1986 .

- Barber (M.), The Trial of Templars, Cambridge, 1982 ., The New KnighT-hood : A History of the Order of The Temple , Cambridge 1994 .
- Barker (E.) , The Crusades, London 1949 .
- Becher (A.) , Papst Urban II (1088-1099) , 2 vols , Stuttgart 1964 - 1988.
- Becker (M.), Charlemagne , Trans . by David S. Bachrach, London 2003 .
- Belloc , The Crusades World's debate, London 1957 .
- Boase (T.S.R.), Kingdoms and Strongholds of the Crusaders , London 1971.
- Brand (C.M.), Byzantium Confronts the west 1180-1204, Cambridge 1968.
- Brockelmann (c.) , Geschichte der Arabischen Literature, Leiden 1943 .
- Brundage (J.) , The Life and Times of Richard I, London 1973 , " Holy war and The Medieval Lawyers", in Brundage (ed.) , The Holy war, Ohio 1977 ., Richard Lion Heart , New York 1974 ., " Prostitution , Mis-cegenation and Sexual Purity in The First Crusade" , in Edbury (ed.) , Crusade and Settlement , Cardiff 1985 .
- Byrene (E.) , " Commercial Contacts of The Genoese in The Syrian Trade of The twelfth century ", J.E.H., vol . XXXI, 1916 ., " Genoese Trade with Syria in the Twelfth century :, A.H.R., vol. XXV , 1919-1920 .
- Cahen (C.) , "Un Chronique Chiite au Temps des croisades", R.A.I.B.L., T. III, Année 1935 , La Syrie du nord á L'epoque des Croisades, Paris 1940 . " La Campagne de Mantzikert d' apres des sources mousulmans" B., vol . IX , 1934 , " The Turkish invasion" in Setton , A History of the Crusades vol . I, Pennsylvania 1958 .
- Cartellier (A.) , Philip II August , Konig von Frankreich , Leipzig 1899-1900 .
- Cavaliero , The Last Crusaders, London 1960 .
- Conder (G.R.), The Latin kingdom of Jerusalem, London 1897 .

- Cooper (R.S), Ibn Mammati's Rule for Ministers: Translation with commentary of the qawanin al- Dawawin , Ph. D, dissertation, University of Calfornia, Berekely 1973 .
- Cowdry (H.E.), "Pope Urban II and The idea of Crusade ", S.M., 36 , 1995.
- Coulbon (ed.), Feudalism in History, Princeton 1956 .
- Dajani (H.), " Some Medieval Accounts of Salah Al- Din's recovery of Jerusalem (Al- quds), S.P., 1988 .
- Davis, " William of Tyre", in Barker (ed.) Relations between East and west in the Middle Ages, Eidenburgh 1973 .
- De Brower, Saint Bernard L'homme d'Eglise , Paris .
- Delaville le Roulx, " Inventaire de Pieces Terre Sainte de L'Hospitale", R.O.L., T. III, Année 1985 .
- Deschapms (R.) , Les Chateaux des Croisades en Terre Sainte, T.I, Le crac des chevaliers , Paris . 1934 .
- Diehl (C.), History of the Byzantine Empire, Trans. by George B. Ives, Princeton 1925 .
- Duggan (A.), The Story of The Crusades, London 1960 .
- Duncalf (F.) , The First Crusade, Clermont to Constantinople ", in Setton , A History of the Crusade, vol . I , Wisconson 1969 .
- Dussaud (R.) , Toporgaphie Historique de la Syrie Antique et Medievale ,Paris 1931 .
- Ebeid (I.) , " Was pope Innocent III an accomplice in the diversion of The Fourth Crusade", E.H R., vol. XV , 1969 .
- Edbury (P.W.), " William of Tyre Historian of the Crusade and the kingdom of Jerusalem", B.F.A.A.U., 1988 . , The Kingdom of Cyprus and The Crusades 1191-1374 , Cambridge 1981 .
Edbury (P.W.) and Rowe (J.W.) , William of Tyre Historian of the latin East , Cambridge 1988 .

- Edgington (S.), " The Doves of war, The Part Played by Carrier Pigeons in the Crusades" in Balard (M.), Autour de la Premiere Croisade , Actes du Colloque de la Society for the Study of The Crusades and the Latin East. (Clermont - Ferront 22-25 Juin 1995), Paris 1996, pp. 167-175 .
- Eggemberger (S.) , Dictionary of Battles , London .
- Ehrenkreutz (A.S.) , Saladin, New York 1972 .
-El - Azhari (T.), The Saljugs of Syria during the Crusades 463-579 A.H., 1070-1154 A.D., Berlin 1997 , Daifa khatun Ayyubid queen of Aleppo 634-640 A.H./ 1236-1242 A.D., Cairo 1998 .
- Elbeheiry (S.), Les Institutions de l'Egypte au Temps des Ayyubides, Lille 1972 .
- Elisseeff (N.) , La Description de Damas d'Ibn Asakir , Damas 1959 ., Nur ad - Din un grand Prince musulman au Temps des Croisade Damas 1967.
- Ellenblum (R.), Frankish rural settlement in the Latin kingdom of Jerusalem, Cambridge 1998 .
- Ency . Jud., vol . IV, Jerusalem 1973 .
- Evans (G.R.), The Mind of Bernard of Clairvaux, London 1983 .
- Fedden (R.), Crusader Castles, Beirut 1957 .
- Fink (F.) , " Maudud of Mosul Precursor of Saladin ", M.W., vol. XLIII, 1953 , " The Foundation of the Latin States (1099-1118) ", in Setton, A History of the Crusades , vol . I, Madison 1969 .
- France (J.), Victory in the East , A Military History of the First Crusade , Cambridge 1996 .
- Friedman (J.), Encounter between enemies , Captivity and Ransom in the Latin Kingdom of Jersusalem , Leiden 2000 .
- Friendly (A.), The Dreadful day ; The Battle of Manzikert 1071, London 1981.
- Fuller (J.F.) , Decisive Battles of Western Europe and Their influences upon History , London 1954 .

- Gabrieli (F.), Arab Historians of the Crusades Trans. by Costell, London 1969 .
- Gibb (H.), " Zengi and the Fall of Edessa", in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol . I. Dennsylvania
- Gibbon (E.), The History of the decline and Fall of the Roman Empire , vol . III, New York 1995 .
- Gillingham (J.), The Life and times of Richard I, London 1973 .
- Goitein (S.), Saladin and the Jews", H.U.C.A., vol . XXVII, 1950 . Contemporary Letters on the Capture of Jerusalem by the Crusaders", J.J.S., vol. X, 1952 , Moses Maimonides Man of action : Arevision of the Master's Biography in light of the Geniza documents , Homage à George Vajda, ed. by G. Nahom and C. Touati , Louvain 1980 . , " Geniza Sources for The Crusader Period : A Survey ", in (R.) Smail , (B.) Kedar (H.), Mayer (eds.) Outremer Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem, Presented to Joshua Prawer, Jerusalem 1982 .
- Grogoir (H.) " The diversion of Crusade ", B., vol .XV , 1940-1941 .
Hagenmeyer (H.) . Peter der Ermit, Leipzig 1879 . Chronologie de la Premiere Croisade", R.O.L., T. VII, Année 1899 , Etude sur la Chronique de zimmern renseignement qu'elle Fournet sur la Premiere Croisade", A.O.L., T. II, Année 1884 .
- Hamilton (B.), " The Elephant of Christ : Reynald of Chatillon", S.C.H., 15 , 1978 , The Latin church in the latin Stutes, London 1980 , The Leper king and his heirs, Baldwin IV and The Crusader Kingdom of Jerusalem , Cambridge , 2000 .
- Hammad (M.) , Latin and Muslim Historiography of the Crusades- Acomparative study of William of Tyre and Izz AL- Din Ibn Al Athir , Ph.D, Pennsylvania 1987 .
- Heard (N.) , The Dominance of the East , London 1968 .

- Helbing (N.) , Al qadis Al Fadil der wezir Saladin eine Bibliographie , Berlin 1909 .
- Hill (G.) , History of Cyprus , 3 vols , Cambridge 1940 .
- Hille (J.H.), Raymond IV Count of Toulouse , Syracuse 1962 .
- Hillenbrand (C.), The Crusades, Islamic Prospectives, London 1999 .
- Houtsma (M.), " The Death of Nizam al- Mulk and its consequences , J.I.H., vol . III, 1974 .
- Hussey (J.), The Byzantine World, New York 1961.
- Hutton (W.H.), Philip Augustus, New York 1970 .
- Johnson (E.N), The Crusade of Frederick Barbarossa and Henry VI ", in setton, A History of the Crusades, vol . II, Madison 1969 .
- Kaegi (W.), Byzantium and the early Islamic Conquests, Cambridge 2000.
- Kantraouiz , Frederick the Second , London 1931 .
- Kazhdan (A.) (ed.) , Oxford dictionary of Byzantium , Oxford 1951 .
- Kedar (B.Z.), The Horns of Hattin, Jerusalem 1992 , Crusade and Mission European Approaches to the Muslims, Princeton 1988 .
- Kedar , The Patriarch Eracles" , in Kedar (B.Z.) , Mayer (H.E.), and Smail (R.C.), Outremer Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem, Jerusalem 1982 .
- Kelly (A.), Eleanor of Aquitaine and the Four kings, Cambridge 1950 .
- Kelly (J.N.D.), Oxford dictionary of Popes, Oxford1996 .
Kennedy (H.) , Crusader Castles, Cambridge 2000 .
- Kerr, The Crusades, London 1966 .
- King (C.) ," The Taking of le krak des Chevaliers 1271", A. vol XXII, March 1949 .
- King (E.J.) , The Knights Hospitallers in the Holy Land , London 1930 , The Knights of St. John in the British Kingdom, London 1943 .
- Krey (A.C.), " William of Tyre the making of an historian in the Middle

Ages", S. vol . XVL, 1941 , The First Crusade , Princeton 1958 .
- La due (W.J) , The Chair of Saint Peter , A History of the Papacy , New York 1999 .
- Lane - poole (S.) , Saladin and the Fall of the latin kingdom of Jerusalem, London 1898 , History of Egypt in the Middle Ages , London 1925 .
Leiser (L.), " The Crusader Raid in the Red Sea 578 / 1182-3 , J.A.R.C.E., vol .14 , 1977 .
- Le Strange (G.), Palestine under Islam , London 1890 , The Lands of the eastern Caliphate, Mesopotamia , Persia and Central Asia From the Moslem Con Quest to the time of timure, London 1966 .
- Lev (y.), Persecution and Conversion to Islam in eleventh century, Egypt ", A.A.S. vol . 22 , 1988 . Saladin in Egypt , Leiden 1999 .
Lewis (B.), " Saladin and The Assassins ", B.S.O.A.S., vol . XV , 1953 ," Maimonides . Lionheart and Saladin ", E.I., vol . VII, 1964 .
- Lombard (M.) , The Golden Age of Islam, Trans . by Jean Spencer , Holland 1975 .
- Louise and Riley- Smith (J.) , The Crusades Idea and Reality , 1095- 1274, London 1981 .
- Luttrell (A.), " The early Hospitallers", in Kedar (B.) , Riley.Smith (J.), Hierstand (R.) (eds.), Montjoie Studies in Crusade History in Honour of Hans Eberhard Mayer, Hampshire 1997 .
- Mackenzie (N.O.), The Citadel of Cairo, Leiden 1995 .
- Magdalino (P.) , The Empire of Manuel I Comnenos 1143-1180 , Cambridge 1997..
- Makdisi (G.) , (ed.) , Arabic and Islamic Studies in Honor of Hamilton A.R. Gibb, Cambridge 1965 .
- Malheson, Persia , An Archaeological Guide, London 1972 .
Mariott, The Eastern question, Oxford 1958 .

- Mayer (H.) , Bibliography zur Geschichte der kreuzzuge, Hannover 1960 .
- Meade (M.), Eleanor of Aquitaine : A Biography , London 1978 .
- Micheau , " Jihad", H., T.XLVII, Année 1982 .
- Minoresky , " Pre- Hisotry of Saladin" in Studies in Caucasian History , London 1953 .
- Munro (D.), " The Speech of Pope Urban II at Clermont's" A.H.R, vol . II, 1905 , " The Children's Crusade", A.H.R., vol . XIX, 1913- 1914 , " Did the Emperor Alexius I ask for aid at the Council of Piacenza ?", A.H.R., vol. XXVII, 1921 .
- Neubauer, "Le Memorbuch de Mayence " , R.E.J., T. IV, Année 1882 .
- Nicholson (R.L.), Tancred: Astudy of his Career and Work in Their Relation to the First Crusade and The establishment of the Latin States in Syria and Palestine , Chicago 1940 .
- Nicole (D.), Biographical dictionary of the Byzantine Empire , London 1991 .
- Nicolle (D.), Yarmuk ad 636 the Muslim conquest of Syria , Oxford 1994 . Crusader Castles in The Holy Land 1192-1302, London 2005 .
- Northop (L.N.), The knights Templars (1118-1187) , in The Holy Land, M.A. Thesis, University of California 1948 .
- O' leary (D.), Short History of the Fatimid khalifate , London 1923 .
- Oldenberg (Z.), Les Croisades, Paris 1975 , The Crusades , Trans . by Anne Cordem , New York 1960 .
- Oman (C.), A History of the art of War in the Middle Ages , London 1924.
- Ostrogorsky (G.), History of the Byzantine State, Trans. by J. Hussey , Oxford 1956 .
- Palacios (A.), La Eascatologia Musulmana en Divina Comedia, Madrid 1919 .
- Paris (G.), " La Legende de Saladin ", J.A., Année 1893 .

- Parisse , " Godfrey de Bouillon le Croisade examplaire ", H.T.XLVII, Année 1982 .

Paterson (L.), The World of The Troubadours: Medieval Occitan Society 1100-1300, Cambridge 1993 .

- Paul Read (p.), The Templars, London 2000.

Philips and Hoch(eds.) , The Second Crusade, Scope and Consequence , Manchester 2001.

- Prawer (J.), The Latin kingdom of Jerusalem , European Colonialism in the Middle Ages , London 1919 , " West Confronts East in The Middle Ages ", B.I. A.C.C, vol . XII, Cairo 1989 .

- Prestage , Chivalry its Historical Significance and civilizing influence upon History , London 1925 .

- Pringle (D.) , " Magna Mahumeria (al- Bira) : The Archacoloy of a frankish new Town in Palestine ", in Edbury (ed.), Crusade and Settlement , Cardiff 1985 .

Rabbet (N.O.) , The Citadel of Cairo , Leiden 1995 .

- Raedis , " Le Croisade des enfants", a-Telle eu Liu ? ", H., T. XLVII, Année 1982 .

Regan (G.), Saladin and the fall of Jerusalem, London 1987 .

- Richard , La Chanson de Syracon et la legende de Saladin ", J.A., T. 237 Année 949.

Richard (J.), " La Bataille de Hattin: Saladin defait L'Occident", H. , T. XLIII, Année 1982 ,

- " An account of the Battle of Hattin Referring to the Frankish mercenaries in Oriental Moslem States" , S. vol . XXVII 1952 .

- Richards (D.S.), Imad al- Din al Isfahani" Administrator, literateur and Historian" in Crusade and Muslims in the Twelfth century Syria , ed. M. Shatzmiller, Leiden 1993 .

- Rihaoni (A.), Le Crac des Chevaliers Guide Touristique et Archaeologique, Damas 1975 .
Riley Smith (J.), A History of the Order of the Hospital of St. John of Jerusalem, London 1973 , Feudal Nobility in the Latin kingdom of Jerusalem , London 1973 .
- Roth (C.), Ashort Histoy of the Jewish People, London 1993 .
Landes Bezuglichen Literatur von 333 Bis 1878, Oeniponti 1893 .
- Ruhricht (R.), Geschichte des Kengreichs Jerusalem , Innsbruck 1899., Chronologisches Vevzeichniss der Auf die geographie der Helilgen Said (E.), Orientalism, London 1980 .
- Sarton (G.) , An Introduction to History of Science , washington 1947 .
- Schlumberger (G.) Renauld de Chatillon Prince d'Antioch au Temps des Croisades ,Paris 1933 .
- Shakeel (H.D.) and Messier (R.A.) (eds.), The Jihad and its Time , dedicated to Andrew Stefan Ehrenkreutz , Ann Arbor 1991 .
Sivan (E.), " Refugies Syro Palestinies au Temps des Croisades ", R.E.I., T.XXXV , Année 1967 , " Notes sur Ia Situation des Chretiens á L'epoque ayyubide ", R.H.R., T. CLXII , Année 1967 .
- Southern (R.W,) Western views of Islam in the Middle Ages, Cambridge , 1978 .
- Steingass (F.), Acomprehensive Persian - Engihs Dictionary , Lahore 1977.
- Stevenson (W.B.), The Crusaders in The East , Beirut 1962, 1968 .
- Strayer (J.), " Feudalism western Europe, in Coilborn (ed.) , Feudalism in Hsitory, Prinseton 1956 ," The Crusades of Louis IX ", in setton (ed.) , AHistory of The in Crusades, vol. II, Madison 1969 .
- Smail (R.), Crusading Warefare (1092-1193), Cambridge 1950 .
- Smythe (B.), Trobador Poets, London 1911 .

- Sunderland (H.), Islam and the Divine Comedy , London 1926 .
- Talbi (M.) , " Saint Louis : Voir Tunis et mourir ", H.,T. XLVIII, Année 1982 .
- The Oxford English dictionary , vol. LX, Oxford1973.
-The Oxford reference dictionary , London 1962 .
- Thorou (P.) , " The Battle of Ayn Jalut , Re consederation in Edbury (ed.) , Crusade and settlement , cardiff 1985 .
- Throop (P.), Criticism of The Crusade , A Study of Public Opinion and Crusade Propaganda , Amstrdam 1940 .
- Tobler (T.) , Bibliographie Geographia Palestinae , Leipzeg 1867 .
- Treadgold (W.), A History of the Byzantine State and Society , California 1997 .
- Treece (H.) , The Crusades , U.S.A. 1964 .
- Vacandard (E.), Vie de Saint Bernard abbé de Clairvaux , Paris 1895 .
- Van Cleve (T.C.), " The Crusade of Frederick II " in Setton , A History of the Crusades, vol . II, Madison 1969 .
- Vasiliev (A.), History of the Byzantine Empire, Madison 1952 .
- Vissey (D.), "William of Tyre and The art of Historiography ", M.S., vol . XXXV, 1973 .
- Vitestam (G.), Saladin and Richard The Lionhearted Selected annals from Masalik al- absar fi mamalik al- amsar by al- umari, S.O.L.vol . VII, 1996 .
- Watt (M.), The Islamic Concept of Jihad ", in Brundage (J.) the Holy war, Ohio state 1974 .
- Whittow (M.) the Making of Byzantium 600-1025, los Angelos 1996 .
- Woodings (A.), "The Medical resources and Practice of The Crusader States in Syria and Palestine (1096-1193), " M.H., vol . XV, no .3 ,

1971.

- Wright (J.), The geographical lore of the time of the Crusades, A Study in the history of medival Science and Tradition in Western Europe, New York 1965 .
- Wright (W.), Early Travels in Palestine , London 1848 .
- Ziada (M.M.), The Mamluk Sultan to 1293" , in Setton, A History of the Crusades, vol . II, Pennsylvania 1955 .
- Zacour (N.P.) , " The Children's Crusade", in Setton, A History of the Crusades, vol . II, Madison 1969 .
- Ziada (N.) , Urban life in Syria under the early Mamluk , Beirut 1923 .

ثامنا : المواقع على الانترنت

(english sites)

http://education.yahoo.com/reference/encyclopedia/entry/Saladin

http://en.wikipedia.org/wiki/Saladin

http://touregypt.net/featurestories/saladin.htm

http://i-cias.com/e.o/saladin.htm

http://www.amazingben.com/arf0060.html

http://historymedren.about.com/library/who/blwwsaladin.htm

http://www.dicksonc.act.edu.au/__data/assets/pdf_file/42251/crusades-the_career_of_saladin.pdf

http://www.aliraqi.org/forums/archive/index.php/t-17183.html

http://www.infoplease.com/ce6/people/A0843183.html

http://www.historylearningsite.co.uk/Saladin.htm

http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/biography/Saladin.html

http://www.bartleby.com/65/sa/Saladin.html

http://www.templarhistory.com/saladin.html

http://members.tripod.com/~snowlion2/slahadin.html

http://mb-soft.com/believe/txh/saladin.htm

http://www.pbs.org/empires/islam/profilessaladin.html

http://www.amazon.com/Saladin-Noble-Prince-Diane-Stanley/dp/0688171362

http://library.thinkquest.org/05aug/00158/saladin2.html

http://www.google.com/Top/Society/Religion_and_Spirituality/Islam/History/Dynasties_and_Empires/Ayyubid/Ibn_Ayyub,_Salah_al_Din_Yusuf/

(Arabic Sites)

http://al-eman.com/Monwat/Ozamaa/Salah.asp

http://www.cairocitadel.gov.eg/main.html

http://www.quran-radio.ps/islamic_persones7.htm

http://www.islamonline.net/arabic/history/1422/05/article21.shtml

http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/07/article15a.SHTML

http://www.altareekh.com/new/doc/modules.php?name=Content&pa=showpage&pid=306&comm=0

http://www.altareekh.com/new/doc/modules.php?name=Search

http://www.altareekh.com/new/doc/modules.php?name=Search

http://www.lemaroc.org/videos/video-3kVPLrzfVnM.html

Connect to the next generation of MSN Messenger Get it now!

Plain Text Attachment [Scan and Save to Computer]

(english sites)

http://education.yahoo.com/reference/encyclopedia/entry/Saladin

http://en.wikipedia.org/wiki/Saladin

http://touregypt.net/featurestories/saladin.htm

http://i-cias.com/e.o/saladin.htm

http://www.amazingben.com/arf0060.html

http://historymedren.about.com/library/who/blwwsaladin.htm

http://www.dicksonc.act.edu.au/__data/assets/pdf_file/42251/crusades-the_career_of_saladin.pdf
http://www.aliraqi.org/forums/archive/index.php/t-17183.html
http://www.infoplease.com/ce6/people/A0843183.html
http://www.historylearningsite.co.uk/Saladin.htm
http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/biography/Saladin.html
http://www.bartleby.com/65/sa/Saladin.html
http://www.templarhistory.com/saladin.html
http://members.tripod.com/~snowlion2/slahadin.html
http://mb-soft.com/believe/txh/saladin.htm
http://www.pbs.org/empires/islam/profilessaladin.html
http://www.amazon.com/Saladin-Noble-Prince-Diane-Stanley/dp/0688171362
http://library.thinkquest.org/05aug/00158/saladin2.html
http://www.google.com/Top/Society/Religion_and_Spirituality/Islam/History/Dynasties_and_Empires/Ayyubid/Ibn_Ayyub,_Salah_al_Din_Yusuf/
(Arabic Sites)
http://al-eman.com/Monwat/Ozamaa/Salah.asp
http://www.cairocitadel.gov.eg/main.html
http://www.quran-radio.ps/islamic_persones7.htm
http://www.islamonline.net/arabic/history/1422/05/article21.shtml
http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/07/article15a.SHTML
http://www.altareekh.com/new/doc/modules.php?name=Content&pa=showpage&pid=306&comm=0
http://www.altareekh.com/new/doc/modules.php?name=Search
http://www.altareekh.com/new/doc/modules.php?name=Search
http://www.lemaroc.org/videos/video-3kVPLrzfVnM.html

«صلاح الدين الأيوبى» يستقبل «جى دو لويزينيان» ملك القدس بعد معركة حطين التى انتصر فيها صلاح الدين

للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES